



# العاصف

رواية



محمد أشرف فؤاد

رواية

# عضين

محمد أشرف فؤاد

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر

الإلكتروني

<http://book-juice.com>

رواية

عصين

المؤلفة : محمد أشرف فؤاد

نشر في : أبريل ٢٠١٨

تصميم غلاف: إسلام محمد

تقديم وتصحيح: همام أحمد \$ أحمد ضياء

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الإلكتروني

## الإهداة

إهداه روایتی لكل من حاول مساعدتی و آمن بقدرتی ..  
إلى أبي و أمي و إخوتي .. أصدقائي الذين شجعونی بأرأیهم فيما كتبت  
سواء ب النقد أو الإعجاب و دعمهم لي .. ، لأصدقائي الأدباء .. إسلام وهيب ، محمد رجب ، مهاب ترجم ،  
منة الله رأفت ، سلمى حسني ، عمرو صلاح الدين .. ، للأستاذة فريده الجوهری التي حاولت مساعدتی بشتى الطرق ،  
الأستاذ محمد شوقي الذي آمن بفکره الروایه و وافق على نشرها  
إلكترونيا ..  
اهديها لقدوتی في الأدب .. الدكتوره خولة حمدى ، الدكتور مصطفی  
محمود ، أحمد خالد مصطفی ، الأدیب العالمنی دان براون ..  
اهدى هذه الروایة للقراء جميعهم ... ، و لكن جزيل الشکر

## قبل أسبوعين

تبعد في منتصف عقدها الثاني، اعتادت أن تمام والحزن يرافقها..

في الشهور الأخيرة كان الخطر يطارد زوجها.. وهي كل يوم تنتظر ذلك الخبر السيء.. لا تعلم حينها كيف ستتصرف وكيف سيكون شعورها أو رد فعلها.. لا تعلم إن كانت ستموت من الصدمة أم ستبقى بقية حياتها تعيسة.. ولكنها متأكدة أنها لن تحمل فقدانه.. تكون على قمة العالم عندما تعلم أنه ما زال حياً وأنه بخير وتكون أتعس خلق الله عندما ينتشر خبر ما يوحي بأنه في مأزق أو تسمع خبر وفاته أو حتى عندما لا تعلم عنه شيئاً، لكنها كانت تمني النفس بأن كل تلك الأخبار كاذبة وسيكون بخير قريباً، تلجأ لربها بالدعاء ... ولا خاب من لجأ لربه..

أيقظها رنين هاتفها المحمول.. صديقتها أمانى تتصل بها في وقت متأخر.. ترددت أن ترد عليها.. تتصل بها في الرابعة فجراً هذا يوحي بأن هناك خبراً سيئاً وهى غير مستعدة إطلاقاً لسماع خبر من هذا النوع في هذا الوقت على الأقل.. حاولت تجاهل صديقتها لكن قلبها حثها على الرد..

● أمانى؟ هل أنت بخير؟!

ردت أمانى وصوتها يوحي بالأرتباك..

● آسية... افتحي التلفاز بسرعة، هناك خبر هام ..

● خبر هام؟! ماذا يجري يا أمانى؟!

ردت أمانى بحماسة..

● خبر يتعلق بعمر يا آسية، لا أصدق عيني..

أسرعت آسية لفتح التلفاز وأمسكت بجهاز التحكم وارتبت ماذا عليها أن تفعل؟! سألتها..

• على أي قناة يا أمانى؟

ردت بسرعة ..

• على قناة "exclusive news" ..

قلبت آسية القنوات بسرعة إلى أن وصلت لهذه القناة فعلاً، حدقـت فيها غير مصدقةً لما تراه أو تقرؤه حتى أن هاتفها سقط منها وتفكـك وهي لم تشعر به، تحـاول استيعـاب الخبر أو تـصـديـقه على الأقل!

"عاجـل ... وصول صاحـبي "فـيديـوـ القرـنـ" إـلىـ مـطـارـ القـاهـرـةـ منـذـ قـلـيلـ..."

قرأتـ الخبرـ عـدـةـ مـرـاتـ لـتـأـكـدـ أـنـهـاـ لـاـ تـحـلـمـ أـوـ تـتـخـيـلـ..ـ تـسـاءـلـتـ..ـ عـمـرـ؟ـ عـمـرـ؟ـ لـاـ تـصـدـقـ ماـ تـقـرـؤـهـ..ـ نـسـيـتـ تـماـمـاـ أـنـهـاـ كـانـتـ تـكـلـمـ صـدـيقـتـهاـ..ـ التـفـتـ لـهـاـفـهـاـ الـمـفـكـكـ وـقـامـتـ بـتـجـمـيـعـهـ مـجـدـداـ بـذـهـنـ مشـتـتـ..ـ رـنـ هـاـفـهـاـ مـنـ جـدـيدـ فـورـ أـنـ قـامـتـ بـإـعادـةـ تـشـغـيلـهـ..ـ هـذـهـ المـرـةـ لـيـسـ صـدـيقـتـهاـ..ـ إـنـهـ مدـيـرـ الـمـسـتـشـفـيـ الـتـيـ كـانـتـ تـتـعـالـجـ فـيـهاـ..ـ

تطـاـبـيرـ قـلـبـهاـ مـنـ فـرـحةـ..ـ لـقـدـ أـخـبـرـهـاـ أـنـ زـوـجـهـاـ قـدـ عـادـ وـهـوـ فـيـ طـرـيـقـهـ لـلـمـسـتـشـفـيـ..ـ لـيـسـ هـذـاـ فـقـطـ..ـ بـلـ أـرـسـلـ إـلـيـهـاـ سـيـارـةـ تـابـعـةـ لـلـقـوـاتـ الـمـسـلـحـةـ لـنـقـلـهـاـ هـيـ وـوـالـدـةـ زـوـجـهـاـ لـمـطـارـ سـوـهـاجـ الدـوـلـيـ تمـهـيـداـ لـنـقـلـهـمـاـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ خـالـلـ سـاعـاتـ لـتـكـونـانـ بـجـانـبـهـ..ـ

فيـ ظـرفـ دـقـائقـ كـانـتـ كـلـتـاهـماـ فـيـ الشـارـعـ تـسـرعـانـ حـتـىـ وـصـلـتـاـ لـسـيـارـةـ الـقـوـاتـ الـمـسـلـحـةـ الـتـيـ كـانـتـ بـانتـظـارـهـماـ وـرـكـبـاهـاـ وـانـطـلـقـواـ جـمـيـعـاـ نـاحـيـةـ الـمـطـارـ..ـ

\*\*\*\*\*

الـسـاعـةـ الـرـابـعـةـ وـالـنـصـفـ صـبـاحـاـ تـظـهـرـ سـيـارـاتـ الشـرـطـةـ وـتـتوـسـطـهـمـ سـيـارـةـ إـسـعـافـ فـيـ شـوـارـعـ الـقـاهـرـةـ الـمـؤـدـيـةـ لـلـمـسـتـشـفـيـ الـعـسـكـريـ..ـ يـدـوـ كـمـوـكـبـ لـشـخـصـيـةـ هـامـةـ،ـ دـقـائقـ قـلـيلـةـ وـكـانـتـ السـيـارـاتـ قـدـ وـصـلـتـ لـلـمـسـتـشـفـيـ..ـ كـانـ

الجميع هناك جاهزون لاستقبال هذه الشخصية، نزلت من سيارة الأسعاف فتاةً تبدو في منتصف العشرينات من عمرها.. يبدو عليها الأرق.. كانت شارة الذهن ..! حاولت مساعدة رجال الأسعاف في جر النقالة التي تحمل هذه الشخصية لكنها تركت الأمر لهم، أسرع بجانبهم لدخول المستشفى، دخلوا جميعًا المصعد عددها هي التي قررت أن تصعد السلم لضيق مساحة المصعد، نادتها إحداهن ..

● ماريـان ..

التفت ورائها ناحية الصوت، فتاة تبدو في نفس سنها تقربيًا، اقتربت الفتاة منها ..

● حمدًا لله على سلامتك يا ماريـان، جميعنا مسرورين بعودتك ..

بدا على ماريـان التشتت وعدم التركيز.. جذب انتباها الميكروفون الذي تمسـكه الفتاة، يحمل اسم القناة التي كانت تعمل فيها قبل رحلتها التي خاضتها، أكملت الفتاة..

● بفضل عملِ أصبحنا القناة الوحيدة المُرخص لها بتغطية الأحداث هنا بعد رجوعكم، والآن أريد بعض التفاصيل لننفرد بالأخبار..

كانت ماريـان منهكة لا تستطيع أن تقف كثيـراً على السـلم، فكرت للحظات قليلة ثم وافقت ..

● حسـناً، أتبـعني رجاءً ..

استوقفها صوت جاءـها من ورائـها فجأة ..

● لا يـسمح بهذا الأمر الآن يا ماريـان ..

التفت كلـتـهما نحو الصـوت، رجل يـرتدي ملابـس رسمـية يـبدو مهـماً، سـأـلـته ماريـان ..

● من أنت؟! وكيف يمكنـي مساعدـتك؟!

ردـ الرجلـ عليها ..

● ليست مساعدة.. بل أمر ورجلًا لا تخالفه الأوامر، لا تدلني بأي معلومات أو تصريحات على الأقل في الوقت الراهن..

ثم نظر للفتاة الأخرى..

● وأظن أن رئيس القناة قد أخبرك أنه كي يحصل على التصريح كان لنا شرطًا وهو عدم نشر أي خبر إلا بعد موافقتنا.. أليس كذلك؟!

هزمت الفتاة رأسها إيجاباً لقد فهمت كلاهما أن هذا الرجل من الأمن الوطني، تركهم وصعد بمفرده وصعدتا وراءه للطابق الثاني حيث غرفة العمليات.. جلست لترتاح على أحد كراسي الاستراحة بجانب غرفة العمليات التي دخل فيها عمر، يظهر عليها التعب والأرهاق، أستدلت رأسها للوراء وارتخي جسدها.. تحاول تذكر ما كان يجب عليها فعله بعدما تستريح قليلاً لكن ذهنها كان مشوشًا.. لا تستطيع التركيز، أغمضت عينيها ل تستجمع تركيزها.. مرت لحظات طويلة وهي تشعر بارتخاء في جسدها.. فجأة فتحت عينيها بعدما سمعت صوت أحدهم قادم نحوها.. فتحت عينيها ونظرت لل الساعة.. لقد غفت قليلاً.. لاحظت قدوم فتاة بسرعة وتقدم نحو غرفة العمليات.. دخلت فعلاً لكن الممرضات أخرجتها..

● غير مسموح سيدتي، عليكى الانتظار خارجاً.

كانت تريد الدخول عنوة، كانت غاضبة..

● لكنني أخبرتكم أني زوجته.. أريد الأمان عليه.. رجاءً

● حسناً يمكنكِ أن تبقى خارجاً من فضلك..

جذبت ماريان يدها، التفتت إليها آسية وسألتها ماريان والدهشة باديهً عليها..

● أنتِ آسية؟! غير معقول.. أنتِ أجمل مما كنت أتخيل.. !

نظرت إليها آسية نظرة مستفسرة عن هوية ماريان..

● لا تقلقي، تعالى معي..

نظرت آسية نظرة أخيرة لغرفة العمليات ثم أصطحبتها ماريان لكراسي الاستراحة..

● قبل كل شيء أود أن أنهى على تماثلك للشفاء تماماً ورجوعك لطبيعتك مرة أخرى.. أنا مسورة جداً لأجلك.. كنت أود دائماً أن أراكِ ولو لمرة واحدة..

ما زالت آسية شاردة الذهن وكان لا أحد يكلمها، سألتها ماريان..

● لماذا تبدين قلقةً هكذا؟! زوجك بخير صدقيني..

● حقاً! أذن لماذا غرفة العمليات؟!

● صدقيني هو بخير.. مجرد كدمات فقط

● كدمات؟!.. وهل الكدمات تحتاج لعمليات؟!

● التدخل الجراحي هنا ليس خطيراً صدقيني، ربما تكون هناك رصاصة مستقرة في يده أو كشهه لابد من أخرجها، فقط لا غير.. لا تقلقي رجاء..

كانت لا تستطيع إخفاء قلقها...

● لم أره أكثر من سنة وعندما أعلم برجوعه أخيراً أراه في غرفة العمليات؟!

ربت ماريان على كتفها..

● عليك أن تشكري الله يا آسية، من كان يتوقع رجوعنا مصر مرة أخرى، لقد فقدنا الأمل كلياً في العودة.. لا أصدق أننا هنا!

أنسنت رأسها للوراء ..

● حتى أنتي ما زلت أتوقع كابوساً مثل ما كان يحدث معنا باستمرار..

إلتفت إليها وهي تبتسم..

● أنت ممحظوظة بأملاكِ رجل مثل عمر.. أنه يُحبك كثيراً..

ابتسمت آسية ..

● أعلم ذلك.. لطالما كان يحق لي التكبر والغرور به دائمًا..

قاطعت حديثهما إمرأة جاءت متأخرة بعض الوقت عن آسية عرفتها ماريان أنها والدة عمر..

● آسية.. أين عمر؟!

ردت ماريان بدلاً عنها..

● عمر بخير يا حالة.. هو حالياً في غرفة العمليات.. بعض الكدمات فقط..

بدت قلقه هي الأخرى، نظرت لآسية نظرة مستفسرة عن هوية ماريان..

● نسيت أن أعرفكم بنفسي.. أنا ماريان.. أنا من قمت بتصوير فيديو القرن الذي يظهر فيه عمر وهو..

سكت فجأة ولم تكمل كلامها.. أدركت أنها تتكلم مع والدة عمر، لم تُرِد أن تذكرها بتلك الحادثة، عملت على تغيير الموضوع حالاً، إلتفت لآسية..

● دائماً ما كان عمر يكلمني عنك وعن حبكما لبعض، محظوظة أنت لأنك تملكينه، على الجميع أن يحسدك..

شعرت آسية بالغيرة قليلاً..

● يبدو أنه كان يشق بك كثيراً..

ابتسمت ثم قالت..

● بعد تصوير هذا الفيديو أصبحنا معاً طوال هذه الرحلة، أنقذته فعمل على ردها لي.. كانت أمامه الفرصة للهرب والعودة لكنه فضل أن نرجع كلانا لمصر.. أنا كذلك في الأيام الأخيرة تلك سمحت لي الفرصة للعودة لكنني قد قررت البحث عنه والعودة معًا..

بدت آسية ممتنةً لها..

● شكرًا لكِ ماريان..

● أنا من يجب أنأشكره.. لولاه لم أكن على قيد الحياة أصلًا..

تذكرة شيئاً..

● تذكرت أني يجب أن أطمئن والداي، سأرجع إليكم بعد قليل.. أنتظري هنا اتصلت ماريان بعمها لطمئنه عليها وكذلك ليطمئن والديها عليها، ثم اتفقت معه على عمل مداخلة تليفونية مع المذيعة شيرين... .

المذيعة شيرين عبد النور في تغطيتها لهذا الحدث عبر اتصال هاتفي مع ماريان..

" - والآن معنا ماريان من المستشفى العسكري بالمعادي.. أهلاً ماريان.. حمدًا لله على سلامتك..."

ردت ماريان بصوتٍ مرهق..

● شكرًا لكِ شيرين..

● تبدين مرهقة يا ماريان! يبدو أنكِ لم تناجي لأيام..

ابتسمت ماريان بسخرية..

● التوم؟ تبدو هذه الكلمة مألوفةً لي.. أتذكر بأن معناها الراحة، أليس كذلك؟!

● يبدو بأن لديكِ الكثير لقوليه يا ماريان..

● طوال هذه المدة لم نعرف معنى النوم يا شيرين.. كتنا ننام على خوفٍ ونستيقظ على قصف.. حياتنا كانت جحيمًا.

● أين عمر الآن يا ماريان وكيف حاله؟!

● أسمعني يا شيرين.. لا يمكنني أن أتحدث أكثر من أن أطمئن الجميع علينا الآن، لكن أعدك بعد أن أنتهي من التحقيق سأخبركم بكل شيء حسرياً..

● ولماذا التحقيقات؟

● إجراء روتيبي فقط، لا تقلقي..

● حسناً.. أترككِ الآن لترتاحي يا ماريان ولنكملاً كلامنا بعد أن ينتهي التحقيق...

● حسناً

ويتم إنتهاء الحوار..

بعد ساعتين في غرفة العمليات خرج أخيراً.. تهافت عليه آسية بعدها خرجت به الممرضات ولاحقتهم حتى غرفة العناية المركزة..

لم تصدق آسية عينها بعد.. تخاف أن تستيقظ ويكون ما يحدث الآن معها مجرد حلم، تمرر يدها على شعره.. تريده أن تتأكد أنها تلمسه هو حقاً، قبلته على جبينه، أخيراً شعرت بنبض قلبها يعمل من جديد بعد أن توقف تقريباً، نور عينها بعد أن فقدت بصرها، روحها بعد أن صارت ميتة، فكرت في أن تنام قليلاً على الأريكة التي بالغرفة.. تريده أن يمر الوقت بسرعة لتراث بخير.. سلحاً للنوم!

\*\*\*\*\*

ابتسم حين رآهـما يلعبان معـا، كانـا يلعبان بالـكرة وفجـأة تـعـرـأـتـهـما، أسرـعـلـيـطـمـئـنـعـلـيـهـ..

● مهند.. هل أنت بخير؟!

بدأ مهند يصرخ وي بكـيـ، إنه يـنـزـفـ بشـدـةـ منـ كـتـفـهـ، ليسـ مجـرـدـ تعـرـأـتـهـ، صـرـخـ بـصـوـتـ عـالـيـ والـطـفـلـ الثـانـيـ يـحـاـولـ تـهـدـيـتـهـ..

● كـنـ شـجـاعـاـ ياـ مـهـنـدـ، تـحـمـلـ الـأـلـمـ أـرجـوكـ..

● سـأـخـبـرـ اللـهـ بـكـلـ شـيـءـ ياـ إـيـلـانـ.. سـأـخـبـرـ اللـهـ بـكـلـ شـيـءـ !

أتـسـعـتـ عـيـنـاهـ حـيـنـ رـأـيـ ذـلـكـ الطـفـلـ يـخـرـجـ مـنـ جـنـاحـيـنـ ! أـمـسـكـ بـمـهـنـدـ وـهـمـ بـالـطـيـرانـ بـهـ..

● إـلـىـ أـينـ أـنـتـ ذـاهـبـ بـهـ ياـ إـيـلـانـ؟!

ردـ إـيـلـانـ وـكـانـ يـحـاـولـ مـسـاعـدـةـ صـدـيقـهـ .

● سـنـذـهـبـ مـعـاـ اللـهـ، سـنـخـبـرـ اللـهـ بـكـلـ شـيـءـ ياـ عـمـرـ !

بداـ حـزـينـاـ.. لـنـ يـرـاهـمـاـ مـجـدـداـ..

● سـأـفـقـدـكـمـاـ يـاـ رـفـاقـ..

● وـنـحنـ كـذـلـكـ يـاـ عـمـرـ.. سـنـفـقـدـكـ كـثـيـراـ.. لـكـنـ نـحـنـ نـشـقـ بـأـنـكـ سـتـلـحـقـ بـنـاـ قـرـيبـاـ، مـعـ السـلـامـةـ يـاـ عـمـرـ..

فتحـ عـيـنـيهـ.. لـقـدـ كـانـ يـحـلـمـ عـلـىـ كـلـ حـالـ، المـكـانـ مـُظـلـمـ لـكـنـهـ لـيـسـ دـامـسـاـ.. حـاـولـ اـسـتـيـعـابـ أـيـ شـيـءـ لـكـنـهـ لـمـ يـفـلـحـ، أـغـمـضـ عـيـنـيهـ مـجـدـداـ لـيـحـاـولـ أـنـ يـنـذـكـرـ أـيـ شـيـءـ.. وـرـدـتـ عـلـىـ ذـهـنـهـ ذـكـرـيـاتـ كـثـيـرـةـ مـتـلـاحـقـةـ جـعـلـتـ عـقـلـهـ مـشـوـشـاـ.. فـتـحـ عـيـنـيهـ مـجـدـداـ، تـسـاءـلـ.. أـينـ تـرـاهـ يـكـونـ؟ـ! حـاـولـ تـحـرـيـكـ نـفـسـهـ لـكـنـهـ شـعـرـ بـشـقـلـ فـيـ جـسـدـهـ.. لـاـ يـسـتـطـعـ التـحـرـكـ! حـرـكـ رـأـسـهـ عـلـىـ جـانـبـهـ الأـيـسـرـ فـوـجـدـ أـحـدـهـمـ نـائـمـاـ.. تـذـكـرـ.. لـابـدـ وـأـنـهـ مـارـيـانـ، عـيـنـاهـ نـصـفـ

مفتوحتان، حاول أن يناديها لكنه لم يستطع كذلك.. حاول أن يفتح عينيه بالكامل والتركيز أكثر لاستيعاب الأمر.. أمعن النظر ناحيتها، بدأ يدرك الأمر.. هذه ليست ماريـان، لكن من المستحيل أن تكون هي من يفكر بها.. لا لا مستحيل.. آسية؟! ما الذي جاء بها هنا.. مستحيل.. أنه يـحلـم، بالتأكيد يـحلـم!

## ال بدايات

### القاهرة

كان يومه سيئاً خاصةً بعدها حدث خلاف كبير مع المذيعة شيرين.. خلاف قد يؤدي لفض الشراكة معها وبذلك ستخسر المحطة الأموال التي تأتي من الإعلانات التي تأتي من طرفها وبالطبع برنامجها يستولي على أكثر من ٥٧٠٪ من الإعلانات، يصفها دائماً بزوجة أبليس! أمام التلفاز تظهر بوجهٍ ملائكي بريء.. أما ما وراء الشاشات فإنها تحول لكائن مخيف كالأفعى مثلاً..

ما قطع تفكيره صوت طرقات على باب مكتبه.. تلك الطرقات يعرفها جيداً..

● أدخلني يا ماريـان..

أطلت برأسها للداخل.. تلك الفتاة الذي طالما قام بتربيتها بدلاً من والديها..

● أنت منشغل يا عمـي؟!

تناسي كل همومه بمجرد رؤيتها، أبتهج لرؤيتها..

● حتى لو كنت كذلك.. سأترغ لأجلك بالطبع..

دخلت والفرحة بادية بجلاء على وجهها، جلست أمامه..

● كنت في الجامعة وأنهيت يومي هناك وكنت في طريقى للبيت لكنى فكرت أن أطمئن عليك أولاً..  
نظر إليها نظرة متحدية وكأنه يعرف أنها تخبي خبراً وراء كلامها..

● فقط؟!

سؤاله هذا جعلها تضحك.. تعbirات وجهها فضحتها أمام عمها..

● حسناً.. لقد ظهرت نتيجتي وما زالت أحفظ بمركز الصدارة للفصل الدراسي الثالث على التوالي..

قام من مكتبه فرحاً فاتحاً ذراعيه ليعلنها فرحاً، ربت على كشفها بابتهاج..

● هكذا ترفعين رأسي وتوكدين على جدارتك بالعمل هنا في المحطة حتى قبل أن تخرج من الجامعة، دائمًا ما كنتُ أثق بك يا ماري..

قطع فرحتهم رنين هاتف مكتبه.. رفع السماعة وأنصت باهتمام..

● حسناً.. حسناً، سأرسل طاقم القناة لهناك حالاً..

قالها لمن يهاتفه وهو ينظر لمariesan بابتسمة، أغلق الاتصال والتفت إليها..

● وما رأيك في تغطية مظاهرات عند القصر الرئاسي كهدية مني بسبب نجاحك وتتفوقك؟!

قفزت مariesan فرحة من مكانها، قبّلته ثم خرجت من مكتبه مسرعةً لعملها الذي يكلفها بها عمها دائمًا.. رفع سماعة الهاتف طالباً غرفة الإعدادات ليرسلوا طاقم تغطية مع Mariesan..

ظهرت ابتسامة الفخر على وجهه، طالما كان واثقاً دائمًا بmariesan التي ترفع رأسه ويفتخرون بها أمام الجميع خاصة شيرين، منذ أن راهن بmariesan للعمل بالمحطة كمراسلة أخبار وهي تسلب حب الناس من شيرين لصالحها، أصبحت تنافسها في الشهرة تقريباً.. أصبحت Mariesan أصغر مراسلة تلفزيونية تعمل بالإعلام وهذا ليس بسبب عمها الذي يعمل كمدير للمحطة بالشراكة مع شيرين.. لا.. دائمًا ما كانت Mariesan تُظهر موهبتها في تغطية الأحداث، وسلبت من شيرين جزء من شهرتها كونها دائمًا في قلب الأحداث ومعرضة للخطر عكس شيرين التي تجلس في المحطة وأمام التلفاز في أمان..

\*\*\*\*\*

عادت Mariesan للبيت متأخرة بأقصى درجات الإرهاق بعد سهرها الليلـة السابقة للمذاكرة وامتحان نصف الفصل الدراسي الثاني في صباح اليوم ومن بعدها تغطيتها لمظاهرات اليوم.. دخلت غرفتها وارتمت على سريرها في تعبٍ

وإرهاق شديدين وما كان ينقص من يومها شيء إلا أن تأتي والدتها لتعاتبها، دخلت والدتها الغرفة والغضب بادياً عليها..

● أين كتني طوال اليوم يا ماري؟! لماذا تأخرتي كل هذا الوقت؟!  
لم يكن لدى ماريان أي طاقة لتدخل مع والدتها في نقاش..

● امتحنت صباحاً في الجامعة ثم ذهبت لعمي في المحطة..  
بدأ صوت أمها يرتفع غضباً..

● توقعت هذا يا ماري، أنتِ مُقبلة على أيام صعبة بسبب الامتحانات وأنتِ كل هنك هو العمل في القناة،  
لماذا تهملين المذاكرة يا ماري؟!

أنسندت ماريان نفسها بصعوبة وجلست بوعي نصف غائب..

● إهمال؟! عن ماذا تتكلمين يا أمي؟! نسيت أن أخبرك أن نتيجة النصف الأول قد ظهرت.. مازالت في المركز الأول يا أمي.. فكيف أهمل دراستي كما تقولين؟!  
ردت والدتها بعصبية..

● عملِك في القناة سيشغلك حتماً عن المذاكرة وربما تفقددين مركزك هذا لاحقاً..  
ردت ماريان وهي تحاول إنهاء الكلام مع والدتها..

● هذا بدلاً من أن تشجعني على المواصلة عندما أدركت جيداً أن عملي بالمحطة يشجعني على تكميله دراستي في الجامعة وبتفوق؟! كان يمكنني بكل سهولة اختيار العمل مع عمي في المحطة وعدم تكميله دراستي! وليس هذا فقط يا أمي.. أنا الأولى على زملائي.. ماذا ينقصني إذن؟!

ينخفض صوتها تدريجياً وبدأت تغيب عن الوعي كلّياً..

● لا تقلقي يا أمي، أنا...

لم تكمل كلامها لأنها غرقت في النوم بسبب الإرهاق الذي تملّكتها، صحيح أنها فقدت الوعي تقريرًا إلا أنها ما زالت تدرك صوت والديها وهم يُعاتبان بعضهما بصوتٍ عالٍ بسببها، لكن ماريان اعتبرت أن ما يحدث هو مجرد حلم!

## سوهاج

دخلت مكتبة الكلية لأول مرة منذ التحاقها بكلية الزراعة، وكغالبية طلاب هذه الكلية فإن التنسيق قد أجبرها على الالتحاق بكلية الزراعة ولذلك تظهر علامات عدم الرضا والامتعاض على وجهها، عُرفت بين صديقاتها بابتسمتها التي لا تفارق وجهها لكن فيما يتعلق بالدراسة تبغض الأمر كثيراً.. دخلت آسية المكتبة وتوجهت لأمينة المكتبة..

● صباح الخير..

ردت الأمينة..

● صباح الخير.. كيف أساعدك؟!

● أنا آسية، أدرس في الصف الثاني.. كلفت بعمل بحث في مادة الاجتماع الريفي، كيف يمكنني تجميع البحث من فضلك؟!

يبدو اسمها جذاباً لـأي شخص يسمع هذا الاسم لأول مرة، وهذا ما حدث فعلاً مع عمر الذي يجلس في آخر القاعة.. تساءل في نفسه، آسية؟! وفي الصف الثاني، غريب.. اسمٌ ممِيزٌ كهذا لم أسمع عنه إطلاقاً طوال سنتين في الكلية وهي معي في نفس السنة الدراسية! وما قطع تفكيره إشارة أمينة المكتبة لـآسية في أتجاهه..

● حسناً.. أترى هذا الشاب الذي يجلس هناك؟!

هزت آسية رأسها إيجاباً، أكملت أمينة المكتبة كلامها..

● هو أيضاً في الصف الثاني وهو غالباً يقوم بكتابة البحث نفسه المطلوب منه، تلك الرفوف وراءه فيها الكتب المتعلقة بذلك البحث..

● حسناً.. أشكركِ سيدتي..

سارت آسية باتجاه عمر أو بالأحرى باتجاه رفوف الكتب الموجودة خلفه، بطبيعة الحال فضلت أن تبحث هي بنفسها على أن تسأله.. فيما انشغل عمر بإكمال كتابة البحث..

لدقائق ظلت آسية تبحث في عناوين الكتب عن موضوع بحثها.. لم تدخل المكتبة من قبل لذلك بدا الأمر صعباً بالنسبة لها، أما عمر فتوقف عن إكمال بحثه بسبب وجود آسية خلفه.. فاض به الأمر فقر أن يساعدها حتى يمكن هو من إنهاء توترها هذا وإنهاه كتابة بحثه هو أيضاً..

● هل يمكنني مساعدتك؟!

شعرت آسية في لهجته بأنها قد أزعجهته وعطلته عن إكمال بحث..

● أنا آسفة.. هل أزعجتك؟!

● لا أبداً..

● عذرًا، لكنني لأول مرة أدخل المكتبة، كنتُ أريد كتابة بحثٍ عن "دور المكاتب الأرشادية في تنمية الريف المصري" ولا أعرف من أين أبدأ!

الست عمر لرف الكتب واختار ثلاثة كتب وكانه يعرف هذه الكتب عن ظهر قلب ثم أعطاها لها.

● هذه الكتب فيها موضوع بحثك، لقد قمت بكتابته هذا البحث الأسبوع الماضي، أما بخصوص دخولك لهذه المكتبة للمرة الأولى فهذا طبيعي جدًا في كليتنا.. أنا لا أدخلها محبةً فيها.. مرغم أخاك لا بطل..

أبتسمت آسية شاكرة له..

● حسناً.. شكرًا جزيلاً لك، وأسفة مرةً أخرى لأزعاجك..

● على الرحب والسعنة..

أخذت الكتب منه وجلست بجانبه دون قصد، كانت قريبةً من رف الكتب الخاص بالبحث..

بعد دقائق أنهى عمر كتابة بحثه وهو لا يدري لماذا لا يزال جالساً في مكانه متظاهراً بأنه مازال يكتب بحثه! هل أعجبه الكلام معها؟! ماذا لو يفتح معها نقاشاً آخر؟!.. تردد للحظات ثم انطلق لسانه فجأة..

● كيف حال مذاكرتك لمادة الإحصاء؟!

فاجأها سؤاله، التفتت إليه..

● هذه المادة لا أذكرها تقريراً، لم أفهم شيئاً من شرح الدكتور في المحاضرات السابقة، وطالما لم أفهم شيئاً في أي مادة لا أذكرها أصلاً.. هذا يبدو حلاً سهلاً..

رد عليها بسخرية..

● لستي الوحيدة هكذا.. دكتور المادة عقيمٌ عقلياً، وليس هو فقط.. معظم أساتذة الكلية هكذا.. قابلت آسية سخريته هذه بضحكه خافتة، تابع عمر كلامه محاولاً إطالة الحديث معها..

● الفارق بيني وبينك هو أنني أرغمت نفسي على مذاكرة المادة وعمل تلخيص لها، لو أردتني الحصول على نسخة منه لن أمانع..

وكان أحدهم أنقذها من مصيبة، فرحت جداً بأقتراحه..

● هذا إن لم يسبب لك إزعاجاً أو يضايقك الأمر..

● لا.. لن يضايقني الأمر، بل سيسرني الأمر كثيراً.. سيكون التلخيص جاهزاً لك غداً باذن الله.. كانت سعيدةً جداً بمساعدته لها، ويبدو أنها قد أنهت بحثها بالفعل أو أنها اكتفت بهذا القدر اليوم.. جمعت أوراقها وهمت بالmigration..

● أنا ممتنٌ لك، شكرًا لك..

● هذا من دواعي سروري..

خادرت آسية المكتبة بالفعل وظل هو لدقائق يتأمل في حديثه معها، أدرك فجأة أن هناك مُحاضرة قد بدأت بالفعل، نظر في ساعته فأدرك أنه قد مر على بدء المحاضرة ربع ساعة تقريباً.. أدرك أن آسية لم تكمل كتابة البحث وأسرعت فقط للحاق بالمحاضرة...

لقد تم لقاء آخر بينهما وتكلما كثيراً، استرسل في الكلام لوقتٍ طويلاً دون أن يضع كلاماً وقت في الأعتبار..  
تطرقوا لموضوعات كثيرة كان أغلبها فيما يخص المواد التي يدرسانها، انجذب كلاماً نحو الآخر، ولعل هذا الأرتياح في الحديث معها كان سبباً هاماً لينشغل بالهاليومين الماضيين..

لقد صنع عمر بداخله شخصيةً وهميةً يستطيع أن يصارحها دون قيود وبأمان ودون خوف.. لقد كان يؤمن بأن أقرب صديق له هو نفسه، كان يحاور نفسه..

● إلى متى ستظل تفكّر كثيراً؟! ألا تلاحظ أنك بدأت بإهمال دراستك مرةً أخرى؟!

● ماذا عساي أن أفعل؟! انجذبت إليها فجأة.. أظن أنها مناسبةٌ لي، أليس كذلك؟!

● لن أجيبك على سؤالك هذا الآن أبداً، كيف يمكنك أن تقرر ما أن كانت مناسبة أم لا لمجرد أنك قابلتها مرتين فقط؟! ألم تتعظ مما حدث معك سابقاً؟! ألم تندم على تسرّعك هذا؟!

انتفض جسد عمر فجأة بحركةٍ مزاحية من صديقه أحمد الذي قطع الحوار بينه وبين نفسه..

● يا غبي، لا تفعل هذا ثانيةً..

وقف أحمد أمامه ورفع حاجبيه وهو ينظر لعمر، ثم جاءته فكرة رفقتها أبتسامةٌ ماكراً..

● أنا غبي؟! حسناً.. سأغادر لكن لا تسألني عن المعلومات التي حصلت عليها.. سلام..

هم بالمعادرة لكن عمر أسرع وأمسكه من ذراعه في حركة توسلية..

● حسناً.. حسناً يمكنك فعل هذا ثانيةً لكن أخبرني.. ماذا عرفت عنها؟!

● عرفت عنوانها وعرفت أيضاً أن أخاها دكتور صيدلاني ويملك صيدلية باسمه بالقرب من بيتهما..

رفع عمر حاجبيه في دهشة..

● فقط؟!

تعجب أحمد من سؤاله..

• فقط؟! وهل كنت تتوقع معلوماتٍ أكثر في يوم واحد فقط؟! عليك أن تشكرني على هذه المعلومات!

زفر عمر ثم أستسلم..

• حسناً هذا يكفي الآن.. شكرًا

هز أحمد رأسه نافياً..

• ليس بهذه الطريقة.. شكري أنا له طريقةً أخرى أنت تعرفها جيداً.. وجبة غذاء في مطعمٍ فاخر..

ظهرت ابتسامةً ماكنة على وجه عمر..

• حسناً وجبة غذاء في مطعمٍ فاخر لكن أخبرني أولاً.. كيف حصلت على هذه التفاصي؟ لا تقل لي أنك تتبعتها.. أنت لا تعرفها أصلاً..

• قدراتٍ خاصة، الصحفي لا يُفصح عن مصادره..

رفع حاجبه بسخرية..

• حسناً.. أنا أعرف مصادرك تلك لكن السؤال الأهم هنا.. هل عرفت تلك المعلومات من ياسمين أم سارة أم نور؟!

أجابه أحمد سريعاً مازحاً..

• إيمان..

ضحكاً بصوتٍ عال، خطر على بال أحمد سؤال..

• لكن لماذا تسأل عنها؟! بهذه السرعة نسيت تجربتك الماضية؟!

زفر عمر عندما سمع هذا السؤال..

• لماذا جمיעكم ضدي؟!

تعجب أحمد من سؤاله..

● تقصد من بجميعكم؟!

● أنت وعقمي.. تتهمني بأنني أحاول نسيان تجربتي السابقة باسية، أنا فقط انجذبت إليها والأيام القادمة سُتُظْهِرُ لِي ما إِذَا كُنْتُ فَعَلًّا أحَاوَلْ نَسِيَانَ تجربتي السابقة بها أَمْ أَنَّهَا بِدَائِيَّةً جَدِيدَةً..

نظر أحمد في ساعته..

● حسناً.. هيا لننسع، لابد وأن لا نغيب على آخر محاضرة لعل وعسى يُفاجئنا دكتور المادة بحذف نصف المنهج مثلاً..

سخر عمر منه وأسرعا لحضور آخر محاضرة في هذه السنة..

كانت تعاني صعوبة الاعتراف بأن هناك فتاةً في سن المراهقة تُنافسها شهراً في الساحة الإعلامية، هذا الاعتراف جاء بعد أن علمت بتلك العروض التي تلقتها ماريان للعمل بأكبر وكالات الأنباء العالمية ويتم رفض تلك العروض من قبل ع منها ثروت لأنها لم تُكمل دراستها بعد، هي أيضاً غير مستعدة للتخلص عن مكانتها كأشهر أعلامية في مصر والشرق الأوسط..

المشكلة هنا أن ماريان متفوقة دراسياً، حاولت أن تعرقل تفوقها هذا بأكثر الأشياء إثارةً في حياة ماريان.. العمل الميداني كمراسلة، كانت تُرسلها لبغضية أحداثٍ كثيرة في محاولة منها للتأثير على تركيزها خاصةً أنها تخوض امتحانات آخر العام لكنها تتفوق أيضاً.. فكرت في التأثير على والديها لمنعها لكن ماريان دائماً ما كانت تثبت لهم العكس وتبطل حجتهم.. عملها بالمحطة هو سر تفوقها في الدراسة..

فكّرت بطريقة مختلفة هذه المرة.. ماذا لو لجأت لموهبة ماريان لتضرّ بماريان نفسها.. تستخدمن تفوقها ضدها!

كانت شيرين في مكتبه تنتظر قدوم ماريان للمحطة كالعادة بعد أي امتحانٍ لها، طرق أحد هم باب مكتبها..

● أدخل ...

أنفتح الباب ودخلت ماريان وقد لا يُخفي عليها توجسها من الابتسامة التي استقبلتها بها شيرين..

● من الغريب أن تطلبني الأستاذة شيرين عبد النور بنفسها، لابد أن تسجل صفحات التاريخ هذا..

ضحك شيرين من سخريتها...

● ولماذا كل هذا الاندهاش والتعجب يا ماريان؟! الأمر بسيط جدًا..

بدت على ماريان الحيرة..

● حسناً.. أتشوق لسماعك..

● أولاً.. كيف كان امتحانكِ اليوم؟!

رفعت ماريان حاجبها في قلق..

● كارثة.. لقد أخطأت في نقطة في السؤال الثاني وأظن أنني سأفقد مركري..

التفت إليها بكل جسدها..

● لكن لا أظن بأنك تطلبين مقابلتي لتسأليني عن حال الامتحان معي اليوم.. شيرين لا تفعل ذلك.. صدقيني..

ابتسمت شيرين تعجباً لذكاء ماريان..

● ولماذا لا أفعل ذلك يا ماريان؟! أنا لست بهذا السوء..

بادلتها ماريان الابتسامة..

● الأمر لا يريحني كثيراً.. اعذرني فأنا صريحة لحد الوقاحة أحياناً، لكن دعينا نرى ما طلبتيني لأجله وحينها يمكنني أن أعرف سبب قلقي..

сад بينهما الصمت للحظات، تكلمت شيرين بجدية..

● قد يأتي للبعض منّا فرصةً إذا أضعاعها سيندم بقية عمره عليها وقد يعيش على أمل تكرار الفرصة لعل وعسى يستغلها هذه المرة.. هذا إن جاءته أصلاً

سكتت للحظة ثم أكملت كلامها..

● حلم أي شاب هو العمل معي في طاقم برنامجي..  
سكتت لحظة أخرى ثم سألتتها..

● ها.. موافقة أم أن لكِ رأي آخر؟!

قطبت ماريان حاجبيها في عدم فهم..

●

●رأيي في ماذا؟!

●ظننتكِ أذكي من ذلك وستفهمين قصدي.. أنا أعرض عليكِ العمل ضمن طاقم برنامجي كمراولة ميدانية.. فقط!

حدّقت فيها ماريـان.. آخر ما كانت تتوقعه من شيرـين أن تعرـض علىـها العمل معـها، ابتسـمت ثم قـامت من مـكانـها وأدارـت ظـهرـها لـشـيرـين..

●حقاً أنا مندهـشـة من اقتـراحـكـ هذا.. تـعلمـين أـنـي سـأـرـفـضـهـ وـمـعـ ذـلـكـ خـاطـرـتـي بـكـبـرـيـائـكـ أـمـامـيـ وـفـعـلـتـيـ ذـلـكـ.. التـفـتـتـ إـلـيـهاـ ثـمـ كـلـمـتـهاـ بـجـديـةـ..

●أـنـاـ أـعـمـلـ بـحـرـيـةـ وـدـوـنـ قـيـودـ.. أـعـلـمـ بـمـكـانـ الحـدـثـ هـنـاـ أـوـ هـنـاكـ فـأـسـرـعـ لـلـتـغـطـيـةـ وـالـانـضـمـامـ لـطـاقـمـ أـيـ بـرـنـامـجـ الذـيـ يـصـادـفـ مـيـعـادـ بـشـهـرـ مـوـعـدـ حدـوثـ الحـدـثـ.. عـمـلـيـ ضـمـنـ طـاقـمـكـ الخـاصـ يـعـنـيـ أـنـيـ سـأـقـيـدـ بـأـوـامـرـكـ وـبـرـنـامـجـكـ فـقـطـ وـهـذـاـ لـاـ يـنـاسـبـ أـسـلـوبـيـ يـاـ شـيرـينـ..

توقعـتـ شـيرـينـ أـنـ نـقاـشـهـاـ مـعـ مـارـيـانـ لـنـ يـكـونـ سـهـلاـ،ـ لـكـنـ لـمـ تـتـوقـعـ الرـفـضـ أـوـ الرـفـضـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ المـهـيـةـ لـهـاـ..

●أـتـرـفـضـيـ الـعـلـمـ مـعـ أـكـبـرـ إـعـلـامـيـةـ فـيـ مـصـرـ وـالـشـرـقـ الـأـوـسـطـ؟ـ!ـ هـلـ يـمـكـنـكـ تـخـيـلـ مـعـنـىـ رـفـضـكـ هـذـاـ؟ـ!ـ

●بـالـطـبعـ يـمـكـنـيـ تـخـيـلـ هـذـاـ..ـ يـمـكـنـيـ تـخـيـلـ الـأـمـرـ حـينـ أـتـخـرـجـ مـنـ الجـامـعـةـ وـيـقـدـمـ إـلـيـ عـرـوـضـ لـلـعـلـمـ فـيـ وكـالـاتـ أـنبـاءـ عـالـمـيـةـ وـعـرـضـكـ أـنـتـ كـذـلـكـ سـيـكـونـ مـضـمـنـ تـلـكـ العـرـوـضـ..ـ يـمـكـنـيـ حـيـنـهـاـ أـنـ أـقـرـرـ أـيـ عـرـضـ سـاقـبـلـ وـأـظـنـكـ تـعـرـفـينـ مـاـذـاـ سـأـقـرـرـ بـالـطـبعـ!

قالـتـهاـ مـارـيـانـ بـسـخـرـيـةـ مـاـ جـعـلـ شـيرـينـ يـحـمـرـ وـجـهـهـاـ غـضـبـاـ،ـ قـطـبـتـ شـيرـينـ حـاجـبـهـاـ لـكـنـ مـارـيـانـ التـفـتـتـ لـتـخـرـجـ مـنـ مـكـتبـهـاـ وـهـيـ تـخـتـمـ هـذـاـ الـحـوارـ..

●لـقـدـ أـخـبـرـتـكـ أـنـيـ صـرـيـحةـ لـدـرـجـةـ الـوـقـاحـةـ لـكـنـ يـبـدوـ أـنـ وـقـاحـتـيـ تـلـكـ مـعـ بـعـضـ نـعـمـةـ..ـ

خرـجـتـ دونـ أـنـ تـنـطقـ بـكـلـمـةـ أـخـرىـ،ـ فـيـماـ بـقـيـتـ شـيرـينـ تـحاـولـ أـنـ تـسـتـوـعـبـ مـاـ حـدـثـ،ـ كـانـ هـنـاكـ اـحـتمـالـ أـنـ تـرـفـضـ عـرـضـهـاـ لـكـنـ لـيـسـ بـتـلـكـ الطـرـيقـةـ!

● حسناً ماريـان .. أعتـرفُ بـأنـكِ نجـحتـي فـي جـعـلي أخـوضـ حـربـاً مـعـكـ لـكـ سـتـنـدـمـينـ لـاختـيـارـكـ الشـخـصـيـةـ الخـطـأـ،ـ  
الـأـمـرـ لـيـسـ بـتـلـكـ السـهـولـةـ يـاـ مـارـيـانـ ..ـ سـتـدـفـعـيـنـ الشـمـنـ..ـ

لم تُقابله سوى مرتين فقط.. مرتين لم تشعر فيهما بشيء نحوه لكن ما يفعله هو يستحق التفكير قليلاً، ورغم أنها لم تعرفه مسبقاً إلا أن تصرفاته تبدو غريبة.. تسأله.. لماذا يقوم بمراقبتها دائمًا؟! لماذا يتبعها في كل مكان في الجامعة؟! لماذا انتقل خصيصاً من فصله المعملي لفصلها؟! ما معنى كل تلك النظارات؟! أهي بداية تجربة عاطفية بالنسبة لها؟! لم تكن تعرف شيئاً عن التجارب العاطفية ولم تسمع عنها سوى في الروايات والأفلام فقط، لم تكن تعلم ماذا يمكنها أن تفعل في مثل هذه المواقف ولا تعرف حتى بماذا تشعر حينها..

كانت آسية وأمانى في طريقهما للجامعة في حافلة الجامعة لتأدية آخر الامتحانات العملية لهذا العام، كانت أمانى تُراجع الدروس العملية لكنها لاحظت شroud ذهن صديقتها.. تبدو غير طبيعية هذه الأيام..

● آسية.. ما الأمر؟!

عادت آسية لواقعها من جديد، التفتت لأمانى ثم هزت رأسها بالنفي، كانت تبدو شاردة لذلك لم تتركها أمانى وشأنها..

● آسية.. هناك شيء لا أعرفه وأود أن تخبريني به حالاً..

التفتت آسية إليها، حدقت بأمانى وتساءلت.. كيف أنها لم تخبرها حتى الان؟!

● هناك أحدهم يقوم بتصرفات غريبة لجذب انتباهي، يحاول أن يُقابلني لكنني أتظاهر بعدم الفهم.. ظهرت علامات الدهشة على وجه أمانى.. حيثُ شيء كهذا من المفترض أنه يحدث أمامها فكيف لم تتبه لهذا؟! بل كيف أن آسية لم تخبرها منذ البداية؟! سألتها بشغف..

● ومن هذا؟ معنا في الكلية؟!

بدا على آسية الاستعداد لإخبارها بكل شيء..

● بل وفي نفس الصف أيضًا.. عمر.. أتعرفينه؟!

اندهشت أمانى، كيف لم تلاحظ هذا؟! لقد انتقل عمر من فصله المعملى للفصل التي تدرس فيه هي وآسية..  
أكملت آسية كلامها عنه..

● قابلنى مرتين فقط.. تحدثنا قليلاً بشأن الدراسة وأعطاني مذكرة لمادة الإحصاء.. هذا بالإضافة لتلك التصرفات الغريبة مثل مراقبتى وتتبعي!

فكرت أمانى قليلاً، ثم عادت لتنظر في كتابها بذهنٍ شارد، مالت آسية نحوها لتهمس لها..

● أيعقل أن يكون هذا الأهتمام هو الـ..  
قاطعتها أمانى بجدية..

● أو ربما يكون كل هذا وهم وغير حقيقي، وربما قد تكونين فهمتى ما يحدث خطأ..  
أنسندت آسية ظهرها للوراء..

● لا أعرف.. ربما!  
 أمسكت أمانى بمعصمها لتحذرها..

● دعينا من هذا الأمر الآن، ننتهي من الامتحانات أولاً ثم سنعاود التفكير في الأمر.. إن استمر بالطبع،  
بالتأكيد تفهمين قصدي..

هزت آسية رأسها إيجاباً.. ربما تكون صديقتها أكثر عقلاً وكمالاً منها، لابد وأن تُركز جيداً هذه الأيام.. بعدها  
يمكنها التقصّي عنه ومعرفة كل شيء عنه..

مضت فترة الامتحانات سريعاً بالنسبة له.. ليس حُبًا في الدراسة طبعاً ولكن لأنه لن يرى آسيّة لشهور، لكن هذا الأمر يبدو أيجابياً له.. سيتأكد من فترة الغياب تلك أن كان حقاً قد أفتقد وجودها في حياته أم أن الأمر سيمر بسلام، ومع فترة الفراغ هذه من الأمور الدراسية ومن رؤية آسيّة.. أشغلت باله الأمور السياسية التي تجري في البلاد، مثله كمثل باقي الشباب له رأي سياسي وميل لطرف سياسي ضد الآخر..

كان عمر في غرفته يتجلو بين صفحات الأنترنت على حاسوبه محمول عندما دخل عليه أدهم دون استئذان، لم يبالي بدخول أخيه بهذه الطريقة.. فهو قد اعتاد على مضائقات أخيه له.. لم يبدي أي اهتمام بوجوده..

دخل أدهم على أخيه قاطباً حاجبيه.. ينوي مواجهته، لكن عمر ينظر لشاشة حاسوبه دون الاهتمام بوجوده، تقدم أدهم تجاه عمر ووقف بجانبه فيما استمر عمر بتجاهله، سأله أدهم..

● أين ذهبت حين خرجت صباحاً؟!

التفت إليه عمر ببرود ثم عاد ونظر إلى شاشة حاسوبه، كان ردّه مختصرًا..

● كنت في الجامعة..

هذا ما كان يريده أدهم.. أن يستفزه عمر بالحقيقة وكأنه يهزا به ليجد مبرراً لما سيفعله..

● أي جامعة؟!، ألم تنتهي من امتحاناتك الأسبوع الماضي؟!

رد عليه عمر دون النظر إلى وجهه..

● لا يهمني أن كنت تصدقني أم لا.. أنت تعلم جيداً أنني لا أكذب..

بدأ صوت أدهم يعلو غضباً..

● مع من كنت في الجامعة؟!

فهم عمر ما جاء أخوه من أجله..

● كفى أسئلة يا أدهم، هاتِ ما عندك.. ماذا تريده؟

● يبدو أنك فهمت ما فعلت اليوم، أليس كذلك؟!

سُئمَ عمر من مضايقة أخيه له، أغلق حاسوبه وقام من مكانه..

● لقد مللتُ من هذا، سأذهب لأنام..

التفت عمر نحو سريره لكنه فوجيء بأن أدهم أمسكه من ذراعه والغضب بادياً على وجهه، سأله أدهم ..

● لقد قُمت بالتوقيع على أستماراة سحب الثقة، أليس كذلك؟!

أندهش عمر من تصرف أخيه..

● و ما شأنك أنت؟!، أنا حر فيما أفعل..

أفلت عمر يده من قبضة أخيه ثم قال ساخراً..

● يا لسخافتكم.. تزعجكم ورقة؟!

لقد أثار عمر غضب أخيه، عاد أدهم ومسك عمر من ذراعه ثم أمسكه من ياقته قميصه، لقد ظهر ما كان أدهم ينوي فعله ...

● لن أدعك تخرج من البيت أبداً، سأقوم بسجنك هنا في غرفتك لحين رجوعك لصوابك يا أحمق..

حاول عمر أفلات نفسه بالقوة ونجح في ذلك، لكنه لم ينجح في تفادي ردة فعل أخيه السريعة حين دفعه، لم يستطع تفادي اختلال توازنه وأرتطام وجهه بحافة السرير الخشبية..، بسبب علو صوتهما فتح باب الغرفة فجأة.. هذه المرة كانت والدتهم التي فُرعت عندما رأت عمر ساقطاً على الأرض واضعاً يده على فمه وهو يحاول أيقاف تدفق الدم، أسرعت نحوه وهي تصرخ..

● عمر..!، ماذا حدث؟!، هل أنت بخير؟!

تبعها الشيخ محسن حينما سمع هو الآخر صوت مشاجرة وصراخها، دخل والصدمة بادية على وجهه من الذي يراه، أسرع عمر بالردد عندما لاحظ وجود والده على باب غرفته..

● لا شيء يدعو للقلق يا أمي.. لقد تعثرت بسبب محاولتي لتفادي سلك شاحن حاسوبي، لقد أصطدمت بحافة السرير ..

التفت بنظره ناحية أدهم ثم أكمل كلامه..

● لقد حاول أدهم أنقاذني لكن سقوطي كان أسرع منه..

أسرعت به والدته خارج الغرفة لإيقاف النزيف، فيما بقي في الغرفة أدهم ووالده، فهم الشيخ محسن ما دار بينهما من شجار كان نتيجته أصابة عمر.. فهم أن عمر كذب حين قال أن أدهم كان يحاول أنقاذه.. نظر لأدhem نظرة قاسية كنوع خاص من العتاب فيما أكتفي أدhem بأبعاد نظره عن والده كنوع من الهروب..

ما حدث صباح هذا اليوم جعلها تفكّر في تطور علاقه عمر بها بجدية، لم تكن تتوقع أن يحدث هذا، كانت تظن أن علاقته بها سوف تكون سحابية.. تنتهي ما إن تنتهي السنة الدراسية ويطول غيابهما عن بعضهما، لكن ما حدث اليوم معها يهدم ظنها بأنها علاقة سحابية..

ما قطع تفكيرها هذا هو صوت والدتها خارج غرفتها وهي ترحب بأمانى، فتحت باب غرفتها وسحبت صديقتها للداخل وأبتسمت لوالدتها فيما يعني أنها تمزح مع صديقتها، تفاجأت أمانى من تصرفات آسية الجنونية أو المرتبكة، سألتها..

● ماذا حدث كي تطلبين مني أن أتيك بسرعة؟!  
التفتت إليها غاضبة..

● لقد أتى إلى صيدلية أخي وكنت أنا هناك، لقد أحرجني أمام أخي.. لابد وأن أخي قد فهم ما جرى.. بالتأكيد فهم كل شيء..  
عملت أمانى على تهدئتها..

● آسية.. أنا لا أفهم شيئاً! أخبريني بهدوء ماذا حدث ومن هذا الذي أحرجك؟!  
ما زالت آسية يتملّكها الغضب..

● من سيكون غير عمر برأيك؟!، كنت مع أخي في الصيدلية كعاده كل يوم وفجأة وجدت عمر أمامي.. لا أعلم كيف أتى وكيف عرف صيدلية أخي!  
فجأة انفجرت أمانى ضاحكة مما أثارت غضب آسية أكثر..!

● هل يمكنني أن أعرف سبب برود أعصابك تلك؟!  
ردت عليها أمانى التي حاولت توقف ضحكها..

• و هل هذا ما يشغلك ؟!، فتاة حمقاء و ساذجة ..!

• من بعض ما عندكم يا أينشتاين زمانك ... !

هدأت أمانى ثم جلست وأجلست معها آسية، خفضت صوتها قليلاً..

• ما فعله عمر اليوم يريد به أخبارك بأنه بدأ بالفعل في جمع معلوماتٍ عنك وأنه سيكون جاداً في علاقته بك، بمعنى آخر أنه يُصرح بحبه لكى ..!

بدا على آسية الشروق والقلق، وضعت أمانى يدها على يد آسية لطمئنتها..

• و بالطبع لن يكون هذا سهلاً يا آسية..

أرتسمت أبتسامة ماكرة على وجهها ثم أكملت ..

• دعينا نحن من نتسللى ونلعب قليلاً معه.. حينها فقط سنتأكد من كل شيء..

حينها تمنت آسية لو أن الأمر يكون حقيقياً، سألتها آسية..

• بعيداً عن أنها ستحببه أو سنتسللى به قليلاً كما تقولين...، ماذا تتوقعين أنتي ؟..، هل يحبني فعلاً أم أن الأمر مجرد تسلية ؟!

أرجعت أمانى ظهرها للوراء قليلاً، سكتت للحظات ثم فكرت بصوت عالٍ ..

• لا أعتقد بأن الأمر مجرد تسلية بالنسبة له.. لقد علم بتفاصيل مهمة في حياتك دون أن تخبريه بشيء، حتى إنكما لم تتقابلا كثيراً، قد يسعى جاهداً لمعرفة تفاصيل أكثر عن حياتك دون أن تخبريه بشيء.. لو أنه يحبك ستعرفي أنك قد عرف عن حياتك أكثر مما تعرفي أنتي عن نفسك ..!

خطر ببال آسية شيئاً آخر..

• هل من الممكن أن يكون في حياته فتاة أخرى غيري ؟!، قلب الرجال يتسع للكثير كما تعرفيين..

• لكل قاعدة استثناء.. أحياناً يكتفي الرجل بواحدة فقط تملئ قلبه وعيشه وحياته .

أقتربت إليها أكثر وهمست لها..

● لكن دعينا نتأكد من هذا أولاً .. أنتي مستعدة؟!

هزت آسية رأسها موافقة ثم أبتسمت أرتياحًا ..

تجمعوا على مائدة الفطار لكن تجمعهم هذا لم يمنع من أن كل واحداً فيهم كان في عالمه الخاص..

كان أدهم يفكر في خطوطه التالية ولا يعلم كيف سيقنع والده بهذا.. لكن لا مانع من الكذب أحياناً في الوصول لما يتغيه.. سيكذب حتى يتمكن من السفر ومساندة أخواته في الأعتصام ضد من يريد هدم الحكم الإسلامي.. ضد العلمانيين والليبراليين الكفرا.. ضد هؤلاء الجهلة الذين يسمحون لغيرهم بغضيل دماغهم.. لقد انتصر المسلمون في جميع المعارك الانتخابية بعد ثورة يناير العظيمة والتي كانوا هم الغالبية العظمى فيها.. هم يستحقون ذلك ولذلك سيتم الدفاع عن الشرعية.. شرعية أول رئيس مدني منتخب في تاريخ مصر، ستمر التظاهرات المعارضة للرئيس كغيرها التي سبقتها والتي مرت مرور الكرام في النهاية لكن بعدها تمر تلك التظاهرات على خير ستخرس كل الألسنة وسيتم الحكم بما شرع الله.. أما من كان سبباً في إطلاق دعوات التظاهر هذه فسوف يكون حسابه عسيراً.. لقد أرادوا زعزعة استقرار وأمن البلاد بحضور الرئيس المنتخب والشرعى للبلاد.. سيندمون على ذلك.. سيندمون..

عمر كان يفكر طيلة الوقت في النتائج التي ستؤول إليها تلك التظاهرات.. هل سينجحون هذه المرة في إزاحة حكم الإسلاميين الذين سيطروا على مقاليد الحكم وأنفروا بها طاردين كل من شارك معهم في ثورة يناير من الساحة السياسية؟ أم ستتدخل البلاد في نفق مظلم من الصراعات والفتن؟!، لكن هو متأكد من أن مسألة أزاحتهم من الحكم ستكون صعبة بل وأقرب للمستحيل أصلاً.. الإسلاميون كذلك قد اعتصموا بالفعل كرد على تلك التظاهرات المعارضة لحكمهم، بالفعل تلك التظاهرات تحتاج لمعجزة لنجاح وتزيح حكم الإسلاميين، جميع من وقع على أستماراة سحب الشقة من الرئيس سيشارك في تظاهرات نهاية الأسبوع، لابد أن تنجح هذه التظاهرات هذه المرة ..!

أما الشيخ محسن فكان يُفكِّر في الحال الذي وصل إليه ولديه.. تلك الثورة اللعينة كان الجميع يُعلق آماله عليها لتنتهي حقبة ثلاثة عاماً من الظلم والفساد لكن الحقيقة الواضحة هي أنها كانت مؤامرة لإسقاط مصر.. ثورة لم تُنهي الظلم والفساد كما أدعَّت، بل أنها أصابت المصريين بالأنقسام.. أصبح في كل أسرة من هو يميل

لإسلاميين ومن هو يميل للمعارضة ومن هو يميل للنظام السابق، توحدوا في البداية ضد النظام السابق حتى أسقطوه لكنهم أفترقوا بعد ذلك ليسعوا خلف كرسي الحكم، لقد أصبح المجتمع منقسمًا.. بعضهم خلق ليعارض في الأنجازات أو في الخراب والهدم.. والبعض الآخر خلق ليُصْفِق للأنجازات ويبير للخراب، الجميع يدّعى الوطنية..

كانت الأم حزينة وقلقة بسبب ما يحدث بين ولديها.. كلاهما لا يُطِقُ الآخر، السياسة هي من فرقَتهما، هي أيضًا قد علمت بما حدث بينهم ليلة أمس على الرغم من أن كلاهما لم يتحدثا بشيء أمام والديهما.. ربما هي تدرك الأمور أكثر من زوجها، هي قلقة أيضًا حيال الأيام القادمة.. الأمور السياسية في البلاد متخبطة وغير مستقرة، قلقة بشأن ما يفكرون به ولديها.. هناك اعتراضات وهناك تظاهرات.. قلقة بشأن مشاركتهم المحتملة في تلك الأحداث.. تخاف من بطش الإسلاميين أو اعتقالات الأمن.. كانت تُناجي ربها بأن تكون الأمور بخير ..

بادر أدهم بكسر الصمت الذي يُخيم على تجمعهم هذا، موجهاً حديثه لوالده..

● سأسافر القاهرة غداً ولفترة طويلة ربما..

الافت إلية والديه فجأة، سأله والده والشك يراوده..

● لماذا ستسافر القاهرة يا أدهم؟!، ولماذا هذا الوقت بالذات؟!

رد عليه أدهم وهو لا يُبالي للشك الذي راود والده..

● لقد تم تكليفني بعملٍ كثير في القاهرة، حقًا لا أعلم متى سينتهي عملي هذا..

نظر والديه لبعضهما في شك وكأنهما يعلمان كذب أدهم، يعلمان أن سفره في هذا التوقيت بالذات يعني أنه قد قرر المشاركة في الأعتراض، أما عمر فمازال يأكل ولا يهتم لما يجري حوله، التفت الشيخ محسن لأدهم مجددًا ليسأله بلهجته تحذيرية..

● هذا العمل كلفتك بها الشركة التي تعمل بها أم كلفك بها آخرؤن؟!

أربك هذا السؤال أدهم وقد شعر للحظة بأن كذبته تلك لم تنطلي على والده، شعر وكأنه يعرف كل شيء وأنه تعمد أن يجعله يعترف له رسمياً وبوضوح بما ينوي فعله، التفت لأخيه في شك بأن أخيه قد أفشى بشيء لأبيه لهذا قد كشفه والده سريعاً، أما عمر مازال يتجاهل ما يحدث حوله، التفت أدهم لوالده..

● من تقصد بآخرين يا أبي؟!

رد عليه والده وقد بدأ صوته بالعلو..

● أنت تعلم جيداً ماذا أقصد يا أدهم.. أسمعني جيداً.. أنا لا أكره شيء في حياتي قدر ما أكره السياسة.. إن سمعت يوماً بأنك قد انضمت لأي جماعة.. حزب.. تنظيم.. تظاهرات أو حتى اعتصامات سيكون عقابك قاسياً، وأظنك ليس صغيراً كي تُعاقب..

التفت لعمر أيضاً..

● هذا الكلام موجة لك أنت أيضاً يا عمر..

ثم نظر لكلاهما..

● أظن بأنكم قد سمعتماني جيداً..

طرق بيديه على المائدة بغضب ثم قام ولم يكمل طعامه، تبعته والدتهم كذلك لتحاول أن تهدئ والدهم، التفت أدهم وأمال ليهمس لعمر..

● لماذا غضب والدك هكذا؟!، هل أخبرته بشيء؟!

رد عليه عمر دون النظر إليه حتى..

● لم أخبره بشيء ولا يهمني الأمر من الأساس، فالذذهب كما تريده.. لن أتوسل إليك كي لا تفعل شيئاً..  
قام عمر من مكانه متوجهاً لغرفته، ظهرت أبتسامة على وجهه ثم أكمل كلامه بسخرية..

● أمرك مفضوح وتسألني عن سبب غضب والدك؟!، والدك علم بكل شيء من كذبتك تلك..

أطلق ضحكة ساخرة..

● لابد طبعاً وأن يشك بأمرك..

دخل غرفته وأغلق ورائه بباب غرفته، بينما ظل أدهم وحيداً على المائدة، قام من مكانه هو الآخر متوجهاً لغرفته ليقوم بتجهيز حقيبته..

طيلة حياتها كانت تنتظر مثل هذا اليوم الذي ستحظى فيه بفرصة تغطية حدث عالمي، حدث يحظى بأهتمام العالم كله..، أخيراً جاء اليوم الذي ينتظره الجميع.. يوم الثالث من يوليو، ليس هذا فقط ما يجعلها سعيدة.. بل وصل الأمر لتلقيها أتصال خاص من القوات المسلحة لأحتمالية تغطية تظاهرات اليوم من طائراتها الخاصة بعدما نجحت في تغطية تظاهرات الثلاثين من يونيو - أول أمس -.. تعرف جيداً أن القوات المسلحة أعطت للرئيس مهلة محددة لتهيئة الأمور وأحتواء معارضيه لكن الأمر زاد سوءاً بعد خطابه الأخير.. لا تعلم ماذا تنوى القوات المسلحة أن تفعل.. هل ستتدخل في صدام مع الإسلاميين ؟!، حاولت أن تعرف معلومات بخصوص تغطيتها للأحداث اليوم لكنها فشلت.. هناك قراراً قد اتخاذ وسيتم تنفيذه، لقد أنهت المهلة المحددة على أية حال بحلول منتصف الليل، ساعات قليلة وسيصبح كل شيء..

كانت ماريـان أمـام المـرأة تـنهـي من تعـديـل مـلـابـسـهـا وـشكـلـهـا عـنـدـمـا دـخـلـت والـدـتها وـرـأـتـهـا وـهـي تـتجـهـز لـالـخـرـوجـ فـي مـثـلـ هـذـاـ الـوقـتـ ..

● ماذا تفعلين يا ماري ؟!

ردـتـ مـاريـانـ وـهـيـ منـشـغـلـةـ بـتـجـهـيزـ نـفـسـهـاـ ..

● يـبـدوـ أـنـ هـنـاكـ حدـثـاـ مـشـيرـاـ سـيـحـدـثـ الـيـوـمـ، لـابـدـ وـأـنـ أـكـونـ فـيـ قـلـبـ الـحـدـثـ يـاـ أـمـيـ .. سـأـلـتـهـاـ وـالـدـتهاـ وـالـدـهـشـةـ بـادـيـةـ عـلـيـهـاـ ..

● الـآنـ ؟!، أـتـعـلـمـيـنـ كـمـ السـاعـةـ الـآنـ ؟!

تنـهـدتـ مـاريـانـ ثـمـ التـفـتـ إـلـيـهـاـ ..

● حـسـنـاـ يـاـ أـمـيـ .. أـعـلـمـ أـنـهـاـ السـاعـةـ الثـالـثـةـ فـجـرـاـ وـسـرـ خـرـوجـيـ الـآنـ هوـ أـنـيـ لـابـدـ وـأـنـ أـكـونـ فـيـ مـقـرـ وزـارـةـ الدـفـاعـ بـعـدـ سـاعـةـ مـنـ الـآنـ، كـمـ أـخـبـرـتـكـ سـيـكـونـ هـنـاكـ حدـثـاـ مـشـيرـاـ عـلـيـ ماـ يـبـدوـ ..

ابـتـسـمـتـ ثـمـ أـكـمـلـتـ كـلـامـهـاـ ..

● لقد تم اختياري أنا بالذات لتغطية أحداث اليوم.. سأجعلكم تفتخرون بي دائمًا..

بدت والدتها مستسلمة ..

● حسناً يا ماري أفعلي ما تشاءين لكن كوني حذرة..

● حاضر يا أمي ..

ثواني قليلة وخرجت والدتها من الغرفة وقد أغلقت الباب ورائها، سمعت ماريان صوت بوق سيارة.. عرفت أنها سيارة المحطة.. توجهت ناحية النافذة وأشارت لباقي الطاقم أنها مستعدة، أرتدت حقيبتها الظهرية وتوجهت ناحية الباب لكنه لم يفتح بعد.. حاولت إدارة المقبض لكن الباب موصداً.. حاولت أستيعاب الأمر لكنها فجأة فطنت أن والدتها هي من فعلت هذا لمنع نزولها اليوم..

صرخت بصوت عالي..

● أمي.. أفصحي الباب.. أمي.. لا تفعلني هذا أرجوك..

أتاها رد والدتها من بعيد..

● ليس اليوم يا ماري، لن تسير الأمور بخير اليوم، قلبي يُحدثني بأن هناك مصيبة ستحدث.. عليكي بالبقاء هنا..

تصرخ ماريان..

● أمي.. رجاءً ليس اليوم، سأكون في حماية القوات المسلحة.. لا تقلقي.. أرجوك..

لم يأتيها رد والدتها، وقفت لثواني لتفكر بهدوء ماذا ستفعل، بالتأكيد شيرين هي من أخبرت والدتها باتصال القوات المسلحة بها لتغطية الأحداث المرتقبة اليوم، لقد تملكتها الغيرة كون أن مؤسسة مثل مؤسسة الجيش تُسند مهمة تصوير وتغطية المظاهرات منذ أول أمس وتتكليفها بمهمة اليوم هي نفسها لا تعرفها..

جالت بنظرها في الغرفة تبحث عن شيء لا تعرفه، أمسكت بهااتفها وأتصلت بأحد هم..

• هيშიم ... والدتي قامت بحبسي في غرفتي، أرجوك أصعد لشقتنا وحاول أقناعها..، حسناً ... شكرًا لك..

أغلقت الهاتف وتوجهت ناحية نافذة غرفتها، شاهدت زميلها هيშیم يخرج من السيارة التابعة للمحطة ودخوله للعمارة، جالت بنظرها في الشارع.. تفكّر في طريقة للهروب.. تعرف والدتها جيداً.. لن يستطيع هيშیم أقناعها.. حتى عماها لن يستطيع جعل والدتها تتركها وشأنها، لا تستطيع القفز كذلك.. تسكن في الطابق الخامس والمسافة كبيرة، نظرت على يمينها ثم التفتت أمامها.. فجأة أتسعت عينيها.. راودتها فكرة أو مخاطرة، التفتت ليمينها مجدداً.. إنها تلك الماسورة الضخمة.. تسألت.. لماذا لا تُجرب أن تعمل في غير مجالها ولو مرة؟!، تبدو مهنة السرقة ممتازة.. لكنها لن تسرق..، فكرت في هروبها باستخدام تلك الماسورة ..!

• حسناً.. أعلم بأن اللصوص يعاونون.. فالتجرب معاناتهم.. لا طريقة أخرى أمامي..

قالتها لنفسها بسخرية، وضعت أحدي قدميهما في الخارج.. تنهدت ثم أخرجت كلتا قدميهما وأسندت نفسها على الجزء الزائد من المبني والذي يفصل الطوابق عن بعضها.. أصبحت ترى غرفتها وهي بالخارج على حافة السقوط.. مشت بحذر بمحازة النافذة إلى أن وصلت للماسورة بصعوبة، ما أن لمستها حتى أسرعت لتشبث بالماسورة بكلتا يديها وقدميها، أغضبت عينيها وأصبحت تجذب نفسها للأسفل بهدوء.. أستمرت على تلك الحال إلى أن وجدت نفسها قد لامست الأرض، فتحت عينها.. لم تصدق أنها قد تمكنت من الهرب والنجاة فعلاً.. أسرعت باتجاه السيارة، الجميع ذهل عندما رأوا ماريانت هتافها وأتصلت بهيشم ..

حاول هيშیم أقناع والدة ماريانت بالأمر لكنها ترفض، فجأة وجد هاتفه يرن.. أخرجه فوجد أن ماريانت تتصل به، رد عليها ليخبرها بفشلها بأقناع والدتها..

• أنا آسف ما..

قطعته ماريانت في عجلة من أمرها ..

• هيშیم.. لقد تمكنت من الهرب.. لا تخبر والدتي بذلك.. تصرف طبيعياً وكأنك قد يأس من محاولاتك تلك، أنزل حالاً لأننا تأخرنا كثيراً..

بدا على هيშیم الذهول للحظة ثم أسرع ليبدو طبيعياً، يأس هيშیم من محاولاته تلك..

● حسناً ... سيدتي، كما تشاءين.. عليّ أن أستاذن..، أتمنى لماريان حظاً موفقاً..  
غادر هيشع مسرعاً، ركب السيارة وبقوة الصاروخ تبخرت السيارة في لحظة..

أصبحت مصدر فخر للجميع..، الجميع يشي على موهبتها الرائعة والتي تربّنها بمجدها.. تستحق ما وصلت إليه من النجاح، نجحت نجاح باهر في تغطية أحداث يوم الثالث من يوليو..، جميع وكالات الأنباء العالمية قامت بتغطية مشتركة مع المحطة، أصبحت قناة " **exclusive news** " أشهر قناة عالمية، كانت ماريان السبب في شهرة القناة.. بيانات القوات المسلحة تُعرض على القناة أول بأول.. تغطية الأحداث بلغاتٍ كثيرة..  
أستضافة شخصيات قيادية وهامة.. تقريرًا يمكن وصفها بأنها المادة الخام للقناة والمحطة..

كعادة كل يوم.. دخلت ماريان مبهجة يملؤها الحماس.. تقوم بتحية الجميع والجميع يسرّون برؤيتها، كانت تحب الصيام معهم فترة عملها بالمحطة وتفترط معهم أيضًا.. كان الجميع يحبها لبساطتها رغم ما تناوله من شهرة..

كانت في طريقها لمكتب عمها حين أستوقفتها شيرين، أتجهت نحوها وهي تتوقع بأن هناك خلافٌ سيحدث بعد قليل.. أصبحت تحفظ تلك القاعدة.. أبتسامة شيرين لها تعني أنها ستتساومها على شيء لا ترغبه ماريان..

بدت شيرين وكأنها تكسب رضاها..

● مبدئياً.. أنا أتفق مع عملك على حلٍّ وسطي بيننا ولا أظنك سترفضين هذه المرة..

أرتسمت على وجه ماريان تعابيرات السخرية المختلط بالقلق..

● أنا أسمع..

● حسناً.. أنا مازلت مُصرة على أنك تعملين معي لكنني أتفق مع عملك أنني سأغير مواعيد برنامجي حسب ما ستنفرددين فيه بمعلوماتٍ مهمة أو تغطية لأحداثٍ هامة..

فكرت ماريان لثواني ثم أرتسمت ودّعها لشيرين..

● يبدو أننا أتفقنا أخيراً، أعترف بأنك خالفتي ظني هذه المرة..

تصافحتا وهمت ماريان بتركها لكن شيرين أستوقفتها مجددًا..

● يمكننا العمل من الآن يا ماريان..

لم تفهم ماريان ماذا تقصد..

● حسناً يا شيرين.. عندما يكون هناك خبرٌ حصري سأتصل بكِ قبلها..

● أظن أن علينا تقديم خبرٌ حصري الآن، نريد أن يكون لنا السبق..

قطبت ماريان حاجبيها في عدم فهم..

● ماذا تقصدين !؟

أبتسمت شيرين بذكاء ..

● معلومة ميعد فض الأعتصام مثلاً.. العالم كله يتظاهر فض الأعتصام ولا أحد يعلم ميعد بالضبط، ماذا لو أعلناه نحن أولاً !؟

الفتت ماريان حولها بتعجب، الفتت إليها..

● شيرين . أتعي ما تقولينه !؟، أم أنكِ تمزجين !؟

سخرت ماريان من طلبها ...

● إذا أخبرتكِ بميعد فض الأعتصام وقمتِ بأعلان هذا في برنامجكِ ستقوم القوات المسلحة بتغيير هذا الميعد بالطبع، هذا بالطبع خلاف أنني لن أفضي سرًا أتمنني به أحد هم..

قالت جملتها الأخيرة والفتت لترك شيرين لوحدها، صاحت شيرين غضبًا في ماريان.. أرفع صوتها حتى أن الجميع الفت إليها ...

● أسمعي يا ماريان.. لقد حذرتكِ سابقًا، لقد تحملتُ الكثير منكِ فقط لأجل عملِكِ لكن الآن لن أضع أحدًا في الأعتبار.. أحدانا فقط هي من ستبقى هنا، هذه المحطة لن تسع لكلانا يا ماريان..

أسرعت شيرين تجاه مكتب ثروت - عم ماريان - وسط ذهول من الجميع وسخط من شيرين في نفس الوقت.. تمنى الجميع حينها لو يحدث ما تتكلّم عنه شيرين وأحداهم ترك المحطة.. الجميع يؤيد فكرة خروج شيرين بالطبع والأبقاء على ماريان، تبعتها ماريان بغضب لمكتب عمها، وما أن دخلتا كلاهما دون أستئذانٍ حتى بادرت شيرين بتوجيه صب غضبها على ثروت ..

● أسمعني جيداً يا ثروت.. لقد تحملت أبناء أخيك تلك من أجلك لكن حان الوقت لأن ترك أحدانا هذه القناة، وأنا مُصرة على أن تختار بيننا الآن.. إما أنا أو هي في المحطة ..!  
ألمحه لسانه ولم ينطق.. ماذا حدث لستدھور علاقتهن ببعضهن لهذه الدرجة؟!، حاول أن يقوم بتهديء الأجواء لكن رد ماريان السريع والغاضب منعه من ذلك..

● لا.. لا تضعي عمي في هذه المعادلة أصلًا.. أنا من يجب أن تترك القناة وتبقى شيرين أشهر أعلامية في مصر والشرق الأوسط والتي تمتلك أكثر من نصف أسهم تلك القناة بالمشاركة مع عمي، لكن لا تندمي يا شيرين عندما أخرج بيان استقالتي من هذه القناة أوضح فيه سبب خروجي من هنا..  
أطلقت شيرين ضحكةً ساخرة..

● هل ستقولين في بيانك بأنك لا تريدين أخباري بميعاد فض الأعتصام؟!، كنت أظن أنكِ أذكي من ذلك..  
التفتت لثروت وهي تشير لماريـان..

● تريـد أن تخبر الجميع بأنها تعلم ميعاد فض الأعتصام.. عليك أن تقـنـعـها بـخـطـورـةـ ذلك..  
التفتت إليها مجدداً..

● هذا على أساس أن تلك الجماعات ستترككِ وشأنكِ هكذا وأنتي تعلمين ذلك.. أو أن القوات المسلحة ستسمح لكِ بذلك أصلًا ..  
أرتسـمتـ على وجهـ ماريـانـ أبـتسـامـةـ سـاخـرـةـ،ـ ردـتـ عـلـيـهـاـ بـهـدوـءـ ...

● يبدو أنك محق.. لقد فاتني هذا الأمر.. لكن ما لا أعلم هو كيف وصلتني لهذه الشهرة وأنتي بهذا الغباء..  
سأغادر الآن المحطة بسبب أنك كنتي تريدين معرفة معلومة بسيطة مثل ميعاد فض الأعتصام وتهملين الحدث نفسه أصلاً، لن تكون معلومة ميعاد فض الأعتصام مهمة عندما تقوم قوات الأمن بذلك أصلاً..

قالت ماريان بلهجة تهديد..

● سأكون أنا حينها في قناة أخرى أنقل تغطية ما يحدث من فض الأعتصام بينما أنتي تتفاجئين بأن فض الأعتصام قد بدأ ..!

همت بالخروج لكنها التفت إليها مجدداً..

● سأغادر المحطة لكنني على ثقة بأنك ستندمرين على ذلك وطالبيين برجوعي، والأيام بينما !..  
أسرعت بالخروج من القناة دون أن يوقفها أحد لتهديتها.. حاول عمها أن يوقفها لكنها كانت غاضبة كفاية لأن لا تستمر في هذه المهزلة، يبدو أن لكل قاعدةً استثناء عدا القاعدة التي تقول أنها عندما تقوم شيرين بالأبتسامة في وجه ماريان فإنه غالباً ما سينتهي حوارهم بشجارٍ عنيف ..!

مر الأسبوع الأخير من شهر رمضان كسابقه منذ بداية الشهر المبارك.. شهر رمضان هذه السنة لم يكن بالجمال المعتمد ككل سنة، فالأحداث السياسية في البلاد كانت كفيلة ببعث التوتر والقلق والترقب في كل أسرة، هناك من كان يتضرر بفارغ الصبر فض الأعتصام، هناك من كان يخشى ذلك اليوم المرتقب..

كان الشيخ محسن ممن كانوا يخشون ذلك اليوم، يجهل مصير ابنه.. يتبع الأخبار أول بأول وكل حين.. لا يعرف ماذا يتضرر.. هل يتضرر أن يرد اسمه في قوائم اللذين تم اعتقالهم بتهمة التحرير لفض الأعتصام؟!، أم يتضرر فض الأعتصام ويجده في قوائم الوفيات مثلًا؟!، أم أنه يُريح بال والديه ويرجع قبل فوات الأوان ..!

كان عمر كعادته يسهر كل يوم ويتصفح موقع الأخبار.. هو الآخر لم يكن ليعرف عن ماذا يبحث.. هل يتوقع أن يعلن أحدهم مثلًا ميعاد فض الأعتصام؟! أم أن الأمور ستكون مفاجئة؟!، أنتقض عمر عندما وجد أول أخبار تلك الليلة.. "أشتباكات بين الشرطة ومعتصمي ميدان النهضة بالقرب من جامعة القاهرة.." ، الأخبار تنتشر بسرعة في الواقع والأحداث تتتسارع..!، أسرع عمر باتجاه غرفة والديه.. طرقاتٍ سريعة منه على الباب جعلتهم يتوقعون ما يحدث، فتح والده الباب والقلق باديًا عليه..

● عمر.. ماذا ...

قطع عمر سؤاله هذا..

● أبي.. لقد بدأوا بعملية الفض ..

تسمرت الأسرة كلها أمام التلفاز في قلق متزايد، بينما ظل عمر يتبع الأخبار من الأنترنت ومن التلفاز أيضًا..

أحداث ميدان النهضة لم تلقي أهميةً كبرى بسبب سرعة فض المعتصمين هناك، هناك أصاباتٍ حدثت في صفوف الشرطة لكن لا أخبار عن أصابات أو وفيات في صفوف المعتصمين.. لمتشي سيظلون كذلك في هذا التوتر؟!

لحظاتٍ وقد بدأت معركة ميدان رابعة..

" كانت ماريانت وسط المعركة مختبئة في أحدى البنيات ترتدى الزي المضاد للرصاص وحامية الرأس المصفحة.. لم تكن تريد تفويت هذه التغطية بالذات ... في الخارج من ورائها تحركات قوات الشرطة وكذلك الدخان المتتصاعد، وبالطبع شيرين خصصت لهذا الحدث وقتاً مفتوحاً لبرنامجهما لتغطية تلك الأحداث الهامة..

● ماريانت.. ما اخر المستجدات عندكِ؟!

ردت ماريانت وهي تحاول سماع شيرين بوضوح..

● حقيقة الأمر يا شيرين الأمور هنا تبدو معقدة عكس ما حدث في ميدان النهضة، كما ترين ما يحدث في الخارج.. هناك طلقات نارٍ متبدلة بين الطرفين.. الشرطة تُلقي القنابل المسيلة للدموع.. هناك عدد من الحرائق والدخان المتتصاعد، لكن ليس لدى معلوماتٍ دقيقة حتى الآن بشأن الوفيات أو الأصابات..

● لماذا لم يكن قرار الفض هنا في ميدان رابعة مفاجئاً كما حدث في ميدان النهضة؟!

أنتظرت ماريانت لشوانى ليصلها صوت شيرين بوضوح..

● بالطبع وصلتهم أخبار فض أعتصام النهضة لذلك كانوا مستعدون هنا عندما وصلنا برفقة قوات الأمن، أول ما قامت به قوات الأمن هنا هو إطلاق التحذيرات بفض الأعتصام سلماً عبر مكبرات الصوت وأخبرت الجميع بأن هناك ممراتٍ آمنة لخروج من أراد الخروج سالماً وكذلك دعت المعتصمين المسلمين لتسليم أسلحتهم بهدوء " ...

لم يكن هناك أحداً ليصف شعور أسرة أدهم حينها.. بدا الأمر مخيفاً بالنسبة لهم.. تحذيرات وطرق آمنة ودخانٍ متتصاعد وأطلاق نار وقنابل مسيلة للدموع.. تضاربت الأحتمالات في أذهانهم جميعاً.. هل قُتل أدهم؟! أم أُعتقل؟!، أم أنه يُقاتل ضد قوات الشرطة؟!، الأحتمال الأخير هذا بالذات نتائجه وخيمة.. لو واجه الشرطة بسلاح ستكون نهايته إما القتل أو الأعتقال لو بقي حياً، الأمور تزداد سوءاً ووالدة عمر بدأت تنتابها نوبات المرض السكري.. الحيرة والخوف والقلق يسيطران على الأسرة بكمالها..

مر يومانٍ آخران لم تُغلق فيهما أجفان الجميع.. كيف تغفو أعينهم وهم لا يعلمون شيء عن أدهم على الرغم من أن عملية فض الأعتصامين قد أنهت رسميًا، لم يعد الشيخ محسن يتتحمل كل هذا الضغط.. لقد عزم على

السفر للقاهرة والبحث عن أدهم.. سيداً بالشركة التي يعمل بها أو التي كان يعمل بها لو شارك في هذا الأعتصام.. أن لم يجده هناك وهذا هو المتوقع سيبحث عنه في أقسام الشرطة والمستشفيات، أقترح عمر السفر معه لكنه رفض ليرعى والدته في غيابه

أسرع الشيخ محسن لمحطة القطار وسأل عن أقرب قطار متوجه للقاهرة.. ركب القطار بعد وصوله وبعدما جلس في أحدى مقاعده رن هاتفه.. رقم مجهول.. لم يعيه أي اهتمام، رن هاتفه مرة أخرى بنفس هذا الرقم المجهول، رد على الهاتف هذه المرة.. أتسعت عيناه وأزدادت ضربات قلبه.. أنه أدهم..

● أدهم.. !؟، أين أنت.. !؟، لقد أتصلت بك ...

سكت للحظات ليستمع لأدهم الذي قاطع سؤاله، قام الشيخ محسن من مكانه بسرعة ونزل من القطار قبل تحركه بسرعة ليغادر المحطة، خرج من المحطة وأشار لسيارة أجرة وركبها ولم يسافر..

تلقي عمر اتصالاً من والده.. كان التوقيت غير متوقعاً لكنه توقع في البداية أن يسأله عن مستجدات بخصوص أدهم، لكنه فوجئ بأنه أتصل به ليطمئنه هو ووالدته بأنه لم يسافر وسيرجع البيت ومعه أدهم، لم تصدق والدته الخبر.. سأله بلهفة..

● حقا.. !؟، هل رجع أدهم معه.. !؟ ألم يخبرك كيف حاله؟!  
رد عليها عمر ليطمئنها..

● والله هو بخير.. على الأقل هذا ما أخبرني به أبي، لقد أتصل به أدهم قبل سفر والدي بدقاائق وأخبره أنه هنا في سوهاج وأخبرني بأنه سيأتي لها في خلال ساعة..  
ما زال القلق بادياً عليها، أربت عمر على كتفيها..

● أمي.. علينا أن نشكر الله على رجوع أدهم بالسلامة، كنا نتوقع كارثة ولكنه الحمد لله رجع بالسلامة، لم يُردد الله أن يحملنا ما لا طاقة لنا به ..!

رفعت والدته عينيها للسماء شاكراً ربها، بعد دقائق لاحظت أن عمر يتجهز للخروج.. سأله في دهشة..

● عمر.. إلى أين أنت ذاهب؟!

كان يدرك ما يفعله لذلك كان يتوقع سؤال والدته هذا..

● سأخرج يا أمي، وجودي هنا عندما يرجع أبي ومعه أدهم سيزيد الأمور سوءاً..

أدركت والدته ما يرمي إليه هو، وجود عمر أثناء معاقبة والده لأدhem سيزيد هذا من سوء العلاقة بين ولديها..

● لكنني لا أعلم كيف أتعامل أنا مع ما سيحدث يا عمر.. وجودك ضروري كذلك يابني..

رد عليها عمر..

● أقصى ما سيحدث هو توبیخ أبي لأدhem فقط..، أدhem ليس صغيراً كي يُعاقب بشيء غير التوبیخ يا أمي.. وجودي الآن أثناء توبیخه سيزيد الأحتقان بيننا، سيظن بأنني أتشمت فيه وأنني مسror بمعاقبته..

فتح الباب وهم بالخروج ..

● سأرجع متأخراً حالما ينتهي كل هذا الجدل..

خرج عمر وترك والدته وقد أزداد قلقها بمرور كل ثانية، تتوافد لرأيها أحتمالات كثيرة .. !

\*\*\*\*\*

مر الوقت ثقيلاً عليها في أنتظار ابنها الغائب عنها قرابة الشهرين.. تساءلت كيف حاله خصوصاً بعد ما حدث؟!، كيف سيتعامل معه والده؟!، تخشى ما هو آتٍ.. الدقائق تعاندها ولا تمر.. يزداد انقباض قلبها من القلق، دقائق ورجع الشيخ محسن ومعه أدhem.. لقد عاد إليها أخيراً، أسرعت نحوه لتحتضنه وتستقبله بحفاوة، كان منظره غريباً.. تبدو ملابسه بالية، تلك الجروح التي في وجهه، لحيته التي تطاولت زيادةً عن حدتها الطبيعي.. كيف أنه لم يعتني بنفسه طوال الفترة الماضية؟، تمنت بكلمات غير مفهومة وهي تحضنه، تبلل كتف أدhem بدموع والدته..

● أدهم حبيبي.. كيف حالك؟! أين كنت؟!، كنت سأموت عليك قلقاً..

لم تُكمل ترحيبها بأبنها حتى دفعه والده باتجاه غرفته والغضب بادياً عليه، حينها عرفت والدته أنه حان وقت الحساب.. تخشى كثيراً اللحظات القادمة، دخل أدهم غرفته وتبعه والده.. كادت والدته تدخل معهم لكن زوجها منعها من الدخول وأغلق الباب وأوصده من الداخل، أما هي فأكنته فقط بأن تقف على الباب وتتنصت عليهما، بدأت أصواتهم ترتفع تدريجياً.. تمنى لو تكون مجرد مشادة كلامية فقط..!

بعد لحظاتٍ طويلة مرت عليها وهي تطرق الباب كلما أرتفعت أصواتهم خوفاً من حدوث كارثةً ما بالداخل.. فتح الباب أخيراً وخرج الشيخ محسن ووجهه يبدو شاحباً.. أستند على الحائط وهو متوجهاً لغرفته، دخلت والدة أدهم غرفته.. حاولت أن تتكلم معه لكنه لم يستجيب لها، خطر ببالها فجأةً كيف كان حال زوجها عندما خرج من الغرفة.. كان وجهه شاحباً، أسرع لغرفتها لتطمئن عليه..

في نفس الوقت كان عمر في طريقه للرجوع للبيت وحيث أن بمجرد انتصاف الليل تبدأ الكلاب سهرتها في الشوارع، أnderesh عمر لعددهم..

● يا ألهي.. كل كلاب المنطقة تجمعوا هنا؟!

وقف مصدوماً وساخطاً..

● مَاذَا عَلَيِّ أَنْ أَفْعُلُ الآن؟!، هَذَا مَا جَنِيَنَا مِنْ أَفْعَالِكَ يَا أَدْهَم.. أَتَجْنِبُ أَحْرَاجَكَ أَمَامِي بِسَبِّ أَفْعَالِكَ تَلْكَ ثُمَّ أَجِدُ أَسْرَابَ الْكَلَابِ هَذِهِ أَمَامِي ..!

وقف على رأس منطقته ينتظر حدوث معجزة.. تغادر هذه الكلاب مثلاً لدقائقَ واحدة ثم يستأنفون سهرتهم، حدثت معجزةً فعلاً ورأى سيارة ما قادمة من بعيد.. أشار إليها وأستاذن سائقها للركوب معه ليوصله على رأس شارعه، وصل لبيته أخيراً لكنه شعر بوجود حركةً غير عادية، وجد أدهم ينزل مسرعاً من الطابق الثاني للبيت وعندما رأاه أدهم سأله في غضب..

● أين كنت حتى هذا الوقت؟! ألم تتعلم كيف تحمل المسؤلية أبداً؟!

رد عليه عمر بتعشم ليتجنب غضبه ..

• كنت في ..

قاطعه أدهم ...

• ليس لدينا وقت لنسمع تفاهاتك تلك، أتبعني بسرعة لتساعدني في حمل أبيك للمستشفى حالاً ..

تبعد عمر بسرعة دون أن يفهم ماذا حدث، بدأ يتدارك الأمر عندما وجد والده فاقداً للوعي تقرباً وتحاول والدته مساعدة أدهم في حمله، أسرع هو ليساعد أدهم في حمل أبيه لسيارة أدهم، بعد دقائق وصلوا جميعاً للمستشفى وتم حجزه في غرفة العناية المركزة..

كان أدهم يتكلم مع موظفو الاستقبال عندما كان عمر يستفسر من والدته عما حدث في غيابه ..

• لكن كيف حدث هذا يا أمي ؟!

ردت عليه بصوتٍ يشوهه البكاء ورأسها بين كفيها ...

• لقد تعب فجأة عندما أشتد الحوار بينهم.. كان وجهه شاحباً وعندما دخلت عليه الغرفة وجدته ملقي على سريره في حالة غير طبيعية، عندما سأله عن ما إذا كان بخير تتمت إلى بكلمات غير مفهومة وكان ينصب منه العرق بغزاره، لذلك أسرعنا به لهنا .. !

ردد في نفسه أنه لم يتخيّل أن الأمر يصل لهذا الحد، أقترب إليهم أدهم فسألته عن حال والده..

• بماذا أخبرك الطبيب يا أدهم ؟! هل والدك بخير ؟!

تردد أدهم في أخبارهم، حاول تجنب النظر في أعينهم مباشرةً ..

• لقد أصيّب بنوبة قلبية.. والآن هو أفضل على كل حال ..

سالت الدموع فجأة من عينيها، حاول أن يُصحح الأمر قليلاً ..

• لا تقلقي لقد تم حجزه في غرفة العناية المركزة وهو بخير الآن.. يحتاج للراحة فقط ..

بنوية غضب قامت والدته بتوييشه..

● أنت السبب يا أدهم.. أنت السبب.. لماذا فعلت هذا؟!، لماذا يا أدهم؟! لماذا؟!

لم ينطق أدهم بكلمة ولم يتحمل عتاب والدته له ولم يتحمل نظرات عمر له أيضًا.. أبتعد عنهم قدر المستطاع  
وجلس بأحد المقاعد بعيدةً عنهم..

## عمر وآسية..

بالرغم كل تلك الأحداث التي عصفت به في أجرازه هذه إلا أنه لم يخلو عقله من التفكير بآسية.. تلك الفتاة التي دخلت قلبه دون سابق إنذار، تأتيه في أحلامه فيعيش النوم ليراها، عيناه لم تكن تراها لكن عقله يتذكرها بكل تفاصيلها، تأكد أنها لم تكن سحابة عاطفية.. لقد أحبها بصدق، مرت الأجازة بحلوها ومرها.. بأحداثها المثيرة والمملة أيضاً ثم ألتقيا مجدداً.. ألتقيا وكلاً منها يأمل بأن الآخر ما زال على وعده الذي لم يقطعه مع الآخر.. كلاهما يأمل بأن ما سبق لم تكن مجرد دعابة أو سحابة ورحلت.. ألتقيا ومن أول نظرة عرف كلاهما أنهما سيخوضان غمار الحياة معاً.. كلاهما سيخوضا حرباً ضد بعضهما لكنها ليست مدمراً..، بل بالعكس تلك الحرب ستكون رائعة ..!

مرت سنة أخرى وحدث ما جعل كلاً منها يتنتظر الوقت والرمن الذي سيجمعهما معاً.. كلاهما لم يرى سوى الآخر فقط، سنة مرت وقد أدرك الجميع علاقة عمر بآسية، مرت سنة وكل أصدقائهم ينتظرون العلاقة الرسمية في السنة الأخيرة.. سيكونان ثنائياً رائع.. يشبهان بعضهما ويكملان بعضهما كذلك.. كان لسان حال الجميع.. " الطيور على أشكالها تقع " ..

أحمد وأمانى ..

كلاهما كان طرفي نزاع.. طرفي معركة، كلاهما كانا يساندان صديقيهما..، أمانى تجعل صديقتها صلبة.. ليست لقمة سائغة.. ليست سهلة المنال، أحمد يفشل كل مخططات صديقتها.. أيضاً هو لا يجعل صديقه لقمة سائغة لصديقتها أو لها لتفترسه..

لكن يبدو أن العشق قد أصاب الجميع.. لقد أعجبته شخصية أمانى.. ليست مثل أي فتاة عرفها أو تعامل معها.. أما هي.. فآن لقلبها أن يلين أخيراً.. كانت تحاول أن تحمي صديقتها من عمر إلا أنها سقطت هي الأخرى في

مصيدة الحب، كانت علاقتهما أسرع من علاقة صديقيهما بعض.. مرت السنة الثالثة من الجامعة وها هما أصبحا ثنائيا آخر..

ماريان ...

مازال تفوقها وذكائها يطغيان عليها، تواصل نجاحاتها تاركة الجميع خلفها وتسقبهم بسنين ضئيله.. تواصل شهرتها ومغامراتها، تجاوزت خلافاتها مع شيرين وعادت للقناة مرة أخرى بعد أفتتاح عمها لها برجوعها..

مرت سنة دراسية أخرى كانت فيه هي كالعادة.. الأولى !، الجميع يعرف أنها ستحل عن تعينها في الجامعة كونها تحمل المرتبة الأولى.. هي تعشق العمل الميداني .. المغامرة والمجازفة.. تطارد النجاح دائمًا وأينما كان .. !

- ١٣ -

مر النصف الأول من العام الدراسي الأخير سريعاً وها هي الأجازة الأخيرة قد أتت، لقد حان وقت السفكير بجدية بشأن اتخاذ خطوةً أيجابية خاصةً أنه لم يتبقى سوى نصف عامٍ دراسيٍ آخر، بعدها ستصعب الأمور كثيراً..

هي تتنتظر أن يخبرها بخطوته التالية، وهو يخشى مواجهتها.. تمر عليه أوقات ويظن أن ما مضى كان مجرد صدقة برئية ولا تتعذر ذلك.. تتسارع الأيام أمامه والوقت ينفذ ولا مجال للتأجيل أكثر، لقد مضى أسبوع على بداية النصف الدراسي الأخير، لابد من التخلص من خجله وأتمام الخطوة الأولى ليتبعها بالثانية فوراً .. !

كان عمر وأحمد يجلسان على المقهى وبعد انتهاء مباراة كانوا يشاهدونها.. أتفقا على أتمام الخطوة الأولى في خلال يومين.. أن يخبر عمر والديه بالأمر..

عاد عمر للبيت وهو يفكر في خطوته الأولى.. كيف ينفذها بدقة؟!، كيف يقنع والديه بمسئلة ارتباطه بها رغم أن الدراسة لم تنتهي بعد .. !

جالساً في غرفته غارقاً في تفكير عميق، هذا الشroud جعله لا يشعر بأن والدته قد طرقت الباب ودخلت، فجأة وجدتها تجلس أمامه وتحدق في عينيه بسخرية وكأنها تعرف فيما يفكر، باغتته بسؤال..

● أهي معك في نفس الصف أيضًا؟!

أتسعت عيناه عندما سأله، فاجأه سؤالها هذا، وعندما رأت هي علامات التعجب قد رسمت على وجه عمر تأكّدت أنها معه في نفس الصف، اعتدلت في جلستها..

● حسناً.. ما أسمها؟!

يبدو أن الأمور تسري على ما يرام وعلى غير المتوقع أيضًا، تلك اللحظة التي كان يتّظرها عمر ويخطّط لها، أن يُحدّث والدته عنها، عمل على استغلال هذا..

● أسمها آسية..

ابتسمت والدته بسبب أعجبها بالأسم ..

● آسية؟!، جميلٌ جدًا هذا الأسم، يبدو ملفتًا للنظر..

سكتت للحظة ثم أردفت..

● جميلة؟!

● بالنسبة لي هي أجمل خلق الله..

● دعني أخبرك أن الجمال ليس كل شيء، هناك أمورًا أهم بكثير من جمال الشكل فقط.. أثق تماماً بأن اختيارك هذا بعيداً عن الجمال الشكلي فقط..

● أعلم ذلك يا أمي، لو كان اختيار الفتاة لجمالها لكان الرجل يتزوج كل يوم فتاة أجمل من تلك التي قبلها ..

● لهذا أنا أثق بأختيارك جيداً، والآن أخبرني.. هل أخبرت والدك؟!

سكت عمر للحظة ثم رد عليها بأمتنان..

● لا.. لم أخبر لا أبي ولا أدهم.. أنتي أول من يعلم بهذا، تلك الثقة التي تمنحيني أيها أفتقدتها تماماً مع والدي أو أدهم ..!

Sad الصمت بينهما للحظات..

● مستعد للأرتباط بها؟!

تهلل وجه عمر فجأة ورد عليها بكل ثقة..

● بالتأكيد.. بالتأكيد أريد وإلا لم أكن لأتحدث عنها أمامك.. أنها أجمل مما تخيلين..، لقد عرفت الكثير عنها..

خفض رأسه في خجل، ثم أكمل..

● ليس عدلاً أن تكون هي لغيري يا أمي ..!

رفعت والدته حاجبها الأيمن ناظرة له بتهكم وسخرية، ضحك هو بسبب نظرة والدته التهكمية، أكملت هي كلامها..

● هذه الرومانسية مثلاً.. !، شعرت بها في فترة الخطوبة فقط ثم عاملني والدك بعدها كأحد أصدقائه..  
ضحك عمر، أكملت هي لختتم كلامها معه..

● حسناً.. سأتكلم مع والدك بخصوص هذا، عليّ الذهاب لتحضير العشاء حالاً..

فرح عمر بأقتراح والدته وأحتضنها بشدة قبل أن تتركه وتغادر غرفته، لقد كان الأمر أسهل مما تخيل، الآن حان وقت الخطوة التالية .. !

سمعت صوت خطواتٍ قادمةً نحوها.. لا تستطيع المقاومة، أقربت الخطوات أكثر فأكثر ويزداد خوفها مما هو قادم، وقفت تلك الأقدام أمامها وهي ملقة على الأرض بلا قوة.. تعرف هذه الأقدام جيداً.. أنها شيرين..  
أتحت شيرين لتحدثها ..

● هذا جزء من يبعث معي يا ماريـان .. !، هل كان يُخـيل أليـك أن تسلـبـي مـكانـتي بـسـهـولةـهـ هـكـذـاـ ؟ـ!  
حاـولـتـ مـاريـانـ النـهـوـضـ أوـ الـحـرـكـةـ لـكـنـهـاـ لمـ تـسـتـطـعـ، بـصـوـتـ يـكـادـ لاـ يـظـهـرـ أـسـاسـاـ سـأـلـتـهـاـ مـاريـانـ ..  
● ماـذـاـ تـرـيـدـيـنـ مـنـيـ أـيـتـهـاـ الـحـمـقـاءـ ؟ـ!

مررت شيرين يديها من بين القضبان التي تفصلهما لتمسح بيدها على شعر ماريـانـ ..  
● لاـ شـيءـ سـوـىـ أـطـاعـتـيـ فـيـمـاـ أـقـولـهـ لـكـ يـاـ مـارـيـ..ـ هـلـ هـذـاـ صـعـبـ ؟ـ!  
تـرـيـدـ مـاريـانـ أـنـ تـغـضـبـ وـلـكـنـهـاـ لـاـ تـسـتـطـعـ ..  
● فـيـ الـحـقـيقـةـ يـاـ شـيرـينـ أـتـضـحـ لـيـ أـنـكـ أـضـعـفـ مـاـ كـنـتـ أـتـخـيـلـ، لـاـ تـسـتـطـيـعـنـ أـنـتـيـ مـنـافـسـتـيـ وـلـيـسـ العـكـسـ،  
تـغـارـيـنـ لـأـنـيـ سـلـبـتـ مـنـكـ شـهـرـتـكـ..ـ  
أـمـسـكـتـهـاـ شـيرـينـ بـقـوـةـ مـنـ شـعـرـهـاـ وـشـدـتـهـ ..

● مـازـلتـيـ كـمـاـ أـنـتـيـ يـاـ مـارـيـ..ـ فـتـاهـ حـمـقـاءـ، سـتـظـلـيـنـ هـنـاـ فـيـ مـحـبـسـكـ هـذـاـ..ـ لـاـ يـعـلـمـ مـكـانـكـ هـذـاـ غـيـرـيـ أـنـاـ..ـ سـتـبـقـيـنـ  
هـكـذـاـ بـدـونـ طـعـامـ أـوـ شـرـابـ إـلـىـ أـنـ تـغـادـرـيـنـ عـالـمـنـاـ هـذـاـ..ـ أـوـ تـعـودـيـنـ لـوـشـدـكـ..ـ  
أـفـلـتـتـهـاـ ثـمـ غـادـرـتـ المـكـانـ وـهـيـ تـضـحـكـ..ـ

كـانـتـ تعـانـيـ..ـ كـانـتـ تـصـرـخـ وـلـكـنـ صـرـختـهـاـ كـانـتـ مـكـتـومـةـ إـلـاـ أـنـ رـنـينـ هـاتـفـهـاـ أـنـقـذـهـاـ مـنـ ذـلـكـ الكـابـوـسـ..ـ أـطـلـقـتـ  
مـاريـانـ صـرـختـهـاـ تـلـكـ أـخـيـرـاـ..ـ حـاـولـتـ أـنـ تـهـدـأـ وـأـنـ تـسـتـوـعـ بـالـأـمـرـ..ـ هـاتـفـهـاـ مـازـالـ يـوـنـ إـلـىـ أـنـ سـكـتـ، جـلـسـتـ عـلـىـ

سريرها تحاول تهدئه عقلها جراء هذا المجهود الذي بذله في هذا الحلم.. لقد كانت تحلم بكابوسٍ مرعب..  
كفى فقط تواجد شيرين في حلمها .. ! ، هذا كافي لتحويل حلمها لكابوس، رن هاتفها مرةً أخرى.. التفتت إليه  
وتناولته.. أنه هيشم، توقعت أن يكون هناك حدث هام الآن ..

● صباح الخير يا هيشم.. ماذا يحدث الآن؟!

• ليس شيئاً في البلاد يحدث الآن يا ماريان، هناك أمراً آخر قد حدث ولا بد أن تعلمي بهذا ..  
راودها القلق فجأة، رؤية شيرين حتى لو في حلمها ليس مبشرًا ..

## ● لقد أقلقتنی یا هیشم، ماذا حدث ؟ !

لقد تعرض عملك لحادث مرير ..

أنتفضت ماريان من مكانها ..

● ماذا تقول ؟!، متى حذث هذا ؟!

●منذ ساعة تقريرًا، لقد تم نقله للمستشفى حالاً ..

قامت من سريرها بسرعة وتباحث بتشتت في خزانة ملابسها عن شيء ترتديه ..

• كف حاله الان ؟

● أنا في طريقي إليكي الآن.. سندھب سوياً..

● سأنتظرك لكن لا تتأخر ..

• التأكيد..

في غضون دقائق كانت ماريان قد وصلت المستشفى.. لقد أخبروها أنه في غرفة العمليات، وما أن خرج الطبيب حتى أسرعت إليه ...

● أخبارني يا دكتور.. كيف حاله؟!

● لا تقلقي رجاءً.. هو بخير وسيتم نقله لغرفة العناية المركزة حالاً..

● ما مدى خطورة أصابته؟!

● لقد دخل في غيوبة، ولا نعلم متى سيستفيق منها، عذرًا

غادر الطبيب من أمامها، وقفت أمام غرفته تتأمله وهو نائم.. همست لنفسها..

● عمي.. لا تتركني رجاءً، لا تحسبني قويةً بما يكفي لمواجهة هذا العالم.. أنا أستند عليك، أنت من قمت بتربية ونشأتي.. قمت بمساندتي ودعمي، أرجوك يا عمي لا ترحل، أنا أضعف مما تخيل بدونك..

رن هاتفها فأخرجها من تفكييرها، أنه هيثم مرةً أخرى.. لقد أوصلها للمستشفى منذ قليل وذهب هو للمحطة..

● مرحباً يا هيثم..

● كيف حال الأستاذ ثروت الآن؟!

● بخير.. شكرًا لسؤالك..

● لا تقولي هذا مجددًا..

سكت للحظة ثم أردف..

● متى ستأتين للمحطة؟!

● لا أعلم، ربما لن أتي.. سأكون بجانب عمي هنا..

● أذن لن نقوم بتغطية أحداث اليوم؟!

ضربت بيدها على رأسها، لقد تذكرت أن اليوم هو أول أيام انتخابات مجلس الشعب..

● حسناً.. سأكون في المحطة في خلال ساعةً من الآن..

● حسناً.. سنتظرك ...

أغلقت المكالمة وهي تنظر لعمها بقلق، تمنى لو أنه يكون بخير..

\*\*\*\*\*

وصلت ماريان المحطة صباحاً.. كان الجميع متواجد هنا ونشاط، أخذت تبحث عن هيشم لكنها لم تجده، ناداتها أحداهن ..

● ماري.. صباح الخير..

● صباح الخير ..

● الاستاذة شيرين تریدك في مكتبها ..

زفرت ماريان، يبدو أنها لن تسخلص منها ولو ليوم واحد..

● حسناً.. ألم ترين هيشم !؟

● لقد رأيته منذ ساعةً تقريباً، ذهب ليقوم بتغطية الانتخابات ..

قطبت ماريان حاجبيها في دهشة ...

● ماذا.. !؟ بدوني !؟

● لقد أرسلته الأستاذة شيرين.. رفض هو في البداية لكنها أجبرته بأن يصطحب أحدى المراسلات هناك..

● حسناً.. شكرًا لك ..

توجهت ناحية مكتب شيرين وفي عقلها سؤالٌ واحد فقط.. لماذا فعلت هذا؟!، أطربت باب مكتبه وسمح لها بالدخول ..

• كيف ترسلين هيشم لتغطية الانتخابات بدوني ؟!، ألا تعلمين أنه يعمل معى ؟!  
رفعت شيرين رأسها لترد عليها ببرود..

- لقد علمت بحادث عملِ، أظن بأنه عليكي أن تكوني بجانبه ..!
- قطبت حاجبيها مجدداً بعد أن راودها الشك للحظة ..
- لكن كيف علمتني بحادث عمي ؟!
- من هيـم.. لقد أخبرـني بهذا..

- لكنكِ لم تتصلين بي وتخبريني بهذا .. !
- حدقـت إلـيـها شـيرـين ولـم تـعـقـبـ عـلـيـهـا .. أـكـفـتـ بالـصـمـتـ، أـرـدـفـتـ مـارـيـانـ ..
- حـسـنـاً أـرـيدـ طـاقـمـاً آـخـرـ لـتـغـطـيـةـ الـأـنـتـخـابـاتـ فـيـ مـكـانـ آـخـرـ ..
- هـزـتـ شـيرـينـ رـأـسـهـاـ نـافـيـةـ ..

- ليس هناك طاقمًا متاحًا الآن.. لقد قمت بتوزيع الجميع منذ ساعة، الجميع في موقعه الآن..
- أشتمت ماريان رائحة أستغلال شيرين لفرصة، عمها ليس موجوداً ..
- ماريان .. !، أنتي في أجازة لمدة يومين، لابد وأن تكونين بجانب عملك ..
- حدقت بها ماريان في غضب قاطبة حاجيها، تدرك ما ترمي إليه شيرين، أعطتها أجازة لمدة يومين حتى يضيع عليها فرصة تغطية الانتخابات، تسعى لأخفائها عن الساحة، أستدارت وخرجت من مكتبه ولسان حالها.. لو كان عمى موجوداً لما كان يسمح بحدوث هذا..

كانت تبكي بداخلها.. تخشى مواجهة محتملة قريبة !، كانت تصرفاته هذه الأيام توحى بأنه يتجهز للقائهما.. لا تعلم ماذا كان سيقول بالضبط لكنه سيحدث قريباً جدًا، ما حدث معها منذ يومين بدد كل أحلامها.. لم تتخيّل أن الأمور ستنتهي بهذه السرعة.. كانت تخبي كلما أمكنها هذا ..!

أما عمر فقد مرت تلك الأيام الماضية وهو يتدرّب على الخطّة.. كانت خطّته بسيطة جدًا.. التخلص من خجله أمام آسية وترتيب كلامه لها.. أصبح أفضل قليلاً لكنه دائمًا ما يراوده شعور بأنه سينسى كل كلامه الذي يتدرّب عليه أمامها لكن أحمد دائمًا ما كان يشجّعه ويحمسه على ذلك، لقد حانت تلك الخطّة التي تأخرت كثيراً.. يُردد في نفسه الحوار الذي يتوقّعه بينهما، لقد أصبح مستعدًا.. عليه مواجهتهااليوم مستغلاً حماسته تلك وألا سيفقد ثقته في نفسه مجدداً..

في ذلك اليوم فضل عمر الأنفصال عن صديقه من بداية اليوم، يريد التركيز، ظل يبحث عنها أو عن صديقتها أمانى في أرجاء الكلية.. بعد نصف ساعة من البحث والصعود والتزلّل وجدهن أخيراً، وعندما لاحظته أمانى من بعيد همست لصديقتها ثم تركتها وحيدة.. لقد لاحظ هو ذلك..، تشجّع وتقدم نحوها.. وقفّت وهي تنكس رأسها أرضًا.. تقدم نحوها حتى وقف أمامها مباشرةً، كان سيصيّبه التوتر لكنه عزم على أطلاق أول كلمة وبعدها لن يستطيع أيقاف نفسه.. سيُجبر نفسه على عدم الخجل..

● آسية.. صباح الخير..

ردت عليه التحية بعد ثواني من التردد الذي ظهر عليها..

● صباح الخير..

أكمل كلامه فوراً..

● كنت أود الحديث معك في أمر هام، أمر مهم شخصياً..

رفعت رأسها ونظرت إليه وكأنها تعرف مسبقاً ما يريد عمر التحدث بشأنه، لاحظ عمر أن وجهها يبدو جامداً.. لم يكتثر لها خشية أن يفقد تركيزه، أكمل عمر كلامه عندما لم يجد أجابةً منها..

● هذه المرة لن أتكلم عن شيء يخص الدراسة، أردت أن أعترف بحبي لكِ منذ أن تقابلنا أول مرة..  
فرح عمر بعد نطقه لجملته الأخيرة تلك.. لقد تجاوز الأصعب، أكمل كلامه..

● نعم.. لقد أحببتكِ ولن أخجل من قولها هذه المرة، ويدون مقدماتٍ طويلة.. أريدكِ أن تكونين بجانبي دائماً..  
ما زالت آسية تجنب النظر في عينيه، لكن عمر وبشارة يفرغ ما في قلبه..

● تعلمين جيداً أنني لا أسللي.. ولا برهن على ذلك عليكِ أن تعلمين أنني قد تحدثت مع أهلي بشأن أرتباطنا، وقد وافقوا، هم يثرون دائماً في خياراتي بالحياة، لذلك قبل اتخاذ أي خطوةً قررت أن أتأكد من شيء، موافقتكِ !..

قالها عمر وهو ينتظر جوابها.. واثق تماماً بأحابتها، لكن ما أقلقه هو صمتها.. حتى الآن لم تنطق بكلمةً واحدة سوى رد التحية فقط.. لاحظ أيضاً تجنب النظر له من بداية حديثه..

● آسية.. هل أنتي بخير؟!  
نظرت إليه ثم هزت رأسها أيجاباً، كرر سؤاله عليها..

● هل تقبلين الزواج بي؟!  
و هنا نطقت أخيراً بعدما أبعدت نظرها مرة أخرى عنه..

قالتها والدموع تسربت إليها فجأة، أي صاعقةً هذه التي نزلت على عمر؟!، تمر الثنائي وهو يحدق إليها ليستوعب ما قالت.. ليس هذا ما كان يخطط له أو يتوقعه.. كان من المفترض أن يكون سؤاله روتينياً فقط..!  
نظرت هي إليه فوجده غارقاً في صدمته، أما هي فقدت سيطرتها على دموعها أمامه، حتى أنه أدرك نظراتها الباكية إليه فتراجع خطوتين للوراء ثم التفت وغادر منكسرًا.. لم ينطق بكلمة أخرى بعد رفضها، أما هي فتسمرت

مكانها لدقائق تتبع خطواته المنكسرة والخائبة، حتى ما أن أختفى من أمامها كلياً أدركت أنها تقف بدموعها وسط صديقاتها.. أسرعت لمسح دموعها وتحركت من مكانها بحثاً عن صديقتها أمانى..

أصبحت أيامه بلا معنى خاصةً بعد ما حدث مؤخراً، فسابقاً كانت أيامه المتبقية له في الجامعة تمر سريعة.. لم يكن حينها قد صارحها بالحقيقة وقد شعر بتسرب الوقت، أما الآن فشكاد أيامه لا تتحرك أطلاقاً.. أيامه قد أصابها الملل والفتور ..

أنعزل عن الجميع وكلما كان يخلو بنفسه تخونه ذاكرته بتذكيره لما حدث في ذلك اليوم.. لقد كانت تسير الأمور على ما يرام.. ماذا حدث أذن؟!، غير معقول أن كل ما عاشه كان وهما..!، يستحيل أن تكون العلاقة التي كانت تربطهم ببعضهم هي مجرد علاقة أصدقاء جامعة.. حتى لو فهم الأمور على نحو خاطئ منذ البداية.. هل فهم صديقه أحمد كل هذه العلاقة بالخطأ أيضاً؟!

حتى أمانى صديقتها أبتعدت عن أحمد هذه الأيام، هو متأكد من أنهن يخفين سرًا ما..، فكر قليلاً.. عندما كان يصارحها كانت تظهر آسية وكأنها تحمل همًا على عاتقها.. كانت حزينة.. كان من المتوقع أصلاً أنه كان سيحدث معها في أمر علاقتهما ببعضهما فريباً ومن المتوقع أيضاً أنها كانت تتوقع ذلك ..!، كانت نظراتها هي وصديقتها توحيان بأنهن كانتا تنتظران خطوه الأولى في شأن علاقتها بآسية.. تذكر أيضاً بأن تصرفاتهن مؤخراً كانت غريبة لكنه لم يهتم لهذا بسبب انشغاله بالخطبة التي كان يعدها مسبقاً..

على كل حال لقد أنتهى الأمر ولم يعد التفكير في الأمر أمراً هاماً.. لقد أنتهت علاقتهم.. أنتهت دون أن يعلم سبب رفضها.. حتى أنه لم يهتم ليعلم سبب رفضها.. لم يعد الأمر مهمًا بالمرة.. لقد أنتهى كل شيء..

حينها قرر ولأول مرة في حياته أن يكتب مذكرات خاصة به.. ستكون بدايتها سيئة.. لكن لا يهم طالما أنه سيفصح للورق عما بداخله، لقد رأى أن الكتابة هي ملجأه الوحيد الآن للهروب من واقعه..

مذكرات عمر..

" كانت ملكةً على عرش قلبي.. فلم يعجبه القدر ذلك وقرر أن يثور علينا ويفرق بيننا ويعزلها عن عرشها..، وكأنني مثل الجميع لابد وأن أحظى بقصة حب أولى في حياته وتفشل.. كنت أظن بأنه يمكنني تغيير هذه القاعدة

لكن ما حدث هو أنني كالجميع.. فشلت أيضًا، سأحاول نسيانها رغم معرفتي أنني لن أستطيع ذلك.. لن أستطيع لأنها كانت مصدر سعادتي.. سعادتي أرتبطت بوجودها في حياتي..

برحيلها.. رحل كل ما هو جميلٌ في حياتي.. أصبحت حبيس نفسي فقط، لقد رحلت بعدما سرقت مني مفتاح سعادتي.. لقد سرقت نفسها مني..

هل بذلك يحاول طرد़ها من أفكاره.. !، لا لا.. هي من نوع الضيف التفيلي الذي لا يخرج حتى لو لمحت له بطرده، لا يظن بأن فكرة المذكرات تلك جيدة.. لقد كان يفكر في طريقة للتخلص من التفكير.. لكنه لم يفلح..

كانت أيامه مضطربة وعادت علاقته السيئة مع أخيه أدهم، امتحانات آخر العام قد أقتربت وهو قد عاد لأهماله كل شيء تقريبًا.. أصبح أما حبيس غرفته أو في المقهي وحيدًا أو معه أحمد ..

رن هاتفه أثناء وجوده بالمقهي، صديقه أحمد.. لا يريد سماع مواساةً منه، رن هاتفه مرةً أخرى..

### • أحمد .. كيف حالك ؟!

كان يستمع له بتركيز، قطب عمر حاجبيه من غرابة ما يسمع، بدأ يدرك الأمر كله..

• بالطبع هذا منطقي.. كيف لم نفكر في هذا من قبل ؟!، حسنًا لنتقابل غدًا..

أغلق عمر هاتفه وهو يفكر بالأمر.. كان هذا منطقياً، لقد علم سبب رفض آسية له .. !

ليس هناك أسوء من أن يظن أحدهم أنك سبباً كنت أنت بالنسبة له كل ما يملك..، قضت أيامها الأخيرة وهي تعاتب نفسها.. تُعذّب ضميرها.. لماذا لم تخبره بالحقيقة كاملة؟! لماذا أكتفت برفضه فقط؟!، تلعن حظها دائماً.. لا تعرف لماذا اختار القدر أن يكون توقيت اعتراف عمر بحبه لها هو نفس التوقيت للأمر الذي حدث معها.. فكرت كثيراً وتساءلت.. كيف يفكر بها عندما حدث؟! هل يظن أنها كانت تتلاعب به وبمشاعره؟، أم أنه يتفهم بأن هناك سبباً قوياً جعلها تفعل ما فعلت؟!، هي لم تكن بخير حينها.. لاحظت في أيامها الأخيرة أنه كان يتتجنب النظر إليها.. هل بذلك يحاول نسيانها؟! هذا منطقي.. سيحاول نسيانها عندما انتهت علاقتهم بعضهم، لكنها لم تكن تفضل أن ينتهي الأمر بهذه الطريقة..

ولما بلغها التعب أقصاه من التفكير قررت أن تواجهه.. قررت أن تُصحح له ظنه، لابد وأن تخبره بسبب رفضها له.. لعل وعسى يبقى ما حدث بينهما سابقاً في طي الذكريات الجميلة.. أخبرت صديقتها أمانى على عزمها مصارحته وبالطبع أيدت أمانى هذه الخطوة.. لابد أن تواجهه عمر وتصارحه هي بنفسها بكل شيء..

كانت تبحث عنه قبيل محاضرة اليوم.. ترددت على كل الأماكن الذي كان يجلس فيها مؤخراً بعد ما حدث بينهما، رن هاتفها.. كانت صديقتها أمانى تخبرها بمكان عمر بعد أن أخبرها أحمد سراً دون أن يعلم عمر.. توجهت لمبنى الكلية الشرقي وصعدت للطابق الرابع.. لقد رأته من بعيد هو وصديقه أحمد.. كانوا يسيران ببطء، أسرعت لتلحق بهما في آخر الممر..

• عمر..

الافت عمر وأحمد إليها، ظهر أحمد وكأنه قد تفاجأ بالأمر فقرر أن يتركهما ليتحدىا بمفردhem، نادت عليه وهي تتوقع أنه سيلحق بأحمد ويتجاهلهما، لكنه لم يفعل.. ظل واقفاً مبعداً نظراته عنها.. أصابها التوتر فجأة، رغم أنها كانت تستعد لمواجهته وأخباره بالأمر إلا أن التوتر قد نال منها لأنها كانت تتوقع أنها ستتعاني في جعله يفهم الأمر منها.. لكن استجابته السريعة تلك تؤكّد لها بأن عمر ما زال يبحث عن السبب، سارت بضع خطواتٍ نحوه إلى أن وقفت أمامه ..

● عمر، أريد التحدث معك قليلاً.. أيمكنني هذا؟!

لاحظت فتور عينه عنها كعادة الأيام الأخيرة، رد عليها بجفاء ..

● لقد وقفت لأسمعك ..

● لمعرفة سبب ما حدث، أليس كذلك؟!

أجاب عليها عمر بنظرة صامتة هي الأولى له منذ فترة طويلة.. نظرة مفادها أنه يرغب لمعرفة السبب، أكملت هي  
كلامها ..

● أكاد أجزم بأنه ليس هناك فتاة بالعالم تملك عقلاً وترفضك لو تقدّمت لخطبة أحداً هن..، بل جماعنا كفتيات  
ترغبن بمثل شخصيتك هذه.. جماعنا نرحب بشابٍ ذو خلق ليرتبط بنا ونكون له شريكًا في الحياة، شابٌ ليس  
كالبالية ممن يملكون قلوبًا تسع لكل فتيات العالم.. إلا أنا..

نظر إليها عمر قاطبًا حاجبيه.. يتعجب من استثناء نفسها.. أكملت هي ..

● إلا أنا ممن يمتلكن أباءً يرغموهن على زواج أحد عينه ولا يأبوا لأرائهم..

ساد الصمت للحظات ثم أستطردت حديثها ..

● أنت دائمًا ما تعرف أخبار ومعلومات عنِّي لا أعلم كيف تصلُّ إليك.. بالتأكيد تعرف كيف تكون شخصية أبي ..

..

لحظات أخرى ساد فيها الصمت، أبعد عمر نظره ليستجمع أفكاره، تكلم أخيراً ..

● أعلم ذلك.. أعلم بشخصيته الصعبة.. أعلم أنه قد فرض عليك الزواج بأبن عمك لأنَّه من تقاليد عائلتكم  
زواج الأقارب فقط، أعلم كذلك أنك ضعيفة لا تقوى على مواجهته أو رفض هذه الزيجة.. أعلم أنه لو بيديك الأمر  
لرفضي الأمر كله

تابعه في دهشة.. يعلم أيضًا ظروفها.. فرحت لأنها أخيراً علمت بأنه لم يظن بها سوءًا، أما هو ففتح له الفرصة ليخبرها بآخر ما تمنى قلبه أن يخبرها قبل أن يخرجها من حساباته..

● أنا حزين فقط لأنك الوحيدة التي سكنت قلبي وعاليًا معاً، بل الوحيدة التي أحببتها، لقد أنهت الأمور على نحوٍ سئٍ..

رغم ألم ما يقوله في قلبها إلا أنها أبتسمت.. أبتسمت لأنه لم يظن بها سوءًا..

● أنت رائع كالعادة يا عمر..

هذا عمر رأسه متفهمًا ثم أكمل هو..

● دائمًا ما كنت أتمنى لك السعادة.. معي أو بدوني، ستظلين الأجمل بالنسبة لي..

بدأت الدموع تتسلل من عينيها.. كانت تتمني مثل هذا الكلام في ظروف أفضل من هذه، لكن تسير الرياح بما لا تشتهي السفن، ظهرت أبتسامة الندم عليها..

● من سعيدة الحظ تلك التي ستحظى بك يومًا ما؟!، لابد وأنها ستكون أسعد فتاةً بالعالم، بالتأكيد سأحسدها

...

سادت لحظات الصراحة بينهما، في هذه المرة كان عمر يفرغ ما كان في قلبه، يعلم أنها المقابلة الأخيرة.. لذلك عليه التحدث بما أراد التحدث به دومًا..

● لن أبحث عن مغامرة جديدة، لقد أكفيت.. أعرف قلبي جيدًا.. سيرفض قبول غيرك.. لقد ورطني بك وسيرفض الرحيل معي.. سينحاز لك لأنه لا يؤمن بعاداتِ أو تقاليد.. سيذكرني بك دائمًا.. أنه يعرف أنه أحبك أنتي فقط.. في النهاية الأمر سيكون زواجاً تقليدياً لي.. بدون ذلك القلب..

حاولت آسيبة تماليك نفسها من الأنهايار.. دموعها تهرب منها وهي تحاول السيطرة عليها..

● لم يخب ظني بك أبداً يا عمر.. شكرًا لك على كل شيء.. كنت قلقة من أنك تظن بي سوءاً، لكن الأمر غير ذلك.. كالعادة تفاجئني.. على كل حال أتمنى لك التوفيق في حياتك..

كانت تهم بالرحيل إلا أن بدا على عمر أنه سيتكلّم، نظر إليها عمر ...

● أيمكنني أن أطلب شيئاً آخر؟!

بدا عليها السعادة والأهتمام معاً..

● بالطبع يمكنك ذلك..

أبعد عمر نظره والتفت بنصف جسده وكأنه سيختتم بكلامه ثم يرحل..

● أرجوكِ ساعدبني على نسيانِك، دعينا نتعامل كأصدقاء لا أكثر على الأقل حتى تنتهي تلك الأيام المتبقية لنا في الجامعة ..!

رحل عمر بعيداً عنها تاركاً آسية خلفه منكسرة، أراد أن يختتم بكلماتٍ فاسية لتجد هي مبرراً لنسianne كذلك..

أحياناً لا يجدي استخدام القوة نفعاً لهزيم العدو..، عندما يكون عدوك بالغ القوة فإن ما يحتاجه لисقط هو عدة ضربات ضعيفة في مكان ما بجسمه، حينها سيجد العدو نفسه متالماً وضعيفاً بهذا الجزء من جسمه بالذات..سينهار تدريجياً، وبذلك تكون أنت من قد شكلت نقطة قوة لك بنفسك.. أو بمعنى آخر.. لقد أضعفت عدوك، الذكاء والعقل هما من ينتصران في النهاية..

كان هذا التوفيق مثالياً لها لتوجيه ضربتها التي ربما تكون قاضية.. جعلها تختفي عن الساحة الإعلامية قبيل تخرجها بفترة حتى ما أن تخرجت بعد عدة شهور لن تجد تلك العروض الأجنبية التي كانت تتلقاها وتكتفي بالحلم فقط بالعمل هنا في القناة معها.. ستكون مُجبرة على العمل هنا دون تكُّر ..

كانت شيرين تشعر بنشوة الانتصار أخيراً على ماريـان.. لقد استغلت حالة ثروت المرضية ومنعها من تغطية الانتخابات، لقد نسي الجميع ماريـان، كانوا يعتادون رؤيتها في الأحداث الهامة لكن الآن لا..

وصلت المحطة باكراً، لم يقم أحدـهم بألقاء التحية لها.. كانوا يتظاهرون بأنـهم مشغولـون، توجهـت لمكتـبـها مباشرةً.. أسترـخت قليلاً ثم رفـعت سمـاعةـ الهاتف لـطلبـ قـهـوـتهاـ، لـاحـظـت وجودـ ورقةـ ماـ عـلـىـ مـكـتبـهاـ.. تـناـولـتـهاـ وـقـرـأتـ ماـ فـيهـاـ، قـطـبتـ حاجـبيـهاـ فـيـ تعـجـبـ مـاـ تـقـرـأـ..، رـفـعتـ سمـاعةـ الـهـاتـفـ مـرـةـ أـخـرىـ ..

● أخبرـ ماريـانـ بـأنـيـ أـنـظـرـهـاـ فـيـ مـكـتبـيـ..

أغلـقتـ الـهـاتـفـ وـأـنـظـرـتـ قـدـومـ مـارـيانـ ...

\*\*\*\*\*

الجميع أستقبلـ مـاريـانـ بـحـفاـوةـ بـعـدـ غـيـابـ عـلـىـ غـيـرـ عـادـتهاـ.. الجميعـ أـيـضاـ يـدـوـ مـسـتـأـ بـقـرـارـ مـاريـانـ، الجميعـ عـلـمـ بـأنـهاـ قـدـمـتـ أـسـتـقـالـتهاـ صـبـاحـ الـيـوـمـ وـهـيـ مـوـضـوـعـةـ عـلـىـ مـكـتبـ شـيرـينـ تـنـتـظـرـ توـقـيـعـهاـ، الجميعـ يـظـنـ بـأنـ شـيرـينـ لـنـ تـرـدـ لـحـظـةـ وـاحـدةـ فـيـ قـبـولـ أـسـتـقـالـةـ مـاريـانـ..

بعد أن رحبت بالجميع.. جلست مع هيثم الذي كان أكثر المستائين برحيلها ..

● سفيفنقدك يا ماريـان ..

بدا عليها الأستياء هي الأخرى بسبب استيائه ..

● أنا أيضًا سأفتقد العمل معك يا هيثم.. أعلم بأنه قرار صعب لكن كان لابد من اتخاذـه.. لكنني أعدك بأنني  
سأعود ..

أبتسـم بعـدما سـمع وعدـها، يـعلم أن ماريـان لا تـخلـف وـعـدـا ..

● و أنا سـأـنتـظـر وـعـدـك هـذـا يا مـاريـ..

قاطـعـتـهمـا أحـدـاهـنـ ..

● مـاريـان.. الأـسـتـاذـةـ شـيرـينـ تـنـتـظـرـكـ فـيـ مـكـتبـهاـ ..

الـسـفـتـ لـهـيـثـمـ مـرـةـ أـخـرىـ بـأـبـتـسـامـةـ مـفـادـهـ أـنـهـاـ لـابـدـ أـنـ تـرـحـلـ الـآنـ، صـافـحتـهـ بـودـاعـ ثـمـ تـوـجـهـتـ لـمـكـتبـ شـيرـينـ ..

طـرـقـتـ الـبـابـ ثـمـ أـذـنـ لـهـاـ بـالـدـخـولـ ..

● مـاريـانـ؟ـ!ـ صـبـاحـ الـخـيـرـ ..

● صـبـاحـ الـخـيـرـ ..

جلـسـتـ قـبـالـةـ شـيرـينـ، التـغـتـتـ شـيرـينـ مـنـ وـرـاءـ مـكـتبـهاـ لـتـجـلـسـ أـمـامـ مـاريـانـ ..

● أـخـبـرـيـنـيـ أـذـنـ..ـ ماـ هـذـهـ؟ـ!

مـدـتـ شـيرـينـ إـلـيـهـاـ وـرـقـةـ، أـكـتـفـتـ مـاريـانـ بـالـنـظـرـ إـلـيـهـاـ فـقـطـ ..

● هـذـهـ أـسـتـقـالـتـيـ ..

● وـ لـمـاـذـاـ يـاـ مـاريـانـ؟ـ!

● لـيـسـ لـيـ مـكـانـ هـنـاـ يـاـ شـيرـينـ ..

● أهذا له علاقة بعدم نفعية الانتخابات البرلمانية؟!

● ليس هذا فقط ياشيرين، لقد رفعت الراية البيضاء أمامك.. أنا أستسلم..

أرتسمت أبتسامة على وجهها لاحظتها ماريان لكنها لم تعقب، مالت ناحيتها شيرين ..

● ماريان.. عليك أن تفهمي الأمر جيداً، الأمر لا يتعلق بحرب بينما كي تستسلمين.. كل ما في الأمر أنك مازلت طالبة وتعلمين أنك تزاولين المهنة دون ترخيص ولا تملكين حقوق الصحفيين لو تعرضتي لأزمة ما.. الجميع يعلم أن عملك هو من يقوم بحمايتك، الأمر الثاني يا ماريان هو أن هناك من يريد أن يأخذ فرصته ليبرهن على موهبته لكن ما يُعيقهم هو وجودك يا ماريان.. وأظن بأن الأولوية ستكون لهم بالطبع ..

لم تبدِي ماريان اهتماماً بكلامها..

● حسناًوها هي استقالتي أمامك يا شيرين..

تناولت شيرين قلمها ووَقَعَتْ على موافقتها على استقالة ماريان ..

● عليكِ أن توضحي الأمر لعمك يا ماريان، سيظن أنني أنا من قمت بطردك من المحطة ..

أخذت ماريا استقالتها من شيرين ثم قامت وتوجهت للخروج ..

● لا تقلقي يا شيرين.. عمي هو من أخبرني بأنني لابد وأن أستقيل أولاً من العمل هنا كي أستطيع العمل هناك، هذا شرطهم بالطبع..

قطبت شيرين حاجبيها لا تفهم شيئاً..

● ماذا تقصددين بالعمل هناك؟!

ظهرت ماريان وكأنها تفاجئت بسبب عدم معرفة شيرين بالأمر، كانت السخرية واضحة جداً في وجهها..

● ألا تعلمين بالأمر يا شيرين؟!، كيف يعقل أن جميع من يعمل هنا يعلم بالأمر وأنتي لا؟!

أمالت شيرين رأسها في عدم فهم، نظراتها تعني أن تسأل ماريان بصمت.. ما هذا الذي لا أعرفه؟!، أكملت ماريان عندما رأت ملامح وجهها..

● لقد قُبِّلت بعرض الا" BBC " يا شيرين.. !، وبعدما أنهى دراستي في الجامعة بعد شهرين سألتني للعمل هناك ..

حدّقت بها شيرين غير مصدقة لما تسمعه، وكأن لسان حالها كيف ومتى حدث هذا؟!، أكملت ماريانت ..

● لا أعلم كيف أشكرك يا شيرين؟!، كتبت أنتي السبب في هذا.. !، أختفائي أثار العديد من التساؤلات، شرحت الأسباب فكانت فرصة مثالية للتعاقد معها، استمعت لكل العروض وأخترت أفضلهم بالطبع، بالطبع أنتي لم تقصدني أن يحدث كل هذا ولكن سرت الأمور عكس ما كنتي تخططين له ..

مازالت شيرين غارقةً في صدمتها، أكملت ماريانت ..

● كان عمي سيُوقَع بنفسه إلا أنني فضلت أن أشكرك بطريقتي الخاصة ..  
نظرت ماريانت في ساعتها لتُهُم بالرحيل ..

● لقد تأخرت الآن لابد وأن أخبرهم بأنني أستقلت رسميًا من هنا..  
أرتسمت ابتسامة على وجهها..

● ثم سأله بياني على صفحتي على الفيس بوك أعرب فيه عن شكري لكِ يا شيرين، لا تنسى أن تمني لي مزيداً من التوفيق رجاءً..

خرجت ماريانت ومازالت شيرين غارقةً في صدمتها.. لقد جعلت ماريانت تنتصر في النهاية بطريقهً ما عكس ما كانت تخطط له..

للمفاجأة نوعان أما أن تكون سارة وسعيدة تلك التي يتمناها الجميع أو تكون سيئة وحينها فقط تُسمى صدمة.. تلك الصدمة كفيلة أحياناً بتحويل أحدهم من شخص ساذج آمن بخياله المريض الذي يوحي له بأن الدنيا ستبتسم له دائماً إلى ذلك الشخص الذي نضح عقله وعلمه أن يتوقع الأسوأ قبل الأفضل وأن يكون حذراً في كل خطوة يخطوها بحياته.. السعيدة منها فقط سميت بأسمها "مفاجأة" والسيئة أرتبطت باسم آخر.. "صدمة" ..

تساءل في نفسه.. من أين جاء بذلك الجفاء الذي ظهر به أمام آسية؟!، منذ أسابيع فقط كان يخطط للتخلص من خجله عندما يحادثها في موضوع أرتباطهم بعض، لكن ما حدث له مؤخراً كان كفياً لأن طباعه تتغير فجأة..

مرت أيام منذ آخر مرة رأى فيها آسية.. كان يتتجنب رؤيتها ولو صدفة.. يحاول محوها من ذاكرته ولو بدا هذا مستحيلاً.. كان يريد أن تمر أيامه في الجامعة سريعة حتى لا يراها مجدداً.. ليس لأنه يكرهها.. لا لا.. يريد فقط نسيان ما كان جميلاً بينهما ذات يوم.. كان يحاول دخول مبني الكلية من باب آخر غير الرئيسي والجلوس في أماكن بعيدة عن الأنظار.. كل هذا لتمر تلك الأيام سريعة وليتها تمر هذه المرة..

وصل أحمد وعمر للكلية هذا الصباح وكان يسرعان لحضور المحاضرة الأخيرة لهم قبل امتحانات آخر العام وكعادة الأيام الأخيرة الماضية فضل الدخول من باب آخر، وبدلًا من أن يصعدا لمكان المحاضرة وقف عمر فجأة..

● أحمد.. أصعد أنت للمحاضرة وأنا سألحق بك..

قطب أحمد حاجبيه في استغراب..

● الآن؟!، ولكن..

قاطعه عمر ...

● لن أتأخر يا أحمد.. سأمضي هذه الأستمارة من مكتب شئون الطلاب وسألحق بك..

هز أحمد كتفيه وصعد بسرعة ليلحق بالمحاضرة..

وصل أحمد للطابق الرابع حيث القاعة التي ستحضر المحاضرة الأخيرة.. في نفس الوقت الذي كانت آسية وأمانى تنزلان من الطابق الخامس في طريقهن للقاعة.. أحمد لاحظ أن أستاذ المادة قد دخل القاعة وأغلق الباب ورائه.. أسرع ورائه وكان سيطرق الباب ليستأذن بالدخول لكنه سمع صراخ أحداهن فجأة بالقرب من القاعة

فقدت آسية توازتها وهي تنزل الدرج وسقطت من أعلى الدرج حتى أصطدم رأسها بحافة آخر درجة في السلم.. صرخت أمانى ونزلت الدرج بسرعة للأطمئنان على صديقتها التي وضعت يديها على رأسها متألمة بدون أن تصدر صوتاً.. أسرع أحمد باتجاه الصوت الذي صرخ فوجد في نهاية الممر عند مدخله أمانى وهي تحاول أن تستغيث بأحدهم لأنقاذ آسية..

صرخت أمانى عندما وجدت أحمد..

● أحمد.. أنقذني أرجوك.. آسية لا تتنطق..

كان شعور أحمد حينها لحظي.. كان يريد أن يظهر عمر الآن ويرى ما حدث لكن صراخ وبكاء أمانى جعله يصحو من غفلته.. حمل آسية على يديه ودخل بها المصعد وتبعته أمانى لينزلان بآسية للوحدة الطبية بالكلية..

في اللحظة ذاتها التي دخل فيها أحمد وأمانى المصعد كان عمر قد وصل للطابق الرابع من على درج السلم.. تنهد عندما علم بأن المحاضرة قد بدأت بالفعل.. طرق الباب وأذن له الدكتور بالدخول، حال بنظره وسط أصدقائه باحثاً عن أحمد لكنه لم يجده.. وسع مجال بحثه للقاعة كلها فلم يجده أيضاً، لاحظ أيضاً عدم وجود أمانى أو آسية، لقد رجح في عقله أنه ربما فضل أحمد مقابلة أمانى عن حضور المحاضرة الأخيرة أما آسية ففضلت هي الأخرى عدم الحضور..

أنتهت المحاضرة الأخيرة وغادر عمر القاعة مع زملائه.. أخرج هاتفه ليتصل بأحمد فوجد أن هناك ما يزيد عن العشرين مكالمة فائتة جميعها من أحمد.. لم يسمع رنين هاتفه لأنه كان صامتاً، اتصل به .. رد أحمد وصوته يبدو مضطرباً ...

● عمر.. أين أنت الآن؟!

رد عليه عمر ...

● لقد أنتهت المحاضرة الآن لكن لماذا ...

قاطعه أحمد في أضطراب ...

● عمر.. تعالى بسرعة لمستشفى سوهاج العام.. آسية في خطر..

صُدم عمر.. فقد النطق وزادت ضربات قلبه، حاول أن يظهر صوته لأحمد ...

● خطر؟!، ماذا حدث يا أحمد؟!

حاول أحمد أن يتصنع الهدوء في صوته..

● سترعرف كل شيء لاحقاً يا عمر، تعالى لهنا وستعرف كل شيء..

أغلق عمر الهاتف وأسرع لينزل، خرج من باب الكلية وهو يجري بسرعة، عقله يعمل بسرعة ويفترض أحداث تمت أو ستتم، لقد نسي ذلك العاشق تكبره وعناده وظهرت حقيقته التي حاول نسيانها .. ، عشقه وحبه لآسية..

كان يظن أنه يحاول نسيانها.. كان يفكر في كيفية نسيانها، سخر من نفسه.. محاولة نسيانها هي بحد ذاتها تفكيرٌ فيها، ولمجرد سماعه فقط بأن آسية في خطر نسيَ أنه كان يحاول نسيانها.. كان عقله يستبق الأحداث ويتوقع الأسواء..

وصل عمر في وقتٍ قياسي.. وقتٍ يستطيع من خلاله أن يتيقن بأنه كان يعيش في أكذوبة تسمى "نسيانها"، عندما وصل للطابق الثالث حيث العناية المركزية كان قد وجد أحمد وأمانى يقفان ويتحدثان والهم بادياً على وجهيهما.. أسرع عمر باتجاههما وعندما وقف أمامهما سألهما ..

● ماذا حدث بالظبط؟!

أنتظر عمر أجابةً من أحدهما لكنه لم يلقى منهما سوى الصمت، تبادل أحمد وأمانى نظراتٍ مقلقة وهذا ما زاد من توتر وعصبية عمر..

● فليخبرني أحدكم ماذا حدث؟!، كيف حال آسية؟!

تكلم أحمد أخيراً ..

● سقطت أمانى من على الدرج في مبني الكلية وأصطدم رأسها بآخر الدرج وأغميَ عليها ..

تنفس عمر الصعداء، أرتاح عقله من تفكيره في الأسواء، لقد ظن أنها على وشك الموت أو حدث لها شيءٌ أسوء من هذا.. التفت لأمانى التي كانت تبكي..

● أمانى.. لا داعي لأن تبكي.. ستكون الأمور بخير.. لا تقلقي ..

التفت أمانى لأحمد وكأنها تقول له أن عمر لا يعلم بشيءٍ، تركتهما وأبتعدت عنهما، لقد فهم عمر من نظرتها تلك لأحمد أن هناك شيءٌ ما لا يعلمه ..

● أَحْمَد.. مَا الَّذِي يَجْرِي هُنَا وَلَا أَعْلَمُه؟!، لِمَاذَا تَبْكِي أَمَانِي هَكَذَا؟!

نَكْسَ أَحْمَدَ رَأْسَهُ لَشَوَانِي، كَانَ يَحَاوِلُ أَنْ يَقُولَهَا بِلَطْفٍ لَهُ..

● بَعْدَ أَنْ أَصْطَدَمْ رَأْسَهَا بَآخِرِ الدَّرَجِ تَأْلَمَتْ قَلِيلًا ثُمَّ أَغْمَى عَلَيْهَا، أَسْرَعَتْ بِهَا لِلْوَحْدَةِ الطَّبِيَّةِ بِالْكَلِيَّةِ وَهُنَاكَ اتَّصَلُوا بِالْأَسْعَافِ، وَصَلَنَا هُنَا فِي غَضْوَنِ رَبِيعِ سَاعَةٍ تَقْرِيَّبًا، وَبَعْدَ أَنْ قَامَ الطَّبِيبُ بِفَحْصِهَا أَخْبَرَنَا أَنَّ أَغْمَائَهَا هَذَا قَدْ يَطُولُ بَعْضَ الشَّيْءِ وَ..

تَوَقَّفَ فَجَأًةً عَنِ الْكَلَامِ مَا جَعَلَ عَمْرَ يَقْطُبَ حَاجِبِيهِ انتَظَارًا لِتَكْمِلَةِ كَلَامِهِ، أَكْمَلَ أَحْمَدَ وَهُوَ يَحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يَقُولَهَا بِلَطْفٍ لَكَنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ ..

● وَلَقَدْ أُصْبِيَتْ آسِيَّةُ بِالشَّلَلِ ..

نَزَلَ الْخَبَرُ كَالصَّاعِقَةِ عَلَى عَمْرٍ، لَا يَعْلَمُ كُمْ مَضِيَّ مِنَ الْوَقْتِ وَهُوَ يَحْدِقُ لَهُ غَارِقًا فِي صَدْمَتِهِ، شِعْرٌ بِبَرُودٍ يَسْرِي بِجَسَدِهِ، لَمْ تَتَحْمِلْهُ قَدْمَاهُ فَجَلَسَ بِالْمَقَاعِدِ التِّي كَانَتْ خَلْفَهُ، حَاوَلَ أَسْتِيعَابَ الْأَمْرِ، جَلَسَ أَحْمَدَ بِجَانِبِهِ وَأَرْبَتَ عَلَى كَتْفَهُ مَحَاوِلاً تَهْدِئَتِهِ ..

الْتَفَتَ عَمْرٌ نَاحِيَّةَ آسِيَّةِ أَمَانِيِّ التِّي وَقَفَتْ بَعِيدًا أَمَامَ أَحَدِيِّ الْغُرْفَةِ، تَوَجَّهَ نَحْوَهَا وَتَبَعَهُ أَحْمَدُ، وَعِنْدَمَا أَقْتَرَبَا كَلَاهُمَا مِنَ الْغُرْفَةِ تَقَفَّ أَمَامَهَا آسِيَّةُ خَرَجَتْ مِنْهَا امْرَأَةٌ تَبَدوُ فِي الْخَمْسِينِ مِنْ عَمْرِهَا، الْتَفَتَ عَمْرٌ لِأَحَمْدِ فَهَزَ أَحْمَدُ رَأْسَهُ أَيْجَابًا.. لَقَدْ فَهِمَ عَمْرٌ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ وَالدُّتْهَا..

لَقَدْ لَاحَظَتْ وَالْدَةُ آسِيَّةُ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَتَى لِتَوَهِ، عَنْدَمَا وَصَلَتْ لِلْمَسْتَشْفِيِّ بِنَاءً عَلَى اِتَّصَالِ أَمَانِيِّ بِهَا لَمْ تَجِدْ سُوَى أَحْمَدَ الَّذِي حَاوَلَ أَنْقَادَ أُبْنِتِهَا آسِيَّةَ، لَكِنَّهَا تَعْرَفُ هُوَيْتِهِ.. لَاحَظَتْ الْوَجْوُمَ عَلَى وَجْهِهِ.. لَابَدُ وَأَنْ يَكُونَ هَذَا عَمْرُ..

تَقْدَمَ عَمْرٌ وَصَافَحَ وَالْدَةَ آسِيَّةَ، ثُمَّ فَاجَأَتْهُ بِسُؤَالٍ لَمْ يَتَوَقَّعْهُ ..

● أَنْتَ عَمْرُ، أَلِيَّسْ كَذَلِكَ؟!

أكتفى عمر بهز رأسه أيجاباً فقط محدقاً بها، لقد لمحت هي في عينيه نظرة تساؤل.. كيف عرفته؟!، التفتت نحو الواجهة الزجاجية لعرفة أبنتها لترى أبنتها ممددة وبيدو على وجهها الألم وهي في عالم آخر، أبتسمت بحزن وألم..

● دائمًا ما كانت تحكي لي أسرارها وكانت أنت أحد أسرارها يا عمر.. لذلك لا تتعجب من معرفتي لك..  
لقد كان الحزن بادياً على وجهه، كان أول من فكر في كيفية إخبار آسية بعجزها هذا.. !

طلت الأمور على حالها أسبوع كامل، أسبوع ظلت فيه آسية في عالمها الخاص مغشيةً عليها، أحمد وأمانى وعمر يترددون يومياً على المستشفى للأطمئنان عليها لعل وعسى أن تستفيق من غيبوبتها وتتدارك ما فاتها من الامتحانات العملية..

لقد عاد أخيها يوسف من سفره فور سماعه بالحادثة التي تعرضت لها آسية.. كذلك والدها الذي كان يتربّد عليها كلما سُنحت له الفرصة، أما ابن عمها فقد زارها مرّةً وحيدة كان لا يجدو عليه علامات التأثر أو القلق بتلك الحادثة التي تعرضت لها شخصيةً في حياته من المفترض أنها تكون خطيبته!! لكنه بعد هذه الزيارة اليتيمة كان يكتفي بالاتصال فقط..

كعادة الأيام الأخيرة ترددوا جمِيعاً على المستشفى بعدما أدوا الامتحان العملي الأخير.. عمر وأحمد كانوا يجلسان خارج الغرفة كالعادة.. والدة آسية وأمانى تجلسان مع آسية في الغرفة

تحرّكت أخيراً.. تدريجياً عادت آسية لواقعها بعد غيابٍ عن وعيها لأيام.. أحضرتها والدتها في الوقت التي خرجت أمانى فيه من الغرفة لتُبشر عمر وأحمد بالخبر، لا أرادياً قفزا كلاهما من مكانهما ولكن فجأة توقف عمر وأمسك بذراع أحمد يستوقفه مما أثار دهشته.. سأله أحمد..

● مَاذَا؟!

توقف أحمد في مكانه وهو يتعجب من قرار عمر بعدم تفضيله للدخول الآن، متى الوقت المناسب برأيه؟!

أما في الداخل فكانت المشاعر مختلطة ما بين الفرحة بـاستفاقة آسية وما بين القلق والترقب في اللحظات القادمة.. كيف ستستقبل خبر عجزها؟!

كانت والدتها تحتضنها والدموع تنهمر منها فرحة..

● حمدًا لله على سلامتك يا حبيبي ..!

كادت آسية أن تخنق لكنها كانت تحمل ..

• الحمد لله يا أمي، أنا بخير..

قالتها في أنهاكِ واضح ثم نظرت لأمانى والتي حضنها بشدة أكثر من والدتها، دمعت عينيها بعيداً عن نظر آسية، حاولت طرد دموعها بسرعة بمزاحها معها..

• أفتقدناكِ يا غبية، حمداً لله على سلامتكِ..

• شكرًا يا صديقة الغبية، هل يمكنني التنفس قليلاً؟!

أفلست آسية نفسها من أمانى بحركة مزاحية، أسندت ظهرها للوراء في أنهاكِ واضح..

• منذ متى وأنا هنا لكي تكون هذه الفرحة بأعينكم؟!

ظهر بخاطر أمانى فجأة عدم وجود عمر في الغرفة.. رغم أنها أبلغتهم بذلك، لكنها أدركت ما قرره عمر.. هذا ليس الوقت المناسب فعلًا لدخوله أو الظهور أمامها.. اللحظات القادمة ستكون صعبة خاصةً مع وجوده هنا ..!

أجابتها والدتها بعد أو وضعت يدها على شعر ابنتها..

• هذا اختبارٌ من الله علينا أجتيازه، لا داعي للقلق يا آسية ..!

تعجبت آسية من كلام والدتها.. ماذا تقصد بختبار الله؟!، لاحظت أمانى تعجبها فأجابتها نيابةً عن والدتها..

• أنتي هنا منذ أسبوع وستخرجين حالما تتحسن حالتكِ..

صُدمت آسية مما سمعته، عملت على القيام من سريرها لكنها لم تستطع.. أستوقفها جسدها فجأة.. تعجبت لأنها غير قادرة على التحرك لكنها ظنت أنها قد تكون مازالت مجدهدة.. في هذه اللحظة نظرت أمانى ووالدة آسية لبعضهما في توجس.. لحظة الحقيقة ستكون قاسية على الجميع هنا..

زفرت آسية وفكت بصوتٍ مسموع..

● قد فاتتني الامتحانات العملية وبالطبع لن أستطيع اللحاق بأول مادتين على الأقل.. سنة أخرى في تلك الكلية الملعونة؟!، ماذا فعلت يا رب ليكون حظي هكذا؟!!  
دخل الطبيب بعد أن علم بأنها بخير..

● أذن ما سمعته صحيحًا.. لقد تخلصت المهندسة آسية من غيبوتها أخيرًا..  
تهدت آسية ورددت عليه في حسرة..

● نعم تخلصت من الغيبة ولم أتخلص من الدراسة في تلك الجامعة، لقد فاتتني الامتحانات يا رب ..!  
التفت آسية للطبيب لتسأله..

● هل يمكنني اللحاق بامتحانات آخر العام؟!، أريد الخروج من هنا بسرعة رجاءً..  
مع أنني كنتُ أفضل مكوثك هنا لوقتٍ أطول لمتابعة حالتك إلا أنني سأسمح لك بالخروج الليلة، ولكن في حسبائك أننا سنبدأ علاجك قريباً، وبصراحة أسرني كثيراً تلك الأبتسامة على وجهك يا آسية.. قليلون فقط من يقابلون عجزهم بأبتسامة هكذا.. سيسهل هذا من علاجك بالتأكيد ..!

جملته الأخيرة تلك كانت كافية بشرح سبب الصمت الذي ساد المكان فجأة! ما كان يخشاه الجميع قد حدث.. حانت تلك اللحظات الصادمة، لذلك قد يتم سماع دقات قلبهن جمیعاً..

أما آسية فقطبت حاجبيها في عدم فهم.. من هؤلاء الذين يقابلون عجزهم بأبتسامة؟!، وما هذا العلاج ولماذا؟!، منذ أن أستفاقت وهي لم تعلم ماذا حدث أصلاً معها.. سألت الطبيب ..

● ما علاقة ما تقوله بي يا دكتور؟!، وعلاج ماذا الذي سيكون سهلاً؟!  
نظر الطبيب لأمانى ولوالدة آسية..

● لقد ظنت أنكما قد قمتما بأخبارها بشأن عجزها ..!  
لحظة لم تستوعب آسية ما قيل أمامها، ثم جاء بخاطرها عدم قدرتها على تحريك نفسها خاصةً نصفها السفلي.. حاولت تحريك قدميها لكنها لم تستطيع ولم يتحركا.. التفت للطبيب محدقةً به متمنية أن ما يحول

بخاطرها ليس صحيحاً أو أنها قد فهمت الموضوع كله خطأ.. لكن كيف يكون قد فهمت خطأ وقد بدا على والدتها القلق والخوف وكذلك الحال بالنسبة لصديقتها أمانى ؟!، سأله..

● شلل !؟

بدا على الطيب الأسف..

● آسف يا آسية، ظننت أنك تعلمين بهذا..

لم تشعر بشيء بعدها.. لقد سافر عقلها بعيداً، أرتمت على ظهرها تحدق بالسقف في شرود.. بدأت الدموع تغزوها وأنغممت في البكاء بعدها، حاولت أمانى تهدئتها لكنها لم تحمل صدمتها وأغمي عليها مرة أخرى..

عمر وأحمد يراقبان الوضع من خارج الغرفة.. كان عمر حزيناً لما يحدث، لقد أشدق عليها.. تمنى لو يزيح حزنها عنها، تمنى أن يتخلى عنها الجميع ويقف هو فقط بجانبها ..!

كان من المفترض أن تخرج من المستشفى منذ عدة أيام ولكن حالتها النفسية أجبرتها على البقاء لعدة أيام أخرى، لم تصبح آسية تلك الفتاة المبهجة والمرحة والمشاكسة.. أصبحت يائسة وحزينة بل وصل الأمر إلى إنها تعد وتحصي أيامها المتبقية في الحياة.. أصبحت تنتظر أجلها..

أنتهت الامتحانات وأنهت الدراسة معها للجميع باشتاء آسية التي لم يهمها الأمر على الأطلاق فهي لم تعد تهتم لأمر تلك الحياة بعد ماحدث لها.. سافر أخوها للعمل في الخليج، ولم ترى ابن عمها قد زارها ليطمئن عليها ولو مرة بل يكتفي فقط برسال أمنياته بالشفاء لها !، أبيها منشغل دائمًا في عمله وقد يمر أيام دون زيارتها.. أما والدتها وأمانى فكانتا معها طوال الوقت في غرفة العناية المركزة، أحمد وعمر خارج الغرفة.. أحمد يدخل بين الحين والآخر ليطمئن عليها وكلما دخل أحمد تتذكر آسية عمر وعن تخليه عنها هو الآخر حتى في مثل تلك الظروف، الجميع يعرف ان عمر لم يتخل عنها وانه متواجد منذ بداية الأزمة لكنه لا يستطيع الدخول

بعد ..!

في منتصف الليل تسهر آسية ووالدتها كالعادة يتحدىان معًا لملئ الفراغ فقط ..

● أتعرين يا أمي .. بعد الحادثة التي تعرضت لها لم تعد تهمني حياتي أو أي شيء فيها لكن ما يؤلمني حقًا أن كل من كانوا حولي تركوني الآن.. أخي يوسف سافر ولم يعد يهتم، أبي منشغل دائمًا، حتى ابن عمي لم يزورن ..

تنهدت بعد أن بدأت الدموع تظهر بعينيها ..

● لا أظن أنه سيرتبط بفتاة عاجزة مثلي.. أنتي وأمانى فقط تساندانى، أحياناً أحمد كذلك ..

سكتت للحظة ثم قالت ..

● لا أريد شيئاً من أحد، لا أريد أن يشفع علي أحد ..

قاطعتها أمها وهي ترمي لشيء ما ..

● هناك أحدهم لم يتخلى عنك هو الآخر ..!

نظرت آسية لوالدتها بتعجب قاطعة حاجبيها في شك ...

● ماذا تقصدين ؟!

ردت والدتها وبابتسامة تعلو وجهها لعلها تفهم ما تقصد ..

● بالتأكيد هو من تفكرين به طوال الوقت .. هو أول من جاء بيالك، لم يتخلى عنك لحظة واحدة .. هو الذي فعل ما لم يفعله أبن عمك أو ما يُلقبونه بخطيبك ..!

تساءلت آسية في نفسها .. أيعقل أن يكون هو ؟!، هي تشعر بوجوده لكنها ظنت ذلك لأنها لم تعتاد على فراقه بعد، هل حقاً لم يتخلى عنها هو الآخر ؟!

قاطعت والدتها تفكيرها ..

● عمر معك منذ البداية ولم يتخلى عنك، هو معنا طوال الوقت ولا يغادر المستشفى سوى لتأدية الامتحان أو للراحة من عناء اليوم في البيت، شأنه شأن أماني أو أحمد، لكنه فضل عدم الظهور أمامك الآن.. على الأقل هذه الفترة فقط ..

بذا الأمر طبيعياً بالنسبة لآسية، أحاسيسها منذ البداية كان صادقاً.. عمر لم يتخلى عنها لكنه لا يريد الظهور الآن بسبب ما حصل في آخر حديث بينهما

أنصتت لباقي حديث والدتها ..

● تحدّثنا في وقتٍ أنتي كنتي نائمةً حينها، كان يلوم نفسه لأنه قرر ذات يوم أن يتبع وحاول نسيانك بالرغم أنه يعلم جيداً أنه قد تم خطبك.. لقد وقف بجانبك في الوقت الذي أنشغل فيه البعض بحياته فقط..

أسندت آسية ظهرها للوراء وحذقت بالسقف.. كانت تفكر في كلام والدتها.. كانت تفكر في عمر.. تسأله.. لماذا لم يتخلى عنها هو الآخر ؟!، لم تعلم ماذا تريد أصلاً.. أن يتخلى عنها ويكون هو كغيره أم أن لا يخل

عنها وبذلك سيكون واضحًا أنه يُشفق عليها.. لا تعلم كم من الوقت مر لكي تجد أن والدتها قد نامت بجانبها، هي أيضًا قد أرهقتها التفكير فنامت..

كان من المفترض أن يكون أول من يدعمها ويقف بجانبها في محنتها لكنه كان أول الراحلين عنها، لم يزورها قط سوى تلك المرة اليتيمة يوم الحادثة التي تعرضت لها ..!، كان هذا في عُرف الجميع أنه قد قر فسخ خطبته بها، بالتأكيد هذا سيؤثر عليها نفسياً.. ليس لأنها تحبه أو شيء هكذا فهي لم تطبقه من الأساس لكن مغزى الرحيل عنها هو من سيشعرها بالعجز الحقيقي..

لذلك كان على الجميع أن لا يسمحوا بأن تتدحر حالتها النفسية، كان هناك من أبدى استعداده التام للوقوف بجانبها حتى شفائها حتى لو بدا هذا صعباً أو مستحيلاً..

كان الجميع يقف خارج الغرفة عدا والدة آسية.. كانوا يخططون لإعداد مفاجأة لآسية بدخول عمر والأطمئنان عليها كأعلان عن عودة العلاقات بينهما.. الجميع يريد أن يجعل آسية تفهم أن عمر ما زال يحبها وأنه مصر على الوقوف بجانبها ومساعدتها عكس من كان يلقبونه بخطيبها هذا الذي لم يهتم بالأمر من الأساس، دخلت أماني غرفة آسية بالمستشفى فيما ظل عمر وأحمد في الخارج يتظارن أشارة أمانى لهم بالدخول، وبمجرد دخول أمانى مبتسمة شعرت آسية بشئ غير طبيعى سيحدث وربما حدثها حشها بأنها سترى عمر اليوم بعد أن حدثتها والدتها عنه بالأمس، جلست أمانى بجانب آسية في الجهة المقابلة لوالدة آسية ونظرت إليها بابتسامه غريبة ..

### • كم ستدفعين لي مقابل أخبارِ سارة؟!

وحيث أن آسية كانت تنتظر خبر واحد جيد منذ الحادثة عدل من وضعيتها على السرير لتجلس وعلى وجهها الترقب، قالت لأمانى بتربق..

### • أرجوكِ.. أنا أستمع ..!

أمسكت بهااتفها قامت بفعل شيء فيه ثم تركته، التفت إليها لتخبرها بالخبر الأول ..

### • أولاً لقد أخبرنا الطبيب بأن حالتِ مستقرة ويمكّنكِ الخروج الليلة..

أرتسنت البهجة على وجه آسية لكنها فكرت للحظة في أنها للمرة الأولى ستواجه العالم بعجزها هذا، لكن ما قطع تفكيرها هو صوت والدتها عندما سالت أمانٍ ..

• و الثاني؟!

• أما ثانياً فهناك من تودين رؤيته ..

التفت الجميع نحو باب الغرفة التي كان يقف عليها عمر وأحمد، دخل أحمد أولاً وألقى التحية وسعادته برؤية آسية بخير لكن الجميع قد لاحظ جمود تعابير وجهها خاصة عندما دخل عمر بالذات.. لم تبدي أي سعادة أو امتعاض حتى.. أما عن عمر كالعادة لم يلحظ هذا لأنه وبكل بساطة كان يخطط لكلامه بعينه سيقوله لها.. وكان يُركز فقط على ألا يفقد منه أي شيء، دخل مبتسمًا ولم يبالى بنظرات آسية الجامدة ..

• بدايةً.. حمداً لله على سلامتك ..

تجاهل عمر عدم ردها على تحيته هذه وأعتبرها أنها خجلت، وهكذا ظن الجميع أيضًا، أكمل عمر كلامه ..

• سمعت بخبر خروجكاليوم، وكنت س ...

• ماذا تريد؟!

قالتها آسية بحدة، للمرة الثانية آسية تقاطع عمر عندما يرتدي كلامته لها، أندھش الجميع من سؤالها المفاجئ هذا.. أرتبك عمر وكان يستعد ليرد عليها لكنه لم تسمح له بأن يتكلم مرة أخرى..

• أنت أكثر من يعلم أنني لن أكون مسؤولة برؤيتك مجددًا في حياتي يا عمر.. فلماذا تظهر مجددًا؟!، جئت لتساعدني أم لأنك قد أشفقت علي؟!

علا صوتها فجأةً بعصبية..

• لا أريد أشقاً من أحد.. سأعيش حياتي المتبقية هكذا إلى أن أرحل ..

الجميع في حالة ذهول مما تقوله آسية.. لا أحد توقع هذا أن يحدث.. أما عمر فلا يمكنني وصف حالته مجدداً، أكملت آسية عتابها بعدما هدأت قليلاً ..

• أذهب يا عمر.. لا تتقمص دور البطل أو الطيب وترتبط بفتاة عاجزة.. نحن هنا ليس في فيلماً رومانسيًّا هندياً.. أذهب وحاول نسياني وعش حياتك طبيعياً وتزوج بفتاة تحبها وتحبك..

أشاحت بنظرها بعيداً عنه..

• أرجوك.. لا أريد مساعدتك أو حتى روحك مجدداً..

أدأر عمر ظهره وخرج مسرعاً مصدوماً.. تبعه أحمد الذي عمل على تهدئته، فيما نظرت أمانى لآسية نظرت عتاب وخرجت مسرعة هي الأخرى لتلحق بعمر لتوضح الأمر له وعندما لحقت به نادته ثم وقفت أمامه..

• عمر..، أعلم أن ما حدث كان غير متوقعاً.. يبدو أنها قمنا بذلك في الوقت الخطأ..، لم يكن عليك أن تظهر لها في بداية أزمتها لكننا جميماً لم ندرك هذه المشكلة، أرجوك ألتمس لها العذر فهي ليست على مايرام وأعلم أنك لو فكرت في الأمر قليلاً فأنك ستدرك حالتها جيداً وتلتمس لها العذر..

ظل عمر صامتاً ولم يتكلم وعندما أدرك أن ليس هناك كلام آخر ستضيفه أمانى تركها وهم بالخروج من المستشفى وتبعه احمد لتهدئته، أما هي فعادت لغرفة آسية مرة أخرى..

بدأ الجميع يتواجد لحضور حفلة التخرج الخاصة بكلية الأعلام، لم يبدأ الحفل رسمياً ولكن لا بأس من بعض الموسيقى الهاوئة حالما يصل كبار ضيوف الليلة من شخصياتٍ جامعية كرئيس جامعة القاهرة ونائبه وأساتذة في كلية الإعلام مثل عميد الكلية وبعض الأساتذة.. أعلاميون وشخصياتٍ عامة مثل المذيعة الشهيرة شيرين عبد النور.. كان منظمو الحفل ينتظرون هؤلاء الضيوف لأحياء الحفل رسمياً..

و عند أكتمال الحضور تقريراً بدأ ضجيج الأغاني أستعداداً لبدء فقرات حفلة الليلة، صعد أحدهم على المنبر لتقديم الحفل..

● بسم الله الرحمن الرحيم " وما توفيقني إلا بالله " صدق الله العظيم ...

أيها السادة الحضور أهلاً ومرحباً بكم في حفل تخرج الدفعة العشرون لكلية الإعلام جامعة القاهرة وخير ما نبدأ به حفلنا هذا الليلة هو بعض آيات كتاب الله عز وجل.. القرآن الكريم..

جاء أحدهم ولعشرة دقائق متواصلة ظل الجميع ينصت لآيات القرآن، مرةً أخرى صعد مُقدم الحفل المببر..

● و لأن حفلنا سيطول هذه الليلة فقد قررنا البدء من الآن..

بدأت الأنوار تنطفئ في القاعة وبدأت الشاشة العملاقة تعرض مشاهد لفتاة ما تمسك ميكروفوناً.. تلتف الكاميرا لتصف أمامها.. ويتم تثبيت الصورة وعرض معلوماتٍ عنها ...

ماريان مجدي.. تحتل المرتبة الأولى بين طلاب الكلية بتقدير أمتياز مع مرتبة الشرف.. تحب العمل الميداني والمغامرة، تعمل في قناة " exclusive news " ، وتعد أصغر مراسلة ميدانية في مصر والشرق الأوسط..

ثم يتم عرض مشاهد متتالية ومقطعة لماريان وهي تعمل كمراسلة ميدانية..

● نحن الآن نقف أمام القصر الرئاسي و...، لكن آخر الأخبار التي وردت ألينا هو أن..، والآن يا شيرين نحن في الطائرة الخاصة بالقوات المسلحة لبغضية تظاهرات اليوم المطالبة ب... .

ثم ظهر صوت مقدم الحفل فجأة مع رجوع الأضواء مرة أخرى للقاعة ..

● نقدم إليكم الآن.. ماريyan مجدي ..

ظهرت ماريyan في آخر القاعة وسط صحب كبير وحفاوةً من الجميع لها.. لقد صنع لها زملائها ممّا خاصاً على الجانبين لتمر هي وسطهم من آخر القاعة حتى وصلت لobar الضيوف.. تسلّمت شهادتها الرمزية ثم وقفت على المنصة لألقاء كلمتها، كان الجميع يعرفها بلا استثناء.. تلك ماريyan التي تظهر في البرامج الخبرية من مختلف الميادين والأحداث في مصر..

سكتت للحظات ثم بدأت كلمتها والسعادة تغمرها وكذلك الخجل وكأنها لأول مرة ستواجه جمهور غفير من الناس..

● النجاح قرار.. ولقد أردت النجاح، ووصلت للقمة وليس معنىوصولي للقمة يعني أنني نجحت، النجاح هو الحفاظ على القمة التي سعيت دائمًا لأعتداتها يومًا.. الأمر لم يقتصر فقط وصولي للقمة.. فما زال الطريق أمامي طويلاً، لذلك مخطئ من يظن أن الوصول للقمة فقط هو النجاح..

تبعد فكرة النجاح فكرةً صائبة.. لكنه ليس لمن تمنى فقط فجميعنا يتمنى النجاح لكن قليلاً منا من ينجح.. النجاح لمن عمل وعمل وعمل بـاستمرار ..

سكت للحظات قليلة ثم ظهر على وجهها الامتنان ...

● أود أنأشكر الجميع.. جميعكم كان له دوره الخاص في حياتي.. الجميع كان سبباً ما في ما وصلت إليه الآن..

أبي وأمي قاما بتربية على مبدأ النجاح والوصول للقمة وأن لا أضع سقفاً لطموحاتي ..

عمي ثروت الذي تحدى الجميع بي وكان يثق في موهبتي الذي طالما هو قرر تنميتها عندي..

شيرين ...

توجهت الأنظار كلها ناحية شيرين.. حتى شيرين نفسها كانت تنتظر أن تذم فيها ماريـان أو تنتقدـها..

أكملـت ماريـان..

● شـيرـين.. الأـشـهـرـ هناـ فيـ السـاحـةـ الـأـعـلـامـيـةـ قـامـتـ بـتـدـريـيـ وـوـقـتـ فـيـ كـذـلـكـ وـكـانـ لـهـ دـوـرـاـ عـظـيـمـاـ فـيـماـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ ..

حدقتـ شـيرـينـ بـمـارـيـانـ.. لمـ تـتـوقـعـ أـنـ تـمـدـحـهـاـ بـعـدـ كـلـ ماـ فـعـلـهـ مـعـهـاـ،ـ كـذـلـكـ ثـرـوـتـ الـذـيـ كـانـ مـنـدـهـشـاـ لـمـ قـالـتـهـ مـارـيـانـ..ـ لـمـ تـكـوـنـانـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ سـابـقـاـ..ـ فـلـمـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ؟ـ!ـ،ـ أـمـاـ وـالـدـيـهـاـ فـكـانـاـ يـبـسـمـاـنـ..ـ لـمـ يـعـلـمـاـ أـبـدـاـ بـمـاـ كـانـ يـحـدـثـ بـيـنـ مـارـيـانـ وـشـيرـينـ..ـ

● أـصـدـقـائـيـ..ـ الـذـيـنـ كـانـواـ لـطـيفـيـنـ مـعـيـ..ـ لـمـ يـكـنـ الـحـقـدـ بـيـنـنـاـ..ـ سـاعـدـنـاـ بـعـضـنـاـ وـلـمـ نـبـخـلـ عـنـ بـعـضـنـاـ بـشـيءـ..ـ أـيـامـ قـلـيلـةـ وـسـتـنـتـهـيـ اـمـتـحـانـاتـ آـخـرـ أـعـوـامـنـاـ مـعـاـ..ـ أـيـامـ قـلـيلـةـ وـسـنـفـتـرـقـ..ـ كـلـ فـيـ طـرـيقـهـ الـذـيـ رـسـمـهـ لـنـفـسـهـ أـوـ الـذـيـ لـمـ يـرـسـمـهـ أـيـضاـ..ـ

أتـمنـىـ التـوـفـيقـ لـلـجـمـيعـ وـبـالـتأـكـيدـ سـنـلـتـقـيـ قـرـيـباـ..

كانـ الجـمـيعـ يـصـفـقـ بـحـرـارـةـ بـعـدـ أـنـتـهـاءـ كـلـمـتـهـاـ..ـ قـامـتـ هـيـ بـمـعـانـقـةـ وـالـدـيـهـاـ وـمـنـ بـعـدـهـمـ عـمـهـاـ..

● كـانـ حـرـكـةـ ذـكـيـةـ ذـكـيـةـ مـنـكـ ياـ مـارـيـ..

● كـانـ عـلـيـ أـفـعـلـ ذـلـكـ ياـ عـمـيـ قـبـلـ خـوـضـ أـيـ تـحدـيـ جـدـيدـ..

توجهـتـ نـاحـيـةـ شـيرـينـ الـتـيـ كـانـتـ تـنـتـظـرـهـاـ،ـ قـامـتـ بـمـصـافـحتـهـاـ..

● أـنـاـ آـسـفـةـ يـاـ مـارـيـانـ..

تلكـ الـأـبـتسـامـةـ الـتـيـ لـمـ تـفـارـقـ وـجـهـ مـارـيـانـ..

• لا داعي لذلك الآن، لكنني أيضًا لم أكذب.. كان لك دوراً هاماً في حياتي وفيما وصلت إليه أنا، لذلك شكرًا لك..

قامت شيرين بمعانقتها، تركتها ماريان لتفطية الحفلة ..

كانت ماريان تعقد لقاءً صحفياً مع كل طالب أو طالبة تخرج لألقاء كلمة بمناسبة التخرج.. كانت الأجواء مرحة هذه الليلة.. هذه الليلة لن ينساها الجميع .. !

عادت لبيتها بعد فترة ليست بالقصيرة ولكنها عادت هذه المرة عاجزة.. كانت في الأسابيع الماضية سجينه غرفة ما في المستشفى لكنها لم تكن سوى أسباب قليلة فقط وقد أصبح الأمر مملاً بالنسبة لها.. فما بال القادم من أيام أو شهور وربما سنين ؟!، مهلاً.. ماذا لو كان هذا العجز لازمها طوال عمرها ؟!، لن تحمل هذا المؤس أبداً ..

كل هذا كان يدور بباليها عندما عادت للبيت أخيراً، بالها الذي أصابه العجز أيضاً.. لقد توقف عقلها عند التفكير في هذا الأمر فقط.. أسئلة تراودها من الحين لآخر، لماذا تخلى عنها الجميع هكذا ؟!، أين والدها من هذا كله ؟! أيهمه عمله أكثر من تلك الظروف التي تمر به أبنته ؟!، ما الذي فعلته بمن أحبها فعلاً وقرر مساعدتها والوقوف بجانبها ؟!، لمتى سيدوم هذا العجز أصلاً ؟!

و بعد أن حملتها والدتها وشاركت أمانى معها في نقلها لسريرها وما أن أطمانت عليها حتى خرجت من الغرفة لتدرك شئون بيتها الذي تم هجره طوال الأسابيع الماضية.. كانت فرصة لسفرد أمانى بآسيه في الحديث معها..

● لم يكن عليكِ أن تفعلي هذا مع عمر يا آسيه.. لم يكن ليستحق هذا .. !

أشاحت آسيه بوجهها بعيداً لتجنب نظرات صديقتها القاسية...

● سترفين في الوقت المناسب لماذا فعلت هذا .. !

بدت على أمانى الحيرة والشفقة معاً، أي سببٍ هذا الذي يجعل آسيه أن تطرد عمر بهذه الطريقة ؟!، لقد وقف بجانبها طيلة الوقت ولم يتخلى عنها كما فعل خطيبها.. عمر لا يستحق رد آسيه العنيف هذا .. !

قطع تفكيرها صوت والدة آسيه من الغرفة الأخرى.. لقد رن الهاتف منذ لحظة مضت وهو هو صوتها يرتفع لكن لا أمانى ولا آسيه أستطعنا أن تفسرا كلامها.. ظنت آسيه أن والدتها تعاتب زوجها على غيابه المتكرر هذه الأيام حتى يكاد لا يظهر أساساً وخاصةً في مثل تلك الظروف.. خروجها من المستشفى ومواجهتها للعالم الخارجي أول مرة بعجزها هذا تطلب حضوره على الأقل لكنه لم يفعل .. !، لكنها فجأة سمعت صوت صرخ والدتها، أسرعت

أمانى تلقائياً لخارج الغرفة لمعرفة سبب صراخ والدة آسية ..!، فيما ظلت آسية على سريرها عاجزةً عن الحركة.. للحظةً واحدة تساقطت دمعةً يتيمة على وجهها بسبب أحاسيسها بالعجز لأول مرة ..!، لكن سرعان ما أستعادت وعيها لواقعها مجدداً ولاحظت قرب الكرسي المتحرك من سريرها.. مدّت يديها لتقرّبها إليها لكنها لاحظت دخول أمانى غرفتها.. كان وجهها شاحباً يبدو عليه التوتر مع سماعها في نفس الوقت لصوت نحيب والدتها خارج الغرفة ..!

و ما أن دخلت أمانى الغرفة بوجهها الشاحب هذا، حدقـت آسية بها بنظرة تساؤل عما يحدث خارجاً.. ومع صمت أمانى المخيف الذي استمر للحظات أنزعـجـت آسية ..!، بادرت هي بالكلام..

● ها.. تكلمي يا أمانى ماذا حدث ؟!، لماذا أمي تبكي ؟!

كان التردد واضحـاً بجلاء على وجه صديقتها..

● أنه والدك يا آسية ..

أتسـعـت عينـي آسـية وكـأنـها قد عـلـمـتـ الـبـاقـيـ، صـراـخـ والـدـتهاـ وأـضـطـرـابـ صـدـيقـتهاـ بـهـذـاـ الشـكـلـ.. معـ غـيـابـ والـدـهاـ فيـ ظـرـوفـ كـهـذـاـ لاـ يـعـنـيـ إـلـاـ شـيـئـاـ وـاحـدـاـ تـمـنـتـ لـوـ أـنـهـاـ تـمـادـتـ فـقـطـ فـيـ تـفـكـيرـهاـ السـلـبـيـ.. سـأـلـهـاـ فـيـ تـوـتـرـ..

● والـدـيـ ؟!، ماـذاـ بـهـ ؟!

أزـدـرـدتـ أـمـانـىـ رـيـقـهـاـ بـصـعـوبـهـ ثـمـ أـكـملـتـ وـقـلـبـهاـ يـخـفـقـ بـقـوـةـ..

● لقد تـعـرـضـ لـحـادـثـ.. وـتـوـفـيـ..

وـ بـحـرـكـةـ غـيرـ وـاعـيـةـ لـكـهـاـ مـأـلـوـفـةـ أـعـتـادـتـ عـلـيـهـ آـسـيـةـ فـيـ الـفـتـرـةـ الـأـخـيـرـةـ عـنـدـ سـمـاعـهـاـ لـلـأـخـبـارـ السـيـئـةـ، نـامـتـ آـسـيـةـ عـلـىـ ظـهـرـهـاـ فـيـ غـيـابـ عنـ وـعـيـهـاـ مـنـ أـثـرـ الصـدـمـةـ.. لـحـظـاتـ وـتـرـاكـمـتـ الدـمـوعـ فـيـ عـيـنـيـهـاـ ثـمـ أـطـلـقـتـ صـرـخـةـ مـؤـلمـةـ وـعـالـيـةـ جـعـلـتـ وـالـدـتهاـ تـأـنـيـ مـسـرـعـةـ مـحاـوـلـةـ تـهـدـيـتـهـاـ.. حـاـوـلـتـ وـالـدـتهاـ بـمـسـاعـدـةـ أـمـانـىـ مـنـ تـهـدـيـتـهـاـ لـكـنـ فـشـلـتـاـ فـيـ

ذلك.. لم تتحكم آسيّة في نفسها وأستمرّ هذا الوضع للحظاتٍ مغمضةً عينيها في بده لغياب وعيها تدريجيًا رغم  
أحساسها بما يجري حولها ..

كان محقًّا من قال أن المصائب لا تأتي فرادى، عجزٌ دمر حياتها بالكامل.. وفاة والدها.. حالتها النفسية التي تزداد سوءًا بمرور الوقت وكذلك فتات المصائب الأخرى مثل أنها لم تُكمل دراستها.. منذ وفاة والدها وهي ما زالت نائمة.. نعم أنه ذلك الخمول والأنزعال أعلانًا عن وصول الحالة النفسية للصفر، فقد وجدت اليوم سبيلها الوحيد للهروب من واقعها المؤلم..

أمانى أصبح يومها كله تقريبًا مع آسية ووالدتها لتلبية احتياجاتهم، أما عمر وأحمد فأصبح وجودهم اعتياديًّا وضروريًّا وكأن جميعهم أصبحوا عائلةً واحدة..

و لأن هذا أسوأ ما قد يحدث لها فقد اعتادت على مثل هذه الأخبار وعندما بدأت تدرك واقعها جيدًا وتعتاد على حالتها الجديدة كان يومها يقتصر بين نومها أو الجلوس صامتة دون التفكير حتى في شيء.. !، فلا شيء يعد يثير اهتمامها في حياتها بعد ما حدث معها، حتى تلك اللحظة التي تم كسر روتين حياتها الممل في أيامها الأخيرة الماضية.. لحظة سماح أمانى بدخول عمر فجأة ليعيد لحظاتٍ قد حدثت سابقاً في المستشفى قد يراها الجميع أن الوقت ليس مناسباً لمواجهة أخرى نظراً للعواقب الوخيمة التي قد تنتج عن هذا.. !، فقد أجبر عمر أمانى على الأستئذان للدخول وعندما دخل فعلًا استقبل نظرات آسية.. !، تلك النظرات القاسية التي يشوبها الغضب، ثم ما أن سُنحت الفرصة للإنقضاض عليه فعاتبه من جديد بغضب..

● أنت مرةً أخرى؟ !

ثم بدأت دموعها تنطلق من جديد منذرةً بأنها يارها مجددًا..

● لماذا الجميع ضدّي؟ !، ألا تفهمون ما أعنيه؟ !، أتركوني وشأنى أرجوكم ..

قالت بها وهي في قمة أنها يارها، فقاطعها عمر هذه المرة بشجاعة وأجبر الجميع على الانصات له.. حتى آسية نفسها..

● هذه المرة دعني أكمل كلامي ثم نرى ما لديكِ، أنا هنا ولن أغادر.. لن أترككِ لتعاني وحدكِ..

تفاجأ الجميع من كلامه، أكمل ما جاء لأجله..

● أنتي في مأذقٍ كبير ولا بد من وقوف الجميع بجانبك وأول هؤلاء الناس.. أنا ..!

قطعت آسية كلامه..

● و أنا لا أريد مساعدة أحد وخاصة أنت .. !

قاطعها عمر مجددًا وكأنهما في مبارزة كلامية ...

● لست أنتِ من يقرر ذلك.. شأتِي هذا أم أبيتي سأقف بجانبك وأساعدكِ حتى تشفين بأذن الله ..

ابتسمت آسية بسخرية..

● أشفي؟!، أتعرف ما مشكلتك يا عمر؟!، أنك تتصنع الأمل، سأظل هكذا طوال عمري وأنت سيسبيك الملل قريباً وسترحل كالبقية ..

أغمضت عينيها للحظة لتلتقط أنفاسها، أكملت كلامها..

● أعلم جيداً يا عمر أنك شخص طيب لكنني أيضاً لا أحب الشفقة، أكمل حياتك بعيداً عنِي وأستمتع بها قدر ما تشاء، صدقني لن أنفعك أنا ..

قالت جملتها الأخيرة ولم تستطع السيطرة على دموعها، وكأنهما يتحادثان بمفردhemما عزم عمر لأفراغ ما في قلبه حتى بوجود والدتها..

● لا أقول ذلك لأنك لأشفق عليك كما تظنين.. أنا فقط أثق بالله.. طالما هو موجود يبقى الأمل موجوداً وحيث أنه موجوداً دائمًا معنا فسيبقى الأمل كذلك، واثق من قدرة الله على شفائك، سأبقى معك..

عم الصمت الغرفة، والدتها وصديقتها تترقبان ردها..، أكمل عمر عندما طال الصمت ...

● أمنحني فرصةً واحدة وسأثبت لكِ أنني سأكون معك دائمًا، لن أتخلى عن مساعدتك أبداً، ستُشفين يوماً ما.. أنا أؤمن بهذا.. كما أن حياتي بدونك ليس حياة.. لقد أكتشفت هذا عندما أدركت أن علاقتنا قد انتهت بسبب خطبك..

خرج عمر على الفور بعدها في أرتياح.. لأول مرة يفرغ ما في قلبه دائمًا دون أن يخجل!، والدة آسية وأمانى كانتا مذهولتين مما حدث، أستلقت آسية على سريرها بعد خروج الجميع وظلت أن النوم سيتأخر كعادته وأنها ستبدأ رحلة التفكير فيما حدث معها منذ قليل.. ستفكر في كلام عمر، لكن العجيب أنها وجدت نفسها قد أستيقظت فجأة.. نظرت في الساعة بجانبها فوجدت أنها قد نامت فعلاً لساعاتٍ طويلة، ظلت جالسة على سريرها سارحةً بخيالها فيما حدث بالأمس.. لقد نامت لساعات بمجرد أطمئنانها أن عمر لن يتخلّى عنها، فكّرت كيف كان هو قاسيًا في حديثهم الأخير قبل الحادثة، ظهرت أبتسامة على وجهها لحظة دخول أماني الغرفة..

● مستحبيل.. آسية تبتسم؟!

أطلقت آسية ضحكةً خافتة من تهكم صديقها، ردت عليها بهدوء..

● ربما ليس لي مزاج اليوم للبكاء والنكد..

واصلت أماني تهكمها عليها..

● حسناً.. ييدو أن لكِ مزاج أيضًا للمزاح..

جلست أماني بجانبها وسألتها في ترقب..

● و الآن أخبريني.. ماذا حدث؟!، تركتكِ ساعاتٍ قليلةٍ فقط منذ يوم أمس.. ماذا حدث لينقلب مزاجك هكذا!</p

ردت آسية..

● فكّرت أن أسعِد نفسي قليلاً.. فكّرت في أن أحيا من جديد..!، سوف أتعامل مع عجزي هذا..

ظهرت أبتسامةً ماكرة..

● حسناً.. ييدو أنني أكتشفت نقطة ضعفٍ أخرى لكِ.. عمر..

خطر ببالها سؤال ..

● أذا لماذا فعلتي كل هذا معه منذ البداية؟!

● لسببين يا ذكية.. أولهما أني كنت أريد أن أعلم أن كان يحبني حقاً أم أنه يشفق عليّ، أن كان يحبني سيتقبلني كما أنا.. وأن كان يشفق عليّ فمجرد أن أغضب بسبب وجوده فكبريائه سيمعنـه من مواصلة دعمـه ومساعدته لفتاة عاجزةً مثلـي..

رفع أمانـي حاجبيها في دهـشـة من ذـكـاء آسيـة..

● هـكـذا أذـن.. قـمـتـي بـأـعـدـادـ الخـطـةـ وـتـنـفـيـذـهـ بـمـفـرـدـكـ، كـلـ هـذـاـ جـمـيلـ لـكـنـ قـبـلـ لـيـلـةـ أـمـسـ مـنـ المـفـتـرـضـ أـنـكـ قدـ تـأـكـدـتـيـ مـنـ حـبـهـ لـكـ، فـلـمـاـذاـ رـفـضـيـ مـسـاعـدـتـهـ لـيـلـةـ أـمـسـ؟ـ!

ردـتـ عـلـيـهـآـسـيـةـ ..

● وـهـذـاـ السـبـبـ الآـخـرـ.. أـرـدـتـ التـأـكـدـ هـلـ سـيـوـاـصـلـ دـعـمـيـ وـيـقـىـ مـعـيـ أـمـ هـنـهـ سـيـمـلـ بـسـرـعـةـ..  
ردـتـ أـمـانـيـ أـسـتـكـمـالـاـ لـكـلامـ آـسـيـةـ..

● وـهـكـذاـ تـقـدـرـيـنـ مـدـىـ حـبـهـ لـكـ!ـ ..

هزـتـ آـسـيـةـ رـأـسـهـاـ موـافـقـةـ لـكـلامـ صـدـيقـتـهـ، ثـمـ أـكـمـلـتـ..

● لـذـلـكـ فـقـدـ عـلـاـ شـائـهـ عـنـديـ، أـعـتـقـدـ بـأـنـيـ مـحـظـوظـ بـهـ..

سـُـرـتـ أـمـانـيـ بـكـلامـ صـدـيقـتـهـ أـكـثـرـ مـنـهـاـ، أـبـتـسـمـتـاـ لـعـضـهـمـاـ وـظـلـاـ يـتـسـامـرـانـ طـوـالـ الـيـوـمـ حـتـىـ مـنـتـصـفـ الـيـوـمـ إـلـىـ أـنـ  
نـامـتـ آـسـيـةـ وـفـيـ مـخـيـلـتـهـ أـنـهـ سـتـبـدـأـ حـيـاةـ أـسـاسـهـاـ وـقـوـامـهـاـ عمرـ..

لم تكن تخيل أن يصل بها الحال أنها لتجدها هكذا، ولم تعد تفكّر في النيل منها، بل كانت تفكّر في كيفية تعويضها عما فاتها، كانت مخطئة في التعامل معها، ولم يكن هناك داعي أصلًا لذلك الصدام الذي كان يحدث بينهما، لكنها تسأّلت عن سر هذا التحول في شخصيتها المفاجئ؟!، هل بسبب ما قالته في حفل تخرّجها؟!.. ربما..، لكن ليست هذه المشكلة، المشكلة أنها كانت تهاجمها بلا داعي، كانت تعاني صعوبة الاعتراف أن ماريان أفضل منها فعلاً.. لقد أكتسبت حب الناس لصالحها..

كانت شيرين تقف بجوار ثروت في صالة الانتظار بمطار القاهرة الدولي، كانوا ينتظرون ماريان لتوديعها قبل خوض مغامرتها الجديدة في لندن لكنها تأخرت..، يبدو بأنها كانت تحاول تدوّل زملائهما في القناة قبل السفر، لكنهما أخيراً لاحظاً قدوم ماريان من بعيد.. كانت تبدو مهمومةً وشاردة.. !!

أما عن ماريان فكانت تشعر بالضيق، كانت تريده توديع عمها لكنها لم تجده في أماكنه المألوفة.. لا مكتبه أو بيته حتى هاتفه مغلق.. همت بالبحث عن شيرين لتسأّلها عن مكان عمها ثروت لكنها اختفت هي الأخرى وكأنهما أتفقا على ذلك في وقتٍ كانت تحتاج لتدويعهم، لكنها لاحظت أنها ستتأخر على ميعاد طائرتها، لا مفر أذن.. عليها التوجه للمطار وأنتظار طائرتها..

و عند دخولها صالة الانتظار لاحظت أحدّهم وهو يشير إليها بيده، أنه عمها.. أرتسمت الفرحة على وجهيها وأسرعت نحوه بعد أن تركت حقيبتها.. عانقته في حرارة..

• هكذا تكون الأمور منطقية، لم أكن لأسافر دون توديعك يا عمي..

أربت على ظهرها، أبعدها عنه قليلاً..

• ليس وداعاً يا ماري.. أسمها إلى اللقاء..

• طبعاً إلى اللقاء يا عمي..

النفت إلى شيرين التي لاحظت وجودها للتو بجانب عمها، تبادلنا الأبتسامة ثم تعانقتا، ثم قالتها شيرين بسخرية..

● سأفقد الشجار معلٍ يا ماري..

هزت ماريان رأسها نافية..

● لا.. لا أعتقد بأننا سنتشاجر ثانيةً، لكن أن أردي ذلك فلا مانع لدى أن أبقى هنا لتشاجر..!  
وواصلت شيرين تهكمها..

● لا ليس الآن.. عليك بتحقيق حلمكِ أولاً ثم ترجعين لتشاجر كالعادة، حسناً يمكنني أن أصبر قليلاً..  
ضحكنا ثم جاء النداء بأن الطائرة على وشك الأقلاع.. أخرجت شيرين هاتفها وفتحت الكاميرا وألتقط ثلاثة  
بعض صور الـ "سيلفي" ، ثم ودعتهم ماريان وداعاً أخيراً ثم توجهت لطائرتها..

ركبت طائرتها وأستقرت بمقعدها، كانت سعيدة ومحمسة لمعاشرتها الجديدة، تناولت هاتفها وفتحت صفحتها  
على الـ "فيسبوك" ..، أبتسمت عندما وجدت أن شيرين قد أشارت إليها بصورتهما معًا التي تم التقطها منذ  
قليل وعليها تعليق ..

"حظاً موفقاً يا ماري.."

منشور كان في دقائقه الأولى يملك عشرات الأعجابات والتعليقات.. كلها تسمى حظاً موفقاً لها..

مرت الأيام وتبعدت الأحوال، وأصبحت تنتظر مجئه كل يوم.. في كل مرةً هو يأتي إليها كانت تمني النفس في أن يقضي وقت أطول معها لأنها كانت تدرك أنه قريباً لن يتنظم في المجيء إليها بسبب إجراءات التحاقه بالقوات المسلحة ومن ثم تأدية الخدمة العسكرية.. خاصةً بعد أن ظهرت نتيجة الكشف الأول أنه سيُخضع لكشف طبي آخر في القاهرة بعد أيام..

في الفترة الأخيرة كان يتم الإعداد لبدء علاج آسية وقد أوصى عدة أطباء بتكميل علاجها في الأسكندرية.. هناك أطباء أكفاء في هذا المجال والأمكانيات متوافرة عن الصعيد، كان أمر السكن هناك سهلاً خاصةً بعد أن عرض عليهم عمر أن يسكنوا في شقتهما التي أشترتها والده منذ سنواتٍ في الأسكندرية للمصيف كل عام وبالطبع قبلها أستئذن عمر من والده بعدها شرح له حالتها ووافق فوراً بل ورحب بذلك أيضاً مما أزاح عن والدة آسية مصاريف السكن..

كانوا جميعهم بالغرفة..، كان عمر يتحدث مع والدة آسية بشأن استعدادات السفر، كانت ممتنة له فعلاً بسبب دعمه المستمر نحوهم ...

أعطاهما قصاصةً ورقية ..

• هذا رقم والدتي.. أن واجهتكم أي ظروف ولم أكن أنا معكم عليكِ أن تتصل بها وتطلبين المساعدة..

• حسناً يا عمر.. أشكرك مرةً أخرى..

التفتت لأمانني وسألتها ..

• هل تودين تجهيز الحقائب معِي؟!

أبتسمت أمانى وفهمت قصتها.. تريد أن ترك عمر وآسية بمفردهما يتحداشان قليلاً.. حيث أنها وجدت سعادة أبنتها في الحديث مع من فضل عجزها عن جمال الأخبار ..!

أصبحا بمفردhem.. كلاهما ينتظر الآخر أن يتكلم أو يبدأ بالحديث..، بادرت آسية بالكلام..

• أشكرك يا عمر على كل شيء..، لا أعرف كيف أرد لك الجميل ..

قطب عمر حاجبيه في أنزعاج ..

• جميل..؟!

سكت للحظات أظهر لها ضيقه الشديد بما قالت ..

• لماذا تعتقدين حتى الآن أنني أشدق عليكِ أو أنني أصنع معروفاً؟!

أسرعت آسية بالرد عندما لاحظت ضيقه ..

• لا أقصد مضايقتك، لكنك تقف بجانبي وأقل ما يمكنني فعله هو أن أشكرك فقط..

أظهر القليل من التسامح ..

• لا تفعلي ذلك مرةً أخرى، تعلمين مكانتك عندي وأظن أن ما أفعله طبيعيٌ جدًا .. !

التفت حوله ليتأكد من أحدًا لا يسمعه.. أخفض صوته بعد أن اقترب برأسه فقط نحوها ..

• هل يمكنني أن أخبرك أنك أصبحتي كل حياتي.. كل ما لا أملك.. حتى كل ما أملك؟!، قلتها مرة سابقاً وها أنا أقولها ثانيةً.. أحبك !

أحمر وجهها خجلاً وترددت في النظر لعينيه مباشرةً وعجز لسانها عن الرد بعد تلك الكلمات.. حتى هو شعر بخجلها.. تعجبه ملامح الخجل التي تظهر على وجنتيها.. أخبرها كذلك أنه سيسافر معهم لترتيب الأمور معهم في الأسكندرية قبل رحلته للقاهرة للكشف الطبي الخاص به ..

\*\*\*\*\*

رجع عمر البيت متأخراً ليتجهز هو الآخر للسفر، لن يحتاج لحقائب.. سفر ليوم واحد في القاهرة ثم سيرجع بعدها، وما أن دخل غرفته حتى دخل أخوه ورائه..

● مَاذَا تَفْعِلْ؟!

رَدَ عَلَيْهِ عُمَرُ بِأَقْتَضَابٍ ..

● كَمَا تَرَى.. أَتَجْهَزُ لِلسَّفَرِ

فَاجْأَاهُ أَخْوَهُ بِسُؤَالٍ ..

● مِنْ تِلْكَ الْفَتَاهُ الَّتِي سَتَسْكُنُ فِي شَقْتَنَا بِالْأُسْكَنْدَرِيَّةِ؟!

أَدْرَكَ عُمَرُ بَأْنَ أَخِيهِ يَرْمِي لِشَيْءٍ مَا..

● وَلِمَاذَا تَسْأَلُ؟!، سَتَسَاعِدُهَا مَثَلًاً؟!

لَمْ يَجِبْ أَدْهَمْ بِشَيْءٍ، أَكْمَلَ عُمَرَ كَلَامَهِ ..

● أَظُنُّكَ تَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا دَاعِيًّا لِلتَّحْقِيقِ مَعِي ..

أَتَجْهَ أَدْهَمَ نَاحِيَةَ الْبَابِ وَفَتَحَهُ وَقَبْلَ مَغَادِرَتِهِ الْغُرْفَةِ التَّفْتَ لِعُمَرِ مَجَدًا..

● أَنَا لَا أَحْقِقُ مَعَكَ، فَضَلَّتْ أَنْ أُخْبِرُكَ أَنِّي سَأَسْافِرُ إِلَيْكَ الْأَيَّامِ الْقَادِمَةِ، أَظُنُّ لَوْ أَنِّي وَجَدْتُ أَحَدَهُمْ  
هُنَاكَ سَيِّئَمْ طَرْدَهِ ..!

تَبَعَ كَلَامَهُ بِأَبْتِسَامَةٍ مَاكِرَةٍ ثُمَّ خَرَجَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ، غَادَرَ وَقَدْ تَرَكَ عُمَرَ فِي حِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَخْبُرَ  
آسِيَّةَ وَوَالِدَتِهَا أَنَّ أَخَاهُ سَيِّسِكُنَ فِي الشَّقَّةِ أَوْ أَنَّ يَمْنَعَ أَخَاهُ مِنْ السُّكُنِ هُنَاكَ ..!، لَا يَعْلَمُ أَنَّ كَانَ تَهْدِيدُ أَخَاهُ هَذَا  
حَقِيقَيًا أَمْ مَجْرِدَ عِنَادٍ فَقْطَ ..!

مضت أيام سافرت خلالها آسية للإسكندرية للعلاج.. كان وداعاً حاراً من أمانى لها.. فها هي ستبعد عنها لفترة لا يعلمها إلا الله.. لو كان الأمر بيدها لسافرت معها تساندها خاصةً في تلك الأيام التي سيغيب عمر عنهم لكنها على كل حال فتاة صعيدية ولابد من ملازمة أهلها، أما عن عمر فأنتهى من الكشف الطبي والذي أظهر لياقه العجيدة للالتحاق بصف الضباط الاحتياط، كان أمامه أسبوعاً كاملاً قبل الالتحاق رسمياً بالقوات المسلحة، أذن سيبعد كثيراً ولن يراها لأسابيع قادمة.. ما أصعب أن تبتعد العين عن القلب قريباً..

والآن قبل الألتحاق بفترة التدريبية..

منذ أن سافر معهم كان يومه هناك يقتصر نهاراً على الذهاب برفقهم للطبيب لمتابعة جلسات العلاج وليلًا يساهم هو في التخفيف عن تعها طوال النهار في العلاج وإدخال السرور لقلبها حين يقترح عليها الخروج للتنزه على الكورنيش أو التجوّل في شوارع الإسكندرية..

يدفع عمر كرسيها المتحرك في سعادة من حديثهم طوال نزهة كل يوم، كل متعة الدنيا تتلخص في الحديث مع من تحب، أما والدتها فكانت تفضل السير لوحدها أمامهم أو خلفهم..، في الليلة الأخيرة فضلت والدتها أن تكون باليت لأعداد العشاء وتجهيز حقيقة عمر قبل رحيله لأداء الخدمة العسكرية فجر اليوم..

في هذه الليلة الهدأة الغير اعتيادية في الإسكندرية يدفع عمر كرسيها وبعد صمت دام لدقائق كثيرة افترحت آسية أن يجلسا على كافيتريا تطل على الكورنيش، طلبا من النادل مشروبات ثم أستمر الصمت لدقائق أخرى أيضا لاحظ فيها عمر لمعان عيني آسية مع إبتسامة تكاد تكون مختفية.. كان يظهر عليها التفكير والشروع، قاطع عمر صمتها هذا..

• هناك أحدهم يريد أن يقول شيئاً لكنه يتrepid ..!

تنبهت آسية إلى عمر الذي كان قد لاحظ شروعها، أقترب عمر إليها ..

• لم تعجبك نزهة الليلة؟!

هزت آسية رأسها نافية ..

• لا .. ليس الأمر هكذا، ولكنني لا أعلم أيضاً ..

ظل عمر يتربّص بها لتقول المزيد لكنها هزت رأسها لتبث عن كلمات فلم تجد، هزت كتفيها في حيرةٍ من أمرها..،  
عمر على يقين إنها تريد أن تقول شيئاً، قرأ في عينيها وحيرتها ذلك ولا يحتاج لأن تتكلّم هي التي يعرف ذلك،  
أرسن ظهره للوراء وأظهر تمرده ليحشرها على أن تتكلّم..

• حسناً.. أنا أنتظرك ..!، ها أنا أستمع إليك..

أبعدت وجهها بإتجاه الكورنيش خجلاً..

• وجودك جانبي هوّن على مشقة العلاج.. كيف يمكنني تحمل هذا في غيابك ؟!

التفتت إليه فقرأت في عينيه حيرته، قرأت أن لو بيده الأمر لما تركها الآن..، خطر ببالها سؤال كانت تريد أن  
تسأله أيّاه منذ أن أحبته فعلاً ..

• عمر.. هل أحببت قبل ذلك ؟!، أعني قبل أن نلتقي ؟!

إذن هذا ما كان يحول بخاطرها، أبتسّم عمر ثم أجابها ..

• هذا يعتمد على فهمك لمعنى الحب ..!

قطبت آسية حاجبيها في عدم فهم، أكمل عمر لتوضيح ما يقصد..

• الحب هو أن يتفق القلبان ليصبحا قلباً واحداً.. عقلًا واحدًا أيضًا، وبهذا المنطق فأنا لم أمر بتجربةً عاطفية  
قبل أن ألتقيك ..!

سألته هي ..

• و ما هو المنطق الثاني برأيك ؟!

• المنطق الآخر هو أنني فعلًا أحببت قبل أن ألتقيك ..

نظرت هي مرة أخرى ناحية الكورنيش نادمةً على سؤالها هذا.. كان من الأفضل أن تقف عند المتنق الأول..  
أكمل عمر كلامه..

● أحبيب عندما كنت في المرحلة الابتدائية.. كانت هناك فتاةً في صفي، كان شعوراً صادقاً حينها، أصدق شعور وأصدق حب يكون لدى الأطفال.. على نياتهم يتحابون .. !، لكن بالطبع أنا الآن في شعورٍ أصدق معي ..

أرتسمت أبتسامةً عريضةً على وجهها، أكمل عمر ليختتم كلامه في هذه النقطة..

● هناك منطقُ أخير.. الحب من طرفٍ واحد، والأدهي من ذلك أنه كان من طرفي أنا..، لكن أيضاً هذا المتنق كان في سن المراهقة وقبل أن ألتقيكِ مباشرةً كنت قد أنهيت للتو من تجربة حبٍ فاشلة.. كان طبيعياً على كل حال ..

زادت إبتسامتها حتى كادت تقفز من كرسيها لولا أن قدمها تأبى ذلك الان ..

كانت ترشف قهوتها في المقهي التي اعتادت أرتياهه صباحاً طيلة الشهرين الماضيين، كانت تفكّر في الفارق بين عملها هنا في لندن وهناك في القاهرة.. هناك فارق كبير، هناك في القاهرة الأمور تبدو مثيرة.. الأحداث ساخنة بأستمار، لكنها رجحت السبب الرئيسي في هذا الفارق لـ " ثورات الربيع العربي " كما يسمونها.. ليست مصر فقط الأحداث فيها مثيرة.. بل المنطقة بأكملها، إنما هنا في لندن تبدو الأمور هادئة نوعاً ما.. ونادرًا ما يحدث أمرٌ مثير.. ظاهرة محددة بتوقيت معين.. احتجاجٌ ما.. قرارات سياسية هامة.. زيارات لشخصياتٍ هامة.. !

تحدثت مع شيرين بهذا الشأن فنصحتها أن تقدم طلب بنقلها للقناة الناطقة باللغة العربية وسيكون من السهل حينها أن ترجع مصر مثلاً لتغطية الأحداث فيها لصالح شبكة الـ " BBC " .. أقنعت بالنصيحة ونجحت فعلاً في الانتقال للقناة الناطقة بالعربية لكنها لن تغادر لندن ألا للضرورة القصوى لغطية حدثٌ جلل في مكان ما بالعالم أيًّا يكن..

جذب انتباها ضجةً ما تحدث بالخارج.. تطلعت لما يحدث بالخارج من الحوائط الزجاجية للمقهى.. من يجلس بالمقهى خارجاً يرمي شيئاً ما في الأرض ويلتقطونها أناسٌ آخرون.. من يجلس ويرمي بالشيء يضحك بهستيرية ومن يلقط هذه الأشياء يدو عليهم الأسلام، لم تولي الأمر أي أهمية.. صحيح ييدو أنه غريباً لكن ليس هاماً بالتأكيد، لكنها غيرت رأيها عندما لاحظت أحد الشباب اللذان كان يجلسان أمامها قام وقد أرتسمت على وجهه علامات الغضب.. ييدو أن ما يحدث خارجاً هاماً ومثيراً ويدو أيضًا أن هذا الشاب يعرف قصة ما يحدث..

لم تتردد ماريان في تتبعه..، لقد فهمت الأمر عندما صاح هذا الشاب غضباً في أحد الجالسين بالخارج.. أخرجت كامييرتها الصغيرة من جيبها وبدأت بتصوير ما يحدث ..

خرج هذا الشاب من المقهي غاضباً لما يحدث بالخارج، الأمر لا يتحمل السكتة أكثر من هذا.. ييدو الأمر مُهيناً أكثر من أي وقتٍ مضى، لقد كانت الجماهير بالخارج تلقى بالعملات المعدنية في الأرض لينقطها اللاجئون السوريون بكل ذلٍ وهوان، يلقون هذه العملات بكثير من السخرية.. يتعمدون أدلال هؤلاء اللاجئين،

أما عن هؤلاء اللاجئين فلا سبيل لهم إلا أن يقبلوا بهذه المهانة.. يتسابقون لإذلال أنفسهم مقابل التقطاط ما يرميه هؤلاء الناس من عملاً تكفيهم ل يومٍ أو يومين وربما تكفيهم الساعات القليلة القادمة فقط..

وقف بين هؤلاء وهؤلاء.. التفت لتلك الجماهير وصاح فيهم غاضباً..

● توقفوا.. توقفوا أرجوكم

توقف الجميع بما يفعلونه ليروا ما في جعبته، أكمل هو..

● لماذا تعاملونهم هكذا؟!، لماذا تتعمدون أذلالهم؟!

لم يتلقى سوى هممات منهم، بعضهم بدأ يفكر فيما كان يفعله والبعض الآخر يستمع له بلا مبالاة وسخرية..

● مَاذَا أَصَابُكُمْ..؟!، أَهَذِهِ مَا تَدْعُونَهَا الْأَنْسَانِيَّةُ لِدِيكُمْ؟!، هُؤُلَاءِ النَّاسُ فَرَّوْا مِنَ الْجَحِيمِ فِي بَلَادِهِمْ وَأَسْتَغْاثُوا بِكُمْ ثُمَّ هَكَذَا تَعْالَمُونَهُمْ؟!

قال أحدهم بسخرية ..

● وَهَا نَحْنُ نَسَاعِدُهُمْ؟!، أَلِيسْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ لَا شَيْءٌ؟!

قطب هذا الشاب حاجبيه..

● لَا هَذَا لِيْسَ أَفْضَلُ مِنْ لَا شَيْءٌ، أَفْضَلُ أَنْ أَمُوتَ جَوْعًا عَلَى أَنْكُمْ تَقْوِيمُونَ بِأَذْلَالِيِّ هَكَذَا..!

ساد الصمت للحظات في المكان بالرغم من هذا الكم من الناس الحاضرين، أكمل هو كلامه ..

● كَانَ بِأَمْكَانِكُمْ مُسَاعِدَتِهِمْ.. لَا أَنْ تَقْوِيمُوا بِأَذْلَالِهِمْ هَكَذَا، مَاذَا سَتَخْسِرُونَ لَوْ قَدِمْتُمْ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الْعَمَلَاتِ بِطَرِيقَةٍ لَائِقَةٍ كَمُسَاعِدَةٍ لَهُمْ؟!

تفاجأً هذا الشاب عندما وجد أحدهم أتى من خلفه وأمسكه من ذراعه، تكلم بالعربية..

● هَلْ أَنْتَ تَمْلِكُ الْمَالَ الْكَافِيَ لِمُسَاعِدَتِنَا جَمِيعًا؟!

حدّق به الشاب مندهشاً من سؤال الرجل هذا، عندما طال صمته أكمل الرجل كلامه..

● إذن أنت لا تقوم بمساعدتنا كذلك.. على العكس تماماً.. أنت تقوم بالحاق الضرر بنا.. أرجوك نحن لا نريدك أن تدافع عنّا هكذا .. لا نريد مساعدتك، أرحل رجاءً..

بدأت عيني الرجل تفيض بالدموع.. لا تعرف أن كانت هذه دموع الذل والهوان أو دموع الحسرة ..

● نحن هنا لا مأوى لنا ولا عمل أيضاً، من أين نأتي بمالي نسد به رقم جوعنا؟!، لا سبيل سوى أن نرضى بالذل والهوان كما ترى ..!، أرجوك أرحل ودعنا نعيش ليوم واحدٍ حتى ..

لا يصدق هذا الشاب ما يسمعه.. الجمله لسانه، لا يعلم أن كان عليه أن يتناقش مع هذا الرجل في أمر يخص قوت يومه أو أن يدافع عنهم ..!، أخرجه صديقه من شroud ذهنه عندما أربت على كتفه، أقنعه صديقه بالأنسحاب فوراً.. وأنسحبوا فعلاً من المكان كلهم..

كان حدثاً يستحق تسلیط الضوء عليه، عادت ماريان للمقهى وعملت على كتابة تقريرها عما حدث.. ستقوم بمساعدة هؤلاء اللاجئين بطريقتها الخاصة.. ستقوم بجذب استعطاف الناس ليتم الضغط وبقوة على المنظمات الحقوقية والحكومات لمساعدة هؤلاء الناس بدلاً من أدلالهم هكذا ..!

لقد عانى خلال الشهرين الماضيين ألم الأبعاد عنها.. تملّكه القلق عليها في كل لحظة، أحياناً يُخيلي إليه أنها أقتربت من الشفاء تماماً.. كان يحلم بذلك، لكنه أخيراً حصل على أجازة ليطمئن عليها، صحيح أنها أسبوعاً واحداً فقط منهم يومنا للسفر لكنها كانت كافية ليطمئن عليها..

قرر أن يتبع ما فعله آخر مرة قبل سفره، أن يسافر الصعيد أولاً ليطمئن والديه عليه ثم يسافر ليقضي ما تبقى من أجازته مع آسية ووالدتها هناك في الإسكندرية..

لأول مرة يغيب عمر كل هذه الفترة عن أسرته.. لهذا كان متوقعاً ترحيباً كبيراً خاصّاً أنه قد أعلمهم بموعده عودته الليلة، لكنه عند وصوله للبيت شعر بوجود أجواءٍ قلقة بالبيت ولا يعرف لماذا تملّكه هذا الشعور فجأة.. !، صعد للطابق الثاني من البيت وعند دخوله الشقة وجد والدته جالسة واضعةً وجهها بين كفيها ووجهها لا يُشير بخيرٍ أبداً.. !، حتى بعدما لاحظت وجوده لم تتحرك للترحيب به، حينها أدرك عمر أن مصيبةً ما قد حدثت وهو لا يعلم عنها شيئاً.. بالتأكيد هذه المصيبة سببها أدهم، قطب حاجبيه عندما تذكر مرض والده.. هل تسبب أدهم بشيء لوالده؟!

● أمي.. ماذا حدث؟! هل أنتي بخير؟!، هل والدي بخير؟!

رفعت والدته وجهها عن يديها وأتّكأت للوراء وقالت بصوتٍ يتملّكه الحيرة والقلق..

● أدهم ليس هنا، غائبٌ عن البيت منذ يومين ولا نعلم عنه شيئاً، لم نجده حتى الآن..!  
حاول عمر استيعاب كلام والدته، أكملت هي كلامها..

● فعلنا كل شيءٍ يمكننا فعله.. بحثنا عنه في كل مكان.. أتصلنا بأصدقائه في الشركة لكننا لم نجده في أي مكان ولا أحد يعلم مكانه..!

للحظة فهم عمر كل شيء، فكر في تهديد أخيه له من قبل حينما أخبره أنه سيسافر الإسكندرية ويطرد من في الشقة.. !، عمر نفسه صدم من هذا التفكير بالذات، بسرعة أخرج هاتفه وبحث في الأرقام عن رقم آسية حتى

عشر عليه أخيراً، فأتصل بها في الحال ويأتيه الصوت.. "الرقم المطلوب مغلق أو..." ، عاود الاتصال مرة أخرى لكنه مغلقاً أيضاً.. حاول الاتصال برقم والدتها لكنه مغلق هو الآخر، لا شك في الأمر أذن.. لقد نفذ أدهم تهديده وسافر الأسكندرية وطرد آسيه ووالدتها من الشقة وبطبيعة الحال قامتا بأغلاق هواتفهن أو غيرتا أرقامهن لتجنب رؤيتها مجدداً ..

كفى أذلاً.. يعطوننا مأوى ثم يطردوننا منه ..!، هكذا تخيل عمر ردة فعلهم بعدما طردتهم أدهم من الشقة، لاحظت والدته توتره الشديد بعدما أخبرته عن اختفاء أخيه ..!، خاصةً أنه كان يضرب يده بعصبية في الحائط بعدما كان يحاول الاتصال بأحدهم..

● ما الذي يغضبك هكذا؟!، أتعلم مكانه؟!

رد عمر بغضب..

● بالطبع.. أعرف مكانه جيداً، أبنك في شقتنا بالأسكندرية وطرد آسيه ووالدتها من هناك..وها هي هواتفهن مغلقة أو ربما غيرن أرقامهن حتى لا أتمكن الاتصال بهن..

كان شعور والدته حينها يشوبه الأختلاط ما بين الراحة بمعرفة مكان أنها والصدمة مما فعله.. والحرج الشديد والخجل من والدة آسيه، لم يتمهل عمر كثيراً.. قرر أن يسافر الآن دون راحة..

أرهقته ساعات السفر كثيراً خاصه التفكير الذي استنفذ كل طاقته وهدوءه، حفأ أنه لا يعرف ماذا سيفعل هناك.. كيف سيكون رد فعله عندما يجد أخاه فقط في الشقة ..!، هل ستصل الأمور إلى حد الشجار بينهم؟!، هذه المرة سيكونان بمفردיהם.. لن يكون معهما والديهما هذه المرة ليقضوا شجارهم هذا ..!، ثم ماذا بعد الشجار معه؟! هل سيعيد هذا آسيه ووالدتها للشقة مثلاً؟!، أين يبحث عنهما أصلاً؟!

ها هو وصل الأسكندرية منذ نصف ساعة تقريباً.. وصل العمارة أخيراً والغضب يسيطر عليه متيقناً بأن اللحظات القادمة لن تمر مرور الكرام ولن تكون الأمور بخير أبداً، صعد الدرج بسرعة وصولاً للطابق الرابع حيث شقتهم، وقف أمام باب الشقة لاهثاً يحاول أستعادة أنفاسه، طرق الباب بعنف وواصل طرقه هذا حتى سمع صوت خطواتٍ قادمة، وما أن أنفتح الباب حتى أتسعت عيناه من المفاجأة.. وقف لحظات ليتدارك الأمر..

• عمر ؟، حمدًا لله على سلامتك.. تفضل .. !

قالت لها آسية بعد أن فتحت له الباب، سعدت كثيراً برجوع عمر أخيها، كان يبدو عليها النعاس لكنها مسروقة بقدومه، أذنت له بالدخول..

دخل عمر والشروع بادياً على وجهه.. أدهم ليس هنا وآسية والدتها هنا ..!، ماذا يعني هذا؟!، أسئلة كثيرة دارت بعقله باحثاً عن أجاباتٍ منطقية، أفسرحت والدة آسية عليه أن تعد له الفطور لكنه لم يسمعها، أفترست منه وأربكت علي كتفه..

● عمر .. !، هل أنت بخير ؟

نظر إليها في شroud وألجمه لسانه عن الرد، بماذا يجيبها؟!، هل يخبرها بعدم رغبة أخيه بوجودهما هنا في الشقة؟!، أم يشغل بالهم بمشاكل أسرية لا شأن لهم فيها..!، عندما لاحظ انتظارها لأجابة منه رد عليها..

• أخي مختفي منذ يومين ولا أحد يعرف مكانه .. !، ظننته قد أتى لهنا وتفاجأ مثلاً بوجودك !

ثم تذكر شيئاً حين التفت إليها..

● لقد أتصلت بـكـنـ كـشـرـا لـلـيلـةـ أـمـسـ لـكـنـ هـوـاتـفـكـمـ كـانـتـ مـغـلـقـةـ ..ـ !ـ ،ـ أـيـنـ كـتـنـ ؟ـ !ـ

- كالعادة ذهبنا صباحاً للطبيب لأجراء جلسة العلاج فأغلقنا هواتفنا قبلها، وعندما أنتهينا خرجنا لنتنفس كعاده كل يوم ونسينا أنها قد أغلقنا هواتفنا في الصباح، ثم عندما رجعنا كان الأرهاق باديأ علينا بجلاء .. !، خلدونا للنوم ولم نشعر بشيء بعدها..

هـز عمر رأسه متهماً، لقد أرتاح باله من عناه التفكير في احتمالات البحث عنهم في الأسكندرية..

وكان القمر غادر سماوه وقرر أن يظهر نهاراً بتواضع على الأرض، خرجت آسية من غرفتها بكرسيها المتحرك متوجهة نحو الصالة لستفاجأ بوجود مصدر سعادتها الأول في هذا العالم ..!، أرتسمت الأبتسامة على وجهها وقد زادت من وجه القمر نوراً، وكالعادة بدأ الترحيب يتخد مساراً آخر، ساعة من الأبعاد عن الحبيب تعادل حياة.. وكم من حياة يحياها المرء..

للحظة أدرك عمر أنه لم يلحظ أي تغيير يذكر في حالة آسية ..!، قطب حاجبيه في عدم رضا، تعجبت هي من تغيير ملامحه هكذا فجأة عندما كان ينظر إليها ..!، ألقت على نفسها نظرةً سريعة لعل أن تكون ملابسها غير مناسبة مثلًا أو أي شيء غير طبيعي هنا ..!، لكنها لم تلحظ شيئاً يستحق تغيير ملامحه هكذا..

● لماذا؟!، لماذا أنزعجت هكذا فجأة؟!

أبعد وجهه عنها في سخط، وكأنه لا يريد أخبارها بشيء يجرح مشاعرها ..!، وهي لا تفهم شيئاً ..!  
كانت والدة آسية قد تركتهما يتحدثان بينما هي تجهز الفطور ..!، عندما خرجت للصالة وجدت جمود الحديث بينهما فتساءلت..

● ماذا حدث؟!، تبدوان كالمتخاصمين ...

هزت آسية كتفيها في حيرة، بينما عمل عمر على إنهاء هذا الجدل ..

● لا أقصد جرح مشاعرك يا آسية، لكنني لم ألحظ أي تغيير قد طرأ في حالتك ..

تفهمت آسية قلقه ..

● لا تقلق يا عمر ..!، الطبيب أخبرنا بأن العلاج سيطول كثيراً، المسألة ليست سهلة كما تظن ..  
هز رأسه متفهماً، لم يكن راضياً عما يحدث، لكنه فكر للحظة.. ماذا لو يقدم طلباً لعلاجها على نفقة القوات المسلحة مستغلًا أنه سيكون ضابطاً بالجيش فور انتهاء فترة تدريبه؟!، لكن ما قطع تفكيره رنين هاتفه.. أنها والدته، يا ألهي.. لقد نسي مشكلة أخيه ..

● نعم يا أمي.. لا ليس هنا كذلك.. سأضطر للبحث عنه هنا في الأسكندرية لعل وعسى أن أجده قبل انتهاء أجازتي.. حسناً أتصل بي لو كان هناك أي تطورات.. سلام ..

كان بادياً عليه القلق والحيرة ..!

عمر.. مضى عليه أسبوع أجازته سريعاً هم فيه بالبحث عن أخيه في المستشفيات وأقسام الشرطة ولم يجده..!  
أنتهت أجازته وسافر مجدداً ليستأنف فترة تجنيده ..

آسيـة.. تستأنـف علاـجـها الروـتـينـيـ في مـلـلـ دون تـطـورـ ولو طـفـيفـ حتـىـ في حـالـتهاـ، أـمـاـ عنـ باـقـيـ وقتـهاـ فـكـانـ أغـلـبـهـ  
تهـاهـتـ صـدـيقـتهاـ أـمـانـيـ التيـ تـصـارـحـهاـ هيـ الأـخـرىـ بـأـنـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ أـحـمـدـ تـطـورـتـ كـثـيرـاـ وـفـقـطـ مـسـأـلةـ وقتـ كـيـ  
يـتـقدـمـ لـخـطـبـتهاـ وـفـعـلـاـ لمـ يـمـرـ يـوـمـاـ حتـىـ أـخـبـرـتهاـ بـأـنـهـاـ قدـ تـمـتـ خـطـبـتهاـ رـسـمـيـاـ منـ أـحـمـدـ، فـرـحـتـ كـثـيرـاـ لـصـدـيقـتهاـ  
لـكـنـ عـزـ عـلـيـهـاـ نـفـسـهاـ.. عـاجـزـةـ وـلـمـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـنـزـوـجـ هيـ بـمـنـ أـحـبـتـهـ ..!

الـشـيـخـ مـحـسـنـ وـزـوجـتـهـ.. يـعـيشـانـ أـتـعـسـ أـيـامـهـماـ، فـبـعـدـمـاـ حـرـمـاـ لـسـنـوـاتـ عـدـيـدةـ مـنـ الـأـنـجـابـ رـزـقـهـمـاـ اللـهـ بـأـدـهـمـ ثـمـ  
مـنـ بـعـدـهـ عـمـرـ، سـافـرـ بـعـدـهـ الشـيـخـ مـحـسـنـ لـلـسـعـودـيـةـ حـينـ جـائـهـ عـقـدـ عـمـلـ هـنـاكـ وـأـنـتـهـزـ الفـرـصـةـ لـيـؤـمـنـ مـسـتـقـبـلـ  
أـولـادـهـ، وـحـينـ رـجـعـ وـجـدـ أـبـنـاؤـهـ قـدـ تـأـثـرـاـ بـالـأـحـدـاثـ السـيـاسـيـةـ لـلـبـلـادـ مـنـ بـعـدـ ثـوـرـةـ يـنـايـرـ وـأـصـبـحـاـ عـدـوـانـ فـيـ أـسـرـةـ  
واـحـدـةـ، أـخـتـلـفـاـ كـثـيرـاـ وـتـشـاجـرـاـ أـكـثـرـ، وـالـآنـ قـدـ عـادـاـ مـرـةـ أـخـرىـ وـحـيدـيـنـ لـاـ عـمـرـ وـلـاـ أـدـهـمـ ..!

بعـدـ شـهـوـرـ عـدـ عـادـ عـمـرـ وـقـدـ أـنـهـيـ فـرـتـهـ التـدـريـيـةـ فـيـ الجـيـشـ وـأـصـبـحـ مـنـ الـآنـ ضـابـطاـ أـحـتـيـاطـيـاـ فـيـ القـوـاتـ  
الـمـسـلـحةـ، كـانـ يـتـنـظـرـ هـذـاـ بـفـاغـ الصـبـرـ لـيـقـدـمـ طـلـباـ رـسـمـيـاـ لـعـلـاجـ آـسـيـةـ عـلـىـ نـفـقـةـ القـوـاتـ المـسـلـحةـ لـكـهـ قـبـلـ  
بـالـرـفـضـ ..!، وـحـينـ حـصـلـ عـلـىـ أـجـازـتـهـ تـلـكـ أـقـتـصـرـ طـرـيقـهـ وـسـافـرـ لـلـأـسـكـنـدـرـيـةـ مـبـاـشـرـةـ هـذـهـ المـرـةـ، لـمـ يـرـجـعـ لـلـشـقـةـ  
فـورـ عـودـتـهـ وـلـكـنـهـ فـضـلـ أـنـ يـجـلـسـ عـلـىـ الـكـوـرـنيـشـ قـلـيلـاـ.. كـانـ مـهـمـومـاـ وـحـزـينـاـ، مـنـذـ تـلـكـ الـحـادـثـةـ الـتـيـ تـعـرـضـتـ لـهـاـ  
آـسـيـةـ وـهـوـ يـشـعـرـ بـأـنـهـ قـدـ أـصـبـحـتـ مـسـؤـلـةـ مـنـهـ، أـعـتـمـدـ عـلـىـ الجـيـشـ فـيـ الـأـنـفـاقـ عـلـىـ عـلـاجـهـاـ لـكـنـهـمـ رـفـضـوـاـ، لـمـ  
يـشـعـرـ بـمـرـورـ الـوقـتـ إـلـاـ عـنـدـمـاـ هـبـطـ الـأـمـطـارـ عـلـيـهـ ..!، حـينـ وـصـلـ لـلـعـمـارـةـ كـانـ الـلـيـلـ قـدـ أـنـتـصـفـ.. صـدـ الدـرـجـ  
وـصـوـلـاـ لـلـطـابـقـ الـرـابـعـ وـعـلـىـ وـجـهـهـ أـرـتـسـمـتـ عـلـامـاتـ الـحـزـنـ وـالـخـيـرـةـ ..!، طـرـقـ الـبـابـ فـتـحـتـ لـهـ وـالـدـةـ آـسـيـةـ  
كـالـعـادـةـ، لـاحـظـتـ عـلـيـهـ الـأـسـيـاءـ وـكـانـهـ يـحـمـلـ هـمـوـمـ الـدـنـيـاـ كـلـهـاـ عـلـىـ كـتـفـهـ، رـحـبـتـ بـهـ وـأـدـخـلـتـهـ، جـلـسـ فـيـ الـصـالـةـ  
كـعـادـتـهـ وـهـيـ تـبـعـتـهـ، سـأـلـتـهـ ..

● عمر.. هل أنت بخير؟!، لماذا تبدو مهموماً هكذا؟!

لم يأتيها الرد وكأنه لم يسمعها، تزايدت قلقها لكنها ظنت أنه مهموم بسبب اختفاء أخيه حتى الآن..

● عمر.. أعلم أن لا جديد فيما يخص أخيك.. أتصل بوالدتك بأستموار للأطمئنان عليها لكنها تبدو حزينةً جداً بسبب اختفاء أخيك المفاجيء، ربما يكون قد سافر ولم يخبركم، حدثني والدتك مراراً عن أدهم وأفعاله.. شخصيته صعبة وغريبة وغير مستبعد أنه قد سافر ولم يخبركم.. هذا وارد ..

Sad الصمت أيضًا للحظات، هز رأسه وبدأ متفهمًا لكلامها..

● ليس أمر أخي ما يشغل بالي ..!، كلّ مسؤول عن تصرفه، وأعتقد أن أخي اختار أن يختفي فجأة بأرادته وسيظهر في أي وقت، ما يشغل بالي أمر آخر..

تعجبت والدة آسية من كلامه، إن لم يكن يشغل باله أمر أخيه فماذا به أذن؟!، أرجع عمر ظهره للوراء وأكمل أفراغ همه لها..

● كنت أظن بأنني قادرًا على تحمل مسؤولية آسية والسعي وراء علاجها، سعيت فعلاً لكن العلاج بهذه الطريقة غير مجيء.. الوقت سيطول كثيراً والمصاريف قد لا تكفي ..!  
قالها وقد أرتسمت أبتسامةً تهكمية على نفسه، حاولت هي التخفيف عنه..

● الصبر يا عمر الصبر، أنا لم أ Yas من روح الله بعد ولن أفعل، كذلك الحال أنت وقفت بجانبنا ولم تدخل بشيء عنا، فلماذا تلوم نفسك أذن؟!

● ونعم بالله..

أعتدل في جلسته ثم أكمل كلامه..

● قدمت طلباً للقوات المسلحة لعلاج آسية في مستشفياتهم على نفقتهم أو الحصول على مميزات.. وافقوا في البداية لكنهم عندما علموا أنها ليست من أهلي رفضوا طلبي.. لابد أن تكون قريبتي من الدرجة الأولى.. هذا شرطهم..

فاجأتها جملته الأخيرة تلك، قربته من الدرجة الأولى؟! عادةً القرابة من الدرجة الأولى تكون أما والدته ، أخته ، أبنته أو زوجته.. وحيث أن الخيارات الثلاثة الأولى غير متحية.. فماذا لو كان ...، قاطع عمر تفكيرها حين أكمل كلامه بنبرته الحزينة والراجحة..

● كنت أود مساعدتها، كنت أود سرعة علاجها وشفائها لكن كتب علينا روتين العلاج الحكومي ..!  
عملت والدة آسية على إضافة المرح في حديثها مع عمر ...

● أتعرف يا عمر.. في مصر سمعة المستشفيات والمدارس الحكومية أسوأ من سمعة الراقصات ..!  
تعالت ضحكة عمر فجأة، لم يعهد أن والدة آسية ترمي بالنكات هكذا ..!، سعدت هي كذلك لأن خراج عمر من مزاجه السيء، أبتسمت ثم أتجهت ناحية المطبخ لإعداد العشاء له قبل النوم.. لاحظ عمر أبتسامتها تلك لكنه ظن أنها ممتنةً فقط لما يفعله هو مع أبنتها أو بسبب حبه لها، لكن الحقيقة غير ذلك، تلك الأبتسامة كانت لفكرة قد حضرتها فجأة وتفكر فيها بجدية ..!

\*\*\*\*\*

خلد عمر للنوم.. في حقيقة الأمر هو لم ينم طيلة هذه الليلة ..، لم يستوعب الأمر الذي عرضته عليه والدة آسية ..!، لقد عرضت عليه الزواج من آسية ..!، فكر كثيراً في هذا الأمر ووجد أن ما عرضته عليه كان من الطبيعي أن تفكر به والدة آسية.. فهي تريد الأسراع من علاج أبنتها وكذلك جبهما لبعضهما وبذلك ستضرب عصفورين بحجرٍ واحد..

كان عمر ينظر لهذا الأمر من منظور مختلف، كيف سيقنع والديه بزواجه من آسية؟!، أولاً الوقت ليس مناسباً بسبب انشغال الجميع بأختفاء أدهم حتى تلك اللحظة، ثانياً والديه لن يقتنعوا بزواجه من فتاةً عاجزة.. فلستو قادرون على المساعدة لهذا الحد ..!، سكن وبعض المساعدات المالية وأطمئنان لكن أن يصل الأمر لزواجهها فستكون هنا المشكلة ..!، هذا من جهة والديه..

لكن هناك أمر آخر لم يفكر فيه أحد، كيف سيكون رد آسية عندما يُعرض عليها الأمر؟! هل ستقبل الأمر بسهولة؟! أم ستعتبره إشراقاً ووهم؟!، أم سيكون زواجاً عن أقتراح أنه يحبها فعلاً؟!

فَكِرْ فِي الْأَمْرِ كَثِيرًا وَقَدْ أَتَخَذْ قَرَارَه ..

\*\*\*\*\*

بعد عدة أسابيع من استئناف عمر لخدمته العسكرية.. أستيقظت آسية صباحاً وقد أجتاحها رغبة ملحة في رؤية عمر.. لا تعلم لماذا تأخر كل هذا الوقت في التجديد هذه المرة..!، كان من المفترض أن يظهر أمس أو اليوم، لكنه لم يرجع حتى الآن..!، وكعادة يومها الذي أصبح رتيباً بالفعل.. صباحاً ذهبت للطبيب لأستكمال جلسات علاجها الرتيب أيضاً.. بعدها أنتهت لم يكن لديها الرغبة في التزهد اليوم وفضلت رجوعها للبيت بأكراً هذه الليلة.. ربما عدم رؤيتها لعمر كل هذا الوقت كان سبباً أقوى من رتابة علاجها..!

عندما دخلت آسية والدتها الشقة كان الظلام الحالك يسود المكان على غير العادة..!، لكن عندما أضيئت الأنوار فجأة كانت أولى مفاجآت الليلة بانتظارها..!، أتسعت عيناهَا من الفرحة حين وجدت أمانى بانتظارها وكانت تقفر من مكانها من الفرحة.. أسرعت أمانى نحوها وعانقتها في حرارة.. لقد أشتاقت الصديقتان لبعضهما كثيراً، أخيراً ظهرت توأمها روحها..

● أفتقدتِك يا غبية ..!

قالتْها آسية بابتسمة باكية بعدها ضربت صديقتها على ظهرها بعدها عانقتها بعضهن مازحة، ردت أمانى بنفس الأشتياق..

● أردت أن أكون أول من يقول لك كل عام وأنتي بخير ..!

تذكرت آسية أن عيد ميلادها اليوم، فبدلاً من أن تفرح فقد أضافت بعض الكآبة لهذه المناسبة..

● قبل عامٍ من الآن كنت أستطيع المشي وكنت أجري هنا وهناك، كنت أسرع عندما أتأخر عن المحاضرة، لكن الآن..

قاطعتها والدتها ..

● لكنَّ الآن أنتي تتعرضين لأختيارٍ من الله.. لابد أن تنجحي في هذا الاختبار، أن الله لطيفٌ بعياده وأحرص عليهم من أنفسهم، الحمد لله على كل شيء..

أكملت أمانِي ...

● دعكِ من كلامكِ الفارغ هذا.. لن أدعكِ تفسدين هذه الليلة، ما رأيك أن نطفئ الشموع الآن لنبدأ سهرتنا؟!  
ظهر عمر فجأة وبهذه كعكة الميلاد.. لقد كانت الفرحة مضاعفة هذه المرة.. أخيراً عمر ظهر لها، لقد أفتقدته طيلة الأسابيع الماضية، كان ظهوره بحد ذاته عيد ميلاد لها..

● كل عامِ وأنتي بخير يا آسية، في السنة القادمة ستكونين على ما يرام وأراهنك على هذا..  
أزداد جمالها حين تبسمت، شعرت بالخجل بسبب نظرات والدتها وأمانِي لها ..

● ماذا لو نطفئ الشموع الآن؟!

ألف الجميع حول كعكة الميلاد وبعد تردید طقوس أعياد الميلاد أنسحبت والدة آسية للمطبخ داعيةً أمانِي لمساعدتها في إعداد عشاء الليلة، أدركت آسية أن مفاجآت الليلة لم تنتهي وأن ما يحدث الآن ليس مجرد رغبة من والدتها في تركهما بمفردهما ليتحدىا فقط.. قلبها يُحدثها بأن هناك شيئاً آخر ينتظراها، تتبع نظرات عمر المترددة إلى أن تكلم أخيراً ..

● منذ عامِ مضى كنتُ أخطط لأن أحادثكِ بشأن زواجنا لكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن ..!، عدت خائباً وبائساً..، بعدها بأيام تتعرضين لحادثٍ ليتخلِّي الجميع عنكِ إلا من كنتي أنتي حياته ..!، لكن تلك السفينة التي أرغمتها الرياح للجريان في طريق لا تشتهيه قد تكون سلكت طريقاً أفضل من ذلك الطريق المعتمد الذي خسرته ..!، الآن عدتُ مجدداً لأعرض عليكِ عرضٌ قد رفضيه سابقاً.. هل تتزوجيني؟!

حينها كان شعورها مختلطًا.. تشعر بالسعادة المفرطة، كانت تبكي داخلياً من الفرحة وظهر هذا في لمعان عينيها، لكنها لم تتحرك ساكنة، رغم أنها كانت تنتظر هذا مجدداً منه إلا عندما فعلها هو مجدداً فكرت في رفضه مجدداً ..!، لا تزيد الأشواق بأي صورةٍ كانت

أما عن عمر ففكر في أنها قد تظن أنه إذا أقترح عليها أن يتزوجها ذات يوم وهي في تلك الحالة فإنه بذلك يُشفع عليها، عندما ساد الصمت بينهما للحظات أيقن بأنها داخلياً تفكـر هكـذا، أسرع لـتوضـح الأمر..

● على أية حال لن أترك لكِ مجالاً للرفض هذه المرة.. لن أسمح بأن تفكـري بالأمر حتى ..!، يومـاً ما ستـكونـين بـخـير وـتجـرين وـرأـي غـاضـبة حين تـكـتـشـفـين أـنـي قد أـعـدـتـ لـلـبـيـتـ الـفـوـضـيـ بعدـ أـنـ أـنـهـيـتـيـ منـ تـرـتـيـبـهـ لـلـتوـ.. هـكـذا يـفـعـلـ الزـوـجـينـ دائمـاً ..!

قال جملته الأخيرة مازحاً مما أعاد رسم الأبتسامة على شفتيها ..!، ضـحـكتـ رـغـمـ تـلـكـ الدـمـوعـ التيـ أـعـلـنتـ ضـعـفـهاـ هـذـهـ المـرـةـ، لـلـحـظـةـ جـالـ بـخـاطـرـهـاـ سـؤـالـ.. لـمـاـ يـفـعـلـ عـمـرـ هـذـاـ معـهـاـ؟ـ!ـ، الـأـمـرـ يـتـعـدـىـ مـجـرـدـ الـأـشـفـاقـ عـلـيـهـاـ أوـ الـمـسـاعـدـةـ فـقـطـ ..!ـ، يـجـبـهاـ حـقـاـ.. هيـ تـرـيدـ تـصـدـيقـ هـذـاـ عـلـىـ كـلـ حـالـ حتـىـ لوـ لمـ يـكـنـ كـذـلـكـ ..!

كـانـتـ والـدـتهاـ وـأـمـانـيـ تـطـلـانـ بـرـأـسـيهـماـ منـ بـابـ الـمـطـبـخـ وـتـسـتـمـعـانـ لـمـاـ يـجـرـيـ بـيـنـهـمـاـ فـيـ الـخـارـجـ.. تـبـتـسـمـانـ وـتـرـقـيـانـ ردـ آـسـيـةـ، حينـ طـالـ الصـمـتـ بـيـنـهـمـاـ وـفـيـ نـفـسـ الـوقـتـ التـيـ كـانـتـ تـفـكـرـ آـسـيـةـ فـيـ الرـدـ عـلـيـهـ سـبـقـتـهـاـ آـمـانـيـ بـزـغـارـيدـ الـفـتـيـاتـ تـلـكـ مـعـلـنـةـ عـنـ موـافـقـتـهـاـ عـلـىـ الزـوـاجـ بدـلـاـ عـنـ آـسـيـةـ ..!

كـانـتـ تـلـكـ المـفـاجـأـةـ الـكـبـرـىـ التـيـ تـنـتـظـرـهـاـ اللـيـلـةـ، دـقـائقـ وـقـدـ كـانـ الـمـأـذـونـ فـيـ الشـقـةـ لـعـقـدـ قـرـانـهـمـاـ.. تـمـتـ الـزـيـجـةـ فـعـلـاـ مـعـلـنـةـ عـنـ حـيـاةـ جـديـدةـ لـكـلـيـهـمـاـ.. حـيـاةـ لاـ يـدـرـيـ أـحـدـ تـفـاصـيـلـهـاـ الـقـادـمـةـ بـعـدـ ..!

- ٣٣ -

لـقـدـ أـنـتـهـتـ الـيـوـمـ أـخـيـراـ مـنـ تـغـطـيـةـ لـسـلـسـةـ مـنـ الـحـلـقـاتـ عـنـ مـوـضـعـ الـلـاجـئـيـنـ السـوـرـيـنـ فـيـ مـخـتـلـفـ الدـوـلـ الـأـوـرـوبـيـةـ، سـافـرـتـ لـعـواـصـمـ تـلـكـ الدـوـلـ وـرـصـدـتـ حـالـاتـهـمـ وـكـتـبـتـ تـقـارـيرـهـاـ عـنـ الـمـخـيـمـاتـ السـوـرـيـةـ التـيـ أـصـبـحـتـ وـطـنـاـ بـدـيـلاـ لـهـمـ فـيـ تـلـكـ الدـوـلـ ..!ـ، لـقـدـ رـصـدـتـ مـعـانـاتـهـمـ وـعـلـىـ عـكـسـ ماـ كـانـ يـقـدـمـهـ الـأـعـلـامـ الـأـوـرـوبـيـ عنـ الـمـعـاـمـلـةـ الـحـسـنـةـ لـهـؤـلـاءـ الـلـاجـئـيـنـ.. رـصـدـتـ هـيـ الـحـقـيـقـةـ كـمـاـ تـعـودـتـ أـنـ تـقـولـهـاـ وـتـبـرـزـهـاـ دـائـمـاـ ..!ـ، السـوـرـيـوـنـ يـتـمـ مـعـاـمـلـتـهـمـ بـذـلـ وـمـهـانـةـ ..

كان صوت ماريـانـ مـسـمـوـعاـ وـيـصـلـ بـسـرـعـةـ لـلـنـاسـ وـالـمـشـاهـدـيـنـ، فـمـثـلاـ عـنـدـمـاـ كـانـتـ عـلـىـ الـحـدـودـ الـمـجـرـيـةـ الـصـرـبـيـةـ تـعـرـضـ أـحـدـ السـوـرـيـوـنـ لـلـأـعـتـدـاءـ مـنـ قـبـلـ مـرـاسـلـةـ تـلـفـزيـوـنـيـةـ مـجـرـيـةـ حينـ كـانـ يـحـتـضـنـ هـذـاـ الرـجـلـ أـبـنـهـ لـيـحـمـيـهـ مـنـ تـدـافـعـ

اللاجئين، في البداية لا أحد كان يعلم بهذا لكن عندما قررت مارييان نشر ذلك الفيديو كانت تتفق بأن الفيديو سيحال أستعطاف الكثيرين ..!، وكما قررت أن تكون فعلًا.. لقد ساهمت في نقل حقيقة ما يحدث للعالم، بعدها قامت العاصمة الأسبانية مدريد بـاستضافة هذا الرجل السوري وأبنه الذي تم الاعتداء عليهما من هذه المُراسلة وأستضافهم رئيس نادي ريال مدريد الأسباني لكرة القدم حينها وأعنتى بهم بل وحصل على عملٍ هناك، لقد أصبح العالم كله تقريبًا يعرف هذا الرجل وأبنه، فماذا فعلت تلك المُراسلة التلفزيونية بحقها إلا أنها تسببت في طردتها من القناة؟!

كانت قد قررت أن تتناول وجة العشاء مع صديقتها التي تعمل ضمن طاقمها سارة تغیان بعد عناه يوم طويل، أُعجبت كثيرًا بشخصيتها خاصةً أنها مغربية.. ساعدتها كثيرًا في إعداد تلك الحلقات الكاملة التي تتكلّم عن اللاجئين في أوروبا ورصد معاناتهم ..

كانتا تجلسان في المقاعد الخارجية لمطعم كازان التركي في شارع ويلتون بلندن حين بدا لماريان بالذات أن هناك أمراً ما غير طبيعيًا يحدث أو سيحدث هنا ..!، ربما لأن حدسها الصحفي جعلها تشعر بشيء غير طبيعي ..!، لاحظتها سارة عندما توقفت مارييان عن الحديث معها فجأة.. تنظر لشيء ما قاطبة حاجبيها ..!، لكن الغريب أن ليس هناك ما يُلفت الانتباه ..!

● ماري.. ماذا بك؟ !؟

لم ترد مارييان، كررت سارة ندائها بصوت أعلى..

● مامااري..، هل أنتي بخير؟

التفتت إليها مارييان وكأنها للتو سمعتها، التفتت مرة أخرى لما كانت تنظر إليه وهي تسألهما..

● أترین ذلك الرجل الذي يقف هناك؟ !؟

التفتت سارة ناحية الرجل الذي أشارت عليه مارييان..

● ماذا به؟ !؟

● ألا يشير الريبة؟!

تعجبت سارة من سؤالها خاصةً أنها لم تلحظ شيئاً..

● يشير الريبة لمجرد أنه ذو لحية ويدو مسلماً مثلًا من أصول عربية؟!

التفت إليها ماريان متفاجئة من طريقة تفكيرها ..!

● أنا لم أقصد ما فهمتيه يا سارة، لماذا تفكرين بهذه الطريقة؟!

ظهر الضيق والحزن على وجه سارة فجأة ..!، ردت بخجل..

● و أنا لم أقصد مضايقتك يا ماريان، كل ما في الأمر أن ديننا ليس سيئاً.. ليس كل ملتحي أرهابي وليس كل منتقبة يُشار من حولها الشكوك..

سكتت للحظة بدت فيها متأثرة ثم أكملت..

● الإسلام بريئاً من تلك الجماعات والمنظمات التي أساءت لديننا ..!، بسببهم أصبح الناس حتى من عموم المسلمين يتباهمون الشك حول رجل ذو لحية ..! هل يتبع تنظيم إرهابي أم له نشاطات مشبوهة؟!، أصبحت المنتقبة محل سخرية وأشمئزاز من الجميع ..!، ديننا أبسط وأرقى من ذلك بكثير.. نحن لسنا إرهابيين يا ماريان وهذا الذي يستخدموه ليس ديننا، ديننا رحمةً للعالمين وليس هلاكاً لهم ..

كان صوتها يختلطه الألم والحزن والغيرة على دينها، أقتربت منها ماريان لتوضح ما كانت تقصده..

● سارة.. لماذا تقولين مثل هذا الكلام؟!، أنا لم أقصد أن أجرح في الإسلام أو أي شيء من هذا القبيل، صدقيني لم أقصد أن أضايقكِ، ما أقصد هو أن تحاوelin التركيز في تصرفات هذا الرجل الذي..

فوجئت ماريان وسارة أن الرجل أقترب عندما همت ماريان بتوضيح الأمر أكثر، شعرت سارة بالأرتياخ نحوه كذلك ..!، تصرفات الرجل غير طبيعية.. يلتفت يميناً ويساراً وهو يمسك بستره وهو ينوي فتحه ..!، نظرتا لبعضهما في شكٍ وأرتياخ.. هزت ماريان كتفيها أشارهً أن هذا ما تقصده ..!، ظل الوضع هكذا وهما تترقبانه بحذر وعندما أزدحم المكان فجأة ظهرت أبتسامةً ماكراً على وجه ذلك الرجل ثم أطلق صيحته بصوتٍ عالي سمعه الجميع من حوله.. " الله أكبر " ثم فتح ستنته ..!

لقد توقف الزمن عند هذه اللحظة.. كان الجميع مبطحاً على الأرض متىقناً بأن اللحظة القادمة سيكون ميتاً عندما يُفجر هذا الانتحاري نفسه، لكن فجأة بدلاً من أن يسمع الجميع صوت الأنفجار كآخر ما سيسمعوه في حياتهم.. سمعوا صوت أحدهم يطلق ضحكاتٍ عالية بصورة هستيرية .. !

تبادل الجميع الضحكات عندما علموا جميعاً أن هذا برنامجاً ساخراً " توك شو " وأن هذا الرجل قد أوقعهم جميعاً في فخ ساخر " مقلب " .. قام الجميع ونفروا التراب من على ملابسهم وقد عادت الحياة لقلوبهم بعدما فزعوا منذ قليل، إلا ماريان وسارة فظلتا هكذا على الأرض مصدومتان مما حدث.. خاصةً سارة التي لم تستوعب الأمر بعد .. !، تساءلت في نفسها.. ما الذي جعلها تبطن أرضاً منتظرة موتها بعد لحظات؟! أهي كلمة " الله أكبر "؟! أم لحية هذا الرجل وهيئته العربية؟!، أم جميعهم؟!، أنهم يسخرون منا كمسلمين .. !، ربما ييدو برنامجاً ساخراً في النهاية لكنه وبصورةً ما صدر للعالم كله أن كلمة الله أكبر لا تستخدم سوى في العمليات الإرهابية التي يقومون بها هؤلاء الجماعات حتى هي صدقت هذا وأنبطحت أرضاً.. هؤلاء الأوغاد.. ماذا فعلوا بديننا.. .

في سوهاج وفي أحدى أكبر قاعات المناسبات (الأفراح) تجمعت أعداد غفيرة لعائلتي العروسين وأصدقائهم، العروسان أحبا بعضهما حين كانوا زميين في الجامعة وتطورت العلاقة بينهما وكلاً منها يكن الأدب والاحترام لآخر، هي فناة ريفية.. قد أحسن والديها تربيتها، أكملت تعليمها الأساسي ثم إلتحقت بكلية الزراعة لتحقيق أمنية أهلها في إدارة أراضيهم الزراعية وكذلك إضافة لقب " باشمهندس " قبل إسمها، دخلت الجامعة ورأى ما رأت من اختلاف الحياة في قريتها وحياة الجامعات.. لم تعجبها الحياة الجامعية لذلك فضلت الانزول ولكنها تعرفت على صديقة عمرها حتى بات من يراهن بيقين بأنهم أنثى أو على الأقل تجمعهن صلة القرابة..

أما هو فقد أتحقق بهذه الكلية بسبب فيروس التنسيق الذي يصيب طلاب الثانوية العامة عادةً.. دخل كلية زراعة مرغماً، لكنه تقبل وضعه هناك حين رأها لأول مرة بعد عامين منذ إلتحاقهما بالكلية.. كان يجيد التعامل مع الفتيات، لكنه حين رأها لأول مرة تاب عن حياته المراهقة وفضلهما هي فقط عن باقي الفتيات التي عرفهن، أحبها وبعدها تخرج من الجامعة عانى في البحث عن وظيفة حتى عشر على واحدة فتقدم لأهلها لزواجهما..

و في مشهدٍ مهيب ورائع تم زفاف أمانى على أنقام الدبكة اللبنانية الرائعة وبنفس الطريقة تم زفاف أحمد كذلك وما أن وصلاً لمسرح الرقص حتى ألتـف أصدقاء أحمد وأمانى حولهما ليترافق الجميع، وما أن انتهت أغاني الترحيب بهما حتى أظلمت القاعة كلها ثم تم أضائتها تدريجياً بعد ثوانٍ معلنةً عن ضيوفِ آخرين أشتاقت لهم أصدقاء الكلية .. !

في البداية غلب على الحاضرين الشفقة حين رأوا عمر وهو يدفع آسية على كرسيها المتحرك في الممر الطويل ولم يختلف الحال كثيراً بالنسبة لأصدقاء الكلية الذين لم يروها منذ ذلك اليوم التي تعرضت فيه هي لتلك الحادثة، بدت أنيقة وأكثر أشرافاً رغم ما يعصف بداخلها من آلام، كان يحزنها نظرة الاستعطاف تلك التي يبدوها الحاضرين هنا لكن كل هذا تبدد حين رأت أصدقائها يتهاون ويتسابقون إليها أشتياقاً لتلك الفتاة الشفقة والمزعجة، يالها من أيام ولت دون رجعة، حين كانت تشاكس زميلاتها بخفة دمها المعهود، لكنها أيام قد أنهى

زمانها وها هي الآن تجلس على كرسي متحرك عاجزة تنتظر تهافت صديقاتها إليها، وبالله من مستقبل حافل كان أعظم وأروع من زفاف العروسين، وبعد ليلة صاحبة سعد الجميع فيها مع العروسين.. أنقض الجميع..

لم يكن من الطبيعي أن يظهر مجدداً بعد يومين فقط من سفره.. كان بادياً عليه القلق والتوتر والعجلة من أمره حين وصل للمستشفى صباحاً، دخل عمر الغرفة التي تتم بها علاج آسية.. لم تخفي علامات الدهشة والحيرة على وجه آسية ووالدتها التي كانت تتبع الطبيبة وهي تحاول أن يجعل أبنتها أن تُحرك أطراف قدميها

فور دخوله فهمت الطبيبة أن عليها الخروج وتوقف جلسة العلاج مؤقتاً، أتجه عمر ناحية آسية وقام بتنبيل رأسها ثم جلس بجانبها فتبسمت والدتها من حب صغيرتها ..!، لكن سرعان ما تبهت آسية من زي عمر الرسمي على غير العادة ..!

● لم أعهد أن أراك بالزي العسكري ..!، أهناك خطبٌ ما ؟!

أمسك عمر يدها وقبلها ثم نظر لوالدتها التي تنتظر لفهم ما يحدث ..

● أنا لستُ في عطلة..

نظر ل ساعته ثم أكمل..

● سأسافر بعد نصف ساعة في مهمةً ما تابعة للقوات المسلحة، فضللت أن أطمئنكم وأعلمكم بالأمر ..

قطبت آسية حاجبيها في ضيق، ثم سأله..

● إلى أين ياعمر ؟!

● سننافر إسبانيا..، هناك مناورات مشتركة بين جيشي البلدين، لا تقلقي سأعود قريباً..

وكان خاطر آسية ووالدتها واحداً.. كلتاهمما لم تصدق عمر في كل كلامه ..!، يتكلم وهو يحاول تجنب النظر إليهن مباشرةً، هل هي حقاً مجرد دورة تدريبية أم غير هذا ؟!

● متى ستعود ياعمر ؟!

● لم يتم أخبارنا بشيء سوى أنها سندذهب في مهمّة تدريبيّة، الشيء الأهم الآن هو أنني عندما أعود أريد أن ألاحظ تقدماً في علاجك يا آسية..

● لا يهمني العلاج، ما يهمني هو أنت..  
قاطعها عمر وقد بدا عليه الاستعجال..

● و أنا لا يهمني سوى علاجك..  
قام من مكانه وقبل رأسها مجدداً وهم بالخروج لكنه التفت إليهن وقد تصّمع أبتسامة على وجهه..

● أستودعكم الله..  
لَوْحٌ إِلَيْهِنْ بِيَدِهِ ثُمَّ خَرَجَ بِخُطْرِي سَرِيعَةٍ نَحْوَ الْدَرَجِ إِلَّا أَنَّهُ فَوْجَى بِأَنَّ وَالِّدَةَ آسِيَّةَ تَنَادِيهِ، التَّفَتَ إِلَيْهَا مَنْدَهْشًا ..

● عمر.. أخبرني الحقيقة..

فهم عمر أن والدة آسية تشك بأمره، لم يعتاد المراوغة أو الكذب لذلك قد ظهر جلياً لها أو لآسية أو كلتاهما أنه يكذب بخصوص هذا الأمر، حاول المراوغة مجدداً..

● لقد أخبرتكِ أني سنقوم بمناورات مشتركة مع..  
قاطعته في حزم..

● عمر.. أنا لستُ آسية لأصدق كلامك هذا ..!  
أبعد عمر نظره عنها، تأكدت أنه يخفى شيئاً ما..

● ليس تدريباً كما أخبرتنا، أهي مهمّة خطيرة؟!  
لم يستطع عمر المراوغة هذه المرة، رد بلهجته يملؤها الغلبة على أمره ..

● ليست آمنة وليس خطيرة ..!، لقد تم اختياري ضمن كتيبة مصرية ستssافر اليمن للمشاركة في التحالف العربي هناك، ستُوكِلُ ألينا بعض المهام البسيطة، مشاركتنا ستكون رمزية ولن يتم الاعتماد علينا هناك..

بدا عليها القلق هي كذلك، ظهر قلقها جلياً على وجهها بصورة تكاد تكون مبالغة، لاحظ عمر توتها هذا بالإضافة لتأخره عن زمامته..

• لم أكن أريد أن أخبركم بهذا، لم أكن لأريد أن أحملكم ما ليس بوعلكم أن تحملوه، لا تقلقي، لن تتأخر وسنكون بأمان..

أقرب إليها أكثر ليهمس لها..

• أرجوكي لا داعي لأن تخبريها بشيء كهذا..، أريد أن تواصل تقدم حالتها ولا أريد أن يؤثر تأخيري لو حدث على تقدمها بالعلاج ..!

سأرجع في أسرع وقت ممكن بأذن الله، هي مسألة وقت فقط..

هزمت رأسها أيجاباً لتأكيده في أخفاء الأمر على آسيه حتى لا يؤثر هذا على علاجها، لكنها لم تستطع أخفاء قلقها عليه، أستدار عمر وغادر المستشفى مسرعاً، ظلت هي واقفة لدقائق لتحاول من تهدئة نفسها قليلاً قبل الدخول لغرفة آسيه مجدداً، دخلت وقد تصبت الأبتسامة لطمئن أبنتها بأن الأمور بخير ..!

\*\*\*\*\*

هبطت الطائرات العسكرية المصرية في مطار عدن، نزلت منها الكتيبة المشاركة في التحالف العربي باليمن، كانت مصر قد أرسلت كتيبة مكونة من مائة جندي برئاسة اللواء صفتون البدوري بصفته مستشاراً عسكرياً، هذا بالإضافة لمساعديه من الضباط الاحتياط.. مصطفى سراج وعمر محسن..، كان اللواء صفتون يشق بهما كثيراً لذلك رشحهم معه عندما أُسندة إليه المهمة..

مصطفى تخرج من كلية الطب بتقدير أميال مع مرتبة الشرف غير أنه أظهر براءة طبية في سنة التخرج لذلك تمسكت به القوات المسلحة وعينته ضابطاً احتياطياً شأنه شأن عمر الذي أكتسب الشخصية العسكرية خلال تلك الشهور القليلة الماضية.. كذلك هو الآخر قد أظهر براءة قتالية في التدريبات من أجاده استخدامه للسلاح بمهارة وتركيزه التام في تدريبات استراتيجيات المعارك والحروب..

عند نزول الكتيبة أرض المطار ركعوا سياراتٍ تابعة للتحالف حتى وصلوا بعد ساعات لمكان المعسكر الخاص بهم، كان المكان المجهز لهم يليق بمكانة الجيش المصري الذي يميل دوره في هذه المهمة إلى العمل الأستخباراتي عنه القتالي..

في الأسبوع التي تلت سفر عمر مع الكتيبة المصرية كانت والدة آسية تتبع نشرات الأخبار في أهتمامٍ مبالغ فيه حتى أدهش ذلك آسية .. !، فليس في أسرتها من يتبع السياسة أصلًا لا من قريب ولا من بعيد وكأنهم منعزلين عن كل العالم.. فكان لديهم جميًعاً قناعة بأن السياسة قدرة ..

في كل ليلة تندمج آسية مع أحدى المسلسلات وكانت والدتها تنتهز وجود الفوائل الأعلانية لتغيير القناة لمتابعة قنوات الأخبار مما أثار الشك والريبة في نفس آسية .. !، وعندما تحاول أن تستفسر من والدتها عن سر اهتمامها بنشرات الأخبار في الفترة الأخيرة تجد أنها تتهرب والدتها بحججًا ما .. !، لكن ما كان يطمئنها هو اتصال عمر بها كلما سُنحت له الفرصة ليطمئن عليها .. !

بعد أشهرٍ من تواجد الكتيبة المصرية باليمن بدأت تحول مشاركتهم الرمزية إلى مشاركة فعلية في التحالف بعدما جائتهم الأوامر بتنفيذ عدة مهام قتالية بسيطة ومحدودة خاصةً عندما أصبحت شوكة الجماعة الحوثية متينةً في ظهر الشعب اليمني، وخلال هذه الأشهر قلت الاتصالات تدريجيًّا بين عمر وآسية حتى انقطعت تماماً في الأسابيع الماضيين .. !

في وقتٍ متأخر من الليل كانت آسية ملقةً على سريرها في غرفتها بالمستشفى.. لقد أرهقتها التفكير.. لماذا انقطع عمر فجأةً عن الاتصال بها؟!، لم يعد يهتم أنه لا يجد فرصة للاتصال بها؟!، أم تراه قد أصيب في التدريبات مثلًا؟!

أفرعها الأحتمال الأخير فأنتفضت من مكانها وما أن أعتدلت في جلستها حتى لاحظت والدتها وقد غفوت في مكانها وهي جالسة ممسكة بجهاز التحكم.. التفت آسية للتلفاز لتجد أن والدتها كانت تشاهد نشرة أخبار **كعادة الأسابيع الأخيرة ..!**

سياسةً مرة أخرى؟!، لم يعد الأمر مريحا على الأطلاق..، حتى أنها ليست شئون داخلية كي تجذب انتباها بهذا الشكل ..!، أمور وأحداث تحدث في الوطن العربي.. ماشأنا نحن بها؟!، تسألت في نفسها.. هل هي قلقة بشأن أخيها مثلا؟!.. أخيها؟!، كادت تنسى أن لها أحنا من الأساس.. حتى أنه لم يفكر في الاتصال بها ولو مرة واحدة ..!، تفكير تفكير.. أرهقت نفسها بالتفكير في كل شيء ولم تناول من هذا سوى أن حياتها تسرق ..!، قررت أن تسعد نفسها ..!، لذلك قررت أن تفكر بأيجابية.. عمر بخير لكنه مشغول قليلاً وعندما تسعن له الفرصة لن يتتردد وسيتصل، تتشوق لترى ردة فعله عندما يجدوها قد تحسنت ولو قليلاً.. لقد أستطاعت أخيراً أن تحرك أطراف قدميها..

تنبهت حين وجدت والدتها قد قامت من غفوتها وهمت بمتابعة الأخبار مرة أخرى بأهتمام واضح ..!، حينها أعادت آسية التفكير في سر تحول والدتها الغريب.. فقامت بنصب فخ بسيط لها..

● أمي ..

لم ترد والدتها عليها بسبب انشغالها الشديد بما يعرض على التلفاز.. حاولت آسية أن تفهم حقيقة ما يعرض على التلفاز لكنها لم تجد صلة بين بما يحدث في اليمن ومتابعة والدتها لهذه الأخبار ..!، مهلاً.. ماذا لو كان لعمر صلة بما يحدث؟! يبدو الأمر غريباً جداً ..!، فكرت في هذا الأمر بجدية، تذكرت شيئاً.. عندما قام عمر بتوديعهما وخرج من غرفتها تبعته والدتها لترجع لغرفتها بعد دقائق والقلق بادياً على وجهها.. لكنها فكرت في أن ربما والدتها قلقة فقط من سفر عمر لا أكثر كونه سيتركهم، لكن ماذا إن كان عمر لم يخبرها بالحقيقة ..!

● عرفتُ ما دار بينكما قبل أن يغادر عمر المستشفى حينها..

التفت إليها والدتها فجأة غير مصدقة لما تسمعه من أبنتها ..!، هذه الحركة جعلت آسية تيقن أن عمر دور قادم في فخها هذا، نظرت للتلفاز ثم أكملت كلامها بلهجةً واثقة وهي تأمل أن ينجح فخها..

• عمر لم يسافر أسبانيا كما قال...، حينها كان يريد أن يطمئنني فقط..

ما زال وجه والدتها جامداً بسبب دهشتها.. أبعدت وجهها عن أبنتها لتحكم في قلقها الذي كان واضحاً عليها، هنا عزمت آسية على مواجهة والدتها ومعرفة حقيقة ما يحدث..

أذن صحيح؟!، عمر لم يسافر أسبانيا كما أخبرني؟!

عادت تعابير الدهشة لتسسيطر على وجه والدتها بقوه، أدركت أنها وقعت في فخ آسيه، تسأله آسيه في شك..

• هل له علاقةً بما يحدث في اليمن؟!، هل سافر اليمن؟!

ساد الصمت بينهما للحظات ثم هزت والدتها رأسها أيجاباً، وكأنها كانت تنتظر تلك الصدمة وتغيير ملامح وجهها ليكسوها القلق هي الأخرى واضعةً يدها على قلبها لتهديء نبضاته المتسارعة ..!

جذب أنباءهن بداية البرنامج السياسي المشهور للمذيعة شيرين عبد النور ...

الحوثيون هم جماعات شيعية مسلحة مدرومة من الدولة الإيرانية الشيعية للتدخل في شؤون اليمن، حينها أستشعرت المملكة السعودية خطر تلك الجماعات وكذلك زيادة نفوذ الإيرانيين في المنطقة الخليجية عامة، وعلى أنها القومي خاصةً. فكانت تحالفاً عربياً لوقف تلك الجماعات وردعها عن نشطاتها المسلحة ضد الشعب اليمني ولوقف تهديهم لأمن الخليج العربي...، تزايدت نشاطات تلك الجماعات الإرهابية إلى أن وصل الأمر لاختطاف الرئيس اليمني نفسه واحتجزه في مكانٍ مجهول وأستولوا على الحكم مدعين بأن لهم أحقيـة حكم البلاد في ظل عدم تواجد رئيس..!

متى سينتهي الصراع في اليمن؟!، اليوم سنتكلم عن الشأن اليمني.. معى فى الاستديو الخبير الاستراتيجي ...

في هذه اللحظة أستشعرت آسية ووالدتها الخطر المحدق بعمر.. . بدأت آسية بحذف تفاؤلها بأن عمر بخير وأن أنقطاع أتصالاته تلك هو مجرد إنشغال، ليس أمامها سوى أن تنتظر لترى ما تحمله الأيام القادمة لها ... !

فتحت عينيها في أرهاق واضح بعد ذلك الأمس المتعب والمرهق بالنسبة لها، توجهت صوب النافذة وأزاحت الستار وتطلعت على شروق الشمس هذا اليوم، لم يغب عن بالها ما حدث معها بالأمس .. !، كانت تظن بأنها قد حققت حلمها عندما جاءت لها لكن يبدو بأن هناك من يريد مضايقتها ..

راحت تتذكر ما حدث ..

كانت أول الوافصلين لمدينة مانشستر لتفطية انفجار قد أستيقظت على أثرها هذه المدينة .. !، عندما بلغتها المحطة بتلك المعلومة قامت بتجهيز الطاقم الخاص بها مسرعةً صوب هذه المدينة، كانت الشرطة قد سبقتها وألتقو بمكان الحادث لمنع دخول أو خروج أي أحد حالما تنتهي التحقيقات، حاولت ماريان الحصول على أية معلومات لكنها فشلت .. !، أنتظرت بالقرب منهم لعلها تصل لفكرةً أو حيلةً ما للحصول على معلومات لكنها في النهاية لم تتمكن سوى الحصول على معلومةً كانت بدبيبة عرفها الجميع وهي أن الحادث عمل إرهابي وليس نتيجة ماس كهربائي أو شيئاً هكذا، ما جعلها مستاءً أكثر هو أن رجال الشرطة كانوا يتواهرون قليلاً مع المراسلون الآخرون عددها هي وبالطبع فشلت في استقطاب أي معلوماتٍ حصرية من هؤلاء الرجال وفي نفس الوقت لم تستطع لسؤال أحد المراسلين عن معلوماتٍ عن الحادث ..

جذب انتباها خروج أحدهم من ذلك الملئي الليلي الذي حدث فيه الانفجار وكان يبدو مختلفاً عن الجميع.. حاولت اللحاق به قبل ركوب سيارته لكنها فشلت مرة أخرى.. زفرت بسبب تواصل فشلها اليوم لكنها لم تستسلم بعد، قررت أن تبتعد عن مكان الحادثة أصلاً وتتبع هذا الرجل.. تركت طاقمها وتبعها هذا الرجل بعدما أوقفت سيارة أجرة تتبعه..، توقفت السيارة ونزل منها هذا الرجل ودخل مبني ما.. أحدث هذا الرجل زحاماً ما في مدخل المبني، نزلت أيضاً ماريان وتبعه ووقفت أمام المبني.. "الطب الشرعي" ..

تمكنت بطريقهً ما من التسلل لداخل المبني وسط هذا الزحام.. فوجدت أمامها مباشرة غرفة تبديل الملابس فدخلتها وسرقت معطفاً طبياً لتسجول بحرية داخل المبني، بحثت عن هذا الرجل محاولةً أن تخفي بقدر الامكان

وألا تشير صحة في بحثها عنه حتى لمحته فعلاً في أحدى المختبرات، التفتت حول نفسها باحثةً عن مكانٍ يمكنها الانتظار أو الأختفاء فيه، لم يكن هناك مكاناً أنساب من دورة المياه .. !

كانت دورة المياه في آخر الرواق ويمكنها رؤية الداخل والخارج من ذلك المعمل الذي دخله الطبيب، لكن ما هو صعبٌ بالنسبة لها هو انتظارها بالساعات ربما بالداخل أو دخول أحدهملدورة المياه، ظلت بالفعل ساعاتٍ أرهقتها كثيراً للحصول على معلوماتٍ حول منفذ الهجوم الإرهابي، لاحظت وجود تحركات على باب المعمل فلعلمت أنه بعد لحظات سيخرج التقرير ربما، خرجت من دورة المياه وأقتربت من المعمل وأنخفضت لتتمثل أنها تقوم بربط حذائهما .. ، أثناء ذلك سمعت أحدهن وهي تقرأ أسم منفذ الهجوم بعد جمع وتحليل جزءاً من أسلاته ... "لون دوغ" أميركي الجنسية .. !

أسرعت ماريـان لتهرب من هذا المكان فوراً بعد أن انفردت بهذا الخبر.. ، في حقيقة الأمر كانت تريد الهرب لسبعين.. حتى لا يلاحظ وجودها أحد ولتكون أول من ينفرد بهذا الخبر قبل تسربه، نزلت الدرج بسرعة وعندما كان يقابلها أحدهم كانت تخفي رأسها وتسرع أكثر في النزول عندما يحاول تذكر أحدهم أين رأها أو من تكون هي .. !، وصلت لمدخل المبني وألقت بالمعطف الطبي وهمت بالهرب إلا أن أحد رجال الأمن تمكـن من الأمساك بها.. حاولـت أن تشرح له الأمر لكنه أصر على اعتقالها، كانت تنتظر معجزة وقد حدثـت بالفعل.. أنفجار آخر بالقرب من المبني هـز المكان كله.. أنشغل الجميع بذلك الانفجار وتمكـنت هي من الهرب .. !

بالطبع لم تفوت فرصة تغطية ذلك الانفجار أيضاً.. أتصـلت بصديقتها سارة وأخبرتها عن مكانها لتغطية الحدث الجديد، في غضون لحظات كان الطاقم كله في مكان الحادث الجديد..

في اللحظة التي كانت ماريـان تُلقي بالخبر الذي انفردت به ظهر على الشاشة شريطًا أحمر لـخبر عاجل من السلطات الأنجلـيزية تفيد بأن الحادث كان أرهابـياً وليس لـسبب آخر وأن منفذ الهجوم من أصل تونسي يدعـى "وليد أزارو" .. ، بالطبع عندما أخبرـها المذيع بأن ما أعلنته السلطات الأنجلـيزية مخالفـاً لما تحصلـت عليه من معلومات اـعتبرـت وأكـدت صحة معلوماتها حول هوية منفذ الانفجار الأول في الملـهي اللـيلي ولم يكن من المنطق أن تفـصـح عن مصدر معلوماتها، بالطبع كان الهجوم ضارـياً على السلطات الأنجلـيزية على موقع التواصل

الأجتماعي بسبب الصاق تهمةً كهذا لأسماءً عربياً مسلماً ..!، لكن المذيع فهم أن القناة وقعت في مشكلة تضارب الأخبار وأنهى تغطية ماريان للأفج Arsarin عموماً ..

كانت التاسعة مساءً حين وصلت ماريان للمحطة لفهم ما يجري ..!، وصلت لمكتب السيد ويلسون مدير المحطة ..

● ما الذي يجري هنا سيد ويلسون ؟!

رد عليها بسؤال ..

● ما الذي تفعلينه أنتي يا ماريان ؟!، لقد تسببتِ بمشكلة للقناة ولنفسكِ أيضًا ..!

أخرج ورقة من مكتبه ثم عرضها عليها، أكمل كلامه ..

● لقد تم أصدار أمر باعتقالك ..!، لقد تسللتِ لمبني الطب الشرعي دون إذن وقمتِ بانتحال شخصية طبية هناك ..!

قطبت ماريان حاجبيها في تساؤل ..

● كيف علموا بكل هذا ؟!

● الكاميرات يا ماريان، أنسستي أمرها ؟!

رفت ماريان.. لقد نسيت أنه من الطبيعي وجود كاميرات في هذا المكان تكشف عن هويتها، أكمل ويلسون ..

● ليس هذا فقط يا ماريان، الأتهام الأخير لكِ هو ضلوعكِ في التخطيط لذلك الأنفجار الذي حدث بالقرب من مبني الطب الشرعي ..

قاطعه طرق أحدهم على الباب، أنها الشرطة أتت لتنفيذ أمر اعتقالها، أصطحبها المستشار القانوني للمحطة إلى قسم الشرطة، بعد ساعاتٍ من التحقيق معها تم أخلاقه سبيلها ..!، وصلت لشقتها فجرًا وهي تنتحن بسبب الأرهاق الذي نالته اليوم، ثواني وكانت قد غرقت في نوم عميق ..!

ما قطع تفكيرها رنين هاتفها، أنه السيد ويلسون..

● ماريـان .. ؟!

سكت للحظات ثم ردت عليه بصوتٍ مرهق..

● و من ستكون غيري برأيك !؟!

أطلق ضحكةً خافتة ...

● تبدين مرهقة، أم مازلت غاضبةً مما حصل بالأمس !؟!

● ماذا أبدو برأيك !؟!

● كلاهما .. !؟

زفرت ماريـان في ضيق، مزاجها لم يسمح لأن تتحمله..

● حسناً.. ما هو سبب اتصالك سيد ويلسون !؟!

● مهمةً جديدة..

● أين .. !؟

● العراق ..

لحظات الصمت كانت كفيلة بشرح الذهول التي بدت عليها .. !، لم تستوعب ماريـان بعد ما قاله.. هي تنتظر منه أن يخبرها بأنه يمزح، سألهـا..

● لماذا تصمتيـن !؟!

● ظنتـك قلتـ العراق .. !

تنهد ويلسون ثم أكمـل ..

● أصغي ألي جيداً يا ماريـان، أعلم أن حلمك كان العمل بقناة عالمية وها قد تحقق على الأغلب عندما عملتـي معـنا، لكن صدقـينـي حـلـمـ كلـ صـحـفيـ أوـ مـرـاسـلـ أـخـبارـ هوـ نـقـلـ خـبـرـ الـقـرنـ، بـمـعـنـىـ.. قـدـ تـتـغـيـرـ حـيـاتـكـ بـسـبـبـ خـبـرـ ماـ!ـ، ولاـ أـظـنـ أـنـ هـنـاكـ مـكـانـاـ مـاـ مـلـيـئـاـ بـمـثـلـ تـلـكـ الـأـخـبارـ التـيـ قـدـ تـتـغـيـرـ حـيـاتـكـ بـسـبـبـهاـ لـأـفـضـلـ مـاـ يـكـونـ.. خـاصـةـ!ـ آنـكـ موـهـوبـةـ وـتـسـتـطـيـعـينـ تمـيـزـ تـلـكـ الـأـخـبارـ المـمـيـزةـ..

تسـاءـلتـ مـارـيـانـ فـيـ نـفـسـهـاـ.. مـاـ هـذـاـ العـبـثـ؟ـ!ـ، يـحـاـوـلـ أـقـنـاعـهـاـ بـطـرـيـقـةـ غـيـرـةـ..

● وـ لـمـاـ الـعـرـاقـ بـالـذـاتـ؟ـ!ـ، يـمـكـنـ أـنـ أـرـجـعـ مـصـرـ.. فـمـازـالـتـ الـأـحـدـاتـ هـنـاكـ مـشـيـرـةـ أـيـضاـ!ـ..

● لـكـ مـاـذـاـ إـنـ أـخـبـرـتـكـ بـأـنـ هـنـاكـ حـرـوـنـاـ سـتـقـامـ بـالـعـرـاقـ قـرـيبـاـ؟ـ!ـ، سـيـتـمـ تـحـرـيرـ مـحـافـظـاتـ الـعـرـاقـ مـنـ تـنـظـيمـ دـاعـشـ قـرـيبـاـ، أـظـنـ بـأـنـكـ أـكـثـرـ مـنـ تـسـتـحـقـينـ تـغـطـيـةـ هـذـهـ الـأـحـدـاتـ هـنـاكـ..

سـكـتـ لـلـحـظـاتـ ثـمـ أـسـطـرـدـ..

● وـ رـبـماـ يـحـدـثـ شـيـئـاـ غـيـرـ مـأـلـوفـاـ كـمـاـ تـحـبـينـ، أـلـمـ تـعـشـقـينـ تـلـكـ الـأـحـدـاتـ الـأـسـتـشـانـيـةـ أـثـنـاءـ تـغـطـيـةـ الـأـخـبارـ؟ـ!

لـمـ يـتـلـقـىـ جـوـابـاـ مـنـهـاـ سـوـىـ الصـمـتـ، عـمـلـ عـلـىـ أـنـهـاءـ الـمـكـالـمـةـ..

● حـسـنـاـ..، سـأـمـنـحـكـ بـعـضـ الـوقـتـ لـلـتـفـكـيرـ.. الـيـوـمـ رـاحـةـ لـكـ عـدـاـ لـوـ حدـثـ شـيـئـاـ طـبـعـاـ.. فـكـرـيـ بـالـأـمـرـ وـسـأـنـظـرـ رـدـكـ، إـلـىـ الـلـقـاءـ..

أغلقتـ مـارـيـانـ الـهـاتـفـ، يـدـوـ كـلـامـهـ مـنـطـقـيـاـ، لـكـنـهـاـ تـحـتـاجـ لـوـقـتـ فـعـلـاـ لـلـتـفـكـيرـ بـالـأـمـرـ، الـأـمـرـ لـيـسـ بـهـذـهـ الـبـسـاطـةـ لـتـقـرـرـ الـآنـ..!

لم يكن من السهل عليها أن تعلم بوجوده في بلده ذات أرض خصبة للمعارك والقتال خصوصاً إن الاتصالات بينهما قد إنقطعت منذ فترة ليست بالقصيرة، كان قد مر على خطف الرئيس اليمني أسبوعين كاملين سرت فيها الأخبار على وتيرة واحدة وهي معارك بين الجماعة الحوثية وجيش التحالف العربي ...

كانت حالتها النفسية السيئة سبب قوي لتراجع تطور علاجها، إنتابتها أفكار سوداوية حول مصير عمر هناك.. لا يمكنها أن تخيل كيف ستكون حياتها بدون عمر إن أُستشهاد في أحدى هذه المعارك.. لمن تحيا إذن؟!، هو الحياة بالنسبة لها.. هل يمكن للمرء أن يعيش دون حياته؟!، تريد أن تهب حياتها له كما وهب حياته لها ..!

عادت بذاكرتها للوراء قليلاً ...

في الحافلة في طريق عودتهم للقاهرة بعد حضور حفل زفاف صديقيهما في سوهاج إنطفأت الأنوار في الحافلة ونام ركابها إلا منها فقد بدا عليهما الاستمتاع بالليلة السالفة.. تبادر آسية بالكلام بعد صمت دام لدقائق..

- أتتذكر حين سألك عن سعيدة الحظ التي ستظفر بك يوماً ما؟!

نظر عمر إليها مبتسمًا، أكملت هي..

• حينها كنت أتعس خلق الله، سأتزوج رغمًا عنِي والأتعس من ذلك كانت ستكون فتاة غيري هي من ستفوز بك!  
!..

رد عمر بتهمكم..

- بالطبع فأنا فارس أحلام كل فتاة، ألا ترين وسامتي !!

- نعم فارس أحلامي أنا وأنا من فرت بك في النهاية ومن تقترب منك سأفترسها أو أقتلها بلا رحمة..

عقدت ذراعيها أمامها، فضحك عمر..

- أنا أستحقك، أنا من فزت بك وليس أنت ..

ملأت وجهها إبتسامة خجولة، داهمتها لحظة صمت أطلت بعدها آسية على وجهه عمر فوجدهه هائماً في النظر لشيء ما أعجبه، فطلت برأسها هي الأخرى في إتجاه ما ينظر هو فوجدهه ينظر لفتاة صغيرة تداعبه من بعيد فتفاعل معها، وللحظة تمنت لو أنها بخير لتجعله سعيداً ..

- تعجبك تلك الطفلة الصغيرة !؟ ..

- أحب الأطفال وأعشق الفتيات منهم ..

نظر إليها مبتسمًا ومشجعاً لها ..

- أنت شفاؤك بفارغ الصبر، حينها سينعم الله علىّ مرة أخرى بعدما رزقني بك .. !

إحمر وجهها خجلاً مع إبتسامة زادتها جمالاً، ثم أضاف عمر ..

- سأسميها مريم ..

عقدت حاجبيها في غضبٍ مفاجئ ..

- مريم .. !!، هذا إسم حبيبتك القديمة، أليس كذلك !؟

ضحك عمر بصوت كاد يوقظ من في الحافلة ثم وضح لها ..

- لا لا .. ليس هكذا ..

أنشد رأسه للوراء وعيناه معلقتان بتلك الطفلة هناك ..

● أنا أُعشق السيدة مريم عليها السلام.. دائمًا ما كتلت أثالم حين يذكر القرآن قصتها وكم فرحت عندما نصرها الله نصراً عظيماً.. لقد سُمِيَ الله سورة بأسمها تكريماً لها ..

نظر إليها مجدداً ..

● سأسميهما مريم..، حينها سرددت دعاء زوجة عمران حين أنجبت السيدة مريم ( إذ قالت إمرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطي محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم \* فلما وضعتها أنسى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنني سميتها مريم وإنني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) ، حينها سيحفظها الله من الشيطان الرجيم...

عادت لوقعها في المستشفى حين سمعت هي ووالدتها المذيع يلقي بخبر عاجل

" عاجل ... قوات التحالف العربي في اليمن تنجح في تحرير الرئيس اليمني المختطف من الحوثيين "

إرتسمت إبتسامة واسعة على وجهها وكذا والدتها ظلت تردد دامعة ...

- الحمد لله ... الحمد لله ..

بالطبع لم يكن هذا الخبر بحد ذاته هو من أفرحهم لكن طالما لم يذكر أن هناك شهداء أو إصابات في الصفوف المصرية فهذا يعني أن عمر بخير وأن انقطاعه عن الاتصال بهم هو مجرد إنشغال فقط بما يحدث هناك من مهمات، منذ قليل عادت من رحلة ذكرياتها معه، ربما لم تخترع البشرية الله الزمن بعد لكن المرء قادر على السفر عبر ذكرياته.. إما تكون رحلة سعيدة أو مرهقة ..!

الليلة الماضية ...

منذ أن أختطف الرئيس اليمني كلفت الكتبية المصرية بعملية استخباراتية لمعرفة مكان اختطافه، وبالفعل نجحت العناصر المصرية بقيادة مصطفى سراج في تحديد مكان الرئيس المختطف وحان دور عمر في تنفيذ عملية تحريره كان اللواء صفت قد قسم كتيبته لربعها بقيادة مصطفى للمهام الاستخباراتية وبباقي كتيبته للمهام القتالية بقيادة عمر، وضفت الخطة كاملة وتجهزوا لتنفيذها، كانوا يعلمون بمدى صعوبة هذه المهمة ...

كانت ليلة هادئة تسقى العاصفة القادمة، كانت الإجراءات الأمنية مشددة في مدينة البريقة في محافظة عدن اليمنية، وفي أحد منازل حي الزحف الأحمر يقطن الرئيس اليمني المختطف أسيراً في أيدي الجماعات الحوثية، تسللت المجموعة المصرية المنزل من أعلىه ونزلوا على سلم متخفياً قد صنعوه الحوثيين من قبل، كان عمر ملماً

بكل مخابئ المنزل حسب المعلومات التي جمعها زميله مصطفى، نزل عمر هذا السلم الخفي مع عناصر قليلة من مجموعته إلى أن وصل إلى نافذة لغرفة كانت نصف مفتوحة فوجد عمر الرئيس يجلس على أريكة لا حول له ولا قوة فتبّه الرئيس لشيء يتحرك وراء النافذة فظهر له رجل مقنع مختلفاً عن من قاموا بأخذتافه فأشار له عمر بالسکوت كي يكمل مهمته، كذلك فهم الرئيس من إشارات عمر إنه من قوات التحالف أنت لتحرر، سأله عن عدد الموجودين في الغرفة فأجابه مشيراً بأصابعه متخفياً بخمسة أفراد في الغرفة ..!، أقتسم عمر الغرفة هو ومجموعته وما إن دخل حتى أعطى إشارة عن طريق اللاسلكي لمجموعة خارج المنزل بإحداث شغب كي يتمكن من تخفيف الضغط في المنزل وتحرير الرئيس ..

عند دخوله تبادل إطلاق النار مع الأفراد المسلحة وبأسقبية المجموعة المصرية سقط مختطفي الرئيس قتلى، على الفور أحاطت هذه المجموعة الرئيس عند خروجهم من الغرفة في إتجاه المخرج وتزايد عدد قتلى الحوثيين، أعتمدت المجموعة المصرية على عنصري التثبيت والمفاجأة.. وفور خروجهم من المنزل توقفت سيارات ضخمة أمام المنزل فأسرعوا باتجاهها وأثناء إحاطة عمر للرئيس محاولاً حمايته أصيب بطلاقة في كتفه وسط إطلاق نار عنيف عشوائي ..!، فأسرعت المجموعة بإدخال الرئيس أحدى السيارات ودخل عمر معه لحمايته وإنطلقت السيارات هاربة من جحيم الرصاصات والأسلحة الثقيلة التي بدأت تظهر حين بدا الوضع يتخذ شكل المعركة ..

عندما كانوا في السيارات في طريق العودة أخلع عمر قناعه وظهر العرق على جبينه.. كان يتآلم بشدة بسبب الرصاصات التي اخترقت كتفه، حاول الرئيس الاطمئنان عليه لكن لم يكن بمقدور عمر إجابتة لأنشغاله بألمه ..!

بعد ساعتين من السير في الطرق الوعرة وصلت المجموعة أخيراً للمعسكر واستقبلتهم اللواء صفت وتهلل أسايريه حين علم أن المجموعة بأكملها قد عادت سالمة دون شهداء ولكن الأصابات كانت بلغة وخصوصاً عمر المصايب برصاصه في كتفه بالإضافة للكدمات..، جري مصطفى بإتجاه عمر عندما رأه مصاباً لعلاجه فيما أمر اللواء صفت مجنداً باتصاله بقوات التحالف لأعلامهم بنجاح مهمته وتحرير الرئيس ..

مضى يومان على المهمة الأخيرة وسط إشادة وثناء على مجهدات الكتيبة المصرية ترحيب من القيادة العربية، تسلمت قوات التحالف الرئيس اليمني من الكتيبة المصرية وعزمت المملكة السعودية على السماح للكتيبة المصرية بالرجوع لمصر وأنهاء مهمتهم في اليمن لا سيما بعد أن عرفت الميليشيات الحوثية مكان المعسكر المصري وقد تحدث كارثة في قادم الأيام ..!

تلك الأخبار أسعدت الكتيبة المصرية كلها، كان عمر يخطط لأن يفاجأها حين يظهر لها فجأة في المستشفى وكان أيضًا يمني نفسه في أن يتفاجأ حين يراها أنها قد تطورت في علاجها، لكن ما أفسد مخططه هذا هو مرور الساعة كالسنة.. لم يطيق الانتظار لذلك قرر أن يُسعد نفسه الآن، قرر أن يسمع صوتها الآن.. لذلك فقد قرر الاتصال بها، شكل أرقامها عبر هاتفه وأتصل بها لكن لم يأتيه الرد منها ...!، زفر وقد غير رأيه.. سينام لتمر الساعات القادمة بسرعة، سيراها قريباً.. هو متأكد من ذلك..

على الجانب الآخر كانت غرفة آسية خالية لا أحد فيها لكن هاتفها يرن باستمرار دون أن يسمعه أحد..

كانت تمسك هاتفها منذ ليلة أمس عندما علمت أنه قد أتصل بها وهي لم ترد بسبب أنها تركت هاتفها في الغرفة.. لذلك لم تفارق هاتفها منذ الأمس... !، فجأة وجدت هاتفها يرن من جديد.. أنه هو.. أنه عمر.. !

● عمر .. !، أهذا أنت ؟ !؟

قالتها بلهفة وأشتياق كبيرين، لم تصدق أنها تسمع صوته أخيراً..

● آسية.. كيف حالك الآن ؟ !

أناه الرد غاضباً منها.. تبكي بحرقة وغضب ...

● حالي ؟ !، الآن تسأل عن حالي ؟ !، أين كنت طوال هذا الوقت ؟ !

هي تدرك أنه ربما يكون منشغلاً وأنه في حالة حرب ربما لكن في بالها هذا ليس مبرراً لعدم اتصاله بها، حاول هو تهدئتها..

● آسف يا آسية، أنتي تعلمين مدى انشغالني هنا و... .

قطعته في عتابٍ واضح..

● آسف ؟ ! وبماذا سيفيد أسفك يا عمر ؟ ! لماذا تركتني هكذا أقلق عليك ؟ !، تركتني في وقت كت في أمس الحاجة إليك فيه .. !، لقد انقطعت فجأةً عن الاتصال بي .. !

● لم أتعمد ذلك يا آسية.. كانت التدريبات هنا قاسية ومرهقة..

قطعته مجدداً بلهجةً حادة ..

● تدريبات في اليمن يا عمر ؟ !، منذ متى وأنت تكذب عليّ ؟ !

لم يتواجه عمر من معرفة آسية بالأمر.. لابد وأن والدتها قد أخبرتها رغم تحذيره لها بعدم أخبارها ..

• لم أكن لأريد أن تنشغلين عن علاجك وتقلقين عليّ، آسفٌ مرة أخرى..

لانت لهجتها بعد أن شعرت بأنها قد أثقلت عليه بالعتاب..

• كفى تأسفاً يا عمر، أنا من يجب أن تعذر بسبب تلك العصبية..

سكتت للحظة ثم نطقـت بتلك الكلمة التي يعشـقها عمر..

• أحبك ! ..

ابتسم عمر ورد عليها في سرور..

• أحبـك أيضاً، ولاـكفر عن ذـنبي هذا دعـيني أن أـخبرـك بـأن ساعـات قـليلـة فقط وـسأـكون أمـامـك مـباـشـرةً ! ..

لم تصدق ما سمعـتـه، تـهـلـلتـ أـسـارـيرـها وـظـهـرـ الفـرـحـ عـلـيـها جـلـيـاـ.

• حـقاً.. حـسـنـاً.. أنا مـسـتـعـدة، وأـنـاـ كـذـلـكـ دـعـنـيـ أـخـبـرـكـ بـأـنـيـ قـدـ تـطـورـتـ حـالـتـيـ كـثـيـراًـ،ـ أـمـاـ عـنـ إـلـىـ أـيـ مـدىـ فـهـذـاـ سـأـتـرـكـ هـيـنـ تـرـاهـ بـنـفـسـكـ ...

كـانـتـ والـدـتـهـاـ تـقـفـ بـجـانـبـهـاـ وـالـسـعـادـةـ تـغـمـرـهـاـ هـيـ الـأـخـرـىـ..ـ كـادـتـ تـبـكـيـ فـرـحـاـ بـسـبـبـ سـعـادـةـ أـبـتـهـاـ وـرـجـوـعـ عمرـ قـرـيبـاـ..ـ سـمـعـتـ صـوـتـ أـحـدـهـمـ وـهـمـ يـسـتـعـجـلـ عـمـرـ..ـ

• حـسـنـاًـ عـلـيـ أـنـهـ المـكـالـمـةـ الـآنـ..ـ عـلـيـ أـنـ أـرـكـبـ الطـائـرـةـ الـآنـ وـإـلـاـ تـرـكـونـيـ هـنـاـ..ـ

• حـسـنـاًـ وـأـنـاـ سـأـنـتـظـرـكـ..ـ

أغلقت آسية هاتـفـهاـ وـقـلـبـهـاـ لاـ يـتـوقـفـ عـنـ النـبـضـ بـسـرـعـةـ،ـ تـشـعـرـ وـكـانـهـ سـيـظـهـرـ فـيـ أيـ وـقـتـ أـمـامـهـاـ..ـ وـرـبـماـ الـآنـ،ـ فـكـرـتـ فـيـ كـيـفـ أـنـهـ سـيـكـونـ سـعـيـداـ حـيـنـ يـعـلـمـ أـنـهـاـ تـسـيرـ لـوـحـدـهـاـ وـلـوـ ثـوـانـيـ..ـ تـطـورـ حـالـتـهـاـ أـكـثـرـ،ـ مـهـلاـ..ـ لـدـيـهـاـ

جلسة علاج الآن.. ستبذل أقصى ما في وسعها لتسعده.. لديها أمل يكفي لأن تصدق أنها ستعود كما كانت في هذه الجلسة بالذات ..!

أما عن والدتها فهي كانت في غاية السعادة حين رأت الأصرار على العلاج هكذا بعد تلك المحادثة بينهما وتمت بكل جوارحها أن يعود عمر بسرعة.. لمجرد أنه أخبرها فقط بأنه سيعود خلال ساعاتٍ قليلة تملكها كل تلك الحماسة.. فكيف سيكون الأمر حين يكون هو معها هنا ؟!، للحظة شعرت بأنقبض قلبها فجأة وتبدلت تعابير وجهها للقلق، الوقت ينفذ منها ولا بد من تواجد عمر هنا في أقرب وقتٍ ممكن.. قد ينكشف سرها في أي لحظة وحينها للقلق، الوقت ينفد منها ولا بد من تفكييرها.. سيعود عمر خلال ساعاتٍ وسيعтинي باسية.. هي تتفق بذلك..

شعرت بالغشيان فجأة.. لقد حان وقت نوبات مرضها، لكن لا أحد يعلم بذلك ولا حتى أبنتها.. لذلك هي تتمني لو يرجع عمر بسرعة ليعتني بأبنتها، ستطمئن عليها بوجوده في حال لو حدث شيئاً لها..

أسرعت ناحية غرفة آسية.. أغلقت الباب وأسندت ظهرها عليه.. بدأت تفقد وعيها تدريجياً وشعورها بالقيء مع صداع بسبب صوت صفير في أذنها وتنشوش رؤيتها بالتدريج ، تشنجمت أعصابها وأصبحت تتلوى أرضاً فاقدةً وعيها !..

لحظات وجدت نفسها تسمع طرق على بابٍ ما.. أستعادت وعيها فأدركت أنها قد أستفاقت من نوبة مرضها.. مازال أحدهم يطرق الباب وقد بدا عليه القلق بسبب غلق الباب من الداخل وعدم استجابتها هي...، أسرعت لتجيب على أبنتها التي أنتابها القلق بسبب عدم وجودها بجانبها !..

● آسية.. أنتظري دقيقة رجاءاً..

أسرعت لتنظر الأرض من أثر قيئها وغيرت ملابسها بسرعة كي تظهر أنها فقط كانت تغيير ملابسها.. مرت الأمور بسلام ولم تلحظ آسية كالعادة أي شيء.. الجميع منشغل بعوده عمر المرتبة خلال دقائق من الآن وخاصةً آسية التي أنتهت من جلسة علاجها للتتو وتسعد اللقاء الغالي..

\*\*\*\*\*

أقلعت الطائرات المصرية شمالاً باتجاه العاصمة صنعاء ومنها للعودة لمصر، فجأة أهتزت الطائرة التي يتواجد بها اللواء صفت ومساعده مصطفى، توجها كلاهما نحو غرفة القيادة..، خفق قلب اللواء صفت وسأل قائد الطائرة بذعر ..

• ماذا حدث..؟!

رد عليه قائد الطائرة والذعر بادياً عليه جلياً..

• لقد أعترض طريقنا صاروخ مضاد للطائرات.. يبدو أن الحوثيين قد أستولوا على هذه المدينة أيضاً..

سؤاله اللواء صفت ..

أين نحن الآن بالضبط؟!

في مدينة حجة.. يفصلنا عن العاصمة صنعاء عشر دقائق فقط..

تكلم مصطفى الذي تملكه القلق..

هذا أن أستطيعنا الهروب من هنا أولاً..

أمر اللواء صفت قائد الطائرة بأن يتصل بمطار صنعاء لكن لا أحد يجيب.. كرر الأتصال لكن النتيجة نفسها..، فكر في حل للخروج من الأزمة لكن عقله لا يستطيع التفكير الآن.. كل ما يأتي لعقله هي تلك الكوارث التي ستنتفع.. إما أسرى في يد الحوثيين أو تحطم الطائرات في هذه المنطقة السكنية وأستشهادهم هذا بالإضافة لهؤلاء المواطنين اليمنيين الذين سيموتون نتيجة انفجار الطائرات وفي كلتا الحالتين ستحدث أزمة سياسية جديدة..

أقرح عليه مصطفى حلاً..

سيدي.. ماذا لو عدنا لمعسكننا ونطلب المساعدة من قوات التحالف؟!

أقترح يستحق التفكير فيه ولو قليلاً.. قد تكون قوات التحالف تركت المعسكر وبذلك ليس من الحكم العودة للمعسكر في عدن لأنهم ربما يكون الحوثيين قد أستولوا على المكان وبذلك سيقعون أسري في أيديهم، وفي نفس الوقت تبدو فكرة الطيران نحو مطار صنعاء خطيرة.. لا أحد يجيب هناك وربما يكون أيضاً قد أستولى عليها هؤلاء الحمقى.. لكن لا وقت لديه.. عليه اتخاذ قرار سريع.. هو لا يستطيع التفكير في أي حل الآن..، أي قرار سيكون مجازفة على كل حال..

أذن.. العودة للمعسكر يبدو الحل الأمثل فعلاً..

وجه أوامره لقائد الطائرة ..

عد بنا لمطار عدن حالاً ..

هز قائد الطائرة رأسه أيجاباً ثم ضغط على زر الاتصال بالطائرة الأخرى.. لكن الصدمة هنا أن الجهاز أصدر تشوشًا.. لقد فقد الاتصال بالطائرة الأخرى !

اهتزت الطائرة بعنفٍ أشد هذه المرة مما أسقط اللواء صفوت ومصطفى أرضًا وسماع صوت صفير أنذار في الطائرة كلها.. أنها المحركات..

فاجئه قائد الطائرة..

سيدي.. الطائرة الأخرى قد سقطت ..!

لقد شل تفكير اللواء صفوت في هذه اللحظة.. ماذا عليه أن يفعل أو يقرر؟!.. لا يستطيع الهبوط بالطائرة في هذه المنطقة لأنقاذ عمر وبقية الكتبية.. أنها منطقة سكانية وكفى أن الطائرة الأخرى قد سقطت وستحدث الكثير من الضرر، ولا يستطيع الهروب من هذا المكان أصلاً بسبب هذا القصف العشوائي..

ذلك القصف العشوائي لم يمهل اللواء صفوت التفكير في اختيار أي طريق يسلك أو الخروج من صدمته.. لقد أهتزت الطائرة هزة عنيفة أفقدتها مروحياتها .. لقد أشتعلت النيران في مؤخرة الطائرة وسقطت هي الأخرى..

أنهت مهمتهم في اليمن رسمياً.. أنهت بموتهم ... !

\*\*\*\*\*

كان عمر في الطائرة الأخرى قد صنع من ذكرياته آلة زمن لتمر ساعات عودته سريعاً.. وفعلاً.. فقد عاد لماضيه أسرع مما عاد لوطنه..

لم يختطفه من ذكرياته سوى أهتزاز الطائرة بعنف ليجد نفسه طریحاً على الأرض.. وقف سريعاً لأستعادة توازنه وتوجه مسرعاً نحو غرفة القيادة.. وعندما دخل غرفة القيادة وجد الأضطراب والقلق باديان على وجه قائد الطائرة.. تبدو الأمور مرتبكة هنا.. تساؤل في ذعر ...

ماذا حدث؟!

رد عليه قائد الطائرة ..

نتعرض لقصف عشوائي من الحوثيين..

نظر عمر أمامه فوجد أن الطائرة الأخرى تحاول المراوغة..، أمر قائد الطائرة بأن يصله باللواء صفوت في الطائرة الأخرى لكنه تفاجأ بأن الاتصال قد انقطع به..

ذلك القصف لم يمهله التفكير حتى.. هزة أخرى أفقدت الطائرة مروحياتها وأخذت طريقها في التهاوي.. عمر ينبعط في جدران الطائرة يميناً ويساراً.. وأخيراً سقطت الطائرة أرضاً.. ثواني ولحقت بها الطائرة الأخرى لتحدثنـا أنفجاراً هائلاً في المنطقة.. لقد أنهى أمرهم جمـيعاً..

كانت تتشوّق لمغامرةً جديدة في حياتها.. ليس من ذلك النوع من الناس الذين يفضلون رتابة حياتهم أو عملهم..، كانت ترغّب بحياةً مختلفة عن الجميع ولطالما كانت حياتها فعلاً مختلفة.. كانت تبحث عن الفرصة بنفسها.. آمنت أنه ليس من العجيد أن تتطلّع الفرصة لتأتيها.. بل عليها البحث عن الفرصة وأن لم تجد ستكتفي واحدة..!

لذلك ورغم اختلافها مع ويلسون إلا أنها أقتبعت برؤيتها، لا تعلم أن كان هذا رأيه فعلاً أم أن هناك من لا يرغب بوجودها في المحطة، حتى وأن كان الأحتمال الثاني أقوى سيكون ويلسون شخصاً ذكيًا.. لأنه حينها يكون قد تعامل مع المشكلة بذكاء شديد.. وبعدّها عن المحطة تماماً وفي الوقت ذاته لم يخسر مجاهدات ماريان الرائعة!

كان أمراً آخر يشغل بالها.. والدتها..!، حين علمت بعملية نقلها للعراق رفضت الفكرة رفضاً تاماً وأمرتها ب تقديم استقالتها والعودة للعمل مع عمها في القناة التي يملكها لكن المشكلة هنا أنها لم تعلم بذلك إلا عندما أفلعت الطائرة من مطار لندن متوجهةً للعراق، أغلقت الهاتف بعدها كي لا يزعجها أحد وتضع الجميع أمام الأمر الواقع، لقد علمت والدتها بالأمر عندما زارت ثروت في القناة لتأكد من تلك الشائعات التي تثار حول أبنتها في لندن

كانت في طريقها لمكتبها لكنها توقفت بالقرب من الباب عندما سمعت أنه أحدهم جاء بسيارة ماريان.. تعرف هذا الصوت جيداً.. أنها شيرين..!، كان حديثهما حاداً وكأن هناك مشكلةً بخصوص ماريان، صُدمت عندما علمت أن أبنتها في طريقها للعراق ودفعـت الباب بعنف وصبت كامل غضبها على ثروت لأنه لم يعلـمها بالأمر سابقاً.. حاول جميعـهم الاتصال بها لكن ماريان لا تجيب.. يعلمـون كـم أن ماريان عـنـيدة ولـن تـرـد عـلـى أحـدـهم كـي لا يـوبـخـها.. لقد اتـخذـت قـرارـها عـلـى أـيـةـ حـالـ، رـاسـلـتـهاـ شـيرـينـ عـلـىـ الفـيـسـبـوكـ وـشـرـحـتـ لهاـ ماـ حدـثـ مـنـذـ قـلـيلـ..!

كان يومـهاـ شـافـاً.. وصلـتـ بـغـدـادـ فـيـ العـاـشـرـةـ صـبـاحـاًـ ثـمـ سـافـرـ الطـاقـمـ كـلـهـ بـسـيـارـةـ المـحـطـةـ إـلـىـ المـوـصـلـ عـبـرـ طـرـيقـ بـرـيـ..!، أـخـرـجـتـهاـ سـارـةـ مـنـ تـفـكـيرـهاـ حـيـنـ تـوقـفـتـ السـيـارـةـ.. لـقـدـ وـصـلـواـ أـخـيرـاً.. تـرـجـلتـ مـنـ السـيـارـةـ لـتـرـىـ مـسـكـنـهـمـ الجـديـدـ هـنـاـ.. يـبـدوـ جـيـداًـ!، نـظـرـتـ فـيـ سـاعـتـهـاـ فـوـجـدـتـ أـنـهـاـ قـدـ تـجاـوزـتـ العـاـشـرـةـ مـسـاءـاً.. أـنـتـيـ عـشـرـةـ سـاعـةـ تـقـرـيـباًـ

سفر بالسيارة.. كم كان هذا مرهقاً، في حقيقة الأمر هي لا تفكّر بشيء الآن سوى أيجاد السرير لاحتضانه ...!، عليها أن تتقبل أنها في العراق.. وستفعل..

\*\*\*\*\*

عاجل ... رسميًا القوات المصرية المشاركة في التحالف العربي باليمن تغادر البلاد في طريقها للعودة لأرض الوطن..

أفرحها ذلك الخبر كثيراً وجعلها تزداد أبتهاجاً عندما سمعته من قناة أخبارية، فهي تعلم مسبقاً بذلك لكن كون أن الخبر قد عرض في التلفاز فهذا يعني أنه قد أوشك على الظهور وعليها أن تتجهز حالاً لاستقباله..

و خلال لحظاتٍ فقط كانت على أتم الاستعداد، تتطلع على النافذة.. تتسارع نبضات قلبها متوقعة ظهوره في أي لحظة وهي تلعن كل لحظة تجعلها تنتظر.. بل وكل لحظة أبعدتها عنه..

مرت الدقائق كالساعات.. تمر الساعة تلو الأخرى وهي تنتظر دون فائدة.. بدأت تيأس ويخيب ظنها.. متى سيعود؟! لقد وعدني بأنه سيكون أمامي خلال ساعاتٍ قليلة ..!

عندما حل الليل دون جديد أعلنت دموعها الحضور بدلاً عنه.. لم تتحمل ذلك الأخفاق أيضاً.. حتى في لحظة الأخفاق تلك كانت تأمل أن يظهر أمامها فجأة فتقوم بمعايتها لكنه لم يظهر أيضاً.. لن يأتي، فهي تتصل به منذ الصباح لكن هاتفه مغلق ..!، تحاول والدتها تهدئتها عندما ربت على كتفها..

لا داعي للقلق هكذا يا آسية.. سيكون بخير.. أحاسيس يقول لي هذا، ربما يكون قد حدث شيئاً ما سياخره قليلاً..

صاحت آسية بغضبٍ باكية ...

لماذا يعاقبني دائمًا بانتظاره؟!، أنا لا أستحق هذا..

دخلت نادية الممرضة مسرعة ...

آسية.. أفتحي التلفاز بسرعة.. هناك خبر يتم تداوله منذ ساعات ..!

أرسمت علامات الدهشة والقلق على وجه آسية ووالدتها، أسرعت والدتها لفتح التلفاز وأخذت تنتقل بين القنوات بسرعة باحثةً عن قناة أخبارية..

المذيعة شيرين ...

.. مرت ساعات على حادثة اختفاء الطائرات المصرية في اليمن ..!، الغموض ما زال يلتف حول الحادثة..، هل الطائرات المصرية اختطفت أم تحطمت ..؟!، في حقيقة الأمر أصبحنا لا نفهم أي شيء يحدث له علاقة بمصر !..

صمتت المذيعة للحظات و يبدو أنها تتلقى معلومات جديدة من فريق الإعداد، يظهر شريط أخباري عاجل ...

" عاجل .. نقلًا عن القيادة العامة لقوات التحالف العربي ...

العثور على حطام الطائرات العسكرية المصرية في مدينة الحجة ...!

العثور على جثث متفحمة في المنطقة التي تحطمت فيها الطائرات المصرية ..!

لقد قتلها الخبر الأخير كما قُتل عمر.. لم تتحمل آسية الخبر فسقطت، أما والدتها فكانت تخشى ما كانت تنتظره ..!، وكما توقعت والدتها فإن نهاية عمر أو موته تعني نهاية آسية و نهايتها هي كذلك ..!، لقد أنهى كل شيء.. كل شيء ..!

في الصباح كانت الأمور كلها تسير على ما يرام ولكن سرعان ما تحولت تلك الأمور لـ**كابوسٍ** مزعج للكتيبة المصرية..، فبعدما سعد الجميع بخبر أنتهاء مهمتهم رسمياً في اليمن وكانوا في طريقهم للعودة بدأ ذلك **الكابوس**.. حيث تمت مهاجمتهم على الحدود اليمنية السعودية وحينها قرروا العودة لمعسكرهم الذي كانوا فيه قبل ساعات في محافظة عدن..، لكن القصف العشوائي لم يمهلهم التفكير في حل للخروج من الأزمة.. أُصيبت الطائرات بتلك القذائف وهوت كلتاها لكن قبل وقوعها أستطاع اللواء صفت و المصطفى النزول من الطائرة بالمظلات أما عمر فقد تم إنقاذه قبل انفجار الطائرة بثواني..

سقطت الطائرتان وتم إنقاذه.. أما البقية فقد أحترقوا بعد الانفجار شاملين معهم أغلب سكان المنطقة..، أما من بقي حياً فأسرعت الجماعة الحوثية بالقبض عليهم وأجبارهم على ركوب سيارات نقل صغيرة لنقلهم لمكان اعتقالهم، كانت أعدادهم غفيرة بالعدد الذي لا يسمح بأي مخاطرة من الكتيبة المصرية للمقاومة..

و بعد معاناة لأربع ساعات متواصلة تحت أشعة الشمس الحارقة وتعتيم أعينهم وصلوا أخيراً للمكان المقصود..، وصلوا لمكان بلغت الشدة الأمنية فيه أقصاها أو أنهم تعلموا من خطأهم السابق حين كانت هناك ثغرات سمح بتهريب الرئيس.. فكوا العصابات عن أعينهم فور وصولهم ..نزلوا من العربات محاطين من الجانبيين بممر بشري مسلح يسيرون خالله، تم أنقيادهم لمبني مجهول وعند دخولهم المبني نزلوا عبر الدرج إلى قبو ..!، كان يبدو هذا مكان اعتقالهم، تم الزج بهم في سجونٍ واسعة..

كان اللواء صفت يفكر في كيفية الخروج من هذا المأذق، ليس وحده.. عمر ومصطفى يفكران أيضاً في الأحتمالات القادمة..

بادر مصطفى بسؤال اللواء صفت..

سيدي.. ماذا برأيك سيفعلون بنا؟!

رد اللواء صفت ...

سيحجزونا لساعات..

حتى تتفاوض قواتنا المسلحة معهم؟!

هذا أحتمال ..، وأحتمال آخر أن تغصب قواتنا المسلحة وتقوم بمحاجتهم.. سيتضح كل شيء خلال ساعات..

تدخل عمر في الحديث..

أو سيسخدموننا للمساومة مثلاً، لأعادة شرعية حكمهم للبلاد مجدداً..

Sad al-samt bayn thalathem l-l-hazat then hiz al-lwae صفت رأسه نافياً..

المشكلة ليست في هؤلاء الحمقى.. ليسوا أذكياء كفايةً لصنع فخ هكذا لنا، مخاوفى تزداد لو ما أفكر به صحبياً..

فزع مصطفى من الأحتمال الذي خطر على باله..

مستحيل.. أيمكن أنهم..

قاطعه عمر مجبياً أيه بأسبياء ..

صحيح.. ما تفكـر به صحيح ..!

كان يجلس في مكتبه بوقار حين كان ينتظر بفارغ الصبر البدء في تنفيذ الخطة التي رسمها..، ظل حسين أياز رئيس المخابرات الإيرانية يتبع القنوات الأخبارية كالعادة بشروط، فجأة رن هاتف مكتبه الداخلي.. أنها مساعدته الخاصة تستأذنه لأيصاله بشخص معين كان هو قد أوصاها عندما يتصل أن تصله به، أنتظر لثواني قبل أن يتكلم ذلك الشخص..

مرحباً سيد..

مرحباً.. هل من جديد؟!

بالتأكيد سيد.. لقد تمت المهمة بنجاح..

كم عددهم؟!

صمت المتكلم للحظة ثم أكمل..

لم نفقد الكثير منهم..

أين هم الآن؟!

في المكان المتفق عليه..

حسناً.. عليك أن تحافظ عليهم هذه المرة.. لا أريد أي خطأ أن يحدث ..

بذا المحدث خجلاً بعض الشيء..

لا تقلق سيد.. المكان مؤمن هذه المرة بدرجة كافية..

آمل ذلك.. على الأقل لحين أرسال الدعم لتنفيذ باقي المهمة..

حسنًا سيدى.. أنا أنتظر..

أغلق الهاتف وأرتسمت الأبتسامة على وجهه.. تسير خطته على مايرام، ما أخرجه عن تفكيره مرة أخرى مساعدته الخاصة عندما أستئذنته بالدخول..

سيدي.. لديك اتصال سري من الدرجة الأولى..

قطب حسين حاجيه.. اتصال سري؟!.. لا يمكن أن يكون من المخابرات المصرية.. يا لحمامة هؤلاء الرجال -  
الحوثيين - لو كان الاتصال من المصريين..

حسنًا أنا قادم ...

خرج حسين من مكتبه وسار عبر أروقة خاصة حتى وصل لغرفة الاتصالات السرية، دخل الغرفة وتوجه ناحية  
شاشة الاتصال التي تستعملها أجهزة المخابرات للاتصال ببعضها، بادر المتصل بالتحية ..

مرحباً سيد حسين..

تقىد حسین دور المتفاجئ..

أووووووووه سيد شريف؟!، مرحبًا مرحبًا.. لعل سبب اتصالك يكون خيراً أن شاء الله..

خير؟!، أنت من ستحددون هذا.. خير أم لا..

بدا على حسين الاستهانة بخصمه ...

حقيقةً أنا لا أفهمك سيد شريف، عما تتكلم؟!

حاول شريف التحكم في أعصابه.. الأمر لا يحتاج لأنارة أعصابه..

الحقيقة الوحيدة هنا هو أنك تفهم سبب اتصالي، ولا أفضل أن ندخل في معركةً كلامية..

دعني أذن أعرف سبب اتصالك سيد شريف..

بـدا صـوت شـريف يـشـوـبـهـ الحـدةـ وـالـغـضـبـ ..

أـسـمـعـيـ جـيدـاـ .. مـاـ تـفـعـلـونـهـ لـنـ يـمـرـ بـسـلامـ وـأـعـتـقـدـ أـنـكـ تـعـلـمـ جـيدـاـ قـيـمـةـ وـمـكـانـةـ الـمـخـابـراتـ الـمـصـرـيـةـ .. لـاـ أـظـنـكـ أـنـكـ تـظـنـ أـنـاـ سـقـفـ مـكـتـوـفـيـ الـأـيـديـ ..

ردـ عـلـيـهـ حـسـيـنـ بـنـفـسـ نـبـرـةـ الـغـضـبـ ..

أـسـمـعـيـ أـنـتـ يـاـ هـذـاـ .. أـنـتـ الـآنـ تـحـتـ أـيـدـيـنـاـ .. لـسـتـمـ فـيـ وـضـعـ يـسـمـحـ لـكـمـ بـتـهـدـيـنـاـ ..

ظـهـرـتـ أـبـتسـامـةـ سـاخـرـةـ عـلـىـ وـجـهـ شـرـيفـ ..

أـذـنـ أـنـتـ فـعـلـاـ مـنـ قـمـتـ بـهـذـاـ .. ، عـلـىـ كـلـ حـالـ أـرـدـتـ التـأـكـدـ قـبـلـ أـنـ أـتـخـذـ أـيـ رـدـةـ فـعـلـ ..

ضـحـكـ حـسـيـنـ مـنـ مـكـرـ خـصـمـهـ ..

لـقـدـ أـوـقـعـتـ بـيـ يـاـ رـجـلـ .. تـهـانـيـ لـكـ ..

سـادـ الصـمـتـ لـلـحـظـاتـ فـكـسـرـهـ شـرـيفـ مـجـدـاـ ..

أـذـنـ .. مـاـذـاـ تـرـيـدـ ؟ـ !ـ

هـزـ حـسـيـنـ رـأـسـهـ رـاضـيـاـ عـمـاـ قـدـ وـصـلـ إـلـيـهـ ..

هـكـذـاـ يـكـوـنـ الـكـلـامـ سـيـدـ شـرـيفـ .. ، أـنـاـ لـمـ أـقـمـ بـخـطـوـتـيـ التـالـيـةـ بـعـدـ .. خـدـمـةـ صـغـيرـةـ أـنـ فـعـلـتـهـاـ مـنـ أـجـلـيـ وـأـتـفـقـنـاـ عـلـىـ  
كـلـ شـيـءـ سـأـقـومـ بـتـأـجـيلـ خـطـوـتـيـ التـالـيـةـ لـحـينـ التـأـكـدـ رـسـمـيـاـ مـنـ تـنـفـيـذـ مـاـ أـتـفـقـنـاـ عـلـيـهـ وـحـينـهـاـ سـتـعـودـ الـأـمـورـ كـمـاـ  
كـانـتـ ..

سـادـ الصـمـتـ لـلـحـظـاتـ .. أـدـرـكـ شـرـيفـ مـاـ يـرـيـدـهـ حـسـيـنـ ، وـأـدـرـكـ حـسـيـنـ أـيـضـاـ أـنـ عـلـيـهـ أـكـمـالـ كـلـامـهـ وـتـوـضـيـحـ طـلـبـهـ ..

الـأـفـرـاجـ عـنـ الـمـعـتـقـلـينـ الـأـسـلـامـيـنـ وـبـالـتـأـكـيدـ أـنـتـ تـفـهـمـ مـنـ أـقـصـدـ ..

كـمـاـ تـوـقـعـ شـرـيفـ .. فـهـؤـلـاءـ الـإـيـرـانـيـنـ قـدـ صـنـعـوـاـ فـخـاـ لـهـمـ وـسـيـسـاـوـمـوـنـهـمـ عـلـىـ شـيـءـ هـكـذـاـ ..

لكنك تعلم جيداً سيد حسين أن طلبكم مرفوض.. مرفوض حتى لمجرد التفكير فيه..

بدا على حسين أنه مسرور بالحديث.. لقد وصل إلى ما يرمي إليه..

من المنطقى أن ترفضوا طلبنا..، حسناً أنا لا ألومك على اختيارك سيد شريف، لكن من حبك معرفة أن الخطوة

التالية سيمثلها تلقائياً أن لم أتدخل أنا لأيقافها الآن..

سيد حسين.. لا تصنع أزمة بين البلدين.. لا تقدم على فعل شيء ربما تندمون عليه لاحقاً ..

للمرة الثانية علىّ أن أخبرك بأنك لست في وضع يسمح لك بالتهديد سيد شريف ... !

نظر حسين في ساعته أشاره لرغبته بانهاء الحديث الآن..

حسناً سيد شريف.. أعتقد بأنه ليس لدى وقت لأضيعه معك في نقاشٍ تافه.. لدى أمور أهم علىّ القيام بها الآن..

أراد شريف أن يختتم كلامه بتحذيره..

دعني أخبرك شيئاً أخيراً سيد حسين.. لا تستهين أبداً بدولتنا وصدقني لو حدث مكروهاً ما لجئونا أو لم يعودوا.. لن تمر الأمور عندكم بسلام..

لوح حسين بيده مودعاً آياتاً بسخرية، وحينما أنهى الاتصال وقف مُفكراً في تهديد شريف.. زفر وأخذ يلعن الحوثيين الذين دائمًا ما يتربكون أثراً ورائهم.. يا لهؤلاء الحمقى ، لقد فقدت الخطة واحداً بالمائة من سريتها، لا يهم.. الأمور تسير على مايرام، خرج من غرفة الاتصالات عائداً لمكتبه، رفع سماعة الهاتف وطلب رقمًا سريعاً..

نفذ الخطوة التالية..

أغلق الهاتف وأسند ظهره للوراء.. يشعر بنشوة الانتصار..

\*\*\*\*\*

في الجهة الأخرى يجلس شريف في أجتماعٍ مصغر مع أعضاء مكتبه، بادر أحدهم بالكلام..

ماذا لو قمنا بتسريب الخبر للأعلام مثلاً؟!، بذلك سنقوم بفضح نواياهم قبل أذية ما تبقى من جنودنا..

هز شريف رأسه نافياً ..

سيكون هذا مجرد اتفاق ومراؤحةً منا لعدم أبرز فشلنا في حماية جنودنا.. هكذا سيفكر الرأي العام المصري !..

سؤاله نفس الضابط..

و ليس من المنطقي أيضاً أن نكتفي بالمشاهدة ..!، لا أظن بأن هذا مجرد تهديد سيدى، بالتأكيد سيستخدمون جنودنا..

رد عليه شريف..

ليس بأمكاننا فعل شيء الآن.. علينا الانتظار..

تدخل أحدهم..

و هم يريدون ذلك سيد شريف.. بالتأكيد سيستخدمون جنودنا..

دعونا ننتظر يا سادة.. لن يطول الأمر حتى نرى ما سيحدث، هم متغطشون لأنصار علينا، لكن ما أؤكد أنه لن يفلتوا بفعلتهم أياً كانت..

سيطر القلق على هذا المجتمع الذي استمر في الانعقاد كل ثلات ساعاتٍ تقريباً لمتابعة أي تطورات أو اقتراحات جديدة ...

لنصف ساعةً تقريباً وهم يشعرون بتحركات مريبة في الخارج.. ربما هي أجراءات الأفراج عنهم مثلاً؟ أو أن التحالف العربي يسعى لتحريرهم من قبضة هؤلاء المليشيات ، لكن بمرور الوقت يزداد الأمر ريبة ..!، إلى أين ستسيير الأمور أسوأ من هذا؟!

أما عن عمر بالذات فكان كلما شعر بالخوف أو القلق يفكر فيها.. لقد أفتقدها كثيراً.. هل تطورت حالتها ..؟!، وما أقسى القدر حين يباغد بين روحين ..

ما أنتزعه من أفكاره هو صوت فتح أبواب السجون وتلك الأضطرابات بالخارج.. حاول جميعهم فهم ما يحدث بالخارج لكنهم تعرضوا للدفع والعنف من هؤلاء المرتزقة.. تم أنقيادهم للخارج وأجبارهم للجلوس على ركبهم في ساحةً كبيرةً وتم أحاطتهم جمياً بأفراد تلك المليشيات المسلحة..، تمر الساعة تلو الأخرى والوضع كما هو .. لا جديد.. لا يعرفون سبب جلوسهم هكذا..

كان الليل قد حل بعد جلوسهم هكذا لساعات.. لا طعام ولا شراب منذ الصباح.. الجميع مُرهق، فجأة ظهرت تحركات جديدة حولهم ..!، تلك العربات التي نقلتهم لذلك المكان قد جاءت مجدداً ..!، جال بخاطرهم جمياً أن هؤلاء الحوثيين سيتلاعبون بهم أو أنهم سيتم تسليمهم لقوات التحالف العربي..، تم أجبارهم لركوب هذه العربات مجدداً ..!، في الطريق كانوا يعانون أيضاً ولكن هذه المرة من قسوة برودة الصحراء.. بعد ساعات مرت عليهم كالأيام وصلوا لمكان ما ..

نزل من أحدى الطائرات جنود بزي زيتني.. عرفهم اللواء صفوتو وأدرك مصيبة الوضع القادم، أنهم الحرس الثوري الإيراني.. أن كانت الأمور سيئة مع الحوثيين.. فكيف سيكون الأمر مع الحرس الثوري؟!، وكما توقع منذ البداية.. أنهم الطرف الأذكي هنا وليس الحوثيين الحمقى..، أقترب منهم على ما يbedo الضابط الأعلى رتبة بينهم.. قائد الحرس الثوري.. وقف أمامهم ...

ليقف أمامي قائدي الطائرتين حالاً..

بدا التردد واضحًا بين أفراد الكتيبة جميعهم..، جميعهم التفتوا لبعضهم، كرر قائد الحرس كلامه مهددًا أياهم..

ليقف أمامي قائد الطائرتين حالاً.. يمكنني أخراجكم بسهولة.. لا تضيئوا وقتي..

أومأ اللواء صفوت لأحد them للوقوف..، وقف قائد الطائرة الوحيدة الذي نجا، فهم أن الآخر قد مات أثناء سقوط الطائرة الأخرى فأشار إليه قائد الحرس بالقدوم نحوه ثم أمره باتباعه.. أيقن قائد الطائرة حينها أنهم سوف يقتل أو سيتم أجباره على فعل شيءٍ ما، وقف بجانب أحد الطائرات ليحادثه..

لن أعيد كلامي مرتين.. أصغي إلى جيداً.. ستركب الطائرة وستقلع بها حسب أوامري، كما أن هناك طائرتين خاصةً بنا ستقلعان بجانبك وسترافقك لمكان الهبوط.. أي محاولة للمراوغة.. صدقني لن يحدث خيراً بعدها..

سؤاله..

أين سنذهب..؟!

رد قائد الحرس في حزم..

ليس لدى أجبابه.. عليك بتنفيذ الأوامر حرفيًا وإلا ستكون هناك عواقب وخيمة..

نظر الجندي للواء صفوت من بعيد.. حتى أن اللواء صفوت شعر بأرتباكه، بعد لحظات تم أجبار الجميع على السير نحو الطائرة ربما للمغادرة.. تساؤل الجميع.. ألام ينون هؤلاء الحمقى؟!

لم يكن أمامهم سوى أن يستغشوا بما تبقى من قوات الأمن العراقية ليتم ترحيلهم لمصر، لكن هناك آخرون لا يرحبون بهم هنا في العراق ولن يسمحوا بأن يصلوا للأمن العراقي.. لا سيما في تلك المناطق التي يسيطرون عليها، غير مرحبون من قبل داعش..

كما توقع اللواء صفوت.. فإن الأيرانيين قد صنعوا لهم فخاً، منذ قليل تم أجبارهم على دخول المجال الجوي العراقي ثم قامت الطائراتان اللتان أصطحبتهما بأحداث الضرر في الطائرة التي أرغم المصريين في الركوب فيها وأجبروهم على استخدام المظلات للنزول من الطائرات التي سقطت.. ليس هذا فقط ما حدث.. فقد ألقت هذه الطائرات الإيرانية الأسلحة على المصريين وحينها أكمل فخهم.. !، أعطوهם أسلحة وأقحموهم في معارك لا شأن لهم بها.. حينها أدرك اللواء صفوت ومساعديه حجم المصيبة التي حدثت.. لقد تم توريط مصر في معركة ما بالعراق.. من سيصدق بأنه تم أجبارهم على دخول المجال الجوي العراقي؟! من سيصدق أن سقوط الطائرة وتسببها في أحرق عدة منازل وقتل المواطنين العراقيين ومن قبلهم اليمنيين لم يكن بسبب المصريين وأنما هذا من فخ الأيرانيين؟! من سيصدق أنه قد تم ألقاء الأسلحة عليهم لتوريطهم في معارك هنا في العراق؟!.. لقد تم إعداد الفخ بطريقة ذكية توحى للعالم كله بأن مصر تنتهي العروبة..

كانت الأمور هادئة في أولى لحظات نزولهم على أرض العراق.. لكن هذا لم يدم طويلاً.. لقد تم نزولهم في هذا المكان بالذات بعناية لهدفٍ ما ..

أربك الجميع عندما سمعوا صوت طلقات رصاصية من بعيد، وبعد ثواني أدركوا بأن هذا الصوت يقترب منهم.. أدرك اللواء صفوت كم الفزع والذعر اللذان سيطران على جنوده.. هذا شعور طبيعي فالقادم مجهول، صرخ فيهم اللواء صفوت وهو يحمل سلاحه لتحفيز جنوده على القتال.. لا سيما بعد أن أيقن تماماً أن تلك الرصاصات الصادرة هي من تنظيم داعش.. لقد لم يمحهم من بعيد..

أسمعوني جيداً يا رجال.. عقیدتنا كما تعلمون أننا لا نهاب أو نرهب الموت.. بل سيكون مرحباً به إذا ما كان ينتهي الأمر بالشهادة.. نحن في ظرف أما أنكown فيه أو لا نكون.. أحياء أو شهداء.. أما أن ننتصر أو نهزّم بشرف..

أشار ناحية تلك العribات الداعشية القادمة من بعيد..

أن لم نقاتل هؤلاء الأوغاد أما أن يقتلونا أو يأسروننا ونذبح في النهاية، وحينها سنكون أموات وليس شهداء.. ليس أمامنا خيار آخر.. سنقاتلهم ونحصل على أحدى الحسينين.. النصر أو الشهادة..

جرت الحماسة في جنوده.. رائع، هذا ما كان يريد بالضبط..، أما أن ينتصر وبعدها يستغث بقوات الأمن العراقية ويغادرون البلاد.. أو أن يتم قتلهم حتى لا يتم توريط الوطن في مشاكل هي عن غنى عنها..

أما عن عمر فأُلصقت في ذهنه كلمتين فقط من كلام اللواء صفو.. النصر أو الشهادة.. كم كان يتمنى في أن يحيا في زمن رسول الله وصحابته حينما كان المسلمون يتتصرون بسبب قلة ذنوبهم.. حينها لم يمتلك المسلمون لا العدد ولا العتاد لمجابهة عملاقة أمبراطوريات التاريخ.. الفرس والرومان.. لكنهم انتصروا بسلاٰح أقوى.. الأيمان بالله تعالى.. لم يهابون الموت قدر ما كانوا يهابوا ويخشون التفريط في حق الله، كان عمر متحفزاً لهذه الفكرة.. أما النصر أو الشهادة.. فكان أول المتقدمين وتبعه مصطفى ثم اللواء صفو الذي أعاد شيء من التنظيم في صفوف جنوده..

بادر المصريون بالقتال عند ظهور عناصر داعش بوضوح لهم وتبادل الطرفان إطلاق النار بكثافة وبعد مرور ساعة من القتال المتواصل بينهما ظهر تفوق المصريين وتزايدت خسائر الطرف الداعشي مما ألهب ذلك حماسة المصريين وطاردوهم حتى في الشوارع الجانبيه..

كان من الطبيعي أن تصل أصداء تلك المعركة لوسائل الأعلام العالمية فأرسلت القنوات مُراسليها لمدينة الموصل العراقية لتغطية المعركة.. وكلّ يفسر ما يحدث حسب توجهه.. وكانت في مقدمة تلك القنوات.. "BBC Arabic" وكانت ماريـان الفائزـة دائمـاً بـسباق التغطـية وكانت أولـاً من تصلـ لـأرضـ المـعرـكة لتـغـطيـتها بعدـ أنـ

نقلت الخبر أثناء أنتقالها من مكان سكناها لمكان المعركة..، بدا كل شيء غريباً بالنسبة لها في صباح هذا اليوم.. الجيش المصري في العراق يحارب الداعشيين؟!.. تساءلت كيف يكون هذا؟! وما علاقة هذا بذلك هنا في العراق؟!، عندما وصلت لمكان المعركة أسرعـت لـ تكون في قلب الحـدث وليس الأكتـفاء عن قـرب.. لقد قـررت تخطـي كل حـواجزـ الخـوف.. وبعد أن رفـضـتـ سـارـةـ أوـ باـقـيـ الطـاقـمـ الأـقـرـابـ أـكـثـرـ فـرـرـتـ مـارـيـانـ أـكـمـالـ الطـرـيقـ بمـفـرـدـهـ.. لم تـأـتـيـ لـهـنـاـ فيـ العـرـاقـ كـيـ تـكـوـنـ كـالـآخـرـينـ.. سـتـقـوـمـ بـمـغـامـرـةـ جـديـدةـ..

أخذـتـ الكـامـيرـاـ وـذـهـبـتـ بمـفـرـدـهـ بـعـدـ أـنـ طـلـبـتـ مـنـ سـارـةـ أـلـاـ تـبـعـدـ بـسـيـارـةـ الـمـحـطـةـ حـتـىـ لاـ تـنـقـطـعـ أـشـارـةـ الـبـثـ وـأـنـ تـسـعـيـ لـأـخـفـائـهـ بـالـقـرـبـ مـنـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ.. قـامـتـ بـتـبـيـيـتـ كـامـيرـاـ عـالـيـةـ التـقـنـيـةـ فـيـ قـبـعـتـهـاـ الـمـصـفـحةـ وـتـرـكـتـهـمـ وـأـسـرـعـتـ هـيـ لـتـكـوـنـ فـيـ قـلـبـ الـمـعـرـكـةـ.. كـانـتـ تـؤـمـنـ بـأـنـ الـمـغـامـرـةـ وـحـدـهـ هـيـ مـنـ تـعـطـيـ لـحـيـاتـهـ مـعـنـىـ.. وـكـذـلـكـ سـتـعـطـيـ لـقـنـاتـهـ الـأـسـبـقـيـةـ فـيـ نـقـلـ الـحـدـثـ..

أـسـتـمـرـ المـصـرـيـونـ فـيـ مـطـارـدـةـ الـعـنـاصـرـ الـدـاعـشـيـةـ فـيـ الشـوـارـعـ الـجـانـبـيـةـ إـلـىـ أـنـ وـصـلـوـاـ لـشـوـارـعـ تـوـجـدـ فـيـ مـقـدـمـتـهـاـ حـواـجزـ أـسـمـنـتـيـةـ.. حـيـنـهـاـ رـاـوـدـ اللـوـاءـ صـفـوـتـ الـشـعـورـ بـالـقـلـقـ حـيـالـ هـذـاـ.. هـلـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـواـ قـدـ وـقـعـواـ فـيـ فـخـ آخـرـ؟ـ، وـأـنـ صـحـ مـاـ يـظـنـهـ فـأـنـ عـنـاصـرـ دـاعـشـ قـدـ نـجـحـتـ فـيـ نـصـبـ هـذـاـ الفـخـ لـهـمـ.. نـجـحـواـ فـيـ أـسـتـدـارـجـ الـمـصـرـيـينـ لـمـعـقـلـهـمـ حـيـثـ عـدـدـهـمـ الـذـيـ يـفـوقـ الـمـصـرـيـينـ أـضـعـافـاـ.. لـقـدـ أـسـتـدـرـجـوـهـمـ هـنـاـ لـيـتـسـنـ لـهـمـ قـتـلـ وـتـصـفـيـةـ الـمـصـرـيـينـ بـسـهـوـلـةـ.. وـفـيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ سـيـعـلـنـ فـيـ اللـوـاءـ صـفـوـتـ الـأـنـسـحـابـ فـوـرـاـ مـنـ هـذـاـ الـمـكـانـ وـالـهـرـبـ بـعـيـداـ عـنـ هـنـاـ فـوـجـيـ بـأـسـطـوـلـ مـنـ السـيـارـاتـ الـقـادـمـةـ نـحـوـهـمـ مـنـ بـعـيـدـ.. حـتـىـ لوـ حـاـوـلـوـاـ الـهـرـبـ مـنـ هـنـاـ سـيـكـونـ مـنـ السـهـلـ أـصـطـيـادـهـمـ فـيـ الشـوـارـعـ الـجـانـبـيـةـ.. لـقـدـ تـبـدـلـتـ الـأـحـوـالـ فـيـ لـحـظـةـ.. مـنـذـ لـحـظـاتـ كـانـ الـمـصـرـيـينـ هـمـ مـنـ يـطـارـدـوـنـ دـاعـشـ فـيـ الشـوـارـعـ الـجـانـبـيـةـ.. وـالـآنـ.. يـحـدـثـ الـعـكـسـ تـمـاماـ.. يـاـ لـسـخـرـيـةـ الـقـدـرـ..

أـدـرـكـ عـمـرـ حـيـرـةـ اللـوـاءـ صـفـوـتـ.. لـقـدـ ظـهـرـ عـلـيـهـ جـلـيـاـ القـلـقـ.. لـاـ يـعـرـفـ كـيـفـ سـيـتـصـرـفـ فـيـ مـشـلـ هـذـاـ الـمـأـذـقـ.. أـغـمـضـ عـمـرـ عـيـنـيـهـ وـتـذـكـرـ آـسـيـةـ.. تـذـكـرـ عـجـزـهـاـ وـعـلـاجـهـاـ.. فـرـحـهـاـ وـحـزـنـهـاـ.. ضـحـكـتـهـاـ وـبـكـاؤـهـاـ.. تـذـكـرـ لـحـظـةـ لـقـاؤـهـمـ الـأـوـلـ وـكـذـلـكـ لـحـظـةـ الـوـدـاعـ.. لـمـ يـكـنـ يـعـرـفـ أـنـهـ لـنـ يـرـاـهـاـ مـجـدـاـ، رـدـ فـيـ نـفـسـهـ.. الـلـحـظـةـ الـأـخـيـرـةـ أـذـنـ.. وـدـاعـاـ آـسـيـةـ.. وـدـاعـاـ أـمـيـ وـأـبـيـ..

سيدي.. لا مفر أذن.. هذه النهاية.. فالنقاتل ونموت بشرف.. لن أسمح لهم بأن يذبحوني على الهواء مباشرةً..

نظر اللواء صفوت ومصطفى لبعضهما.. وكلاهما التفتا إلى أفراد الكتيبة.. الجميع أبدوا استعدادهم للموت أيضاً.. ليس بوعز أحدthem أن يُذبح ويُعرض على التلفاز في نشرات الأخبار.. فلتكن شهادة وليس موته عادلة.. أذن لا مفر من ذلك فعلاً وأن كان ولابد وأن تُقتل هنا فسنحدث خسائر في صفوفهم.. هذا ما دار في تفكير اللواء صفوت ومصطفى.. أستدار اللواء صفوت ومعه مساعديه مجدداً لمواجهة الداعشيين في تلك الشوارع الخرسانية أولاً والأحتماء في هذه المبني لحين وصول باقي الدعم الداعشي لمواجهتهم.. كالسابق.. لابد من اتمام خطوة للوراء كي تنطلق بأقصى سرعة.. هي محاولة لكسب الوقت الأضافي فقط .. حمل الجميع سلاحه وتوجهوا ناحية معركتهم الأخيرة ..

أجتاز المصريون الحواجز الخرسانية دون مشاكل وهذه هي المشكلة الأكبر.. لقد توقعوا أن تكون هناك مقاومة لكن لا شيء حتى وصلوا لمنتصف أحدى هذه الشوارع.. حينها فقط أدرك الجميع أنهم وقعوا في فخ ثالث في يوم واحد فقط.. للحظة كان الشارع هادئاً لكن ما أن وصلوا لمنتصف المسافة حتى أنهال عليهم الرصاص وسقط العديد من المصريين قبل أن يدركون الوضع.. لقد تم حصارهم في منتصف الشارع.. بسرعة تشتت المصريين في كل مكان وبعد دقائق أشتد القتال وأرتفعت كثافة الرصاصات المتراسقة في كل مكان حتى لجأ المصريون للأختباء والأحتماء في البنايات التي حولهم، لقد تحول الوضع لجحيم..

كانت المعركة يتم نقلها مباشرةً عبر القنوات والمحطات العالمية وجميعهم تبناها مصدراً واحداً وهي محطة الـ " BBC Arabic " بفضل براعة ومهارة ماريان الذي يزداد صيتها يوماً بعد يوم.. نعم.. تسللت ماريان وسط المصريين لتصوير أهم حدث في العالم وفي حياتها أيضاً..، كانت تفكر أيضاً بأنها ربما تعيش آخر يوماً لها.. أما أن تُقتل في هذه المعركة أو أن يتم اختطافها من قبل الداعشيين وذبحها.. لكنها على كل حال تقوم بعملها الأخير بأسمنتاع.. تشعر بأن كان لها قيمةً في الحياة وأنها قد أدت رسالتها.. ستقوم بأكبر إنجازٍ في حياتها ثم تموت وهي راضية عن نفسها..

كانت القوات الداعشية الداعمة قد وصلت بالفعل للشارع الذي يقاتل فيه المصريون وتستعد لاقتحام المكان وتلقين هذه القوات درساً لن ينسوه.. لا أحد يجرؤ على مهاجمة التنظيم هنا في العراق بالذات، أصدر جهاز الأرسال الذي يمسكه القائد في العربية الأولى صوتاً..

هل سنقتصر الآن سيدتي..؟!

رد عليه القائد محدراً أياه..

نعم.. تقدموا لكن كونوا حذرين.. أريد هؤلاء أحياء وليس أموات.. هذا مفهوم؟!

نعم سيدتي.. سنسلك بأكبر عددٍ منهم ومن يقاوم سيتم قتلهم في الحال..

بعد ثواني قليلة فقط سمع القائد هدير طائرات تحوم فوقه.. تسأله عن ما تفعله تلك الطائرات هنا الآن؟!، أنها طائرات قتالية..!

أسمع.. علينا الأنسحاب حالاً، يبدو بأن المصريون سيلقون ترحيباً خاصاً هنا..

حاضر سيدتي..

في حقيقة الأمر أنه ليس سعيداً بسبب أن القوات المصرية سيتم القاء حتفهم عندما تقصف الطائرات الأمريكية هذا المكان.. فالمصريون لا يعنون شيئاً بالنسبة له، هناك شخصاً آخر سيموت وسيكون سعيداً، حدث نفسه ...

منذ أن تم إنشاء هذا التنظيم العريق وأنا كنت فيه المساعد الأول واليد اليمنى لخليفة المسلمين.. لكن عندما جئت أنا هنا يا أبو عماد أخذت مكانني وترجعت أنا خطوةً للوراء.. (ضحك بينه وبين نفسه).. سأتركك تواجه تلك القوات البائسة لوحدهك وأن لم تقتل منهم فتلك الطائرات الأمريكية ستتولى أمرك.. وداعاً يا أبو عماد.. كنت صديقاً رائعاً.. (قالها بينه وبين نفسه ساخراً)

تراجعت السيارات الداعشية للخلف وغادرت المكان بسرعة وفي الوقت الذي كانت تستعد فيه الطائرات لقصف الموقع برمته أنتهز اللواء صفوت الفرصة ليجمع ما تبقى من جنوده ويعلن الانسحاب هو الآخر لأي مكان لحين انتهاء هذا القصف الذي على وشك الحدوث، تكلم عبر جهاز الأرسال ..

على الجميع الانسحاب فوراً تجاه أول الشارع.. أكرر على الجميع الانسحاب فوراً تجاه أول الشارع، ستنجتمع هناك ونسحب فوراً من هذا المكان..

التفت مصطفى حوله متوجعاً من هذا القرار المفاجئ.. كان مصطفى وعمر قد تشتتا بعيداً عن اللواء صفوت بسبب الهجوم المفاجئ من الداعشيين منذ دقائق وهمما الآن في أحد الشوارع الجانبية المتفرعة من الشارع الرئيسي.. لكن قد لاحظ مصطفى أن عمر قد أقتتحم أحدى البناء وكان يستعد هو الآخر لأقتحام المبني ومساعدته لكنه توقف وحاول الاتصال بعمر لاسلكياً ...

عمر.. عمر.. علينا الانسحاب فوراً.. عمر.. أجبني بسرعة يا عمر..

أناه الرد سريعاً.. لكن ليس من عمر هذه المرة.. أنه اللواء صفوت ..

مصطفى.. أين عمر ؟!

لقد أقتتحم أحدى البناء سيدتي.. سأتفقده حالاً ونسحب فوراً..

سكت اللواء صفوت للحظات ثم أمر مصطفى..

مصطفى.. لا وقت لدينا.. أنسحب فوراً ...

صدم مصطفى من قرار اللواء صفوت وألحاحه بالانسحاب..

سيدتي.. لا يمكننا ترك عمر هنا و ..

قطعاًه اللواء صفوت غاضباً..

قلت لك أنسحب فوراً يا مصطفى.. المبني الذي أفتحمه عمر فيه الكثيرون من الداعشيين.. لابد وأنه قد قُتل،  
أنسحب حالاً يا مصطفى.. هناك هجوم على وشك البدء.. بسرعة..

رد عليه مصطفى بصوتٍ يشوبه الحيرة والغلبة على أمره..

حسناً سيدتي.. حسناً..

قالها متالماً وقد بدأت عينيه تستسلمان للدموع.. سيترك صديقه هنا.. حتى لو مات فعلاً.. ما كان ليتمكن أن يترك جثمانه هنا، لم يعرفه منذ وقتٍ طويلاً لكن شخصية عمر تجبر الجميع على احترامه.. لقد كسب حب الجميع..، ليس للصدقة زمناً يمكننا القياس به.. أنها قلوبٌ تحيا ببعضاً ولبعضها..، حاول مجدداً أن يناديه لكن عمر لا يجيب وجهازه يصدر تشويشاً لكنه لم يجيب.. يبدو أنه قد قُتل فعلاً..

رحمك الله يا صديقي.. رحمك الله

أنسحب مصطفى مسرعاً باتجاه بداية الشارع فوجد البقية هناك عدا اللذين قتلوا، هرب الجميع بعيداً..

البث الحي للمعركة ...

كان والد ماريان يجلس في الصالون يتبع أخبار العراق منذ أن علم بوصول ماريان هناك.. وعندما خرجت والدة ماريان من المطبخ وجدت زوجها يحدق بذعر وخوف في التلفاز، السفت هي الأخرى ناحية التلفاز وووّقت أدوات المطبخ من يديها من الصدمة.. جشت على ركبتيها.. لم تتحمل الوقوف.. أبنتها في خطر..

كانت تتبع قنوات الأخبار منذ أن علمت بأختفاء الطائرة المصرية في اليمن.. سمعت كذلك بما يدور في العراق لكنها لم تكن لتتخيل أن ترى ما يشبه أبنتها وهو يصعد درج ما يحمل سلاحاً ويقتل آخرين وكأنها تشاهد فيلماً مثيراً.. بالتأكيد هو.. عمر أبنتها، لا تعلم ما بوسعها أن تفعل.. أبنتها سيُقتل لا محالة وزوجها يعاني بجانبها من نوبة قلبية جديدة.. وتحمّاً سيموت هو الآخر عندما يعلم أن أبنته الذي غاب عنهم شهوراً لتؤدية خدمته العسكرية يُقتل أو يُذبح..، يكاد قلبه يحترق هو الآخر.. أحد أبنائه سيُقتل الآن والآخر مختفي منذ أعوام.. حاله كحال يعقوب عليه السلام.. فقد أبنته.. فهل سيصبر مثل ما صبر يعقوب؟!

أيقنت بأنها لن ترى عمر ثانيةً لا سيما بعد كل تلك الأخبار التي تتحدث عن اختفاء الطائرات المصرية التي كانت ستقادر اليمن، كذلك تلك الأخبار التي يتم تداولها في موقع التواصل الاجتماعي عن أن القوات المصرية تقاتل تنظيم داعش في العراق .. كان يأتيها هاجس بين الحين والآخر بأنه سيتم القبض على عمر من قبل التنظيم ثم يذبحونه وينشرون مشاهد ذبحه.. لم تتحمل بشاعة الفكرة.. ستموت حينها بالطبع..

أما عن والدتها فكانت مصيبيتها تتعاظم بمرور الوقت.. عمر مفقود وهي ستموت قريباً ولن يبقى أحد ليرعى أبنتها.. الجميع رحل وعمر كذلك سيرحل.. آثار المرض يظهر عليها بشدة.. على الأقل داخلياً.. سترحل هي الأخرى..

رن هاتف آسية عدة مرات لكنها لم ترد.. لم تكن في مزاج يسمح لها بأن تكلم أحد.. حتى لو كان المتصل هي صديقتها أمانى، لكنها عندما علمت بأصرار صديقتها بأن تكلمها ووصول عدد المكالمات التي لم يرد عليها لرقم خيالي قررت أن ترد..

آسية.. أتشاهدين ما يحدث !؟!

ردت آسية بصوتٍ هادي لا يبالى بشيء..

لا أريد أن أرى شيئاً يا أمانى.. أرجوكِ أتركيني الآن، ليس في حال يسم..

قاطعتها أمانى ..

آسية.. عمر يظهر في التلفاز وهو يقاتل تنظيم داعشياً..

شهقت آسية من الصدمة وأرتمى هاتفها من يدها دون قصد.. تناولت جهاز التحكم وقلبت القنوات إلى أن وصلت لقناة تعرض مشاهد حية لأحدهم وهو يقاتل، أنه عمر فعلاً.. أطلقت صرخةً مكتومة.. كاد قلبها أن يتوقف..

" ... معركةً شرسة بين الجنود المصريين وعناصر تنظيم داعش في أحد ضواحي مدينة الموصل في شمال العراق.. كانت السيطرة واضحة من قبل المصريين بدليل أنهم وصلوا إلى معقل التنظيم أخيراً في أحد الشوارع المثبت في بدايتها حواجز خرسانية وأسمنتية ! .. توقف القتال لدقائق بدا فيه وكان المصريين يخططون لهجوم جديد..، عزموا على ما يبدو أقتحام هذا الشارع لكنهم تلقوا وابل من الرصاص وسقط العديد منهم..، تستتواء جميعاً وتوجهت الكاميرا بالصدفة وراء جنديان يقاتلان بضراوةً شديدة.. أنفصل الجنديان بضعة أمتار عن بعضهما.. كانت المراسلة قد أقتربت من أحدهما.. التفت المراسلة بالكاميرا للخلف ووجدت أن الآخر ربما يلحق بصديقه الذي توجه بالمناسبة ناحية أحد المباني.. وجهت المراسلة الكاميرا مرةً أخرى ناحية الجندي حتى دخلت ورائه هذا المبني..

فجأة ظهر داعشي أمامهم فبادر الجندي المصري بقتله بسرعة..، بدأت عناصر داعش في الظهور الواحد تلو الآخر لكن سرعة البديهة لهذا الجندي المصري كانت رائعة، أحتمت المراسلة وراء الجندي فكانت الكاميرا تبث ما يحدث من وراء الجندي مباشرةً..، ظل الجندي المصري يقاتل حتى أضطر لصعود درج هذا المبني وعند كل منعطف يظهر داعشي ولحسن الحظ كان هذا الجندي هو من يبادر بالقتل أولاً.. استمر الحال هكذا إلى أن أهتز المكان بعنف ... ! "

\*\*\*\*\*

اقتضم عمر أحدى المباني على يقين بأن مصطفى والبقية سيتحققون به، لكنه لم يدرك بأن هناك فتاةً تتبعقه.. للحظة الأولى بدا وكأن المبني مهجوراً.. إلا أنه لم يكن كذلك بعدما ظهر عناصر داعش الواحد تلو الآخر، وأنحد القتال شكله المعتمد وكانت الأسبقة لعمر دائمًا..، كان يدرك بأن مهارته تلك لن تدوم وسيأتي صديقه مصطفى لمساعدته وفي النهاية سيكون مصير كلاهما القتل عندما يتکاثر الداعشيين هنا..

قاده القتال لصعود الطوابق التالية وكان كثافة الرصاصات تزداد عند كل منعطف.. وفي نفس الوقت كان يسعى لحماية تلك الفتاة التي ظهرت فجأة والتي تحتمي به من وابل الرصاصات المترافق، لا يعرفها ولا يعلم من أين أتت بالضبط ولا يعلم أيضاً سبب انشغاله بحمايتها..

كان وابل الرصاص هذا يوحي له بأنه ليس المصري الوحيد في المبني.. لابد وأن البقية خلفه يساعدوه ولكنه عندما كان يلقي بنظرة خاطفة في مدخل الدرج كان لا يجد أحد.. حدث نفسه بأنه ربما يكون القتال دائراً في المبني ذاته أو أن قوات داعش الداعمة قد دخلت المبني وتدور بينهم وبين زملاؤه قتال شديد، أهتز المبني بعنف شديد.. فكر عمر في أنه ربما يكون خيار داعش الأخير هو تدمير المبني بأكمله والتضحية بعناصره القليلة الموجودة في المبني مقابل أن ينتهي كل هذا الجدل..

\*\*\*\*\*

البث المباشر ...

"... وجهت المراسلة الكاميرا ناحية فتحة الدرج فوجدت أن عناصر داعش تصعد مسرعة تجاههم لكن ما أنقذهم هذه المرة هزة أخرى للمبني كانت كفيلة بسقوط جزء من الدرج بهؤلاء الداعشيين..، قرر الجندي المصري الأحتماء في أحد الطوابق أخيراً.. وللحظ العاشر فقد ظهر له رجلين داعشيين عندما كان يستعد للأختباء في أحدي غرف هذا الطابق لاستيعاب الأمر قليلاً..، خرجت الرصاصة من سلاح هذا المصري وأستقرت في رأس أحد الرجلين فيما هاجم الآخر الجندي المصري ودار بينهما عراكٌ جسدي فكان الغلبة لذلك الجندي أيضاً عندما حطم رأس الداعشي بحجرٍ ناتج من الأنماط المتراكمة نتيجة القصف الذي يتعرض له المبني ! "

\*\*\*\*\*

استمر عمر بالصعود للطوابق التالية والوقوف عند كل منعطف حذرًا من ظهور داعشيين آخرين خاصةً وأنه يحاول أيضًا حماية تلك الفتاة خلفه.. كاد يسقط عندما أهتز المبني بعنف هذه المرة فوجد أن جزء من المبني قد انهار

وأسرع بالصعود لأعلى أكثر.. حينها ظن عمر بأنه أن لم يقتل على يد تنظيم داعش فإنه سيدفن تحت الأنقاض بعد لحظات مع تلك الفتاة.. قرر الاختباء في أحد غرف الطابق التالي لكنه فوجئ برصاصة كادت أن تصيبه ولكنها أستقرت في مدخل الطابق.. لا أرادياً أطلق عمر رصاصة ناحية الرجلين اللذان ظهرا له فجأة فأصيبت هذا الرصاصة أحدهما وقتل.. فيما هاجمه الآخر..، لِكَم الداعشي عمر ومسكه من خصره.. حاول عمر الأفلات وظل يدفعه إلى أن وقع على الأرض بجانب كومة من الأنقاض فتمكن عمر بالأمساك بحجارة وأفرغ غضبه وألمه في تحطيم جمجمة ذلك الداعشي إلى أن قُتل..

\*\*\*\*\*

### البث المباشر ...

" كانت الكاميرا تهتز.. غير مستقرة بسبب تحرك المُراسلة بأستمرار، ولكنها عندما أستقرت أظهرت الكاميرا أن الجندي وأحد رجال داعش يقفان وجهاً لوجه وبدا على الجندي التردد في استخدام سلاحه هذه المرة ..!، ظل هذا الوضع لتواني إلى أن رفع الجندي سلاحه أخيراً في وجه الداعشي لكنه ما زال متربداً على ما يبدو.. ما زال يحدقان ببعضهما..، فجأة بدا على الداعشي أنه يضحك بهستيرية.. تحدث مع المصري بلغة ساخرة وبصوت غير واضح لمن يشاهد ما يحدث مباشرة، أنزل الجندي سلاحه وهو ما زال يحدق بالداعشي..، فجأة إنها الداعشي على الجندي باللكلمات المتالية القوية مما أفقد الجندي توازنه وقد ظهر عليه إنه ينزف من فمه..، كان يحاول القيام وأستعادة توازنه إلا أن ذلك الرجل الداعشي لم يمهله لحظة فظل يركله في بطنه مرة ووجهه مرة وكان يbedo على الجندي الأستسلام التام أو عدم المقدرة على الوقوف حتى.. أمسك الداعشي الجندي من خصره ودفعه بقوة تجاه باب زجاجي فنهشم الزجاج بعد أن أصطدم الجندي به.. بدا على الجندي وكأنه قد فقد قوته تماماً.. توجه الداعشي ناحية أحد أركان الغرفة وعاد وهو حاملاً لسكينة ناحية الجندي.. هنا إرتفعت الكاميرا من مخبأها ويبدو أن المُراسلة ستكشف أخيراً عن وجودها ويبدو أنها تريد منح فرصة أخرى لهذا الجندي ليتدارك الأمر عندما تحركت هي تجاه الرجل الداعشي، وقفت في منتصف المسافة عندما لاحظت أن الرجل الداعشي

قد لاحظ وجودها، التفت الرجل إليها.. فاجئه الأمر قليلاً ثم قام بضربيها وأبعادها عنه، ظهر صوتها المتألم للجميع..، وعندما هم الداعشي لأستئناف ما كان سيفعله ضربه المصري وأبعد السكينة عن يده ثم وجه له اللكلمات.. بدت المعركة بينهما وكأنها متكافئة.. تبادلا اللكلمات والضربات، وبعد لحظات من القتال العنيف بينهما أستعاد الداعشي سيطرته من جديد على القتال وبدأ على الجندي أنه قد فقد وعيه عندما دفعه الداعشي نحو الحائط.. أمسك الداعشي السكين مرة أخرى وأمسك برقبة المصري وهو بذبحه وظهرت الدماء على رقبة الجندي.. لكن على ما يبدو من أهتزاز الكاميرا أن للمراسلة رأي آخر..

\*\*\*\*\*

كان الشيخ محسن والد عمر يحدق بالتلفاز غير مصدق ما يعرض عليه.. وعندما جاء مشهد ذبح ابنه سقط مغشياً عليه، كذلك صرخت والدة عمر صرخةً مدوية.. كادت هي الأخرى أن تفقد وعيها أو حياتها كلها لكن حتى هذا لم يكن بيديها.. الآن زوجها مغشياً عليه وأبنها أيضاً قد ذُبح ...

أما آسية وبعد أن علمت بأن عمر لم يستشهد بعد وأنه ما زال حياً لكنه مفقود هدأت قليلاً.. لكن عندما رأته في العراق فجأة.. كانت تشعر بأنها لا تشعر بشيء.. وجهها كان حالياً من أي تعابير سوى تلك الدموع التي تنهمر دون توقف، أما والدتها فشعرت وكأنها ستفقد حياتها الآن..

\*\*\*\*\*

البث المباشر ...

"... عندما تقدمت المراسلة بحذر تجاه الداعشي كانت تمسك بعصا خشبية فضربته.. أوجعته تلك الضربة كثيراً وأظهر لها وجهه البغيض وصب كامل غضبه عليها حين ركلها في بطئها ركلةً جعلها تهوي لآخر الغرفة.. تألمت بشدة، ثم أقترب منها وأصبح وجه الداعشي أمام الكاميرا مباشرة لكنه على ما يبدو لا يعلم حتى الآن أنه يتم تصويره، ويبدو أنه مسكتها من قميصها ...

أنتظريني هنا يا صغيرتي حالما أنتهي من ذلك الأحمق، دورك قادم..

ظهر صوتها باكياً ومتائماً..، التفت الداعشي مرةً أخرى ناحية الجندي المصري وأمسك بالسكين بيده اليمني وشعر الجندي بيده اليسرة أستعداداً للذبحه.. لكنه فوجئ أن الجندي قد سدد له ضربتين في أسفل بطنه مما جعله يتآلم بشدة، أستغل الجندي ألم الداعشي وبحركة خاطفة التفت حوله ماسكاً بقطعة زجاج مهشمة بيده وباليد الأخرى مسك رأس ذلك الداعشي بارزاً رقبته للأمام غارساً نصل قطعة الزجاج في رقبته.. فسقط الداعشي قتيلاً.. "

\*\*\*\*\*

كانت الشاشة منقسمة لنصفين.. نصف الشاشة الأيمن كان يرصد ردود الفعل المختلفة للمذيع الذي يقوم بالتعليق على ما يحدث في نصف الشاشة الأخرى الذي ينقل تلك المعركة منذ البداية، عندما ذُبح ذلك الداعشي أبدى المذيع فرحة عارمة وكأنه قد فاز للتو بكأس العالم والجميع في الأستديو هتف باسم ماريـان..

\*\*\*\*\*

البث المباشر ...

"... فجأة أهتز المكان بعنف متذرّاً بسقوط جزء من السقف، إقتربت المراسلة ماريـان من الجندي الذي يجلس على ركبتيه بجانب جثة الداعشي محدقاً به في ذهول.. حاولت أن تشدّه من ذراعه قبل أن يهدم المبني بأكمله عليهم لكنه لا يستجيب لها.. مازال محدقاً بالداعشي.. وخلال محاولتها تلك سقطت القبة المصفحة من رأسها على الأرض.. حاولت أنتقاطها لكن الأوان قد فات.. لقد وقع عليها السقف وتوقف البث ... !"

\*\*\*\*\*

قبل لحظات ...

للتو أدرك عمر بأن المبني على وشك الانهيار.. المبني يتم قصة بشراسة وقد يصبح أنقاض في غضون لحظات، قرر أن يقفز من أي نافذة حتى لو كانت عالية ولم يجد أمامه سوى غرفةً في نهاية هذا الطابق، أمسك بماريان وجرّيا سوياً تجاه تلك الغرفة وعند دخولهم الغرفة وجداً داعشياً آخر كان يغلق حاسوبه بسرعة ليهرب من هذا

المكان قبل تدميره، رفع عمر سلاحه تجاه ذلك الداعشي قبل أن يتلفت ناحية عمر.. فيما هربت ماريانت للأختباء على أمل أن الكاميرا ما زالت تعمل وتبث ما يحدث..

الغريب في الأمر أن عمر وجه سلاحه نحو الداعشي إلا أنه لم يطلق رصاصته سريعاً عليه كعادته.. حدق بعضهما للحظات ثم أطلق الداعشي ضحكة هستيرية وهو يضرب كفيه متدهشاً ...

أنت..؟!، أنت من فعلت هذا كله؟!، يا ألهي من كان يصدق هذا؟!

لم يصدق عمر ما يراه.. هذا مستحيل، كيف يمكن أن يحدث هذا..؟!، نزل عمر سلاحه والعرق يتصلب من وجهه بغازه، حينها ظنت ماريانت هيبة ذلك الرجل أقلقت عمر وجعلته مرتباً.. صحيح أنه كان في هذا الرجل شيئاً مريباً لكن أيضاً ليس شيئاً يجعل هذا الجندي مرتباً ومرتعشاً هكذا.. انتهز الداعشي تردد عمر فأنهال عليه بالكلمات السريعة والقوية حتى فقد عمر أتزانه تماماً وسقط، وعندما سقط عمر أنهال عليه الداعشي بالركل في بطنه ووجهه وأي جزء من جسد عمر كان يتلقى ضربات من هذا الرجل حتى أمتلىء وجه عمر بالدماء كأنهما بالضبط في حلبة المصارعة.. حاول عمر الوقوف وتفادي ضربات الداعشي إلا أنه لم يستطع ذلك، مسكه الرجل من خصره ودفعه باتجاه بابِ زجاجي فتحطم الزجاج بسبب اصطدام عمر به بقوة، انتهز الرجل استسلام عمر الغريب وضعفه فتوجه لأحضار سكينة لينتهي منه تماماً..، مسک برأس عمر ووضع السكين على رقبته فعلاً إلا أن عمر وجد نفسه ما زال حياً.. شعر بأن تلك الفتاة التي كانت تحتتمي به سعت لأنقاذه، ضرب الداعشي ماريانت بقوة ثم عاد ومسك السكين ثم تكافئت المعركة بينهما إلى أن أستعاد الداعشي سيطرته على القتال بعد الرجل في يده وجعله يفلت السكين ثم تكافئت المعركة بينهما إلى أن أستعاد الداعشي سيطرته على القتال بعد أن دفع هذا الداعشي عمر وجعله يصطدم بالحائط بقوة فقد عمر وعيه.. أمسك الرجل برأس عمر مجدداً ليذبحه لكنه فجأة وجد نفسه يصرخ بشدة.. لقد قامت ماريانت بضربيه مجدداً على رأسه.. قام بغضب ثم ركلها في بطنه ركلةً قوية جعلها تشعر وكأنها قد أُقتلعت روحها من جسدها.. عاد مجدداً لينتهي من عمر أوّلاً.. قام بمسك رأسه والأستعداد لذبحه لكنه فوجئ أيضاً بأنه يتآلم بشدة، هذه المرة كانت ضربةً غير متوقعة من عمر.. قام عمر بضربيه أسفل بطنه ضربتين قويتين جعلته يخر على الأرض ألمًا، حينها ألف عمر حول الرجل ماسكاً قطعة زجاج

مهشمة ثم بحركةً رشيقة وسريعة مسک برأس الداعشي وأبرز رقبته للأمام مستغلًا ضعفه ثم غرس نصل قطعة الزجاج تلك في رقبته وحاول الداعشي وقف تدفق الدم بسرعة من رقبته لكنه فشل.. ومات..

لم يصدق عمر ما فعله، هذه النهاية؟!، بدا على عمر أنه مصدوم مما فعل..، كان جالسًا على ركبتيه بجانب جثة هذا الرجل محدقًا به.. حتى أنه لم يشعر بتلك الهزة العنيفة التي أصابت المكان حوله.. حاولت ماريان أن تساعده في التحرك والهرب من هذا المكان فورًا ..

لم يكن بمقدورها الكتمان أكثر من هذا، فمسألة رجوع عمر أصبحت مستحيلة والمرض يشتد عليها يوماً بعد الآخر.. بدا جسدها نحيلًا وضعيفًا.. القيء المستمر.. ربما لم تلاحظ آسيه ما يحدث لوالدتها حتى الآن بسبب انشغالها بما يحدث لعمر.. لا تعلم أن كان حيًا أم مات عندما انقطعت تلك المشاهد.. كانت تنام كثيرًا.. تنام حزينة جريحة باكية ومتألمة، من كان يسعدها قد رحل.. رحل بعيدًا حيث لا رجعة..

كانت والدتها جانبها تحاول دائمًا أن تقنعها بالعودة لجلسات علاجها بعد أن انقطعت عن الجلسات اليوميين الماضيين، كان يزداد خوفها في كل لحظة من قادم اللحظات.. ستموت قريباً، كانت آسيه تغمض عينيها باكية.. لقد أرهقتها الحزن.. عزمت والدتها على أخبارها الحقيقة الآن ...

آسيه..

كانت آسيه تعجز عن الرد.. لا تستطيع حتى أن تفتح عينيها، أكملت والدتها..

أعلم أنك لستي نائمة، أسمعني رجاءً هذه المرة..

للحظة بدت متربدة.. حاولت تأجيل حديثها هذا فيما بعد لكن يبدو أن أصرارها على إخبار أبنتها بكل شيء قد طغى عليها.. هي لا تضمن وجودها على قيد الحياة لساعةً أخرى حتى..

كنت حزينة لأجلك حينما فرض عليك ابن عمك ولم أكن راضية بزواحك منه منذ البداية.. فهو لم يكن ليعتني بك لو حدث لك مكروه.. هذه الحادثة كانت نعمة من الله عز وجل وليس نعمة كما تظنين.. فالله أرحم على عباده من أنفسهم، حينها سقط القناع عن الجميع وإبتعد ابن عمك عنك ومن جديد عاد عمر ليساندك في إختبار الله لك.. عندما تفاني في مساعدتك أثبت للجميع إنه يحبك، أنا من إفترحت عليه فكرة الزواج بك، فرح لذلك ولم يتتردد لحظة.. كم كان سعيداً بك، ولو لا الظروف حينها كان ليخبر العالم أجمع ليشاركه فرحته بك، أما عن وجهة نظري أنا فكان الأهم عندي أن يتم علاجك لكن هذا ليس السبب الوحيد..

كانت آسية في عالمها الخاص.. لكنها أيضًا كانت تستمع لوالدتها تتحدث بشأن زواجها من عمر أو ما شابه.. كانت تعلم ما تحكيه والدتها.. عندما أجبرها والدها على الزواج بأبن عمها في الوقت الذي كان يريد عمر فيه الاعتراف بحبه لها أيام الجامعة.. رحل عمر لكنها قد تعرضت لحادث تسبب بشللها.. تركها خطيبها الذي أجبرها والدها على خطبته منه.. لكن عمر قد عاد ليساندها.. تزوجها وهي عاجزة بفضل أقتراح والدتها بذلك.. ألت الحق بالخدمة العسكرية وسافر في مهمةً وطنية..

أنشغلها بالتفكير في عمر جعل عقلها عاجزاً عن ربط ما يحدث بذلك الذي تتكلم والدتها بشأنه ..!، كانت تستمع لكلام والدتها لكن لم تلقي له بال، أكملت والدتها..

كان هناك سبباً آخر قد أخفته عن الجميع، مرضي..

وكانها قد صُعقت.. فتحت آسية عينيها بعد كلمة والدتها الأخيرة، التفت إليها في ذهول..

مرض؟!، أنتي مريضة؟!

сад الصمت بينهما للحظات، ثم هزت والدتها رأسها أيجاباً وأكملت كلامها..

منذ سنتين أصبت بالسرطان..، خشيت أن أتعالج بالكيميائي، لم أكن لأفضل الظهور ضعيفة أمام الجميع أو أن أحدهم يشفق عليّ، وعندما بلغت هذه المرحلة التي لا يجدي العلاج فيها نفعاً حدثت تلك الحادثة لكِ ومات والدك وأختفى أخاكِ فجأة..

كانت آسية تشعر وكأنها نائمة تحلم بـكابوس !، أكملت والدتها..

السبب الآخر لعرضي له بالزواج بك هو أنه الوحيد الذي سيقف بجانبك حين أغادر هذه الدنيا، لقد أحبك عمر أكثر مني أنا..

قطبت آسية حاجبيها في ضيق، شعرت وكأن شيئاً ما يطبق على صدرها..

أمي.. لا تقولي هذا رجاءً، لا تدعني المرض كي تجبريني على العودة للعلاج.. سأعود لكن أخبريني رجاءً بالحقيقة.. أنتي لستي مريضة، أليس كذلك؟!

أبعدت والدتها وجهها بعيداً..

أرجوك يا آسية دعني أرحل وأنا مطمئنة عليكي، أستكملي علاجك رجاءً..

شعرت آسية وكأنها تلك هي اللحظات الأخيرة التي سترى فيها والدتها، أحتضنتها بشدة وهي تبكي..

سأفعل.. سأفعل يا أمي، لكن عليكي بأن تحيا لأجلني..، لن تركيني لوحدي يا أمي.. أليس كذلك؟!

فَكَتْ والدتها ذراعي أبنتها عنها ثم أخرجت ورقة صغيرة من حقيبتها وأعطتها لأبنتها..

ما هذه..؟!

حاولت الاتصال بوالدة عمر لأطمئن عليها ومعرفة ما إذا كانت قد شاهدت ما حدث لعمر أم أنها غافلة.. لكنها لم تجيب، قمت بجلب العنوان من مدير المستشفى..، حينما لا أكون هنا معك أذهب إلى هناك..

صرخت آسية باكية..

أمي..، لا تقولي هذا رجاءً، ستبقين معي..

احتضنتها وكانت تشعر بأن هذا العناد سيكون الأخير ...

\*\*\*\*\*

سوهاج ...

نُقلت والدة عمر إلى غرفة العناية المركزية بأحد المستشفيات، كان من الصعب أن تتحمل مشاهدة لحظة مقتل أبنها، كانت تفكر في تلك المصائب.. أبنتها أدهم المختفي.. عمر الذي قُتل.. زوجها الذي مات..

كانا يشاهدان التلفاز معًا حينما كانت تُعرض على الشاشة مشاهد لقتال عمر تنظيم داعش الإرهابي في العراق.. في النهاية سقط زوجها مغشيًا عليه، أما هي فصرخت كي تستغيث بجيرانها لأنقاذ زوجها، لكن بالها المشغول بتلك اللحظات التي سيقتل فيها عمر جعل مرض السكري يرتفع عنده بشدة فأفقدها الوعي هي أيضًا..

و حين شاهد الجيران تلك المشاهد أسرعوا لبيت الشيخ محسن ليطمئنوا عليه وعلى زوجته، طرقوا الباب فلم يجرب أحد.. حينها تأكدوا بأن قد حدث لهم مكروهًا فأضطروا لكسر الباب فوجدوا كلاهما ممدان على الأرض..، تم نقلهما للمستشفى حالًا لكن تبين لزوجته بعدما استفاقت أن زوجها قد مات نتيجة أزمة قلبية حادة.. حزنت أكثر وأكثر وأسودت الدنيا كلها في عينها وأرتفع نسبة السكري عندها للدرجة المزمنة.. فتم نقلها هي الأخرى لغرفة العناية المركزة..

\*\*\*\*\*

القاهرة ...

ليومين لم تتوقف عينيها عن البكاء..، تلك الحسرة من فقدان أبنتها التي أرغمت على خوض تجربة في العراق مقابل عدم تبديد حلمها..

حاول زوجها الأقتراب منها وتهديتها، أربت على كتفها ...

سيكون كل شيء بخير..

التفت إليه غاضبةً ..

بخير..؟، كيف سيكون الأمر بخير برأيك؟!

أبعد وجهه عنها وبدأ صوتها يرتفع تهكمًا على كلامه..

آه بخير.. عندما أعلم أن أبنتي في العراق ستكون الأمور بخير.. عندما أعلم أنها قامت بتصوير أخطر فيديو في العالم ستكون الأمور بخير..

التفتت إليه ثم عاتبته..

أتعرف مكانها؟!، كيف حالها؟!، هل تعرف أصلاً أن كانت مازالت على قيد الحياة أم أنها..

أصبح صوتها يشوبه البكاء..

ماتت..؟!، لا أعلم كيف سيكون حالي عندما يتم أذاعة مشاهد ذبحها في القنوات ..

وضعت رأسها على المنضدة منذرةً بنوبة حزن شديدة، أكملت كلامها وكأنها تحادث نفسها..

سألحق بها، ماري.. كيف حالك يا عزيزتي؟!

أما عن والدها فوضع رأسه بين كفيه لضعف حيلته.. كان قد عمل على تحقيق حلم أبنته في أن تكون أكبر أعلامية في مصر.. دعمها حتى التحقت بكلية الأعلام.. تحقق جزء كبير من حلمها حين عملت بالقناة التي يديرها أخوه ثروت ومن ثم انتقلت لأكبر محطات الأخبار في العالم، هو الآخر لا يعلم كيف سيتحمل مشاهد ذبحها..!

كانت وكالات الأنباء العالمية ووسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي جميعها تناولت تلك المشاهد التي قامت بتصويرها ماريانت، حتى وصل عدد مشاهدي الفيديو ما يقارب المائة مليون مشاهد في الساعات الأولى التي تلت تلك الحادثة..

شيرين عبد النور في برنامجها اليومي ...

" - من الغريب أن نجد العالم كله يهاجمنا ويتصيد لنا الأخطاء في حين تناسوا وتغافلوا عن الأنجاز الذي تحقق منذ يومين .. يهاجمونا لأن جنودنا كانت في العراق وقاتلت ذلك التنظيم الإرهابي لكنهم لا يضعون في بالهم كيف كانت الكتيبة المصرية تقاتل بشراسة ضد ذلك التنظيم الإرهابي أو أن كيف نجح الجندي المصري في قتل قيادي في تنظيم داعش .. جمعينا شاهدنا ذلك الفيديو والذي بالمناسبة قد حقق أعلى نسبة مشاهدة هذه السنة على موقع اليوتيوب والذي صنفته جريدة واشنطن بوست بأنه " فيديو القرن " ، لكن خلف كواليس هذا الفيديو أسراراً تحصلنا عليها .. سقدم لكم معلومات خطيرة تعرض لأول مرة حصرياً على قناتنا ..

سكت للحظات ثم تابعت وشرحت الخطة الكاملة التي قام بها الأيرانيون للأيقاع بالكتيبة المصرية التي شاركت باليمين ..

صمتت لثواني وكان فريق الأعداد يُلمي عليها شيئاً هاماً، ثم ظهر شريط أخباري عاجل وقامت هي بتلاوة هذه الأخبار ..

عاجل ... الجندي المصري يُدعى عمر محسن وهو يحمل رتبة صف ضابط أحدياطي وهو أحد مساعدي اللواء صفوتو المستشار العسكري المصري باليمين ..

عاجل ... الداعشي هو الآخر مصرى الجنسية ويُلقب بـ " أبو عمار " وهو الرجل الثاني في تنظيم داعش والذراع الأيمن لزعيم التنظيم ..

سكت للحظة ثم نظرت للشاشة بتشكك ..

و بطبيعة الحال فإن هناك من سيشكك في كلامنا هذا ويتهمنا بأختلاق قصة وهمية لتبرير تواجد الجيش المصري في العراق، لهم الحق في ذلك لكننا أيضاً لن نعلن مثلاً عن مصادر حصولنا على هذه المعلومات وبالتأكيد أيضاً سيظهر صحة ما حصلنا عليه من معلومات..

\*\*\*\*\*

في نفس التوقيت كان شريف في مكتبه مع مساعدته الأول (أيمن) يتبعان برنامج شيرين..

لقد تأخرنا كثيراً سيد.. كان يمكننا تجنب كل هذا بمجرد تسريب الخبر للأعلام مبكراً..

رد عليه شريف بعد أن خفض من صوت التلفاز..

كان لابد من التأكد من نواياهم أولاً يا أيمن، لو قمنا بتسريب الخبر للأعلام مبكراً قبل فعلهم لأي شيء كانت الأمور ستتسوء أكثر، لا أحد يعرف.. ربما كانوا ليغيرون ما كانوا يخططون له حول كيفية استخدام جنودنا..

الأمر الآخر كما تعلم أن الأوامر صدرت من المخابرات العسكرية أن ننتظر..

و ها هي النتيجة سيد شريف، لقد وقعنا في فخهم..

أعتذر شريف في جلسته وأقترب من أيمن..

أتشكك في رذنا عليهم؟!، أسمعني جيداً يا أيمن.. لا تستهين أبداً بقدرتنا.. هم من اختاروا الخيار الأصعب وعليها أن نستعد للرد عليهم بهجوم شرس.. ما تبقى من جنودنا قد عادوا مصر، ونحن قمنا بتسريب خطتهم التي أستخدموها للأعلام ..

بدا على أيمن التفكير في أمراً ما..

و عمر..، أين هو الآن؟!

ابتسِم شَرِيف بِمَكْر ...

بالطبع لم يفوتي هذا...، لقد حددنا مكانه هو وتلك المُراسلة ماريان، لقد كلفتنا المخابرات العسكرية بحضوره فوراً..

بدا على أيمان الأرتياح، راوده سؤال آخر..

ما يهمنا الآن فعلاً هو عمر.. أريد أن أعرف لماذا بدا عليه التردد في بداية قتاله مع أبو عمار؟!، يبدو هذا الأمر غريباً..

طرق أحدهم الباب فأذن شريف للطريق بالدخول، أنها مساعدته، كان وجهها واجحاً نتيجة صدمة أو أمر ما غير اعتيادي مثلًا..

آسفة سيدى على المقاطعة، لكن ورد ألينا تقرير عاجل وغريب ...

تلقي شريف التقرير منها ولم يستغرق الأمر ثواني حتى ظهرت علامات الدهشة والصدمة جلياً على وجه شريف...، ذلك الأمر الذي جعل أيمان يتساءل عن سبب ذعر وصدمة شريف..

ماذا هناك سيد شريف؟!

بدا على شريف عدم التصديق، هذا منطقي.. لا لا هذا غير منطقي بالمرة.. أعطى التقرير لأيمان منتظراً رد فعله، وعندما تفحص أيمان ما في التقرير أتسعت عيناه من الصدمة ونظر لشريف في عدم تصديقه..

مستحيل.. مستحيل أن يحدث هذا..

نظر أيمان مرةً أخرى للتقرير وهو يعيد قرائته مرات ومرات ليتأكد أنه لم يتواهم ..

مستحيل.. هذا ما يُطلق عليه المستحيل المنطقي ... !

عادت لستكمل علاجها من جديد.. فقط لطمئن والدتها عليها في آخر أيامها..، كانت في مراحل متقدمة من العلاج وهذا سيسعد والدتها كثيراً، لكن ما فائدة أن تحيا بمفردها بعد أن يرحل الجميع عنها..؟!، كانت تتآلم ولا أحد يشعر بآلامها تلك إلا الله..

لو كانت تدرك ما سيحدث لها لتنمّت أن يتوقف الزمن ولا يتقدم خطوة أخرى، كم أشتاقت لتلك السنوات.. حين كانت تحطّط هي وصديقتها أمانى لأختبار حب عمر لها، عندما تكون صديقتها راضية عنه يكون يوم سعده وستمهّد لها كي تقابلها أما أن كانت تنوّي شرًا فذلك المسكين لن يسلم من فخها أبدًا، عمر؟! أين هو الآن ياترى؟!، قلبها يحذّثها بأنه مازال حيًّا.. ربما يكون بخير.. لا تعرف لماذا يراودها هذا الأحساس بالذات، ربما لأنّه لا يوجد خبر يؤكد وفاته..، لكن سرعان ما يداهمها أحاسيس مؤلم حين تذكرة أنه لو تم القبض عليه من عناصر داعش الإرهابية لربما كان العقاب أشد وأقسى لأنّه قتل قيادي مهم عندهم..

حقًا هي لا تعلم ماذا تتمّنى.. هل تتمّنى أنه يكون مازال حيًّا يُرزق؟!.. حينها سيكون تحت رحمة هؤلاء وعاجلًا أم آجلًا ستراه يذبح وبأبشع الطرق، أم تتمّنى أنه قد مات فيرحم من هؤلاء المرتزقة؟!.. لكن حينها لن تراه مجددًا، لن تلجم سوى الله.. أن الله قد خلق المستحيل فكيف يعجز عن جعل المستحيل ممكناً.. هي تفقّ بأن الله سيخرج عمر من محنته لو كان حيًّا..

قريباً جدًا ستصبح وحيدة.. ستصبح يتيمة، والدتها على وشك الرحيل هي كذلك.. والدها الذي رحل منذ شهور طوبلة.. أخاهما الذي ييدو وكأنه قد تبرأ من عائلته بالكامل..

فكّرت في كلام والدتها.. هل فعلًا والدتها مريضة؟! أم أنها تدعى ذلك لستمر هي بالعلاج؟!، ما زالت غير مقتبعة بكلام والدتها بخصوص مرضها، حدّثت نفسها بأنّها لابد وأن تستمر بالعلاج لأجل والدتها.. لأجل عمر.. ولأجلها هي أيضًا، مازال الأمل يراودها بشفاء والدتها أن كانت مريضةً حقًا.. كذلك الأمل يراودها بأن عمر سيرجع يومًا.. ستكون سببًا في فرح الجميع بها ويشفاؤها وستفرح هي بشفاء والدتها وبرجوع عمر قريباً..

كل هذا كان يدور بعقلها حين كانت تتلقى جلسة العلاج ... أفكار.. تخيلات.. ذكريات.. أحلام.. أمنيات وحنين، تقدّمت في علاجها حين بدأت تمشي بعكازين لمسافات لا بأس بها، أنهت جلسة علاجها اليوم بجرعة أمل تراودها.. عمر سيعود ووالدتها ليست مريضة ..

أنهت علاجها وجلست على كرسيها كالعادة ودفعتها نادية الممرضة نحو غرفتها وبجانبها والدتها، لاحظ ثلاثة تحركات غير طبيعية في المستشفى وخاصةً في بداية الممر لهذا الطابق ... عرفت نادية أن هناك مصابين ربما من أحدى العمليات في سيناء.. ذهبت لتفقد الأمر لتجد أنهم أصحاب تلك الرحلة المميرة لليمن..

حاولت أبلغ آسيي بذلك لكنها وجدت غضب اللواء صفوتو فيها بسرعة العلاج.. أسرعت ناحية الدرج وأختفت بعدها، ومازالت آسية ووالدتها تترقبان ما يحدث ...

أمي.. أدفعني لهناك أرجوك..

آسية.. ليس الآن، تبدو الأمور مضطربة هناك..

أمي ! .. لا تقلقي، لن نقترب كثيراً..

حتى والدتها تملكها الفضول تجاه هذا الأضطراب الحاصل هناك.. دفعت الكرسي وأتجهت لهناك، كان هناك أحدهم أبعد عن البقية وبهاتف أحداً ما، لم يلحظ آسية وهي تندفع نحوه، أما هي فقد زادت ضربات قلبها أضطراباً حين سمعته وهو يتكلم مع أحدهم في الهاتف ...

نعم.. لقد نجينا بأعجوبة من معركتنا تلك في العراق، لكننا قد فقدنا الكثيرين من زملائنا ..

فجأة وجد مصطفى بأن أحدهم يشده من زراعه، أستدار ليعرف من يشده هكذا فوجد فتاةً قعيدة تقف بجانبها امرأة كبيرة، سألته آسية..

عذرًا سيدى، هل أنت من كنت في العراق ؟!

تعجب من سؤالها ثم هز رأسه أيجاباً ثم أغلق هاتفه منتظرًا أن يعرف هويتها، بدأت نظرات الأمل تملئ نظراتها ..

أين عمر؟!، ألم يأتي معكم..؟!

كيف لم ينتبه لذلك؟!، أنها آسية زوجته، لقد حدثه عمر كثيراً عنها، تنبه لألحاحها في السؤال..

أرجوك أجبني.. هل نجا عمر معكم؟!

بدا عليه التردد في الأجابة.. بماذا يجيبها أصلًا؟!، أنه قُتل..؟!، قلقت هي من طول صمته ...

للأسف سيدتي..، لقد أستشهد عمر في المعركة، أنا آسف لذلك..

لقد تجمد الوقت بالنسبة لها، أستطيع عقلها أن يمر أمامها كل لحظاتها مع عمر في ثانية حتى وصلت لتلك اللحظة الأخيرة التي كانت بينهم قبل شهور.. قبل مغادرته..، لقد مات عمر.. لم يعد هناك عمر في حياتها.. لقد رحل.. رحل عمر، بكل قوتها صرخت متآلمة..

عمر... عمر لا ترحل أرجووك..، عمر!

حاولت والدتها وكذلك مصطفى من تهدئتها لكنهما فشلا حين بدت آسية بفقدان وعيدها تدريجياً وهي تهذى بكلمات غير مفهومة حتى فقدت وعيها بالكامل..

أسرع مصطفى بدفع كرسي آسية المتحرك تجاه غرفة أي طبيب، أسرع أحد الأطباء بفحصها وأثناء ذلك لفت انتباه مصطفى ما يعرض على التلفاز.. مشاهد تعرض عمر وهو يقاتل أحدهم.. أصبح يشاهد ما يحدث أمامه بتركيز وتلهف مما سيحدث، لاحظه الطبيب صديقه..

ماذا هناك يا مصطفى.. لماذا تحدق هكذا في التلفاز؟!

أشار مصطفى ناحية التلفاز متسائلاً..

ما هذا؟!، متى حدث هذا بالضبط؟!

وكانك لا تعرف يا مصطفى.. أتكلم بجدية أم ماذا؟!

نظر مصطفى لصديقه نظرةً تفید بأنه يجهل ما يحدث، أدرك الطيب أن صديقه مصطفى لا يعلم حقاً ما يحدث..

هذا عمر يقاتل قيادي داعشي..، لقد تمكّن منه في الهاية وقتلها..

قطب مصطفى حاجبيه في عدم فهم ...

من قتل من..؟!

أنهى الطيب من فحص آسية وأعطاهما حقنة مهدئة، خلع قفازته ثم وقف بجانب صديقه يشرح له ما يُعرض على التلفاز ..

كما ترى يا مصطفى.. فإن عمر قد دخل هذا المبني أولاً ثم قاتل بشراسة وبشجاعة عناصر تنظيم داعش وكأنه يلعب أحد ألعاب الفيديو وعندما وصل إلى المستوى الأخير كان قدره أنه يقاتل قيادي داعشي بارز وظلا يقاتلان بعضهما إلى أن انتصر عمر في النهاية..

كان مصطفى يصب كامل تركيزه على ما يشاهده ويربط ما قاله الطيب بما يحدث، كان الأمر غريباً أيضاً على والدة آسية والتي تابعت ردة فعله الغريب.. تساءلت في نفسها.. كيف يقول أنه قد أستشهد وهو الآن يندهش مما يُعرض على التلفاز؟!، على أي أساس قال أن عمر قد مات؟!، التفت مصطفى ناحية آسية وهي فاقدة الوعي، ووقفت أمامه والدتها..

ماذا يحدث هنا يابني؟!، ما الذي يدهشك في هذه المشاهد التي تُعرض؟!، هل يتعلق الأمر بعمر؟!

بدا الأمر غريباً بالنسبة لمصطفى..

كل ما في الأمر سيدتي أني لا أعلم أي شيء بخصوص تلك المشاهد.. لقد ظننت أنه قُتل حين دخل ذلك المبني وحده، لكنني لم أرّي هذا ولا أعلم ماذا حدث له بعد ذلك، لقد ظننا جميعاً أنه قُتل..

بدا الأمر وكأنها يراودها الأمل من جديد..

يعني أنه ربما يكون ما زال حياً؟!، أنت لم تره ميتاً من الأساس؟!

فَكَرْ قَلِيلًا ...

لَا لَمْ أَرَهُ بَعْنَيْ مِيتًا ..، عَنْدَمَا دَخَلَ هَذَا الْمَبْنَى جَاءَنَا أَمْرُ الْأَنْسَحَابِ فَوْرًا مِنَ الْمَكَانِ، وَعَنْدَمَا ظَنَنَتْ أَنْ عَمْرَ لَمْ يَسْمَعْ أَمْرَ الْأَنْسَحَابِ حَاوَلَتْ أَنْ أَخْبُرَهُ بِذَلِكَ لَكَنَّهُ لَمْ يَجِيبْ أَبَدًا .. حَاوَلَنَا جَمِيعًا الاتِّصالَ بِهِ لَكَنَّهُ لَمْ يَجِبْ أَيْضًا .. فَظَنَنَاهُ أَنَّهُ قُدِّمَ قَتْلًا وَأَنْسَحَبَنَا جَمِيعًا مِنَ الْمَكَانِ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْئًا آخَرَ وَنَسْقَطَ جَمِيعُنَا قَتْلًا ..

تَسَارَعَتْ نِبَضَاتُ قَلْبِهَا فَرَحةً .. لَقَدْ رَاوَدَهَا الْأَمْلَى مِنْ جَدِيدٍ ..

عَنْ أَذْنَكَ سَيِّدِنَا، عَلَيَّ الْمَغَادِرَةِ فَوْرًا ...

أَسْرَعَ مُصْطَفِيًّا لِلْخُرُوجِ مِنَ الْغُرْفَةِ وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى إِخْبَارِ الْلَّوَاءِ صَفَوْتَ بِذَلِكَ، جَمِيعُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا حَدَثَ بَعْدَ أَنْسَحَابِهِمْ ..

رب واقع خير من ألف حلم.. كانت تحلم بأن تكون الأعلامية الأولى في مصر.. كانت لديها فناعة بأنها تستطيع بناء مدرسة أعلامية جديدة.. أعلام مهني.. واضح.. صريح و حقيقي..

منذ أعوام قليلة مضت انحرف الأعلام عن مساره الحقيقي وأنقسم لفئتين.. فئةً معارضة والأخرى مؤيدة بشدة، حتى ما تغيرت الوجوه وتبدل الأحوال يصبح المؤيد معارضًا ومن كان يعارض أصبح مؤيداً .. !، ليس في مصر فقط.. بل في العالم أجمع، فالدولة الإيرانية مثلاً لديها منصة أعلامية ضخمة تدافع عن سياساتها وقراراتها.. الولايات المتحدة يتبدل أعلامها حسب هوية الحزب الحاكم للبلاد والحزب المعارض كذلك يكون أعلامه جاهزاً.. في الحقيقة الأعلام كله عار وتکاد تكون حقيقة علمية ثابتة في زماننا هذا.. لا توجد قناة على وجه الأرض تتلزم الحيادية أو تعرض الحقيقة كاملة، هذا كله ببساطة لأن الجميع يرى الحقيقة التي يريد لها فقط وليس الحقيقة المجردة..، الطبيب اعتزل الطب وعمل بالأعلام والكاتب اعتزل قلمه وعمل بالأعلام ورجل الأعمال أفتتح قناته الخاصة وحسب ميله يوجه أعلامي قناته.. والغريب في الأمر أن الفئة الوحيدة التي تجد صعوبة بالغة في العمل بالأعلام هم خريجي كلية الأعلام..!

لديها حلم التغيير يوماً وستفعله يوماً ما، لحظة.. هل تم تصوير ما حدث بالأمس ؟!، أم أن مجدها ذهب سدى ؟!، ربما أبتعدت سيارة المحطة أو تم تدميرها بسبب قذائف تلك الطائرات.. بذلك لن يتم تصوير شيء وهذا هو حلم آخر قد تبخر..

هذا ما كان يدور برأس ماريان حين كانت تقف في شرفة لمبني مهجور وعمر الممدد على الأرض بجانبها في غياب عن الوعي تماماً متأثراً بمعركته الدامية مع ذلك الداعشي في صباح اليوم، لقد قامت بأسعاشه وأخرجت قطع الزجاج الصغيرة المتناثرة على وجهه، وأخيراً وبعد ساعات طولية من الأغماء بدأت تعابير وجه عمر بالتحرك ألمًا..، جثت على ركبتيها بجانبه وحاولت أفاقته.. لم تعرف عنه شيئاً سوى اسمه الذي قرأته على زييه العسكري.. عمر.. عمر..

فتح عينيه بصعوبة..، في البداية لم يرى شيئاً لكن بمرور الشواني بدأت الرؤية تتضح.. ضباب ثم حائط أو سقف مهشماً ومدمراً تقريراً ثم.. ثم صوت يناديه باسمه.. عمر.. عمر.. حاول أن يلتفت للصوت لكنه لم يستطع تحريك رأسه ولحسن الحظ أن ماريان قامت بتعديل وضعيه رأسه تجاهها.. تسأله.. من هذه الفتاة؟! كيف تعرف أسمى؟! أين أنا؟ وماذا حدث؟!، يا ألهي أشعر بصداع مؤلم جداً.. رأسي تقليلاً جداً، بدأت الأحداث تتتسارع في ذهنه.. أنفجار الطائرة وهبوطهم بالمظلات.. القتال ضد تنظيم داعش ومطاردتهم.. شوارع في مقدمتها حواجز أسمانية وخرسانية.. النصر أو الشهادة.. قتاله في المبني.. أين البقية؟!.. حمايته لتلك الفتاة الغريبة.. لقد رأيتها من قبل.. آه صحيح.. هي من تحاول أيقاظي الآن.. قتله لذلك الداعشي..

فتح عينيه بسرعة وهو يلهمث، ساعدهه ماريان على الجلوس وهو مازال ذهنه شارداً يحرك عينيه في توتر..

هل أنت بخير..؟!

لم يرد عليها وكأنه لم يسمعها.. كان يحاول أن يستوعب ما حدث، قدمت له شطيرة مربى..

لقد مر على تواجدنا هنا ساعاتٍ كثيرة.. شعرت بالجوع فقمت بجولة حول هذا المبني ولحسن الحظ وجدت حقيبتي كانت ملقة في الشارع.. ووجدت هذه.. أكلت نصفها وتركت النصف الآخر لك..

لم يلتفت إليها حتى.. تتتسارع الأحداث في ذهنه.. ينظر أرضاً وكأنه يصارع نفسه، تسأله هي في نفسها.. حالته تزداد غرابة.. أيمكن أن يكون هذا بسبب قتله لذلك الداعشي؟!.. لا لا حتى قبل قتله لذلك الداعشي فإنه قد قتل العشرات منهم قبله، ماذا أذن؟!

عمر.. هل أنت بخير؟!، أيمكنني مساعدتك؟!

نظر إليها وكأنه للتو لاحظ وجودها.. ينظر إليها بصمت دون حرائك حتى، جلست هي الأخرى مستندةً على الحائط تستظره يتكلم، فجأة فتحت عينيها.. يبدو أنها قد غفت قليلاً..!، سمعت صوت الآذان.. نظرت ل ساعتها فوجدتها الرابعة فجراً.. يبدو أنها قد نامت ولم يكتمل غفوتها.. لاحظت عدم وجود عمر بجانبها كما كان قبل

أن نام.. التفت حولها لتجده في الشرفة، وقفت بجانبه.. بدا عليه الهدوء وتدارك الأمر لكن ما زال الأرهاق بادياً عليه، التفت إليها وسألها ..

منذ متى وأنا هنا؟!، وأين بقية زملائي؟!

من عصر يوم أمس تقريراً.. لقد فقدت وعيك ولم تستطع حملك لمكان بعيد، في حقيقة الأمر كنت محظوظة بتواجد هذا المبني هنا، لقد نالت منه الطائرات أيضاً لكنه ما زال كافياً لنجاتي فيه..

أما عن سؤالك عن باقي زملائك فأظن بأن الجميع اختفى فجأة.. ربما ظنوا أنك ميت ورحلوا..

أغمض عينيه للحظات ثم فتحهما وتحسس الجروح التي ملئت وجهه، فأكملت هي كلامها..

لقد أسعفتك على قدر استطاعتي..

لحظات صمت ثم عاد ليأسألها من جديد..

أيمكنني معرفة من أنت؟!

لقد نسيت أن تخبره بذلك..

حسناً.. أنا ماريان من شبكة قنوات الـ "BBC Arabic" وجئت لها لتغطية بعض الأخبار ولكنني فقدت طفافي أنا أيضاً.. لا أعرف أين ذهبوا..

نظر أمامه مجدداً.. بدا أن ذهنه سيعود ثانية للشروع، عقد حاجبيه ثم سألالها..

لماذا قمت بإنقاذه؟!، أنا لم أطلب منك ذلك؟!

بما عليها الدهشة من تحوله في الكلام فجأة، أرتكبت بسبب الحدة التي يسألها بها..

كان سيتم قتلك من ذلك الأحمق.. فقمت بإنقاذه..

التفت إليها وقد لاحظت هي عقد حاجبيه..

لكنني لم أطلب منك ذلك ..

عقدت حاجبيها هي الأخرى وأظهرت تحدي في الكلام معه بعد أن وجهت أصبعها نحوه..

ليكن لديك فكرة.. هذا ليس السبب الوحيد، أنقذتك لأنه لو تم قتلك سأكون أنا التالية..، أنقذتك ليتم أنقاذه أنا الأخرى..

ظهر على وجهه التأثر.. لم يكن بمزاج يسمح له بالتشاجر معها ...

آسف.. لم أقصد مضايقتك، كان يجب عليّ أنأشكرك..

تبعد عليها الحيرة في أمره.. هل تعامله بلطف أم بغلظة وتحدي ؟!، كيف تم معاملة هذا الشخص على أية حال..

حسناً.. لا مشكلة، المهم أنك بخير الآن، هل يمكنك سؤالك عن شيء؟!

التفت إليها ثم هز رأسه أيجاباً، سأله هي ..

ما سبب تواجدكم هنا في العراق؟!، يبدو الأمر غريباً نوعاً ما ..

لم يجيئها عمر، أكملت هي كلامها..

عندما علمت بأمر أشتباكم مع عناصر تنظيم داعش تعجبت من الأمر لا سيما عندما علمت بأنكم مصربيـن..

رد عليها بجفاء..

سيطـول الأمر كـي أـشرـحـه.. سـتـعـرـفـينـ لـاحـقاـ ..

كانت السماء صافية حين أعلنت عن قدوم شروق يوم جديد، لكن يبدو بأن الأرض اعترضت عن صفاء السماء فقررت الترحيب بضيوف آخرين..!، نظر كلاهما بعيداً فوجدا سيارات نقل صغيرة تتجه نحوهم ..!، دخلـاـ

ليختبئا ثم نظرا خلسةً من وراء حائط الشرفة فوجدا تلك السيارات تقترب بشدة من المبني وأستقرت عند المدخل، نظر عمر وماريان لبعضهما في توتر، سألهما..

أين السلم..؟!

أشارت لهذا الدرج الذي يبعد عنهما أمتارٍ قليلة..

من هنا حين نقلتك لهنا، هل سنهرب..؟!

ماذا يبدو الأمر برأيك؟!

التفت حوله ثم سألهما ...

هذا السلم فقط..؟!

أنا لم أبحث عن آخر..

حضرته فكرةً سريعة..

هيا أتبعيني بسرعة ...

تبعته وهي لا تعلم ما يدور بذهنه، كيف سيهرب من نفس المدخل الذي سيصعدون هم نحوه..

لكن من أخبرك أنهم آتون لأجلنا.. أو لأجلك تحديداً؟!

التفت إليها..

لماذا برأيك وقفوا عند مدخل هذا المبني بالذات؟!

تحركا بسرعة ناحية السلم الوحيد التي تعرفه.. فكرت في كيفية الهرب من هؤلاء من هذا السلم.. لقد بدأت تشك بقواه العقلية ..

في الأسفل وعند مدخل المبني وقفت سيارتين نقل صغيرة، نزل من الأولى شخصين يرتديان جلباباً بيض وعليها

سترات رمادية وكأنهم من بدو سيناء، أخرج أحدهم جهازاً لاسلكياً ...

نعم سيدتي.. نحن في المكان المحدد، ستتم الأمور بسرعة، قريباً سيكونان أمامك ...، لا تقلق لن أدعهم يهربا

...

أغلق اللاسلكي وأشار للبقية باتباعه، أثنان منهم وقفوا ليحرساً مدخل المبني والبقية دخلوا المبني لينجزوا المهمة

! ...

كادت أنفاسهم أن تنقطع.. لساعةً متواصلة ظلا يرకضا ليبتعدا عن المبني قدر الأمكان، عندما كانا في ذلك المبني المهجور حضرته فكرةً سريعة.. حتى بوجود سلماً واحد فقط ومدخل واحد لهذا المبني يمكنهما الهرب..، ينزل الدرج ثم يختبئ وراء باب أحد الغرف القريبة من السلم في الطابق السفلي القريب من المدخل الوحيد لهذا المبني ليكون أسرع لهم الخروج من المبني حين يقوم هؤلاء الرجال بتفتيش الغرف سريعاً ثم يصعد هؤلاء الرجال للطوابق العليا لأستكمال البحث.. حينها سيخرج هو وماريان من الغرفة وينزلون مباشرةً للطابق الأرضي ويتمكنا من الهرب..

سارت الأمور كما خطط عمر فعلاً..، أختبأ وراء باب غرفة في الطابق الثاني وبعدما قام هؤلاء الرجال بتفتيش الطابق الثاني سريعاً صعدوا للطابق الثالث لأستئناف البحث، حينها خرج عمر وماريان متخفيان من الغرفة مسرعين ونزلوا الدرج باتجاه المخرج الوحيد لهذا المبني لكن لسوء الحظ فقد وجدا رجلين على باب المدخل، وعندما لاحظهما الرجلين حاولاً أيقافهما ولكن عمر وماريان أسرعوا للصعود مجدداً.. أسرع أحد الرجلين خلفهما وهو يمسك بهاتف أرسل ليخبر الآخرين بأنه يطارد الهدف وهم الآن باتجاههم فيما بقي الرجل الآخر واقفاً عند المدخل لعلهم يفكرون في الهرب من هنا مجدداً..

عندما وصل عمر وماريان للطابق الثاني وجدا الرجلين ينزلان من الطابق الثالث وقد ألتقيا عند في منتصف السلم ما بين الطابقين.. لقد تم محاصرتهم..، تراجع عمر وماريان بسرعة تجاه نفس الغرفة التي أختبأ فيها منذ قليل ويدون تفكير فتح عمر النافذة وأمر ماريان بالقفز ورائه بسرعة ويدون تفكير أيضاً، نزل الرجالان بسرعة حتى ألتقاوا بالثالث ونزلوا جمياً وركبا السيارة للحاق بهما حين رکض الهدف في تلك الشوارع خلف هذا المبني..، ظلت السيارات تطاردهم في الشوارع الجانبيّة ذات الطرق الوعرة، لحسن الحظ لم تكن تلك الشوارع تصلح أن تسير تلك السيارات فيها، لقد تمكنا من الهرب فعلاً منهم..، الآن هما تائهان في ضواحي هذه المدينة يسيرون ببطء شديد بعد أطمئنا على هروبهما من هؤلاء الأوغاد الذين كانوا يطاردوهم، سأله ماريان وهي مازالت تلهث..

ماذا علينا أن نفعل الآن؟!

صمت عمر للحظات مفكراً ..

لا أعلم، ربما علينا أن نحيا أولاً ثم نفكر ماذا نفعل ..

ابتسمت بأسهجان..

لا نعلم حتى إلى أين نسير ..!

التفت إليها عمر وهما يسيران..

إلى المجهول.. إلى اللا شيء نعرفه.. أصبحت أفضل المجهول، ماذا لو علمت إلى أين نسير ثم أكتشفت أن ما نسير إليه هو الهالك بعينه !؟

فكرت ماريان قليلاً فأجابت بمنطق..

سأتوقف..

و بعدها ... !؟

سأفكر في خطوتي التالية..

حسناً.. ربما عليك أن تتوقي الآن وستري ما سيحدث بعدها، أنا جربت هذا فعلاً وكانت النتائج كارثية ..!

сад بينهما الصمت للحظات وهما يسيران إلى اللا مكان..

لكن يوجد استثناء واحد هنا، أنا مضطرة لاستكمال الطريق معًا لحين أن نجد طامي ثم ستهرب معي..

ما الذي يجعلك مضـ..

قطع حديثهما ذلك الأضطراب الحادث في نهاية الشارع ورائهم.. التفتوا بذعر بأنجاه ما يحدث، في لحظة ساد الأضطراب المكان كله.. بدا على الجميع الفزع والخوف والهرب من شيء ما ..!، سيارات مجهولة تطلق النار على المارة عشوائياً والكثير يسقط والجميع لا يعرف شيئاً سوى الهرب الآن، تدافع عمر وماريان وسط الناس

هاربين معهم.. الجميع يهرب حيث اللاحجه مذعورين ..!، وعندما وصل عمر لمفترق طريق التفت ليمسك بماريان لكنه صدم حين لم يجدها بجانبه أو حوله على الأقل، التفت حوله ليبحث عنها جيداً وسط هذا الحشد المتدافع.. السيارات التي تطلق النار تقترب أكثر فأكثر، لم يستطع مقاومة تدافع الناس.. دفعه الناس معهم إلى اليسار وعندما حاول المقاومة وقف مرة أخرى ليبحث عنها، ها هي.. لقد رأها أخيراً.. تقف حائرة يملؤها القلق والخوف والذعر في مقدمة الشارع الأيمن لمفترق الطريق تبحث عنه.. حاول عمر أن يناديها لكنه لم يتذكر أسمها ..!، لحسن الحظ فقد عثرت عليه هي الأخرى، وعندما استعدا ليقتربا من بعضهما مجدداً وجد عمر أن شخصاً ما سقط قتيلاً كان بجانبه.. بالطبع لم يقصد هذا الرجل أن يغاديه مثلاً ولكن الرصاصة كانت في طريقها عمر وهذا الرجل كان يهرب كالجميع.. مر بجانب عمر بذعر ولو سوء حظه كانت الرصاصة من نصيبه ..!

عندما وجد عمر أنه من المستحيل أن يقتربا من بعضهما أكثر من ذلك لاسيما بعد اقتراب تلك السيارات منهم.. أشار إليها لذلك المبني المهجور ورائها لتختبئ به وهي قد فهمت ذلك من أشاراته، كانت السيارات قد وصلت تقريباً لهذا المفترق مع سقوط الناس قتلى بشكل مخيف..

تمكنت ماريان من الاختباء فعلاً في هذا المبني والصعود لطابق أعلى لترى ما يحدث ..!، ماذا سيفعل عمر ؟! هل سيضحي بنفسه ؟! يا ألهي.. لقد توقفت تلك السيارات.. لماذا يقتلون الناس هكذا ؟!، حاولت تدارك الأمر لكنها فجأة فُزعت عندما رأت عمر ممدداً على الأرض.. للحظة ظنت أنه قد قُتل أيضاً لكن عندما رأته وهو يحاول أن يخفى وجهه تحت جثة أحدهم.. فهمت أنه يحاول أن يدّعى أنه ميت، بعد لحظات كان الشارع هادئاً وتوقف إطلاق النار.. ببساطة لأن كل من كان في الشارع قد قُتل ..!، صحيح أن عمر لم يعد يتحرك تماماً ولو حركة بسيطة لكنه تمثيل جيد فهي تأمل بأن يظل هكذا حتى يرحل هؤلاء الأوغاد ...

فجأة ظهرت سيارات حفر عملاقة وبدأت تحفر حفرةً ما ..!، أنسعت عيناهَا ذُعراً فأطلقت صرخةً مكتومة كادت بها أن تكشف عن مكانها، سيتم دفن الجميع.. عمر سيدفن حياً ..!

سمع أحدهم صوتاً ما رغم علو الصوت المزعج لتلك السيارات الحفاره.. التفت ورائه باحثاً عن مصدر الصوت لكنه لم يجد شيئاً.. حدث نفسه بأنه ربما يتخيّل، بعد دقائق أنتهت تلك السيارات من حفر حفرة كبيرة ولتكتمل

الوحشية وعدم الأنسانية.. جرّت تلك الحفارات القتلى وألقت بهم في تلك الحفرة ثم بعدها رُدمت الحفرة ..  
وغادروا المكان بعدها ...

كانت تبكي بحرقة وتصرخ بصمت.. كان ما يحدث أمامها مريعاً.. عمر دُفن حيًّا ودقائق وسيموت من كانت  
تحتمي به في هذه البلدة، صحيح أنها لم تعرفه سوى من ساعاتٍ قليلةً فقط إلا أنها أحبته وأطمأنت إليه.. لا  
تعرف لماذا وكيف تم ذلك ..!

كان هناك أحداً ما يجشو على ركبتيه.. لقد رأته آسية.. !، كان يبدو وكأنه في مأذق أو يحتاج لمساعدة، أقتربت منه وهي تتحامل على عكازيها وصدمها ما رأت.. !، أزدادت ضربات قلبها أضطراباً.. مستحيل.. أنه هو.. عمر

!؟

عمر.. !، أهذا أنت؟ !؟

التفت إليها ونظر إليها، كان يتصرف عرقاً.. يبدو متعباً..

آسية.. !، يبدو بأنك قد تعافتني تقريباً.. !، تتطورين بشكل مذهل.. !

قالها وهو يجبر نفسه على الأبتسامة، يتفسس بصعوبة بالغة، أقتربت منه وتركت عكازيها وجشت هي الأخرى على ركبتيها.. أرببت على كتفه..

عمر..، هل أنت بخير؟ !، تبدو متعباً.. !

بدأ عمر بالسعال ووجهه يزداد عرقاً وكذلك نفسه الذي يزداد صعوبة..

أشعر بالأختناق.. لا أستطيع التنفس.. !

تناسلت آسية ألمه وظهرت أبتسامة خفيفة على وجهها..

أذن هذا حقيقي.. !، أنا لا أتوهم ذلك وهذا ليس حلماً، أنت ما زلت حياً، أليس كذلك؟ !؟

خرت قواه بالكامل وسقط بكمال جسده على الأرض.. حاول أن يخرج الكلام..

لم أقتل حينها، لكن يبدو أن نهايتي الآن.. !

بدأت آسية تندارك المأذق الذي يمر به عمر..

لا تتركني يا عمر..، قاوم أرجوك، عش لأجلِي ..

بدأ يفقد وعيه تدريجياً ..

عديني أن تستكملِي علاجك، أفعلي هذا من أجلِي ..

بدأت الدموع تهرب من عينيها ..

أعدُك.. والله سأفعل، لكنك ستحيا لأجلِي يا عمر، قاوم أرجوك.. سأحضر المساعدة حالاً..

حاولت مساعدته لكنه فقد وعيه بالكامل، صرخت آسية طالبة النجدة ..

ساعدووووني ..، أرجوكم ساعدوني ..

سمعت صوتاً لا تعرف مصدره ..!، صوتاً يشبه البكاء أو النحيب.. الصوت يزداد وضوحاً، نظرت حولها لتعرف مصدر الصوت لكنها لا تعلم أساساً ما هذا المكان.. يتضح الصوت وكأن أحد هم يتكلم في المذيع ..

عمر.. أين أنت؟!، أريد أنقاذك يا رجل؟!

حاولت آسية أن تحركه..

عمر.. عمر..، تحرك أرجوك، هناك من يسعى لأنقاذك ..!

فتحت عينيها ببطء شديد ، كانت الصورة مشوشة ثم تتضح بالتدریج .. ثم والدها ..

حمدًا لله على سلامتك يا آسية..، هل أنتي بخير؟!

تمتمت آسية بصوتٍ منخفض جدًا ..

عمر.. عمر يا أمي ..

سكت آسية للحظات جعلت فيهم والدتها تتساءل، عمر.. ما شأن عمر الآن؟!، هل كانت تحلم به؟!، بدا أن موضوع عمر ذاك سيكون لغزاً..، في البداية قالوا أنه قد قُتل ثم ظهر في الفيديو ثم أن زملائه لم يروا الفيديو ولم يروا جثته كذلك.. وكذلك هي تحلم به الآن..!، عادت آسية لتشتمم من جديد..

عمر يا أمي.. لم يمت !

حدّقت بها والدتها مندهشة..

عمر في مأذقٍ يا أمي، أرجدوه أرجوكم..

بدا أن كلام أبنتها متواافقاً مع ما يحدث الآن رغم غرابته، أبى عقل أن عمر لم يمت بعد؟!، حاولت والدتها تهدئتها..

سأفعل.. سأطلب المساعدة، أهدي فقط..

غابت عن الوعي مرة أخرى..!، تسارعت الأفكار في عقل والدتها.. لقد سمعت قبل ذلك عن شيء يسمى تواصل الخواطر ولو كان هذا صحيحاً فإنه وبطريقةً ما.. تواصلت آسية مع عمر وعلمت بأنه على قيد الحياة، فكرت مرة أخرى.. ربما يكون هذا مجرد هذيان، لكنها أبعدت هذه الفكرة عن عقلها.. ترید أن تتمسك بالأمل مجدداً.. لم يتم تأكيد خبر وفاة عمر بعد.. وربما يكون في مأذقٍ حقاً..

عزمت والدة آسية على التحدث مع مصطفى وتستفسر منه على كل شيء، الوقت بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة معها.. أوشكت على الرحيل تماماً، تحركت باتجاه الباب لكن حدث شيئاً لم يكن في الحسبان..!

فجأة سقطت والدة آسية هي الأخرى أرضاً دون أن يفهم الطبيب الذي فحص آسية منذ قليل أو نادية الممرضة ما الذي حدث.. حاولت نادية أن تساعدها على النهوض مجدداً لكن يبدو أنها قد أغشي على نفسها تماماً..

كانت تبكي.. كانت تتألم بكل جوارحها، لم تخيل يوماً أنها قد تُنقب بين الجثث باحثةً عن ميت..!، كانت تلك الحفارات قد قطعت الجثث أثناء درجتها للحفرة أو ما تستطيع الآن أن تسميتها "المقبرة الجماعية" .. كانت تزيح رأس أحدهم مرة والمرة الأخرى تزيح يدًا.. حاولت التقيؤ بسبب بشاعة ما تراه لكن ليس هناك في جوفها ما يجعلها تقيئ أصلًا، كانت تتيقن أنها تبحث عن جثة عمر وليس عن عمر بحد ذاته.. فلقد مضى على دفنه حيًا قرابة النصف ساعة ..!

عندما عثرت عليه أخيرًا كانت أنفاسه قد انقطعت كما هو المتوقع وفي محاولةً بائسة منها مسكت معصميه لتشحس نبضه.. شعرت بنبضٍ خفيف، تسلل الأمل إليها في أنه قد يكون حيًا، وضفت رأسها على صدره وبالكاد كان قلبه ينبض نبضاتٍ متباude، تسارعت نبضات قلبه هي فرحاً ونسبيًّا بشاعة ما هي متواجده فيه حالياً.. وعلى الفور قامت ماريـان بأخرج عمر من تلك المقبرة وسرعاً قامت بعمل تنفس صناعي له ثم ضغطت على صدره بقوة، بدأ عمر بالسعال معلناً أخيراً عن دخال الهواء لصدره مرةً أخرى ..

كان عليهما أن يبتعدا عن تلك المقبرة لأنه من المؤكد بأن ذلك التنظيم الإرهابي سوف يعود لها مجدداً، قامت ماريـان بسحبه لذلك المبني الذي اختبأ فيه منذ قليل، حل الغروب وما زال عمر في حالة غيابٍ عن الوعي، كانت تفكـر في بداية الأمر عن سبب زحام المدينة في ساعـة مبكرة كهـذا من اليوم لكنها أكتشفـت الأـجابة بعدها بساعـات ..!

بعدما أخرجـت عمر من المقبرة وخـباته في هذا المبني المهجـور عـزمـت على التـجـول قـليـلاً حول المـنـطـقة، لاحـظـت أنـهـناـكـ فيـ أحدـ الشـوـارـعـ القرـيـةـ عـربـاتـ نـقلـ كـبـيرـةـ مـمـتـلـةـ بـمسـاعـدـاتـ غـذـائـيـةـ وقدـ تـجـمـعـ سـكـانـ هـذـهـ المـديـنـةـ للـحـصـولـ عـلـىـ هـذـهـ المـسـاعـدـاتـ، الآـنـ فـهـمـتـ سـبـبـ زـحامـ المـديـنـةـ مـنـذـ صـبـاحـ الـيـوـمـ..ـ كـانـواـ يـنـتـظـرـونـ قـوـافـلـ المـسـاعـدـاتـ، عـزمـتـ هـيـ الأـخـرىـ فـيـ الـحـصـولـ عـلـىـ وـاحـدـةـ لـتـمـلـيـعـ مـعـدـتـهـاـ الفـارـغـةـ هـيـ وـعـمـرـ الـذـيـ لـمـ يـأـكـلـ شـيـءـ أـيـضاـ مـنـذـ يـوـمـيـنـ تـقـرـيـباـ..ـ لـكـنـ مـاـ جـعـلـهـاـ تـهـرـبـ بـالـأـتـجـاهـ الآـخـرـ هـوـ أـنـهـ قـدـ لـاحـظـتـ سـيـارـاتـ قـادـمـةـ مـنـ بـعـيدـ..ـ تـلـكـ السـيـارـاتـ كـانـتـ مـشـابـهـةـ لـتـلـكـ التـيـ قـامـتـ بـالـمـجـزـرـةـ مـنـذـ قـلـيلـ..ـ أـنـهـ تـنـظـيمـ دـاعـشـ مـرـةـ آخـرىـ..ـ رـأـتـهـمـ حـينـ قـامـواـ

بالأستيلاء على هذه القوافل وقاموا بمجزرة أخرى ..!، حينها هربت ماريان تجاه هذا المبني المهجور بسرعة للأطمئنان على عمر ولحسن الحظ كان ما يزال عمر يغط في نوم عميق..

جذب أنتباها تحرك عمر، كان لا يستطيع أن يرفع رأسه.. كلما رفعها سقطت مرةً أخرى ويغمض عينيه بشدة متاثراً باللَّمْ في رأسه، فتح عينيه بصعوبة بعد مساعدة ماريان له لأستعادة وعيه.. كان يحاول جاهداً أن يستعيد تنفسه ووعيه بالكامل، الفت إليها هذه المرة وقد بدا عليه أنه سعيد هذه المرة.. كان يفكر بسعادة وبصوت مسموع ..

آسيـة ..، أنها بخـير ..

ظل عمر يردد هذه الجملة، حاولت ماريان أن تكون أمـامـه مـباـشـةً ..

عـفـوا ؟!

أـسـتـندـ عمرـ عـلـىـ الـحـائـطـ وـرـائـهـ وـالـأـبـسـامـةـ تـكـادـ لـاـ تـفـارـقـهـ ..

آسيـةـ.. لـقـدـ تـعـافـتـ تـقـرـيـباـ، لـقـدـ رـأـيـتـ ذـلـكـ ..

مارـيـانـ لـاـ تـفـهـمـ شـيـئـاـ ..

مـنـ تـكـونـ آـسـيـةـ ؟ـ!ـ، أـخـتـكـ ؟ـ!

ضـحـكـ عـمـرـ ثـمـ هـزـ رـأـسـهـ نـافـيـاـ ..

لاـ لاـ .. زـوـجـتـيـ فـقـطـ ..

أـرـتـسـمـتـ تـعـاـيـرـ الدـهـشـةـ عـلـىـ وـجـهـ مـارـيـانـ ..

زوـجـتـكـ .. ؟ـ!ـ، أـنـتـ مـنـزـوجـ ؟ـ!

بـداـ هوـ الـآـخـرـ مـتـعـجـبـ مـنـ أـنـدـهـاشـهـ ذـاكـ ..

ماـ الـغـرـيبـ فـيـ هـذـاـ ؟ـ!

تبعد أصغر سنًا من أن تتزوج ..

أطلقت ضحكةً ساخرة ثم سألته ..

أي ذنب فعلت كي يتم اعتقالك مبكراً ..

ابتسم عمر لمزاحها، ساد بينهما الصمت للحظات ثم قاطعه ماريان مجددًا ..

كت تتكلم عن أن زوجتك قد تعافت، بماذا أصيبيت أصلًا؟!

أصيبيت بسلل في حادثة، لكنني أقسم أنني رأيتها بخير.. ولكن ..

سكت عمر فجأة وهذا الصمت المفاجئ جعلها تنتظر كلمته التالية ..

ولكن ماذا؟!

لم تكن مسؤولة.. ما معنى هذا؟!

يا رجل.. أنه مجرد حلم، كفى أن الله قد طمئنك عليها..، فقط هي ربما تكون حزينة لأنك بعيد عنها ..

فكرة في كلامها قليلاً ..

آمل ذلك ..

عقدت ذراعيها وأضافت تعابير المزاح على وجهها ...

والآن أخبرني.. كم مرةً عليّ أنقاذك؟!، أنت مدین لي مرتين ..

كانت ترى أن أبتسامته رائعة، كانت ستحسفي أبتسامته تلك للأبد مرتين خلال يومين ..!، أستدلت ظهرها للحائط أيضًا بجانبه وراح تفكّر بصوتٍ مسموع..

من يصدق أنني على مدار يومين كاملين لم أنم سوى ساعةً واحدة فقط ..!، جائعةً ومتعبةً جدًا.. يا ألهي ..

على ذكر الجوع.. بطني تصدر قرقرة.. ألا يوجد ما نأكله؟!

هزت رأسها نافية..

للأسف لا.. كنت سأتمكن على الحصول على طعامٍ لكنني فشلت..

شعر عمر بالخجل.. أذ من المفترض أنه يقوم برعایة تلك الفتاة.. عليه أن يتصرف كرجل.. لكن أين.. هنا.. هنا في العراق؟!، قاطع تفكيره أقتراحها بمساعدته للنهوض، مدت إليه يدها ..

هل سنمكث هنا طويلاً؟!، هيا.. علينا الأبتعد عن هنا، علينا بالبحث عن الطعام..

وكيف سنبحث عن طعام يا ..

سكت فجأة وقد فهمت ماريان أنه لم يتذكر أسمها..

ماريان.. أحفظ هذا الأسم رجاءً.. أنه سهل، هيا هيا..

خرجا من المبني متسللين بلا جهة.. سارا في الطرقات لوقتٍ لم يحسباه، توقف عمر فجأة وكأنه قد تذكر شيئاً، التفت لماريـان عـاقداً حاجـبيـه في عدم فـهم ..

أنتظـري هـنا.. لقد أخبرـتـي أـنـكـ كـتـ على وـشكـ الحصولـ على طـعامـ ..!، متـىـ كانـ هـذاـ أـصـلـاـ؟!، أناـ كـنـتـ مـعـكـ طـوالـ الـوقـتـ ..!

قبل أن تجـيبـ هيـ كانـ هوـ قدـ أـجـابـ نـفـسـهـ.. بالـتـاكـيدـ عـنـدـمـاـ كانـ مـغـشـيـاـ عـلـيـهـ، لـكـنـهـ تـسـاءـلـ عـنـ سـبـبـ أـغـمـائـهـ مـنـ الأـسـاسـ!، كـانـ يـحـاـولـ تـذـكـرـ الـأـمـرـ غـيرـ مـسـتـمـعـ لـكـلامـ مـارـيانـ.. سـمعـهـ عـنـدـمـاـ عـادـ مـنـ شـرـودـ عـقـلـهـ ...

.. لـكـنـ أـلـيـسـ مـنـ الغـرـيبـ أـنـكـ تـقـومـ بـالـتـمـثـيلـ وـتـسـتـمـرـ بـهـ رـغـمـ أـنـكـ تـرـىـ نـفـسـكـ تـدـفـنـ؟!، كـيفـ لـمـ تـنـكـشـفـ؟!

حدـقـ بـهـ فـيـ عـدـمـ فـهمـ ..

مـنـ الـذـيـ تـمـ دـفـهـ؟!

لاـ تـقـلـ لـيـ أـنـكـ لـمـ ثـمـلـ ..!، عـمـومـاـ تـصلـحـ أـنـكـ تـكـونـ مـمـثـلـاـ فـيـ هـولـيوـدـ ..

ماـزاـلـ لـمـ يـسـتوـعـبـ الـأـمـرـ.. تـمـثـيلـ.. دـفـنـ.. ماـذاـ حـدـثـ أـذـنـ؟!، أـسـتـوـقـفـهـ لـيـفـهـمـ ماـ حـدـثـ..

فيـ حـقـيـقـةـ الـأـمـرـ أـنـاـ لـاـ أـفـهـمـ شـيـئـاـ يـاـ مـارـيانـ..

أـحسـتـ فـعـلـاـ أـنـهـ لـاـ يـفـهـمـ شـيـئـاـ وـشـرـحـتـ لـهـ مـنـذـ أـنـ أـفـتـرـقـاـ فـيـ صـبـاحـ الـيـوـمـ بـسـبـبـ هـجـومـ ذـلـكـ التـنـظـيمـ حتـىـ تمـ أـفـاقـتـهـ منـ الـغـيـبـوـيـةـ مـنـذـ قـلـيلـ، مـنـطـقـيـاـ لـاـ يـتمـ تـصـدـيقـ ذـلـكـ عـلـىـ الـأـطـلاقـ.. لـكـنـهـ قدـ حـدـثـ بـالـفـعـلـ.. لـقـدـ أـغـشـيـ عـلـيـهـ بـسـبـبـ أـختـنـاقـهـ تـقـرـيـباـ مـنـ الـجـثـةـ الـتـيـ كـانـ يـخـبـيـ تـحـتـهـ ..!، عـلـىـ كـلـ حـالـ لـقـدـ نـالـ مـنـهـمـ التـعبـ بـعـدـمـ سـارـواـ لـمـسـافـاتـ

طويلة في شوارع الموصل، تضوروا جوعاً ولا شيء هنا يوحي بالحياة أصلاً في هذه المدينة المهجورة، بادرت ماريانت بأقتراح..

لن أتحمل أكثر من ذلك، تعالى معى..

تقدمت خطوتان لأمام حتى أستوقفها عمر..

لأين..؟!

عقدت ماريانت ذراعيها في إشارة للأحتجاج..

أليست معدتك خاوية؟!

أومأ عمر برأسه أيجاباً، ثم أكملت هي كلامها ...

أذن سنبحث عن طعام بأي وسيلة ممكنة..

لم يكن يتصور عمر يوماً بأنه سيكون متسللاً يبحث عن لقيمات يسد به جوعه، وما يزيد الأمر سوءاً بالنسبة له هو أنه أصبح مسؤولاً عن تلك الفتاة ماريانت، قطعت ماريانت تفكيره مجدداً عندما أشارت لعمر في نهاية هذه الصاحية على شارع يبدو مأهولاً بالسكان أخيراً..

حسناً.. سنطلب المساعدة.. نحن غرباء ولابد من أن هناك أحدٌ ما سيساعدنا..

تقدمت ماريانت أمامه.. أما هو فتبعها وهو يفكر في صياغة جملة قصيرة يقولها لأحدهم لطلب الطعام.. يبدو الأمر مهيناً، وعند وصولهم منزل ما ظهرت الخيبة على وجه عمر لأن ماريانت هي من قامت بالأمر وليس هو.. ليس هذا فقط..!، فقد أغلق الباب في وجههم من الأهالي وتمت معاملتهم كالمترددين فعلاً، حسناً.. يبدو الأمر مهيناً ومخجلاً أيضاً بالنسبة له..

لكن لم يمنع ذلك ماريانت من مواصلة هذا.. صحيح أنها تشعر بالخجل لكنها مضطرة، هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لها.. لا وقت للخجل الآن لأنهم سيضطرون لفعل ذلك في النهاية، كان لديها أنطباع أولي عن عمر بأنه خجول نوعاً ما لذلك فضلت ألا تشعره بذلك قدر الامكان..

وصل لبيت في منتصف الشارع وتقدمت ماريانت لطرق الباب، سمعا صوت فتاة صغيرة من الداخل..

من الطارق..؟!

تنهدت ماريـان وعزمـت على تغيـير طـريقـتها هـذه المـرة ..

هل والدك موجود؟!

الـفتـتـتـ لـعـمـر وـرـائـهـا فـهـزـتـ كـتـفـيـها بـعـدـمـا رـأـتـ تـحـدـيقـ عـمـرـ بـهـاـ..، لـقـدـ وـضـعـتـهـ فيـ موـاجـهـةـ معـ الرـجـلـ، سـيـكـمـلـ هوـ الـطـرـيقـ أـذـنـ، فـحـقـ جـزـءـ صـغـيرـ منـ الـبـابـ وـظـهـرـ نـصـفـ وـجـهـ لـفـتـاتـةـ تـبـدوـ فيـ مـقـبـلـ الـعـشـرـيـنـاتـ ..

هوـ نـائـمـ الـآنـ، هلـ أـوـقـظـهـ..؟!

شـعـرـتـ مـارـيـانـ بـالـأـرـتـيـاحـ.. هـذـهـ فـتـاتـةـ فـيـ نـفـسـ سـنـهـاـ تـقـرـيـبـاـ وـسـتـعـرـفـ كـيـفـ تـسـعـامـلـ مـعـهـاـ، فـتـحـتـ الـفـتـاتـةـ الـبـابـ كـامـلـاـ، كـانـتـ فـتـاتـةـ جـمـيـلـةـ وـكـانـتـ تـبـدوـ أـصـغـرـ مـنـ أـنـهـاـ فـيـ مـقـبـلـ الـعـشـرـيـنـاتـ، تـحـ عـمـرـ جـانـبـاـ فـيـماـ أـسـتـلـمـتـ مـارـيـانـ تـلـكـ الـمـهـمـةـ مـجـدـاـ.. فـتـاتـةـ صـغـيرـةـ وـلـابـدـ وـأـنـهـاـ سـتـفـهـمـهـاـ بـالـتأـكـيدـ..

فـيـ الـحـقـيقـةـ نـحـنـ لـاـ نـعـرـفـ وـالـدـكـ..

الـفتـتـتـ مـارـيـانـ حـولـهـاـ ثـمـ عـادـتـ لـتـكـمـلـ لـلـفـتـاتـةـ مـاـ جـاءـتـ لـأـجـلـهـ..

نـحـنـ غـرـيـاءـ عـنـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ وـوـقـعـنـاـ فـيـ مـأـذـقـ، لـمـ يـعـدـ لـدـيـنـاـ مـاـ نـأـكـلـهـ وـ...ـ..

بـدـتـ الـفـتـاتـةـ أـنـهـاـ لـمـ تـسـتـمـعـ لـمـارـيـانـ.. كـانـتـ تـحـدـقـ بـذـلـكـ الـوـجـهـ الـمـرـتـبـ خـلـفـ مـارـيـانـ، كـانـتـ تـحـدـقـ بـعـمـرـ.. فـجـأـةـ دـخـلـتـ الـفـتـاتـةـ مـسـرـعـةـ وـتـرـكـتـ الـبـابـ مـفـتوـحـاـ، لـمـ يـفـهـمـاـ مـاـ حـدـثـ لـلـتوـ وـنـظـرـاـ لـبعـضـ فـيـ عـدـمـ فـهـمـ، الـفـتـاتـاـ وـقـرـرـاـ الـرـحـيـلـ.. لـكـنـ فـجـأـةـ خـرـجـ أـحـدـهـمـ مـنـ الـبـيـتـ مـهـرـوـلـاـ لـلـحـاقـ بـهـمـ..

مـهـلـاـ..

الـفـتـاتـاـ نـاحـيـةـ الرـجـلـ، كـانـ يـحـدـقـ بـعـمـرـ وـكـانـهـ لـاـ يـصـدـقـ مـاـ يـرـاهـ، سـأـلـهـ الرـجـلـ..

أـنـتـ عـمـرـ.. أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟!

عـمـرـ وـمـارـيـانـ كـلاـهـمـاـ لـاـ يـفـهـمـاـ مـاـ يـحـدـثـ..!، مـنـ هـذـاـ الرـجـلـ وـكـيـفـ عـرـفـ عـمـرـ؟!، أـوـمـأـ عـمـرـ بـرـأـسـهـ أـيـجـابـاـ دـونـ فـهـمـ مـنـتـظـرـ تـفـسـيـرـاـ لـمـاـ يـحـدـثـ.. كـانـتـ الـفـتـاتـةـ تـقـفـ خـلـفـ أـيـيـهاـ عـلـىـ مـاـ يـدـوـ، عـنـدـمـاـ أـوـمـأـ عـمـرـ بـرـأـسـهـ فـرـحـتـ الـفـتـاتـةـ

...

أـلـمـ أـخـبـرـكـ يـاـ أـبـيـ؟!، أـنـهـ هـوـ.. عـمـرـ!

فرح الرجل وكأنه قد رأى صديقاً عزيزاً بعد غيابٍ طويلاً.. على الفور قام بأزاحة نفسه من على الباب وأشار لعمر وماريان بالدخول..، بدا مرحباً بهم بشكلٍ مريب.. ينظر عمر وماريان لبعضهما في توجس..، أشار الرجل لهما بالجلوس فجلسا وقد تناسوا جوعهم بسبب هذا الأرباك..، جلس الرجل أمامهم وقد بدا عليه مرحباً بعمر أكثر !..

أهلاً بك في بيتي يا بطل، أنه لشرف لي أن تكون هنا في بيتي..

حدق عمر بالرجل وكأنه بدأ يدرك ما يعنيه الرجل، لم تستطع ماريان أن تصبر أكثر من ذلك، ما يجري الآن خارج نطاق الفهم كلياً..

سيدي.. هل تعرف عمر ؟!

رد عليها الرجل بحماسة ...

و من في العالم لا يعرف ذلك الجندي البطل ؟!

ذعر عمر وتصيبه منه العرق فجأة، أيمكن ما يفكر به صحيحًا؟!، ستكون مصيبة.. وكان أيضاً هذا نفس شعور ماريان.. لكن المفارقة هنا أنها تأمل أن ما تفكّر فيه يكون صحيحًا، فكرت في أنهاء هذا الجدل والتوتر وعد الفهم، سأله بوضوح ..

سيدي.. حفنا نحن لا نفهم شيئاً، كيف عرفت عمر ؟! أو ربما يجدر بي سؤالك عن أن كيف العالم كله يعرف عمر ؟!

تعجب الرجل من سؤال ماريان، شك في الأمر لكنه شعر بأن هناك خطئاً ما ...

حسناً.. العالم كله شاهد الفيديو..

للحظة تجمد عمر في مكانه.. ذعر وخاف من الفضيحة.. كيف حدث هذا بالضبط ؟!، نظر لماريان التي كانت بجانبه منذ لحظة.. أنها ليست كذلك الآن ..!، منذ أن سمعت ماريان أجابة الرجل وهي تقوم بحركاتٍ بهلوانية فرحةً بما سمعت، حسناً.. يبدو أنها هي فعلًا من فعلت هذا، دار برأسه ما حدث حينها في لحظة، عمل الرجل على تهدئة ماريان التي تكاد أن تلمس السقف..

أذن يبدو أنك أنتي المراسلة ماريان التي قامت بتصوير الفيديو.. لقد أنقذته عندما كاد أن يُقتل من ذلك الداعشي ..

كانت ماريان غامرة في السعادة.. لقد ظنت أن الكاميرا لم تعمل أو أن البث قد انقطع..

، نظرت بساعتها ثم لاحظت جهاز التحكم أمامها..

أرجوك.. ما هو رقم قناة " Exclusive news " ..

القناة رقم ٢٥ ..

كان الآن هو ميعاد بث برنامج شيرين عبد النور، شكلت ماريان رقم القناة وأسرعت لتنصت للبرنامج، فجأة تنبه الجميع لأنكسار عمر وعدم مشاركته الفرحة رغم أنه بطل الحدث.. أقتربت إليه ماريان وحاولت أن تستطقه ...

عمر.. ماذا بك؟!

عمر ينكس رأسه صامتاً دون كلام أو حركة، الجميع كان حوله ولا يفهمون ما حدث أو ماذا حل به فجأة ..!، فجأة تكلم عمر بنبرة يخالطها العتاب والحزن..

لماذا يا ماريان؟!، لماذا أنقذتني ثانيةً؟!

بدا صوته أكثر عتاباً..

كان عليك أن تتركيني هذه المرة..

بدا على الجميع أنهم لا يفهمون شيئاً، بدأت شيرين عبد النور مقدمتها لبرنامجها الليلة ..

\*\* برنامج شيرين..

يبدو أن أسرار هذا الفيديو لن تتوقف أبداً.. وهذا ما جعله يتربع على عرش اليوتيوب هذا العام خلال يومين فقط.. حيث وصل عدد مشاهدات هذا الفيديو إلى ما يقارب الخمسمائة مليون مشاهد والعدد يزداد كل لحظة..

سرّ جديد قد يكون هو الأهم والأقوى.. والأشد فرعاً كذلك، وقد يكون نقطة تحول أيضاً..

كانت مقدمة شيرين تلك قد جذبت انتباه الجميع.. وكان الجميع تيقنوا بأن لتلك المقدمة النارية وذلك السر تحديداً علاقة بحالة عمر الحالية، أما عمر فكان يعرف ما ستقوله شيرين.. كان لسان حاله.. لا تفعلي أرجوك..

أكملت شيرين ..

سكتت للحظة وكأنها تفكّر في الطريقة المناسبة التي ستعرض بها الخبر ..

و كما هو المعروف في تلك الجماعات المتطرفة كتنظيم داعش الإرهابي أن رجالها لا يستخدمون أسمائهم الحقيقية.. بل يستخدمون أسماءً مستعارة أو ما نستطيع أن نسميهها نحن "كنيات" .. أسماء تعود مثلاً لعصـ  
الخلافة الإسلامية ...

كنية هذا الرجل الداعشي الذي قتله عمر هو "أبا عماد" وهو الرجل الثاني في تنظيم داعش، لكن هذا ليس السر المفزع الذي سنقدمه لكم..

بدا على ماريان والرجل وأبنته التركيز الشديد مع مقدمة شيرين النارية.. يبدو أن سر تلك الليلة مفاجأة من العيار الثقيل، أما عمر فقد أستسلم للصمت، حان للحقيقة أن تتكشف ..

أكملت شیوهن...

السر يكمن في الأسم الحقيقى لهذا الرجل الداعشى الباز فى التنظيم.. أسمه هو ..

توقف العالم بأسره بالنسبة لعمر، أما الجميع فحدقوا بعمر غير مصدقين.. مستحيل.. مستحيل ما يحدث.. لا سيما ماريانتي شعرت وكأنها قد قتلت عمر بتصويرها لهذا الفيديو..

أكملت شيئاً ...

"أسمه هو .. " أدهم محسن عبد العال.. "

كان شريف وأيمن هما الوحيدان المتبقيان من هذا المجتمع الأخير..، كان يبدو على شريف التعب.. فهو لم يغادر مكتبه منذ ثلاثة أيام ..!، كان لديه تفاني في العمل غير طبيعي ولابد أن يباشر على كل العمليات بنفسه.. فلقد تم أحبط عمليتا تفجير ليلة أمس في الساعات الأخيرة كانت ستنضم في محافظات الصعيد..، هذا بالإضافة لعملية خطف الجنود المصرية منذ أيام في اليمن، عندما لاحظ أيمن الأرهاق الشديد الظاهر جلياً على شريف حاول أقناعه بالراحة ..

سيد شريف.. لماذا لا ترتاح قليلاً؟!، لن يجدي عملك هكذا ..

لا يبدو على شريف أنه كان يسمعه، وضع يديه فوق رأسه ومال بظهوره للوراء في شعورٍ تام بالأرق، أعاد عليه أيمن أقتراحه بالراحة لكنه أيضاً لم يلقي أي أجابة، كان يبدو عليه التفكير أكثر من الأرق ..، كرر أيمن ندائها..

سيد شريف..، فيم تفكر؟!

أنتبه شريف هذه المرة..، مال للأمام هذه المرة متكتئاً على منضدة المجتمع وبيدو عليه التفكير بأمرٍ ما، فكر في أن يجعل أيمن يشاركه أفكاره..

ما الذي جعل عمر يقتل أخاه؟!، والأهم من ذلك.. كيف وصل أخوه لتنظيم داعش بل وشغل منصبًا هاماً هناك في التنظيم؟!، نحن نتكلّم هنا عن ثاني أهم قيادي لأكبر التنظيمات الإرهابية في العالم ..!

أجابه أيمن ..

لو أستعرضنا الفيديو مرةً أخرى سنجد أن عمر في البداية كان مصدوماً من رؤية أخيه في هذا المكان وكونه داعشي، ربما قتله لأنّه داعشي في النهاية..

هز شريف رأسه نافياً ...

نصف كلامك الأول صحيح.. لقد صُدم عمر عندما وجد أخاه المختفي منذ أعوام داعشي، لكنني لا أظن أنه قتله لأنه داعشي ..!، لا لا.. لقد دار بينهما قتالاً.. في البداية بدا على عمر الأسلام أو الصدمة من ضرب أخيه له بهذه الطريقة.. لم يكن ليزيد أن يقاتل أخيه، وعندما تكلم عن غريبة حب البقاء سجد أن عمر وجد نفسه على وشك الموت من ضربات أخيه الممتالية فتحركت نفسه للدفاع عنه دون أن يدرى.. لقد كاد أيضاً أن يُذبح ..!، لم يفكّر حينها بأنه سيقاتل أخاه.. كان يقاتل شخصاً كاد أن يقتله، ضرب أخيه له جعله يفقد أعصابه ويعتقل أخيه ..

لم يقنع أيمن بكلام شريف..

لكن ليس لدرجة قتل أخيه سيد شريف ..!

رد شريف بحده ..

لقد كانت نية أخيه القتل يا أيمن، أنا لا أعلم كيف أسلام عمر كل هذا الوقت.. كيف لم يعمل دماغه على حماية نفسه عندما كاد أن يُقتل أول مرة ..!، ولو لا تدخل تلك المراسلة ماريانت لكان عمر هو المقتول، هل ستصدقني لو قلت لك أن عمر لم يقصد قتل أخيه أصلًا ..؟!، لقد قام عقله بألغاء وعيه تماماً وأسلام هو الأمر بدلاً عن عمر ..

أقترب شريف من أيمن ...

ك رد فعل طبيعي قام دماغه بالدفاع عنه بألغاء فكرة أنه يقاتل أخيه الذي وبالمناسبة كاد أن يقتله منذ قليل لو لا تدخل ماريانت.. هكذا كان دماغه وعقله يعملان في تلك اللحظة، فهمت يا أيمن ..؟!

أقتنع أيمن قليلاً بكلام شريف، يبدو تحليلًا منطقياً بعض الشيء، راوده سؤال منطقي أيضًا..

وأين هو الآن ..؟!، أظن بأنه لديه الكثير ليخبرنا به ..

هز شريف كتفيه لا يعلم..، كان سيجييه ولكن صوت السماعة الداخلية لقاعة الاجتماعات قطعت كلامه ... أنها مساعدته..

سيد شريف.. عذرًا على المقاطعة، هناك أتصالٌ عاجل في مكتبك سيدتي..

أسرع شريف باتجاه مكتبه وتبغه أيمن، رفع شريف سماعة الهاتف ...

ها..، ما الأخبار؟!

بدت عليه العصبية فجأة وهو ينصل للهاتف ..

و كيف تمكنا من الهرب؟!، أربعة أشخاص ضد اثنين و هربا منكم؟!، لابد وأن تجدهم حالاً..

بدء صوته يرتفع أكثر..

أسمعني جيداً.. أبحثوا عنهم في كل مكان.. بالتأكيد لم يبتعدوا، لن أغادر مكتبي إلا وهم أمامي هنا.. مفهوم؟!

أغلق الهاتف بعصبية محاولاً تهدئة نفسه..

في الحلم يمكننا أن نعيش ألف واقع..، كانت في عالمها الخاص حين فتحت عينيها لا تذكر شيء سوى تلك اللحظات التي كانت معه في الحلم، ظل عقلها يكرر لها حلمها..، لم تكن لتتألم بأنه في الحلم كان يعاني بقدر ما كانت سعيدةً لرؤيتها على كل حال.. لم يتمt ولا بد وأن تفسير ذلك الصوت الذي ظهر لها في الحلم بأن هناك أحداً ما سيساعد عمر في محننته، المهم أنها رأته حتى لو كان ذلك حلمًا.. لقد حقق لها حلمها ما عجز عنه واقعها.. لنصف ساعة وهي ممددة على سريرها محدقةً بسقف الغرفة ومنفصلة عن العالم الخارجي غارقةً في عالمها الخاص، لم تدرك ما يحدث حولها إلا بعد أحراج نادية الممرضة لأفاقتها..

نظرت آسية لها في شroud وكأنها لأول مرةً تراها، تنهدت آسية ...

أخيراً يا آسية..، كيف حالك الآن عزيزتي؟!

لم تجبيها آسية، مازالت تحت تأثير الحلم، فكرت نادية في طريقة لخروج آسية من شroudها هذا ...

حسناً.. ما رأيك لو تسمعين أخبار سارة؟!

لم تتكلقى نادية سوى الصمت مرةً أخرى، فكرت أن تلاعب بها لتشير اهتمامها..

حسناً.. يبدو أن الأخبار التي سمعتها عن عمر لا تهم أحدهم..

وكانها لم تسمع شيئاً سوى اسمه..، التفتت آسية لنادية فجأة وقد بدا عليها الاهتمام.. كانت متلهفة لسماع أي خبر عنده عدا وفاته، حتى لو كان في محنـة فسيراودها الأمل برجوعه يوماً ما، حاولت أن تستجتمع تركيزها من جديد وسألتها..

أين عمر؟! أحيي هو أم ...؟!

لم تكن تريد نطق أو مجرد التفكير حتى أنه ميت، بدت على نادية أنها ستمازحها لكن نظرة آسية الجدية لها جعلتها تتراجع عن ذلك وتخبرها بما عرفته، مالت عليها لتهمس لها..

سمعت المدير وهو يتكلم على الهاتف مع أحدٌ ما وهو متfragji لا يستطيع تصدق أن عمر ما زال على قيد الحياة ..

تدفق الدم فجأة في وجه آسية وأحمر وجهها وأغرقت عينيها بالدموع في لحظة، نزعت الغطاء عنها بسرعة والتفتت بسرعة لتبث عن عكازيها لم تعد تعتمد عليهما لكنها الآن تريد الأسراع، همت بسرعة باتجاه الباب .. سألتها نادية ..

إلى أين .. !؟

أجبتها آسية بلهفة غير مسيطرة على دموعها ...

لقد حلمت بعمر، أنه حيٌّ فعلاً ولم يمت، أنه حي يا نادية ..

لكن إلى أين ستذهبين الآن .. !؟

كانت آسية قد خرجت من الغرفة مسرعة، لحقت بها نادية وعرفت أنها تتجه لمكتب المدير لتعرف كل شيء، كانت تسع وكأنها قد شُفيت تماماً.. يغمرها أحاسيس الفرحة والأمل لسماع شيء واحد فقط.. أنه حي، لكن لحظة، توقفت فجأة..، هناك شيءٌ ما ينقصها ، للحظة تملكتها شعورٌ غريب ..!، كانت تبحث عن شيء لا تعرفه ..

ما كانت تخشاه نادية على وشك الحدوث.. لم تكن تريد أخبارها عن الكارثة التي حدثت صباح اليوم بنفسها، كانت تفضل أن يخبرها أي شخص آخر غيرها.. كانت تحاول أن تجد كلماتٍ لتجيبها على السؤال الذي ستطرجه آسية حالما تتذكر هي ما الشيء الذي ينقصها..

أما ما يدور في عقل آسية فقد وصل لحد العراقة.. يزداد أحاسيسها بالحيرة والتوتر.. يزداد ضربات قلبها سرعة.. فرحتها تنقصها شيءٌ أساسي، مستحيل.. كيف يفوتني هذا.. كيف فاتني أن أسأل عنها؟! أين هي أصلاً؟!، التفتت لتسأل نادية ..

نادية.. أين أمي ؟!، أنا لم أرها حين تمت أفاقتي ..!

أبعدت نادية وجهها عن آسية وأفكارها تتتسارع بحثاً عن مخرج من هذا المأذق..، بماذا تجبيها ؟!، تحاف أن تخبرها بما حدث فتكون هي السبب في عودة الشلل إليها مرة أخرى أو كارثة أخرى تحل بها، طال صمت نادية وهذا ما جعل النوتر يتسرّب إليها.. تلعمت نادية في الرد عليها ...

أظن أن.. علينا أن.. المدير ينتظرك..

تعجبت من تلعم نادية هكذا ..!، لكن سرعان ما بدأ الشك يراودها.. تذكرت كلمات والدتها عن مرضها..

" سبب أخفيته عن الجميع .. مرضي .. أصبت بالسرطان .. حين أغادر الدنيا، دعني أرحل مطمئنة "

حدقت بنادية وصوتها يزداد حدة..

نادية.. أين أمي ؟!

بدا العرق الذي ظهر على وجه نادية نديراً لخبرٍ مشؤم لا تنتظر آسية سماعه أبداً ...

أمك..، لقد..

نفذ صبر آسية.. صرخت بوجه نادية لتخبرها بالأمر، وهذا ما زادها أرتباً.. بدأت عيونها تغرسها بالدموع ..

بعد أن أغمي عليك.. سقطت هي الأخرى، وعندما قام الطبيب بفحصها.. وجدها ..

توقف الزمن أيضاً بالنسبة لها، وقد رأت الكلمة تخرج من نادية قبل نطقها أساساً..

لقد ماتت بسبب السرطان ..

و على غير المتوقع.. صمت مخيف ومنذر بما هو أسوأ قادم، حدق آسية في الفراغ.. مرت لحظات على صمت آسية الرهيب، وكالهدوء الذي يسبق العاصفة بدأت عيني آسية بالدموع وبصوتٍ منخفض..

لماذا أنا بالذات..؟!، لماذا يحدث هذا معِي..؟!

لم تتحملها قدمها وأنهارت على الأرض.. بدأت تنهر وأخذ صوتها يرتفع شيئاً فشيئاً، حاولت نادية تهدئتها لكنها فشلت.. فقدت آسيبة السيطرة على نفسها تماماً، وبصوتٍ يضم الأذان رفعت رأسها لأعلى وعاتبت الله على ما شاء..

لماذا أنا يا ربِي؟! لماذا تفعل بي هذا؟! لماذا أنا بالذات من تريده أبتلاهَا؟! ألا يوجد من يُبَتلي غيري؟!  
تجمع حشدٌ حولها والجميع يحاول تهدئتها.. ولكن ذلك ما أثار أعصابها أكثر وأصبحت أكثر اعتراضاً لله بعد أن فقدت عقلها هذه اللحظات ...

توقف يا ربِي.. لا أريد المزيد من الاختبارات.. توقف أرجوك.. توقف.. توقف..

بدأ صوتها ينخفض تدريجياً، أنحنت وأتخذت وضعية السجود، تهذى بكلماتٍ غير مفهومة.. تتنفس بصعوبة، تدخل أحدهم وسط هذا الحشد وحملها وتابعته نادية، لم يعشى عليها ككل مرة لكنها فقدت أدراكتها بمن حولها كلّياً، لم يكن أحد ليتحمل كل هذا ويظل على قيد الحياة.. قد يكون الموت أرحم به..

أحياناً تولد لدينا الرغبة الشديدة بالموت لنرثاح من عبث هذه الحياة.. نريد البكاء والصرخ بأعلى صوتٍ ممكناً ولكن ما فائدة هذا إن لم يشعر أحدهم بالمعاناة والألم الذي تحتويه..؟!

في البداية كان هو الوحيد الذي يعرف أنه قتل أخيه.. كان حينها يبكي بصمت ويعاتب نفسه بصمت.. كان يتحمل وزره بنفسه ولا أحد يعلم، لكن الآن العالم كله بات يعرف ذلك..، راودته أسئلة منطقية وجودية بالنسبة له.. هل سيفهم العالم أنه لم يقصد قتل أخيه؟!، هل سيفكر العالم في أن أخاه كان يسعى لقتله وهو قد قتله بحركة لا أرادية؟!، والأهم من ذلك العالم.. كيف حال والديه بعدهما شاهدوا أبنائهم يقاتلون بعضهم أمام العالم كله وأن أحدهما قتل الآخر؟!، كيف سيغفر والديه عنه بعدهما قتل أخيه الذي اختفى منذ سنوات؟!، كيف سيستقبلوه عندما يرجع إليهم، سيطرونهم أم أنهم يتفهمون الأمر؟!

بدت ماريـان متـأسـفةً جـداً مـا فـعلـتهـ، لم تـقصـدـ أـن تـجـرـحـهـ بـالـتأـكـيدـ، لـقـد صـنـعـ أـهـمـ حـدـثـ فـيـ حـيـاتـهـ بـسـبـبـ هـذـاـ الفـيـدـيـوـ وـبـسـبـبـهـ أـيـضـاـ سـيـعـيشـ عـمـرـ حـيـاتـهـ المـتـبـقـيـةـ حـامـلاـ لـذـنـبـاـ لـذـنـبـاـ لـمـ يـقـصـدـ فـعـلـهـ.. سـيـعـيشـ حـيـاةـ صـعـبةـ وـشـاقـةـ.. سـيـتـأـلـمـ فـيـ كـلـ لـحـظـةـ وـكـلـ حـينـ، الجـمـيعـ سـيـهـاجـمـونـهـ وـيـلـعـنـونـهـ وـقـدـ يـتـبـرـأـ وـالـدـيـهـ مـنـهـ، لـاـ تـعـلـمـ مـاـذـاـ أـقـتـرـفـتـ لـتـجـعـلـ شـخـصـاـ مـاـ تعـيـسـاـ هـكـذاـ ..

أما عن الرجل وأبنته فقد بدأت تتلاشى لديهم صورة البطل الذي قتل داعشيًّا بارز، قتل أخيه على أية حال.. فكر الرجل في الأمر لحظة.. ماذا كان عساه أن يفعل عمر..؟!، كان أخوه سيقتلـهـ مـرـتـينـ وـلـوـ لـكـانـ عـمـرـ مـيـتاـ بالـفـعـلـ!، كان من الطبيعي أن يدافع عن نفسه، لكن من الطبيعي أيضًا أن يشعر أنه آثم وقاتل..

حاول الجميع أن يهدئي من حاله البائس لكنه كان غارقاً في عالم آخر.. لحظة قتل أخيه تتكرر أمامه دون توقف.. ماذا سيكون رد فعل والديه وبماذا سيجيبـهـ؟!، حـاـولـ الرـجـلـ تـقـدـيمـ الطـعـامـ لـهـ لـكـنهـ لـمـ يـسـتـجـبـ أـيـضـاـ، أـقـتـرـبـتـ مـنـهـ مـارـيـانـ وـرـبـتـ عـلـىـ كـتـفـهـ تـحـاـولـ تـهـدـيـتـهـ وـأـخـرـاجـهـ مـنـ حـالـتـهـ تـلـكـ..

عمر أنا آسفة..، لم أقصد أن يحدث هذا لك..

مازال الصمت يخيم عليه.. يتنفس بسرعة، أكملت هي ..

أقدر جيداً ما تمر به..، صدقني عندما نرجع مصر سأشرح للجميع حقيقة ما حصل و ..

و كأنه كان ينتظر تلك الكلمات ليبدأ نوبة غضب مفاجئة ..

لا.. لن أرجع مصر أبداً، إذا كنت تريدين الرجوع فأفعلي ذلك بمفردك..

صدمنتها تعصي المفاجئ ..

بسبيك أنتي أصبحت قاتلاً وليس أي قاتل.. تخيلي أنه بسببك قتلت أخي ..!، بسببك أنتي ستبرأ والداي مني،  
الأمور واضحة لدى الجميع الآن.. لقد قتلت أخي ..

كأي فتاة ضعفت أمام غضب عمر الجارف، قاومت خروج دموعها، وقامت بتصعيد حدة الكلام معه..

لو لم تقتله أنت لكان أنا وأنت في عداد الموتى ..

و لو لا وجودك الغير مبرر هناك لكنت أنا الميت وأنتي على قيد الحياة كذلك، بربك ماذا كنتي تفعلين هناك؟ !؟

كنت أقوم بعملي يا عمر ..

صاحت به أكثر وقد أظهرت تحدي شرسٌ ضده ...

أنت وجودك في هذا المكان غير مبرر ..!، كيف جئتم العراق؟! ولماذا أنت بالذات من صعد لذلك المبني  
بالذات؟!، ليس هناك تفسير منطقي لذلك سوى أنك كنت تعلم مكانه وقد أتيت إليه لقتله، أنت أردت أن تكون  
بطلاً ويصفق لك الجميع..

استمرت ماريان في توجيه الضربات القاضية له، أقتربت منه ثم أكملت بأخر ما أستنحتاجه..

لقد كنت تعمل على حمايتي طوال الوقت حتى تصل إليه، طبيعي أن تستغل وجودي لصالحك هناك، قتلتة وكأنه داعشي فقط، وبذلك تظهر بطلًا أمام العالم.. كان تمثيلك بارعًا يا عمر، لقد أقمعت العالم كله أنك قتلت داعشيًّا بارز، لكن لسوء حظك لم يدم هذا سوى ليوم واحد فقط ..

تحدي ماريانت له جعلتها تتفوه بكلمات تدين بها عمر، جعلت الجميع يقف مصدومًا بما فيهم عمر نفسه، للحظات تكرر مرةً أخرى لحظة قتل أخيه.. مستحيل.. كلامها منطقىً جدًا..!، هو نفسه أقمع بكلامها، خرت قواه فعلاً ولم يعد قادرًا على الوقوف.. بدا مستسللًا وقد تملكه اليأس بقوةٍ أكبر هذه المرة..

ساد الصمت للحظاتٍ طويلة في المكان وبصورة أقرب للجنون ردَّ عمر ...

لا.. لا لم أقصد.. أقسم بربِّي أنني لم أقصد قتله.. لم أقصد ذلك..

فقد السيطرة على نفسه وشحب وجهه فجأة وأخذ يرتجف وهو يردد تلك الكلمات بصورة متقطعة، هو نفسه لا يصدق نفسه..!، ندمت ماريانت على اندفاعها الرائد.. لقد أخرجت كل شكوكها نحو عمر حتى لو كانت هذه الشكوك ضعيفة أو غير منطقية أو ربما ليس لها أساس من الصحة، هو من استفزها وأضطرت لتدافع عن نفسها أمامه، أذ من غير المعقول أن تنقذه مرتين وفي النهاية يلومها على ذلك..!، لكنها جعلته يتآلم على كل حال، ترددت في أن تعذر له مجددًا لكنها شعرت بأنها قد قضت عليه فعلاً بهذه الاتهامات..

أقتربت ووقفت على مقرية منه لكن الرجل أستوقفها..

أتركيه الآن.. لا نريد أن تتفاقم الأمور أكثر من ذلك، دعيه يهدأ أولاً..

أومأت برأسها متفهمةً الأمر وراقبت عمر الذي كان يظهر عليه اليأس، خافت عليه من أن يتهور ويقوده تفكيره للإقدام على خطوة خطيرة.. كالانتحار مثلًا..

جميع من حولها قد رحل..، تساءلت ماذا فعلت كي يحدث لها كل هذا؟!، هناك من رحل دون عودة.. وهناك من غادر ولم يبالي.. وهناك مفقود.. نعم مفقود.. لقد علمت بأن عمر مفقود في العراق.. مصيره مجهول.. أخبرها بذلك مدير المستشفى، عمر مازال على قيد الحياة لكنه مفقود ومازال البحث عنه جارياً..

لم تعد تؤمن بأنها ستلاقيه مجدداً يوماً ما.. سيرحل كما رحل الآخرون، آخر من رحلت هي سندتها في الحياة.. صندوق أسرارها.. رحلت عن الدنيا وما فيها.. رحلت والدتها.. لا تعلم كيف غفلت عن مرض والدتها.. حتى لو نجحت والدتها في أخفاء الأمر عن الجميع كان لابد أن تعلم بهذا سواء أخبرتها أم لا.. عاتبت نفسها كثيراً، حتى بعدها أخبرتها والدتها عن مرضها كان عليها أن تعيش كل ثانية معها.. تهتم بها وتعانقها وتضحك وتمرح معها.. لكنها للأسف أشغالها أمر عمر مرة أخرى حتى رحلت عنها فجأة..

و لم يقطع شرودها هذا سوى صوت الشيخ الذي يوتل القرآن على قبر أحد هم.. يبدو أن ساكني القبور أزدادوا نفرين خلال ساعة واحدة، دفعت والدتها هنا في سوهاج.. فلقد غادرت آسية المستشفى في القاهرة ومعها جثمان والدتها وقررت العودة للصعيد بعدما حصلت على تصريح الطبيب بالخروج وأمكانية استكمال علاجها في بيتهما، وقفت وهمت بالرحيل لكنها التفت وألقت نظرةًأخيرة على قبر والدتها ...

احتضنها ذكريات بعيدة لكنها شعرت وكأنها حدثت بالأمس..

عادت من الجامعة والسرور يملئ قلبها .. هي وصديقتها أمانى تحدثا بشأن تصرفات عمر وصديقه الأخيرة وأستنتجتا أنه سيعرف رسمياً بحجه لها..، لم تلاحظ وجود ضيوف عندها عندما رجعت، طرق الباب فأذنت بالدخول، أنه يوسف أخوها، عندما رأى أشراق وجهها ..

تبدين سعيدةًاليوم.. منذ متى وأنتى بتتسامين بعد عودتكِ من الجامعة؟!

أتسعّت أبتسامتها في وجهها ..

أستطيع منعي يا هذا؟!، أمعنى أن أستطع..

قالتها مازحةً أخاها، ابتسם هو الآخر ..

اليوم هو يومك ولا أحد يستطيع أفساد فرحتك..، ألا تريدين أن ترحي بالضيوف؟!

ضربت بكتفها على رأسها، لقد نسيت أن اليوم هو زيارة عمها..

نسيت ذلك..، حسناً سأغير ملابسي وأخرج لأربح بهم..

حسناً سنتنطرك..

خرج أخاها من غرفتها، وما هي إلا دقائق حتى خرجت آسية من غرفتها وهي ترتسم الابتسامة على وجهها ورحت بعمها وزوجته وأبناء عمها محمد ومراد.. جلست مكانها وсад المرح المكان كله، لكن هناك أحدهم لم يكن مسروراً.. والدتها.. هي الوحيدة التي كانت تكره هذه الزيارة بالذات وكانت تعجب من تصرفات آسية..!، حدثت والدتها نفسها بأن هناك أمراً ليس بمحله يحدث هنا.. ما سر سعادتها تلك؟!

ما أخرجها عن شرودها هذا أخو زوجها ...

ما رأيك أذن بيوم الخميس المقبل؟!، أظنه مناسباً للخطبة؟!

قالها وهو يربت على كتف أبنته محمد بفرحٍ وسرور..، ففزت آسية من مكانها فرحة وتساءلت غير مصدقة... يا ألهي.. محمد سيخطب؟!، مبروك يا محمد.. كت أعلم بأن هذا اليوم سيكتمل بمثل هذا الخبر..

للحظة ساد الصمت المكان كله فجأة.. الجميع قاموا بتشييت نظرهم على آسية لا يصدقون ما سمعوا منها الآن.. حتى أن أخوها قد صدم مما سمعه.. أذاً فهو قد أساء فهمها.. لم تكن سعيدةً لهذا السبب؟!، كذلك والدتها التي لم تعد تفهم شيئاً..!، أما والدها وعمها وأبناء عمها جميعهم قد أندھشوا لأنهم ظنوا أن سبب الفرحة في المكان كله واحداً..

شعرت آسية بأنها قد أرتكبت خطأً ما.. راجعت تصرفها فلم تجد نفسها قد أخطئت في شيء..، حاول يوسف  
أنهاء حالة الأرباك تلك..

عذرًا يا جماعة.. يبدو أن هذا خطئي.. في حقيقة الأمر أنا لم أخبر آسية بشأن حضوركم اليوم..

نظرت آسية للجميع حولها وعندما نظرت لوالدتها ثانيةً بدأت تدرك الوضع جيدًا.. عادت لتشعر لأنها ولا تمنى  
أن ما يدور بعقلها صحيحًا..، التفت أخوها نحوها ...

حسناً.. خطبتكِ يوم الخميس المُقبل يا آسية.. على محمد ابن عمك..

عاد الصمت ليس يسيطر على المكان.. الجميع يتنتظر رد آسية التي شعرت بقشعريرة تسري بجسدها، قامت على  
الفور وتوجهت مسرعة لغرفتها.. لم تخيل أن فرحتها ستتحول لكارثة مزعجة.. منذ قليل كانت تستعد لأعتراف  
عمر بحبه لها في قادم الأيام.. والآن يتم أجبارها على الزواج من شخصٍ غريب.. نعم غريب.. مadam هذا  
الشخص ليس عمر فأن الجميع غرباء وغير مرغوب فيهم ! ..

دخل والديها غرفتها.. توجهت والدتها مباشرة نحوها أما والدها فكانت عيناه تستشيطان غضباً لكنه فضل الهدوء  
معها في البداية، سألهما والدها..

ما معنى تصروفكِ هذا ؟!

كانت تخشى مواجهته.. كانت تعلم ما معنى أنه غاضب، لكنها عزمت على مواجهته هذه المرة..

أنا مازلت في الدراسة يا أبي ولا أفكّر حالياً في الخطبة أو الزواج..

هز رأسه بتهديد..

نادم بشدة لأنني سمحت لكِ بدخول الجامعة، حسناً.. سأصحح خطئي الآن وستتم خطبتكِ يوم الخميس القادم  
دون تأجيل..

و بتنهي و واضح أعتراضت..

لا ....

لم تكن لتكمل اعتراضها حتى وجدت أنها قد صُفعَت بقوة على وجهها، أسرعت والدتها لتحميها من بطش والدها هذه اللحظة وأحتضنتها، التفت والدها لوالدتها ...

أنتي من قمتِي بتدليلها هكذا...، أنا غير مستعد لخسارة علاقتي بأخي من أجل تلك الغبية..

اعتبرت والدتها على كلامه..

لكن هل تفضل أخاك عل ..

لم تكمل سؤالها حين قاطعها وهو يوجه إليها تهديداً ...

كلمة أخرى وسيتم طردهك لبيت أهلك..

خرج من الغرفة وهو يحاول إعادة رسم الأبتسامة على وجهه.. كان يحاول أن يقنع أخيه بأن ابنته قد تفاجئت بالأمر ، أزداد نحيب آسية في حضن والدتها المستسلمة تماماً.. لا تستطيع أن تنقذ ابنته من هذه الزيجة القهيرية ! ...

الآن أصبحت آسية يتيمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. التفت ثم غادرت المقابر، أوقفت سيارةأجرة وساعدها السائق على وضع حقيبتها بالسيارة..

إلى أين سيدتي.. ؟!

أخرجت آسية قصاصة ورق ثم أعطتها له..

لهذا العنوان من فضلك ...

حسناً..

أنطلق بها السائق وأسندت هي رأسها على النافذة، من جديد غرفت في ذكرياتها لكن هذه المرة ليست بالبعيدة..، غرفت في وقت رحيلها من المستشفى.. أكثر من فقدته هناك.. نادية.. تلك الممرضة التي أعتبرتها صديقتها.. لقد كان وداعاً حاراً وصعباً مثل داعيتها مع صديقتها أمانى حين كانت سترحل للعلاج..

أرتسمت أبتسامةً حزينة على وجهيهما، أسرعت نادية لحمل الحقيقة وأسرعت قبل آسية نحو السيارة أمام المستشفى وهي تبكي لا تزيد رحيل صديقتها، بعدها وضعت الحقيقة أسرعت للعودة للمستشفى دون الالتفات لآسية.. تريد تجنب توديعها.. لكنها لم تحمل الأمر وقررت النظر ورائها.. كانت آسية لم تغادر بعد.. كانت تنظر من النافذة تنتظر أن تنظر إليها نادية لتوديعها.. ابتسمت آسية لها وغادرت على الفور ..

بكـت نـادـية وـتوـسلـت إـلـيـها أـن لـا تـرـحـل.. لـكـن لـلـضـرـورـة أحـكـام.. لـكـهـمـا توـاعـدـتـا بـأـلـا يـفـقـدـا الـاتـصـالـ بـيـنـهـمـا..

قاطع السائق شرودها، لقد توقفت السيارة..

وصلـنا سـيـلـتـي..

نظرـت آـسـيـة حـولـهـا وـتـعـجـبـت ..

بـهـذـه السـرـعـة..؟!

نعم.. هذا هو العنوان المكتوب بالورقة وهذا هو الشارع، لكن أعتذرني سيدتي الشارع ضيق ولا يمكنني الدخول بالسيارة ...

نزل السائق وأخرج الحقيقة وعندما نزلت هي وقفـتـ وقد عرضـعليـها مـسـاعـدـتـهـ لاـ سيـماـ بـعـدـماـ عـلـمـ بأنـهـاـ لأـوـلـ مـرـةـ تـزـورـ هذاـ المـكـانـ لـكـنـهاـ شـكـرـتـهـ وـغـادـرـ ...

بدأ شعورها يتغير.. بدأت تشعر برائحة عمر في هذا الشارع !، جرـتـ وـرـائـهـاـ حـقـيـقـتـهـاـ بـصـعـوبـةـ.. أـسـرـعـ ولـدـ صـغـيرـ نحوـهاـ ..

هل يمكنـيـ مـسـاعـدـتـكـ ياـ خـالـةـ؟!

ضحكـت آسـية من لـقب خـالـة تـلـك..

نعم يـمـكـنك ذـلـك، أنا أـبـحـث عن مـنـزـل عمر..

فرـك الـولـد رـأـسـه مـفـكـرـاً، أـسـرـعـت آـسـيـة لـتـصـحـح مـعـلـومـات الـولـد.. رـبـما لا يـعـرـف عمر أـصـلـاً ...

أـقـصـد مـنـزـل الشـيـخ مـحـسـن..

فـرـح الـولـد وـكـانـه حلـ لـغـز..

بـالـطـبع أـعـرـفـه، أـنـه هـنـاك فـي مـنـتـصـف الشـارـع ...

أـمـسـك الـولـد بـالـحـقـيـقـة وجـرـها وـرـائـه، وبـحـركـاتٍ صـبـيـانـيـة ..

أتـبعـيـني يا خـالـة..

تـبـعـتـه آـسـيـة أـلـى أـنـ تـوـقـعـاـ أـمـامـ أحـدـ مـنـازـلـ الشـارـعـ، أـشـارـ لـهـاـ الـولـدـ..

هـذـاـ هوـ مـنـزـلـ الشـيـخـ مـحـسـنـ..

ترـكـ الـولـدـ الـحـقـيـقـةـ وـغـادـرـ بـعـدـ أـنـ شـكـرـتـهـ، وـقـفتـ أـمـامـ المـنـزـلـ لـدـقـائـقـ تـفـكـرـ فـيـماـ سـتـقولـهـ لـوـالـدـيـ عـمـرـ..، ضـغـطـتـ عـلـىـ الـجـرـسـ وـأـنـظـرـتـ، بـعـدـ دـقـيـقـةـ تـقـرـيـبـاـ فـتـحـتـ وـالـدـةـ عـمـرـ الـبـابـ.. فـوـجـدـتـ فـتـاةـ تـبـدوـ شـاحـبـةـ الـوـجـهـ تـسـتـندـ عـلـىـ عـكـازـ بـيـمـينـهـاـ وـبـجـانـبـهـاـ حـقـيـقـةـ كـبـيرـةـ، سـأـلـتـهـاـ آـسـيـةـ..

وـالـدـةـ عـمـرـ..؟!

أـمـمـاتـ وـالـدـةـ عـمـرـ بـرـأـسـهـاـ أـيـجـابـاـ، بـدـتـ أـنـ تـلـكـ الـفـتـاةـ مـأـلـوـفـةـ بـالـنـسـبـةـ لـهـاـ لـكـنـهـاـ لـمـ تـعـرـفـ إـلـيـهـاـ بـعـدـ، عـلـىـ الفـورـ حـمـلـتـ حـقـيـقـةـ آـسـيـةـ وـأـدـخـلـتـهـاـ الـمـنـزـلـ ثـمـ سـاعـدـتـ آـسـيـةـ عـلـىـ الدـخـولـ وـمـنـ ثـمـ جـلـسـتـاـ عـلـىـ أـقـرـبـ أـرـيـكـةـ بـجـانـبـ الـبـابـ، تـعـجـبـتـ آـسـيـةـ مـنـ أـسـتـقـبـالـهـاـ، كـذـلـكـ جـاهـدـتـ وـالـدـةـ عـمـرـ لـتـعـرـفـ عـلـيـهـاـ.. تـبـدوـ تـلـكـ الـفـتـاةـ كـانـتـ عـاجـزـةـ أـوـ

تعرضت لحادثٍ ما.. وتناديهما بأم عمر بدلاً من أدهم.. لحظة.. أيمكن أن تكون هي ؟!، ساد الصمت بينهما  
لدقائق ثم قررت آسية التكلمأخيراً ..

أنا.. أنا..

تلعثمت في الكلام فجأة وبدت أنها متربدة، باغتتها والدة عمر بسؤالٍ تخميني ...

آسية.. !؟

لم تخيل والدة عمر أن تخمينها هذا سيترك أثر الدهشة على وجه تلك الفتاة، حتى هي أندھشت لأندھاش  
الفتاة، ردت آسية وهي محدقةً بها ...

كيف عرفتيني !؟

ابتسمت والدة عمر..

كان مجرد تخمين، تبدين مألوفةً بالنسبة لي وحالتكِ تلك هي الوحيدة القريبة من عقلي..

احتضنتها والدة عمر مرحباً بها، حينها تذكرت آسية آخر مرة عانقت فيها والدتها..

هل هذا هو سبب أستقبالكِ لي هكذا ؟!، رغم أنه مجرد تخمين.. !؟

الحقيقة لا.. صحيح أنتي كنتي مألوفةً لي في البداية لكن كونكِ تنادياني بوالدة عمر فمعنى ذلك أنكِ لا تعرفيوني  
سوى أسمًا فقط، كذلك بدا عليكِ الأرهاق.. جئني من مكانٍ بعيد أو من سفرٍ طويل وبالتالي أكيد تقصدبني..،  
فضلت أن نتكلم بالداخل وأعرف كل شيءٍ هنا، وهذا هي النتيجة.. نعرف بعضنا..

صمت آخر بينهما أستمر للحظات، فكرت آسية في نفسها.. هل تعلم والدة عمر شيئاً آخر سوی أنها آسية ؟!،  
زوجته مشلاً.. !؟، قاطعت والدة عمر تفكيرها بسؤال..

أين والدتك يا آسية ؟!، لقد مر وقتٌ طويلاً منذ آخر اتصال .. !

أُخْفِقَ قَلْبُ آسِيَّةً، أَدَارَتْ بِوْجَهِهَا بَعِيدًا عَاجِزَةً عَنِ الرَّدِّ..، أَحْسَتْ وَالْدَّةُ عَمْرَ بِالْمِ آسِيَّةَ وَتَجَنَّبَهَا لِلْأَجَابَةِ ..

مَاذَا بِهَا يَا آسِيَّةَ؟! هَلْ هِيَ بَخِيرٌ؟!

كَانَ يَصُعبُ عَلَيْهَا فِي نَفْسِهَا أَنْ تَنْطَقَ بِخَبْرِ وَفَاتِهَا، لَمْ تَصْدِقْ حَتَّى الْآنَ أَنَّ وَالْدَّتَهَا قَدْ تَوَفَّيْتَ، نَظَرَتْ إِلَيْهَا وَدَمْوعُهَا عَلَى وَشْكِ الْأَنْطَلَاقِ..

لَقَدْ تَوَفَّيْتَ.. مِنْذِ يَوْمَانِ..، آخِرُ مَا تَبْقَى لِي فِي الْحَيَاةِ قَدْ تَوَفَّيْتَ..

فِي الْبَدَائِيَّةِ شَعَرْتُ بِالْأَسْفِ تَجَاهَ آسِيَّةَ لِوَفَاءِ وَالْدَّتَهَا.. وَلَكِنَّ بَاقِي كَلَامَهَا لَمْ يَعْدْ مَفْهُومًا.. آخِرُ مَا تَبْقَى لَهَا؟!

أَينَ وَالَّدُكِ يَا آسِيَّةَ؟! أَينَ بَاقِي أَسْرَتِكِ..؟!

لَقَدْ تَوَفَّيْتَ أَبِي مِنْذَ سَنَةً تَقْرِيَّبًا.. وَأَخِي سَافَرَ وَلَمْ يَعْدْ بَعْدَ.. لِذَلِكَ أُتَيْتَ لَهَا..

عَانِقَتَهَا وَالْدَّةُ عَمْرَ ثَانِيَّةً.. لَمْ يَعْدْ لِآسِيَّةَ أُسْرَةً مُثِلَّهَا تَمَامًا هِيَ الْأُخْرَى.. فَقَدِتْ أَسْرَتَهَا بِالْكَامِلِ..

تَأَكَّدَيْتُ يَا آسِيَّةَ أَنِّكِ جَئَتِي لِلْمَكَانِ الصَّحِيحِ وَلَنْ تَنْدَمِي عَلَى ذَلِكِ.. هَذَا بَيْتِكِ وَلَنْ أَسْمَحَ لَكِ بِمُغَادِرَةِ الْمَنْزِلِ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ وَتَحْتَ أَيِّ ظَرْفٍ.. وَمِنْ الْآنِ أَنَا وَالَّدُكِ..

فَرَحِتْ آسِيَّةَ وَكَانَ وَالْدَّتَهَا قَدْ بَعُثَتْ مِنْ جَدِيدٍ، لَاحَظَتْ وَالْدَّةُ عَمْرَ خَاتِمًا فِي يَدِ آسِيَّةِ وَزَادَ هَذَا مِنْ حِيرَتِهَا.. مَا مَعْنَى هَذَا؟!، كَذَلِكَ لَاحَظَتْ آسِيَّةَ نَظَرَاتِ وَالْدَّةِ عَمْرِ الطَّوِيلَةِ عَلَى يَدِيهَا وَأَدْرَكَتْ أَنَّهَا تَسْسَأِلُ عَلَى الْخَاتِمِ فِي نَفْسِهَا، سَأَلَتْهَا فَعَلَّا..

مَا هَذَا يَا آسِيَّةَ..؟!

خَاتِمٌ زَوْاجِيٌّ مِنْ عَمْرِ..

وَكَانَهَا صُعِقَتْ.. لَا تَصْدِقُ مَا تَسْمَعُهُ لِلْتَّوِ.. عَمْرٌ تَزَوَّجُهَا؟! مَتَى وَكَيْفَ حَدَثَ هَذَا؟!، أَكَمَلَتْ آسِيَّةَ كَلَامَهَا ...

لقد تم هذا الزواج سرًا ولا يعلم به سوى أنا وعمر ووالدتي وصديقتني أمانى، لم يخبركم عمر بذلك لأنه كان يعلم أنكم لن توافقوا على أرتباطه بفتاةً عاجزة..

لا تقولي ذلك يا آسية، لقد تفاجئت فقط من الأمر ..

التفتت حولها ثم همت لمساعدة آسية على الوقوف ..

هيا لستريحني من السفر ..

ساندتها للصعود للطابق الثاني ثم جعلتها ترتاح ثم دخلت هي لتجهيز المكان لراحة آسية ..

يبدو أن والدة عمر كانت تتبع الأخبار، صدمت عندما رأت ما يُعرض عليه.. مصيبةً أخرى جعلتها تصرخ..

كانت والدة عمر تجهز الغرفة التي ستنام فيها آسية لكنها سمعت صرختها، أسرعت لتعرف ماذا حدث لها..

وجدتها تقف أمام التلفاز ثابتةً في مكانها مصدومة.. عيناهَا تحدقان بالتلفاز في صدمة.. التفت هي الأخرى ناحية التلفاز لترى ما سبب صدمتها وصراخها، للحظة بدا كل شيء غير مفهوم .. !، ما هذا؟! كيف ذلك؟!، آسية ترتجف ذعراً وت بكى ووالدة عمر فارغةً فاها لا تصدق ما تراه ... !

القناة تعرض صوراً لعمر وهو يمسك سلاحاً مرتدياً زياً داعشياً يقاتل ضد قوات الأمن العراقية.. كانت لحيتها كبيرة.. كان عمر داعشياً..

المذيعة شيرين عبد النور ...

و الآن بعد أن عرضنا لحضراتكم تلك الصور.. دعونا نتساءل.. ما الذي يدفع عمر للقتال في صفوف تنظيم داعش الإرهابي؟!، مع العلم أنه أول أمسٍ فقط كان يقاتل تنظيم داعش نفسه .. !، سؤال ليس له سوى أجابة واحدة منطقية.. وهي أنه كان ينوي فعلًا قتل أخيه.. ليحصل على مكانه في التنظيم.. أذن الأمر ليس أنه قتل داعشياً.. تفكير شيطان..، أمثال عمر هم من أساءوا للإسلام ..

لقد قتلته أتهاماتها له..، بالنسبة له لم تكن كلماتها مجرد نوبةً عصبيةً أجتاحتها.. لقد قالت الحقيقة.. أو على الأقل ستكون هذه أتهامات الجميع له، حتى لو كان كلامها غير حقيقي فسيظل هو يحتقر نفسه أينما كان وفي كل لحظة.. لقد قتل أخيه..

حتى لو كانت هذه طبيعته البشرية وكان في نوبة غضب بسبب ضربات أخيه التي كادت أن تقتلها أو السكين التي كانت ستبده.. كل هذا لا يعطيه مبرراً حتى أمام نفسه لقتل أخيه..، لقد قام بأعادة أول جريمة قتل بشرية.. مقتل قابيل على يد أخيه هابيل..

تساءل.. ما الذي أوصل الأحداث لهذا الحد؟!، عندما ألتتحق بالجيش كان يحلم بأن تُشفى آسية.. سافر فجأة لمهمةً وطنية لكن ما لم يتوقعه في حياته أنه يتحول لقاتل وسافر للدماء و مجرم..، تسأله ما الذي يفعله هنا؟!؟ أين بقية زملائه بالكتيبة؟! لماذا هو بالذات من خُسر في هذا المكان؟!، سخر من نفسه عندما راوده سؤال عجيب..، كيف وصل أخيه لهذا المكان؟! ثم تذكر ذلك السؤال الذي طرحته على نفسه.. كيف هو نفسه وصل لهذا المكان؟!، الأجبابة نفسها ولكن الطريقة مختلفة ...

يقولون رب صدفةً خيرٌ من ألف ميعاد لكن هناك صدف أشر وأسوأ من ألف ميعاد.. هناك صدف يكون خيراً لها لو كانت بميعاد..!، ما قطع تفكيره هو الجوع الذي أعلن تموده الكامل وكاد يقتله.. لم يأكل شيئاً منذ يوم ونصف تقريباً..!، أخيراً حرك رأسه وأدرك بأن الجميع يحاول تهدئته وتحريكه..

كانت ماريانت تحاول بشتى الطرق الأعتذار عما بدر منها.. الرجل وأبنته يحاولان تقديم الطعام له وجعله يأكل، نظر عمر طويلاً للطعام المقدم له.. قطعة جبن ورغيف وبفطرته مد عمر يده وتناول أول لقيمة.. الجميع سعدوا عندما بدأ عمر بالأكل، كان عمر يأكل على أستيهاء..، ظن الرجل أن عمر يقلل من شأن الطعام المقدم له..

أعذروني من فضلكم.. أعرف أن الطعام ليس بالجيد ولا يليق بكم، ولكن هذا فقط ما جنينا من الحصار المفروض علينا من تنظيم داعش، نأكل اليوم ولا نعلم إذا كنا سأكل غداً أم لا ...

توقف عمر عن الأكل فجأة وشعر بالأحراج الشديد.. يأكل من قوت الناس الوحيد في هذا اليوم !، أدرك الرجل خطأه.. لم يكن يقصد أن يقول ذلك ليتوقف عمر عن الأكل، أسرع ليوضح الأمر ..

يا عمر.. لا أقصد ما فهمته يا رجل.. كُل أرجوك، أسمعني.. ما أقصد هو أنه منذ أن تم محاصرتنا من تنظيم داعش والمساعدات الغذائية لا تصل إلا قليلاً.. هؤلاء المرتزقة يستولون على تلك القوافل التي تصل الموصل كمساعدات من عدة دول..

شعر عمر بالذنب وكان هذا واضح جلياً على وجهه، ألح الرجل على عمر بالأكل.. أربت على كتفه..

أستحلفك بالله يا عمر لتأكل ما هو أمامك كله، لا تقلق أن الله هو الرزاق.. ورزقنا سيأتينا مرغماً يا عمر..

بدأ عمر مرة أخرى بالأكل.. شعوره بالاستياء يسيطر عليه، بدأ يستفيق من غيوبة التفكير التي سيطرت عليه هذه الليلة، حاولت ماريyan كسر حالة الجمود لدى عمر وأن تنسيه ما حدث منذ قليل، فضلت أن تخلق حديداً لتجذب انتباذه، التفتت للرجل..

سيدي ... نحن لم نتعرف بك حتى الآن؟!

توقع الرجل هذا السؤال، اعتدل في جلسته ..

أنا جمال الدين سعد.. عقيد سابق بالجيش العراقي، وهذه أبنتي تغريد..

تعجبت ماريyan.. يبدو أصغر من أن يكون متყاعداً، سأله..

عقيد سابق؟! متყاعداً؟!

أجابها بسرعة وكأنه يتوقع أن تسأله هذا السؤال بالذات ...

مطرود.. أول ما قام به الاحتلال الأمريكي في العراق هو تفكيك الأجهزة الأمنية هنا وأولها القوات المسلحة..

أنجذب عمر لكلام الرجل، كان الرجل يتكلم بنبرة حزينة، سأله ماريyan..

و الآن..؟!، أعتقد أن لكم جيش.. لماذا لم ترجع منصبك بأعتبارك رجل عسكري سابق؟!

ظهرت أبتسامة تهكمية على كلامها..

جيش..؟! أين هو بالله عليك؟!، أتسمى تلك الجماعات المسلحة جيش؟!

بدا على ماريان عدم الفهم، أكمل الرجل..

جيشنا أصبح مليشيات شيعية فقط.. هدفها القضاء على غالبية الشعب السنّي.. وهذه فكرة ظهور تنظيم داعش هنا في العراق.. داعش تقوم بالقتل والذبح والعمليات الإرهابية ونحن من ندفع ثمن هذا، عن أي جيش تتحدثين؟!

شعرت ماريان بالخجل عندما حادثت الرجل في موضوع ربما لا يحب أن يتكلم هو فيه، عملت على تغيير الحديث..

حسناً.. أين هي والدة تغريد؟!، أهي نائمة؟!

أحمر وجه الرجل فجأة ونظر لأبنته في توجس وخوف من مواجهتها بسرٍ طالما حافظ على بقائه سراً عنها..

تغريد.. الوقت متاخر وسهرتي كثيراً الليلة، ضيوفنا سيخلدون للنوم بعد قليل، ستتمام ماريان معك في غرفتك وأنا وعمر سننام في غرفتي..

هزت تغريد رأسها موافقة ودخلت غرفتها، حينها أدركت ماريان بأنها جعلت الأمور أكثر سوءاً..!، التفت الرجل إلى ضيوفه بعد أن أطمئن أن أبنته قد دخلت غرفتها..

زوجتي قد قُتلت على يد الأميركيكان..

أتّكأ للوراء أستعداً للعودة لتلك الذكريات المؤلمة ...

بعدما دخل الاحتلال الأمريكي بلادنا قاموا أولاً بتفكيك الجيش وتسریح قوادها.. ولم يكتفوا بهذا الحد..، لقد قاموا باعتقالنا في سجون أبو غريب.. بالتأكيد سمعتم بها..، أقدر ما حدث في تاريخ السجون قد حدث هنا في سجون العراق..

نسأله ماريان سؤالها من الأساس.. حديث الرجل بدا مثيراً، لمعت عيني الرجل بالدموع..

هناك في تلك السجون حصل كل ما هو ليس آدمي بالمرة..، كانوا يغتصبون نسائنا أمام أعيننا ولا نستطيع حمايتها، وأنا واحداً من هؤلاء.. لقد هتكوا عرضها أمامي وفي لحظة ألم.. ماتت، ولم يكتفوا بهذا الحد.. فلقد تعلّت ضحاياهم وأزداد عدد مغتصبيها حتى بعدما ماتت ..!، لقد هتكوا عرضها وهي ميتةً أيضاً، ماذا تتوقعوا مني حينها ؟!، بأتم معنى الكلم أخرجت الوحش الكامن بداخلي.. أستطعت الأفلات منهم وأنقضضت على أحدهم وقامت بقتله، لا أعلم كيف أستطعت ذلك ولكنني فعلت ..!

شعرت ماريان بالألم، كذلك كون هذا الرجل قتل أحد الجنود الأمريكيين في السجن يعني نهايته في الحال..  
فكيف مازال على قيد الحياة ؟!

و ماذا فعلوا بك بعدها ؟!، كيف لم يقتلوك ؟!، من الطبيعي أن تكون تلك نهايتك ..!

لا لم يقتلوني حينها..، لقد تفنتوا في طرق التعذيب.. بكل هدوء تم زجي في غرفة مريمة.. حينها ظننت أنهم سيقتلوني بطريقةً ما، فجأة وجدت أن من دخل تلك الغرفة جنديات أمريكيات وقمن بالاعتداء عليّ جنسياً.. بمعنى آخر أغتصاب.. يعرفون أن للرجل العربي كرامة وقد قمن بهتك تلك الكرامة.. قام أحدهم بتصوير ما يحدث وبالطبع أستقر هذا الفيديو في الواقع الأباحية، لم يكتفوا بهذا أيضاً.. بعد ما حدث وبعد هتك عرضي أنا كرجل أخرجوني عارياً لساحة السجن الخارجية .. كانوا قد بنوا غرفاً بلا سقف من السيراميك.. أدخلوني بواحدةٍ منهم وفي ليلة الشتاء القاسية سلطوا علينا خراطيش المياه العملاقة ونحن عاريين تماماً.. كنا كثيراً في الغرفة، كنا نتألم من شدة المياه المسلطة علينا ومن البرودة التي لا تُتحمل، من شدة التعب وألم التعذيب نمت على الأرض عارياً.. أستيقظت على أصوات الكلاب التي تحاول أن تنهش جسدي.. حاولت أن أحمي عورتي بسبب أن الكلاب كانت فعلاً قد أحدثت جروحاً في جسدي كله.. لم تعد لدي أي قوةً لمزيد من مقاومة الألم..

كنت أشعر بأن النهاية قد أقتربت، فوجئت بأنهم قد أحضروا جثة زوجتي وأغتصبواها مرةً أخرى في تحدي منهم هذه المرة لأقاوم حتى.. هؤلاء الحمقى.. قد هتكوا عرض الأموات ..!

كانت ماريـان ترتجف ألمًا لما سمعت من هذا الرجل، أكمل الرجل حديثه..

بعد أسبوعين من العذاب تم الأفراج عنـي، تذكرت بالصدفة أن لي بنتاً خبأتها عند أحد الجيران قبل اعتقالي، وبعد مرور السنوات وكباقي الأطفال عندما يـكـبرـون كانت قد لاحظت غياب والدتها.. أخبرتها بأنها قد توفيت في حادثة.. لم أكذب.. لكنـي أخفـيت باقـيـ الحـقـيقـةـ ..!، عملـتـ بالـمـقاـولـاتـ بأـجـرـ يومـيـ ..ـ وـالـآنـ لاـ أـعـمـلـ..

كـانتـ مـاريـانـ قـدـ أـكـتـفـتـ مـنـ سـمـاعـ ماـ حـدـثـ معـ الرـجـلـ..ـ لـمـ تـحـمـلـ..ـ

أرجوك.. كفى.. كفى

قامت وأتجهـتـ نـاحـيـةـ غـرـفـةـ تـغـرـيدـ..ـ لـمـ تـحـمـلـ أـلـمـ قـصـةـ هـذـاـ الرـجـلـ،ـ فـجـأـةـ وـجـدـتـ بـابـ غـرـفـةـ تـغـرـيدـ موـارـيـاـ..ـ كـانـتـ تـغـرـيدـ تـسـمـعـ لـمـ يـقـولـهـ وـالـدـهـاـ..ـ أـسـمـعـتـ لـقـصـةـ وـفـاةـ وـالـدـهـاـ ..ـ!ـ،ـ كـانـتـ تـبـكـيـ وـتـأـلـمـ لـمـعـرـفـتـهـاـ الـحـقـيقـةـ..ـ يـالـيـهـاـ لـمـ تـعـرـفـ الـحـقـيقـةـ..ـ بـعـضـ الـحـقـائقـ كـانـ مـنـ الـأـفـضـلـ لـهـاـ أـنـ تـخـتـفـيـ ..ـ!

أكـملـ الرـجـلـ كـلامـهـ مـعـ عمرـ ..ـ

وـالـآنـ ظـهـرـ لـنـاـ تـنظـيمـ دـاعـشـ فـجـأـةـ..ـ أـصـبـحـ جـمـيعـ الـعـرـاقـيـنـ يـقـاتـلـونـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ..ـ أـصـبـحـتـ الـعـرـاقـ مـهـدـاـ وـمـسـرـحـاـ لـجـمـيعـ الـأـرـهـابـيـنـ..ـ مـنـ يـحـبـ أـنـ يـظـهـرـ مـوـهـبـتـهـ فـيـ الـأـرـهـابـ فـالـيـمـسـكـ سـلاـحـ وـيـأـتـيـ هـنـاـ فـيـ الـعـرـاقـ..ـ

سـادـ الصـمـتـ بـيـنـهـمـاـ طـوـيـلـاـ..ـ الرـجـلـ بـذـكـرـيـاتـهـ الـمـؤـلـمـةـ وـعـمـرـ الـمـتأـثـرـ بـقـصـةـ الرـجـلـ،ـ قـارـنـ عـمـرـ بـيـنـ قـصـتهـ وـقـصـةـ هـذـاـ الرـجـلـ،ـ مـنـ الـأـكـثـرـ مـأـسـاوـيـةـ؟ـ!ـ،ـ مـنـ قـتـلـ أـخـاهـ أـمـ مـاتـ زـوـجـتـهـ وـهـيـ مـغـتـصـبـةـ أـمـامـهـ؟ـ!

تسـامـرـ كـلاـهـماـ حـتـىـ قـبـيلـ الـفـجـرـ إـلـىـ أـنـ غـلـبـهـمـاـ النـوـمـ..ـ دـخـلـ عـمـرـ مـعـ الرـجـلـ غـرـفـتـهـ لـيـنـامـ..ـ غـطـ الرـجـلـ فـيـ نـوـمـ عـمـيقـ بمـجـرـدـ أـنـ وـضـعـ رـأـسـهـ عـلـىـ وـسـادـتـهـ،ـ أـمـاـ عـمـرـ فـظـلـ مـسـتـيقـظـاـ حـتـىـ الـفـجـرـ يـتـذـكـرـ حـدـيـثـهـ مـعـ الرـجـلـ..ـ لـقـدـ نـسـيـ عـمـرـ كـلـ هـمـوـمـهـ وـأـسـمـعـ بـحـدـيـثـهـ مـعـ رـجـلـ عـسـكـرـيـ سـابـقـ..ـ كـانـ حـدـيـثـاـ مـطـوـلـاـ حـوـلـ عـدـةـ قـضاـياـ أـقـلـيـمـيـةـ وـعـالـمـيـةـ لـاـ سـيـماـ

الحديث عن تلك الجماعات المتسلمة مثل تنظيم داعش والقاعدة وغيرها من تلك الجماعات.. فكر عمر في أنه ليس من الغريب أنضمم أخيه لتلك الجماعات المتسلمة، فلقد انضم لتلك الجماعات شباب أوروبي مسيحي.. الشيء الذي يدفع الشباب للالتحاق بهذه الجماعات هو حمل السلاح وأغوايهم بأحقيتهم في الدفاع عن دين يحاربه الغرب بكافة الطرق الشرعية وغير شرعية ..!، دائمًا ما يصرون لرجالهم أنهم حماة هذا الدين !..

كان أخوه واحداً منهم.. بعدهما اختفى فجأة منذ سنتين وبعد فشل كل محاولات البحث عنه ها هو فقط من عرف الحقيقة.. أنه داعشيًا.. ثم انتشرت هذه الحقيقة ومعها حقيقة أخرى.. أنه قُتل على يد أخيه عمر..

قاطع تفكيره صوت أذان الفجر بالخارج.. تأكد عمر من أن الرجل غرق في نوم عميق، لقد أنجاه النوم من ذكرياته المؤلمة ومن واقعه المرير، قام عمر وغادر الغرفة بهدوء.. توجه لغرفة تغريد وبخطواتٍ هادئة سار ناحية ماريـان وقام بتحريكها، فتحت ماريـان عينيها في دهشة من تواجد عمر بالغرفة..

عمر.. ماذا يحدث !؟

أشار لها بالصمت وبصوتٍ خافت ..

هيا تحركي، أتبعوني رجاءً..

إلى أين ؟!

أشار لها بخفض صوتها، تبعته للخارج في الصالة ثم غادرا المنزل بهدوء.. ورغم أنها لم تفهم شيئاً إلا أنها فرحت لهذا القرار المفاجئ ورغم أحتجاجها أيضًا للراحة لبعض الوقت، كانت تريد أن تعاشر على طاقمها ثم مغادرة العراق في أسرع وقت.. لن تستمر هنا أكثر من ذلك..

في بيت جمال.. فتح باب غرفة تغريد.. أنها هي.. لم تنم وعرفت بمعادرتهم.. لفت انتباها ورقّةً موضوعة على المنضدة بجانب التلفاز.. أمسكتها وقرأت ما فيها..

" سيد جمال.. نحن نعتذر عما بدر منا هذه الليلة.. لقد فضّلنا المغادرة.. لا تقلق فربك هو ربنا كذلك وهو من سيتكلّف برزقنا أيضًا.. آسفون لتنذيرك تلك الذكريات المؤلمة مع أني أظن أنك لم تnasها قط..، آسف أيضًا لأننا غادرنا دون علمك.. وسلامي عليك وعلى تغريد.. أتمنى أن أراك مرة أخرى وتكون حينها بخير وصحه.."

دخلت تغريد غرفتها والدموع لم تترك عيناهما منذ أن سمعت بحقيقة حادثة والدتها..

كان يؤمن دائمًا بنظرية المؤامرات وهذا لم يأتي من فراغ..، فلقد أصبحت الهجمات الإرهابية ضد مصر كثيرة بشكل مبالغ فيهاليومين الماضيين وكان الجميع في الخارج يتتسابق على شن أشرس هجوما على مصر.. والكارثة الأكبر أن تلك الهجمات انتقلت من سيناء إلى المدن المصرية الأخرى..

أرهقت الأجهزة الأمنية في الأونة الأخيرة، فلقد أحبط الأمن المصري كل تلك الهجمات عدا تلك التي حدثت مساء أمس في مول تجاري كبير بالقاهرة وأودت بحياة العشرات..

وكي حادث أرهابي يحدث في مصر فإن أول من يُلام على هذا هو جهاز المخابرات والأجهزة الأمنية بسبب التقصير الشديد من وجهة نظر النشطاء السياسيين والشعب.. انتقادات شرسة في الأعلام وموقع التواصل الاجتماعي ..

تلك الانتقادات لم تأتي من فراغ أيضًا.. اختطاف القوات المصرية المشاركة في التحالف العربي باليمن وأرسالهم للعراق بهذه الطريقة تثير عدة تساؤلات ، عمر الذي يقاتل في صفوف تنظيم داعش.. التفجير الأخير الذي حدث في المول التجاري.. وقبل كل هذا مقتل الجنود المصريين في كمين العريش.. أين المخابرات؟! أين أجهزة الشرطة وو الجيش؟! لماذا كل هذا التقصير الأمني.. لكن..

من يتكلّم عن الانجازات والأيجابيات أيضًا ويحتفي بهما؟!، من يقدر تلك المجهودات الأمنية في أحاط العشرات بل والمئات من العمليات الإرهابية؟!

أن للبشر عادة وللمصريين خاصة عادة سخيفة.. يتصدرون أخطائك وذلاتك ولا يذكرون أبداً نجاحاتك.. ماذا لو علم الناس عن تلك الحروب الاستخباراتية؟! ماذا لو علموا بأن هناك من يقوم بالتضحية مقابل أن يُحبط عمليات قد تحدث كوارث بشرية؟! هل الجميع سيدعمهم؟! هل من أحد سيُقدر ويشتري مجهوداتهم العظيمة؟! أم كالعادة سينكرون ذلك..؟!

لكن المخابرات ليست معنية بالحديث عن إنجازاتها أو مهامها، في النهاية وظيفة المخابرات الأساسية هي حماية الأمن القومي، أهم مبدأ للنجاح أن تعمل بصمت وتدع الآخرين يتكلمون فيما شاءوا.. أترك القيل والقال وأعمل بصمت.. في النهاية أنت من سُتُّسأَل عن هذا أمام الله وستجاري به ولن يقبل عذرك بأنك لم تستطع بسبب أن قالوا..

و رغم كل هذه الأخطاء التي حدثت فإنه ما زال يعمل على أصلاح كل هذا، لكن ما كان يشغل باله أكثر هو عمر الداعشي.. يعلم جيداً أنه قد تم أجبار عمر على القتال في صفوفهم.. لكن هل يعلم عمر مكان ماريان؟!، راوده سؤال آخر.. هل عمر مقتبٌ بما يفعله مع تنظيم داعش أم أنه يفعل ذلك لأجل ماريان..؟!

المشكلة هنا أنه حالما يجد ماريان يكون قد أقتبٌ بما يفعله.. حينها سيكتف عن البحث عنها .. الوقت ليس في صالحه.. ماذا سيفيد أن وجدتها بعد أن أقتبٌ بقتاله بجانب داعش..؟!

فجأة صدمه أحتمال صادم.. أنتفض من مكانه بسرعة.. راوده أحتمال مفزع.. ماذا لو قام عمر بذبح ماريان؟!

كان لزاماً عليهم المغادرة.. لا يمكنهما الاختباء أكثر في منزل هذا الرجل، الرجل يجد قوت يومه بصعوبة وهذا أن حصل عليه أصلاً.. السبب الآخر لمغادرتهم هو أنهم لا يريدون أقحام الرجل وأبنته في مطاردة داعش لهم والتسبيب لهم بمشاكل هم بالتأكيد في غنى عنها..

غادروا بهدوء دون أن يخبروه بذلك.. ومرة أخرى يسيرون في طريق المجهول، فهمت ماريان ذلك تلك المرة ولم تسأل عن وجهتهم المقلبة..

أثناء سيرهم في شوارع الموصل رأوا مشهد إنساني مروع.. رأوا رجل ربما يقارب الخمسين يجري وراء آخر عريه في قافلة إنقاذ غذائية كانت قد غادرت بسبب الزحام الشديد عليها.. كان يريد اللحاق بها لعله يستطيع سرقة لقيمات يسد بها جوع أسرته، أمسك بمقبض العربة الخلفي وصعد لكن العربة توقفت فجأة بسبب تجمهر الأهالي أمامها لتقف.. تعثرت قدمي الرجل فوقع أرضاً ولسوء حظه رجعت العربة للخلف قليلاً فتم دهسه.. !، والغريب أن أهالي المنطقة تجاهلوا الأمر وكأن شيئاً لم يحدث.. سعوا فقط للحصول على الطعام غير مبالين بالرجل المقتول.. !، بكت ماريان لرؤيه أطفال ذلك الرجل وهم يحاولون أيقاظه..

أمسكها عمر وأجرها على المغادرة وساروا لمسافاتٍ بعيدة في المدينة لعلهم يصلوا إلى قسم شرطة أو مكتب حكومي يستغيثوا به لكنهم فشلوا في أيجاده..

على بعد أمتار كانت هناك عربة نقل ستتحرك وتغادر المكان، حضرته فكرة سريعة.. شد ذراعها مرة أخرى لللحاق بهذه العربة قبل أن تسرع.. طاوعته في ذهول.. وفي اللحظة الأخيرة فهمت أن عليها التعلق بمؤخرة العربة والصعود على متنها، هذه المرة سيتركون عربة نقل هي من تحدد وجهتهم..

ساد بينهما صمتٌ طويـل، ففكـرت أن تـكسر ذـلك الصـمت ...  
عمر.. أنا آسفـة، آسفـة عـما بـدر مـنـي فـي منـزل هـذا الرـجـل، كـنت فـقط عـصـبية و...  
أشار لها عمر بالـتوقف ...

لا عليك.. أعلم أنك لم تقصد ذلك، لكنك أوضحت لي كيف يفكر الجميع في قضيتي.. الجميع يعلم أنني قاتل أخي، ليس عندهم استعداد لتقبل أي أمر آخر..، أصبحت مجرماً على أية حال ...

حقاً آسفة يا عمر.. لم أقصد ذلك فعلاً، قادتنـي الصدفة الغربية من مصر للملكة المتحدة ثم للعراق لتبـعـكـ أنت بالذات ولتصوير حدثـ هـام.. كذلكـ أنتـ قـادـتكـ المصـادـفـةـ لأـغـرـبـ ماـ يـتـخيـلـهـ عـقـلـ ..!ـ منـ مصرـ لـليـمنـ ثـمـ العـراـقـ وأـخـيـرـاـ..

توقفت فجأة.. لا تريـدـ أـنـ تـجـرـحـهـ مـنـ جـدـيـدـ، رـسـمـتـ أـبـتسـامـةـ وـرـفـعـتـ حـاجـبـيـهاـ وـبـشـقـةـ أـخـبـرـتـهـ ..

ربـماـ لـمـ يـتـفـهـمـ الجـمـيعـ أـمـرـكـ ..ـ لـكـنـيـ أـخـبـرـكـ وـبـكـلـ ثـقـةـ أـنـ هـنـاكـ أـحـدـهـمـ يـتـفـهـمـ أـمـرـكـ جـيدـاـ..

فـهـمـ عـمـرـ أـلـامـ تـشـيرـ مـارـيـانـ ..ـ أـنـهـ آـسـيـةـ..ـ تـلـكـ الـفـتـاةـ الرـائـعـةـ..ـ بـدـاـ عـلـيـهـ التـفـكـيرـ بـصـوـتـ مـسـمـوـعـ..

هيـ الـوحـيـدةـ الـتـيـ تـقـبـلـتـنـيـ رـغـمـ عـيـوبـيـ ..

لحـظـاتـ صـمـتـ ثـمـ أـسـتـرـسـلـ كـلـامـهـ عـنـهـاـ ..

لم أنسـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ أـبـدـاـ..ـ الـيـوـمـ الـذـيـ غـيـرـ مـسـارـ حـيـاتـيـ كـلـهـاـ..ـ أـتـذـكـرـ الـيـوـمـ الـذـيـ أـتـقـيـنـاـ فـيـهـ لـأـولـ مـرـةـ بـالـيـوـمـ والـتـارـيـخـ وـالـسـاعـةـ وـالـمـكـانـ..ـ كـلـ لـحـظـةـ أـتـذـكـرـهـاـ..ـ كـلـ لـقـاءـ حـدـثـ بـيـنـنـاـ وـمـاـ حـدـثـ فـيـهـ..ـ أـتـذـكـرـ حـدـيـشـاـ كـلـهـ وـكـانـهـ يـحـدـثـ أـمـامـيـ كـلـ يـوـمـ..ـ أـتـذـكـرـ تـفـاصـيلـ لـقـاءـاتـنـاـ جـمـيعـهـاـ ..

كلـ مـاـ يـحـكـيـ عـنـ أـسـطـورـةـ النـظـرـةـ الـأـوـلـىـ حـقـيـقـيـ..ـ بـدـأـتـ حـيـاتـيـ مـنـذـ تـلـكـ الـلـحـظـةـ تـحدـيـدـاـ..ـ عـرـفـتـ مـعـنـيـ الـحـبـ معـهـاـ..ـ كـانـ كـلـ مـنـاـ يـحـبـ الـآـخـرـ وـكـلـاـنـاـ أـيـضـاـ أـدـرـكـ بـأـنـ حـيـاتـهـ لـاـ تـساـوـيـ شـيـءـ بـدـوـنـ الـآـخـرـ،ـ خـشـيـتـ أـوـقـاتـ أـنـ أـعـتـرـفـ رـسـمـيـاـ بـحـيـ لـهـاـ لـكـنـيـ كـلـ مـرـةـ كـنـتـ أـفـضـلـ التـسوـيفـ لـوقـتـ آـخـرـ خـشـيـةـ أـنـ تـُسـيءـ فـهـمـيـ..

عـنـدـمـاـ حـانـ الـوقـتـ لـلـأـعـتـرـافـ تـلـقـيـتـ صـدـمـةـ لـمـ أـكـنـ لـأـتـخـيـلـهـاـ ..ـ سـيـتـزـوـجـ..ـ ظـنـنـتـ أـنـ هـذـهـ النـهـاـيـةـ وـكـلـ شـيـءـ قـدـ أـنـتـهـىـ فـعـلـاـ،ـ لـكـنـ أـرـادـةـ اللـهـ كـانـتـ حـاضـرـةـ لـتـظـهـرـ لـيـ عـجـائـبـ قـدـرـتـهـ،ـ تـُصـابـ بـالـشـلـلـ فـيـ حـادـثـةـ وـيـتـعـدـ مـنـ كـانـ سـيـتـزـوـجـهـاـ عـنـهـاـ لـتـجـدـنـيـ أـنـأـمـامـهـاـ مـنـ جـدـيـدـ وـيـعـطـيـهـاـ اللـهـ سـبـبـاـ آـخـرـ لـلـحـيـاـةـ..

كنت أنا الحياة بالنسبة لها وظننت أيضًا بزواجها أن الأمور قد أنتهت لصالحنا هذه المرة.. لتهدر لنا من جديد أرادة الله ويقول لنا أن الأمر لم ينتهي بعد..، هناك فصلٌ جديد عليكم التعايش معه ..

أرجع رأسه للوراء قليلاً وأغمض عينيه ...

و عندما غادرت أدركت معنى إنفصال الروح عن الجسد..، قد يكون كل إنفصال الروح عن الجسد يعني الموت، هذه حقيقة فأنا ميت على قيد الحياة..

ما جذب إنتباهم هو توقف العربية ... نظر عمر حوله فوجد إنهم بمكان يدو هادئاً وراقياً في هذه المدينة.. إذن ليست كل الأماكن سيئة هنا وربما يتم العثور على المساعدة هنا للخروج من هذا المكان، جذب إنتباهم أيضًا هو أصوات صحيح داخل مقهى، فكر في إنه قد تكون هناك مباراة مهمة مثلًا ثم سرعان ما رأى شعار فريقه المفضل في كرة القدم.. ريال مدريد الإسباني.. نسي كل همومه في هذه اللحظة وأرتسمت تعابير البهجة والسعادة على وجهه، كان يعيش كرة القدم وبالأخص هذا الفريق.. كان يعرف أن أغلب العراقيين يشجعون فريق ريال مدريد.. لم يتبع فريقه المفضل بسبب هذه المهمة اللعينة، تقدم بحماسة باتجاه المقهى ... حاولت ماريان لفت إنتباهم إلى أن هناك قسم شرطة في الجهة الأخرى من الشارع لكنه كان فعلًا على وشك دخول المقهى.. فكرت بأنها تلحق به وحينما تنتهي المباراة يمكنها إخباره بالأمر، زفرت ماريان ...

اللعنة على كرة القدم..، لا أعرف ما المتعة في الجري وراء شيء دائري لعين..

إلتحقت به ودخلت المقهى معه.. الصحب يملئ المكان، تبدو مباراةً مهمة، التفتت لترى وجه عمر المتحمس جداً.. فرحت بذلك، يبدو إنه وجد شيئاً يخفف عنه عباء مشاكلاليومين الماضيين، آمنت فعلاً بسحر كرة القدم على الرجال لدرجة أنها أنسنت عمر همومه كلها ..!

تعرف ماريان جيدًا من خلال عملها كمراسلة الأوضاع في العراق، هناك مناطق محاصرة وهناك أيضًا مناطق يسيطر عليها الأمن العراقي.. لكن لا يمنع هذا وجود عمليات أرهابية في بعض الأحيان في تلك المناطق المؤمنة، وبحكم عملها دائمًا في المناطق الحيوية المليئة بالصراعات كان من الصعب عليها تخيل أن هناك مناطق بهذا

القدر الغريب من الهدوء والرقي في العراق بالذات.. الأعلام لا ينقل سوى الصراعات والخراب حتى يظن الناس أن العالم كله شر وخراب وينفي مبدأ أن في كل مكان يتواجد الخير والشر معاً..

كانت المباراة بالنسبة له أشبه بالحلم.. إثنى عشرة عاماً يحلم بالوصول للمباراة النهائية لأعرق البطولات الأوروبية.. "دوري أبطال أوروبا"، لكنه لم يكن مسروراً أيضاً.. وبعد كل هذه السنين من الجفاء بهذه البطولة يكون فريقه منهزم.. تحمس وتفاعل مع كل فرصة لفريقه او على فريقه.. وصلت المباراة لذروتها وما زال فريقه منهزم.. وضع وجهه بين كفيه يدعى ويُدعى ويُشَق في الدقائق الأخيرة.. لم يكن حاله هو فقط.. الجميع في المقهى مستاءين من النتيجة وفرصة تلو الأخرى تضيع والبطولة المنتظرة منذ سنوات تضيع أيضاً والوقت الأصلي للمباراة إنتهى تقريباً... هدف...!، في لحظة واحدة سادت الفرحة الجنونية في المكان كله.. الجميع أصواتهم أرهقت بسبب صرخة الفرحة.. وبالرغم إنه هدف التعادل وليس الفوز بعد فقد تيقن الجميع بأن هذا الهدف هو هدف البطولة القادمة.. التعادل من جديد.. الجميع تنفس الصعداء.. الأشواط الإضافية حملت أخبار سارة للجميع.. فريق ريال مدريد يحرز ثلاثة أهداف أخرى ومع كل هدف يصبح الجميع.. ومن يفوته المباراة ولم يحضرها ويسمع بهذه النتيجة يُخيل إليه أن الفوز كان سهلاً.. الجميع جالس.. لا أحد غادر منتظرین لحظات التتويج ورفع الكأس الذي طال إنتظاره..

سمعت ماريانا أصوات صخب في الخارج لكنها لم تستطع أن تخرج لتعرف ما يحدث بالخارج بسبب تكدس المشجعين على مدخل المقهى، لكنها رشحت بأن هناك أحتفالات بالخارج.. لكن شيئاً ما يقلقلها، حاولت أن تخبر عمر بقلقلها لكنه كان مندمجاً في الحديث مع مشجع آخر.. هنا عالمٌ وفي الخارج عالمٌ آخر.. هنا فرحة وفي الخارج أحزان لا تنتهي.. للحظة إتسعت عيناهما ذرعاً وتوقف قلبها وتسارعت أنفاسها عندما رأت من بعيد رجالاً مسلحين يلبسون زيًّا أسود مندفعين نحو المقهى..!، أمسكت بذراع عمر وهزته بعنف فنظر إليها في دهشة من تصرفها المفاجئ، لم يسمعها بسبب الصخب المنتشر في المكان.. إقتربت وصرخت في أذنيه وأخبرته، لم يتمكن من الإلتغافل للوراء..

للحظة ساد المكان كله الأضطراب والرصاص المترافق وتساقط الواحد تلو الآخر..، دخلت المجموعات المسلحة وأطلقت النار عشوائياً في جميع الاتجاهات، إنبعث عمر أرضاً وسط إندفاع الجميع عشوائياً وسقط

عليه شخص ما قتيلاً وصدم رأسه بالأرض صدمة قوية.. تألم بشدة وحاول تمثيل إنه ميت مرة أخرى لكنه وبدلاً عن ذلك بحث بيديه عن ماريـان..!

مارـيان.. ماريـان..

قالها بصوت يشوبه الألم والضعف.. لم يتلقى رداً منها، أين هي ؟!، هل قتلت ؟!، كان نصف مُبصراً.. حاول جاهداً البحث عن ماريـان لكنه لم يفلح، أحس بنفسه يرتفع عن الأرض.. أحدهم يساعدـه.. بدأ يفقد وعيه شيئاً فشيئاً..

على الشاشة فريق يتوج بأمجـاد الكؤوس الأوروبية..، وما حول الشاشة دماءً متـاثرة..، على الأرض جـثـث مـلـقاـة..، في المـكان مـأسـاة أخـرى، بين الجـثـث لا تـوـجـد مـاريـان، ولا يـوـجـد عـمـر كـذـلـك .. !!

ظن إنه قد رحل عن هذه الدنيا وإرتاح من العار الذي لحق به.. ظن أن الأمور قد أنهت وأنه سيحاسب عما قريب.. بالتأكيد إن ظن الجميع فيه سوءاً ولم يعلموا بحقيقة الأمر فإن الله عالم بكل شيء ولن يخيب ظن الله به ..

كيف سيكون الأمر عندما يقف هو وأخيه جنباً إلى جنب متخصصين أمام الله؟!، من منهم سيكون حاملاً لرأيه الحق؟، من تمسك بدينه وحاول جاهداً أن ينصره ولكنه فعل ذلك بالطريقة التي تسيء للإسلام أم ذلك الذي إكتفى بعلاقته المتواضعة مع الله وأن يكتفي بأن يرى الناس الإسلام في خلقه لكنه في النهاية قتل أخيه..؟!

صُعق عندما راوده أحتمال مفزع لم يفكّر به طوال الأيام الماضية.. القاتل والمقتول في النار..!، هذا قول رسول الله وينطبق فعلاً هذا القول على كلاهما.. في البداية لم يكن يريد هو قتل أخيه.. كان مستسلماً وتركه يفعل ما يشاء به ولكن في النهاية هو من قتل أخيه وليس العكس.. إنطبق شرط رسول الله ليكون القاتل والمقتول في النار وهي لو أن المقتول تحصل على فرصته المناسبة لقتل القاتل لفعل، فما بالك بالقاتل نفسه؟!!، لكن.. يشعر بشقلٍ في جسده.. يشعر بشيءٍ ما حوله، فجأة وجد نفسه قد صُفع بالماء على وجهه، شهق ثم فتح عينيه بصعوبة في ذهول!، ما زال حياً؟!، حاول أن يتذكر آخر شيء قد حدث له لكنه تفاجأ بأن أحدهم يصبح به في غضب ...

هيا.. هيا، تحرك ..

نظر باتجاه الصوت لكنه لم يتعرف عليه بعد.. الصورة أمامه مشوهة، وجد نفسه مُرغماً على الوقوف..!، بصعوبة حاول أن يخمن أنه كان في سجن أو شيء هكذا، غطوا وجهه بقناع مثل تلك التي توضع لذلك الشخص المحكوم عليه بالأعدام..، سمع صوت بابٍ حديدي يُفتح وشيئاً فشيئاً بدأت الأمور تتضح في ذهنه.. سيتم إعدامه في اللحظات القادمة، تقشعر جسده بالتفكير في هذا الأمر.. اللحظات الأخيرة.. نوع آخر من سكرات الموت يعيشها، صحيح إنه منذ ساعات مضت كان يتمنى الموت ليتخلص من عاره، لكن النفس تقاوم وتريد الحياة!، لكن لماذا لم يقتلوه من البداية؟!، بدأ يقاوم من يمسكونه لكنهم يقيّدونه بإحكام.. لم يفهم بعد إلى

أين يسير ..!، كان يسير معهم مرغماً في طرقات أشبه بالمتاهة..، كانت هناك أصوات من حوله وبعدة لغات كذلك ..!، لم يستجتمع كافة أفكاره بعد، ما يدركه فقط الآن إنه أسير أحدى الجماعات المتطرفة.. فجأة أُجبَر على التوقف ثم نزعوا ذلك القناع فوجد نفسه واقفاً أمام إحدى الغرف، كان هناك من يحرس الغرفة..، فتح لهم الباب وسمح لهم بالدخول، عندما دخل عمر مقيداً وجد شخص ما يقرأ القرآن بصوتٍ شجي ..

(فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حِينَ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوهُمْ لَهُمْ كُلَّ مَوْصِدٍ فَإِنَّ  
تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَحَلُوا سَبِيلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

أغلق المصحف ونظر باتجاه عمر..، قام من مكانه وأتجه ناحيته ليقف أمامه مباشرة.. تبادلا النظارات الحادة بينهما، كلاهما لم يتازل عن النظر بحدة في عيني الآخر لكن الفارق هنا أن ذلك الرجل يكاد يسمع دقات قلب عمر المتتسارعة.. لحظات ما قبل الموت..، أو هكذا كان يظن، فجأة أطلق ذلك الرجل ضحكة مكتومة ثم تعلت ضحكته ثم قال ساخراً ..

تلك النظرة هي نفسها.. لم تختلف عنه كثيراً، عيناك مثله تماماً تُظهر عكس ما يخفيه قلبك.. قلبك ينبض خوفاً وعيناك تظهر عكس ما تخفيه.. شجاعة مبالغة فيها..

لم يعرف عمر عن من يتكلم هذا الرجل بالتحديد، بالكاد يحاول جاهداً إدراك الأمر كاملاً، أشار ذلك الرجل للرجلين بالمغادرة، غادر الرجال وتبقى هو وعمر فقط في الغرفة، استطرد الرجل ...

من حسن حظي أن رجالـي كانوا يقطون و يعملون بتركيز ليلة أمس، ثواني قليلة كانت كافية بإعلان موتك انت وهي، ستتم مكافأتـهم بالتأكيد.. فأنت طرقي لاستعادة ثقة الخليفة فيـ من جديد ..

وـ كان عمر لم يسمع سوى كلمتين فقط " أنت وهي " .. ماريـان .. ليلة أمس .. المقـهى .. الهجوم الإـرهابـي، قـتـلت لا لا كلامـه يدلـ على إنـها مازـالت على قـيدـ الحياةـ مثلـهـ، قـطبـ عمرـ حاجـبيـهـ فيـ غـضـبـ وـسـأـلهـ ..

أين هي ؟!

تعجبـ منـ نـيـرةـ صـوـتهـ الـمـتـحـديـةـ فـأـطـلـقـ ضـحـكـةـ سـاحـرـةـ مـرـةـ أـخـرىـ ..

لديك أيضًا تلك الشخصية الغريبة والغامضة ذاتها، عليك أن تفكّر في نفسك الآن يا عمر ودعك من الآخرين ..

لم ينتبه عمر لأي كلام سوى أن هذا الرجل لم يجيئه على سؤاله، كرر سؤاله بنفس حدة الغضب ..

قلت لك أين هي..، أين ماريانت؟

إرتسمت إبتسامة ماكرة على وجه ذلك الرجل..

هذا يعتمد على تعاونك معنا.. أو بشكلٍ أوضح مكانها سيعتمد على اختيارك..

عقد عمر حاجبيه، لم يفهم إجابته ..

ماذا تعني..؟!

وضع الرجل يده على كتف عمر وتكلم بهدوء ..

وضع الله سبحانه وتعالى أمامنا طريقان.. الهدایة والضلال، وعلى الإنسان أن يختار بينهما وعلى أساس اختياره سيكون جزاؤه.. إما جنة عرضها السموات والأرض أو في جهنم خالداً فيها.. أبعدنا الله وأياك عنها ..

لم يفهم عمر بعد.. وبلهجة حادة سأله ...

ما علاقة هذا بسؤالي؟! أين ماريانت؟، ومن أنت وماذا أفعل أنا هنا؟!

بدا على الرجل أنه يحاول السيطرة على نفسه ..

عنيدٌ مثله تماماً ...

قاطعه عمر متسللاً..

من هذا الذي تكلمني عنه هكذا؟!

تفاجأ الرجل من سؤال عمر..

أبو عمار يا رجل.. أبو عمار

قالها بسخرية مما جعل عمر يقطب حاجبيه مستغراً، فهم الرجل أن عمر لم يفهم بعد، ضرب بكفه على جيئته ..

يا رجال لا تقول لي إنك لا تعرف أن أخاك كان يلقب هنا بأبو عمار..

صُعق عمر لما سمعه.. وقف ساهماً، يلتفت حوله مشرد الذهن غير مصدقًا لما سمعه.. أو حتى لما رأه.. كيف لم يتبه لذلك ؟!، راية داعش مثبتة على الحائط.. لقد فهم الأمر كله، لكن يتبقى شيء واحد فقط لا يفهمه.. لماذا لم ينتقموا منه ويقتلوه حتى الآن ؟!.. هل لذلك علاقة بما يسعى إليه ذلك الرجل؟!، استطرد الرجل كلامه ..

لندع موضوع أخاك جانبًا ولتسمع عرضي لك، ولك حرية الاختيار ..

بدا على عمر التركيز، لحظات صمت بدا على ذلك الرجل أنه يرتب كلامه.. مسألة إقناع عمر ليست بالسهلة، استطرد قائلاً..

سألت عن سبب وجودك هنا..، أليس كذلك ؟!

نظر إليه عمر نظرة أنكار، لا يعرف لكنه يشك بالأمر، استطرد الرجل..

من العدل أن أمنحك حق اختيار مصيرك.. إما ان تكون معنا أو علينا، لكن قبل أن تقرر أيضا مصيرك وجّب عليّ أن أوضح لك كافة الأمور.. من نحن ؟ وما هدفنا ؟ هل ما يشاع عنا صحيح ؟!

يريد الدخول بمقدمة ليقنع عمر بما يريد هو الوصول إليه، فيما كان يسخر عمر في نفسه من هذا الداعشي، هو حقاً يعرف من يكون هؤلاء.. قتلة.. سفاحين.. أرهابيين.. متسلسين وجنود الغرب الخفية..، أخذ الرجل نفساً عميقاً.. كان مستعداً لمناقشة حتمية الآن ..

أعرفك بنفسي يا عمر.. أنا عثمان بكير.. المساعد الأول لحضرت الخليفة أبو بكر البغدادي.. أنشأنا تنظيمنا هذا تمهيداً لعودة الخلافة الإسلامية.. من جديد سنحكم العالم..

ضحك عمر بأشتهجان ..

أحلامٌ وردية يا هذا..

ليست أحلام يا عمر طالما لدينا أيمان بهذا سنفعل.. طالما ننفذ ما أمرنا الله به سيأتي اليوم الذي نكافئه به من الله عز وجل ..

تساءل عمر في استئناف ...

و هل الله أختاركم أنتم بالذات لسفدوا أوامرها وتقوموا أنتم بمهمة استعادة مجده المسلمين ؟!، ثم ما هي أوامر الله التي تسعون لتنفيذها.. القتل والدمار والخراب وترويع الناس وذبحهم وقتلهم دون ذنب ؟!

كان الهدوء الذي يظهره عثمان في شخصيته وكلامه يزعج عمر كثيراً، سار عثمان باتجاه المكتب ومسك المصحف ورفعه في وجه عمر رد بهدوء..

فتحنا كتاب الله وتدبرنا آياته فوجدنا إننا أمة أضاعت دينها بأيديها.. أمة رضيت بالذلة والهوان.. أمة هجرت القرآن.. يقول الله ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّحَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ .

ابتسم عمر ساخراً..

لا تقول بأنك تريد أقناعي بتنظيمكم هذا.. أنتم أرهابيين على كل حال..

كان يدرك عثمان أن الحديث والنقاش المحتدم مع عمر لن يجدي نفعاً، كان يدرك شخصية عمر جيداً.. هذه النوعية من الشخصيات تؤمن دائماً بالنقاش الإيجابي والأدلة الدامغة، لهذا لم يغضب من تلفظ عمر عليهم.. يريد أن يتعامل معه بهدوء..

حسناً.. يمكننا أن ننتظر الآن.. ما رأيك ؟.. أخبرك بقناعتي وأنت تخبرني بما لديك وعلى أية حال سنصل لنتيجة ما..

شعر عمر بقشعريرة تسري بجسمه.. لم يعتاد أبداً على المناظرات أو التحدى من هذا النوع من النقاش، ثم أنه غير مستعد لمناظرة داعشي، بالتأكيد حججه ستكون ضعيفة أمام هذا الرجل ..!، صمت ولم يبدى موافقته لكن عثمان اعتبر سكوت عمر هذا موافقة..، رتب كلامه في عقله وأستعد جيداً لمناظرة ضرورية الآن لأقناع عمر.. أو بمعنى أدق يستعد لأقناع عمر بأي حال من الأحوال بغض النظر على أنها ليست مناظرة من الأساس ..

نحن أمة سقط منها إسلامها وخرجت علينا أجيال لا تعرف عن الإسلام إلا إسمًا ... في البطاقة مسلمين وفي حياتهم فاسقين.. أنتشرت السرقة والخداع والنفاق والكذب والرشاوي والزنا وكذلك الفساد في كل شيء (ظهرَ الفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُدِيقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَنْهُمْ يَرْجِعُونَ) .. نسينا ديننا ونسينا أوامر الله، نسينا الرسول وسنته، نسينا إسلامنا حتى خدعونا الغرب ويدعونا بالإرهاب.. يقتلوننا ويغذبوننا ويشردوننا ويجهروننا من بيوتنا ويسلبون اموالنا وبعد كل هذا نتبعهم..

صمت لثوانٍ ثم أكمل كلامه ..

أنشأنا هذه الدولة (داعش) لردع الكافرين وإعادة الإسلام لمكانه الطبيعي وقتال كل أعداء الله والإسلام ..

استنكر عمر كلامه ...

كافرين..؟ مجتمعنا كلهم كافر..؟، لماذا تُكفر كل الناس؟

لسنا نحن من نُكفر الناس، كلام الله واضح..

قالها وهو يرفع المصحف في وجه عمر ...

الجميع حولنا كافرون.. الشيعة كافرون.. النصارى وإليهود كافرون.. حتى المسلمين المتقاعدين هم للكفر أقرب منه للإيمان.. والله أمرنا بقتالهم جميعاً..

قطب عمر حاجبيه وقال بأستهجان وسخرية من كلامه ..

نعم الله قال أقتلوا الأبرياء المارين في الشارع من أطفال ونساء ورجال ظلماً وندبح هذا وذاك.. هذه هي أوامر الله؟، والله إن الله بريء مما تزعمون.. تحرفون كلام الله لخدموا أهدافكم الدنيئة؟!

لم يتعجب عثمان من الجرأة والشجاعة التي يبديها عمر في هذا المكان بالذات، أخوه مثله تماماً..

يا رجل لا تصدق كل ما يعرض في الأعلام..، متى حدث وأن قتلنا أبرياء؟!، ديننا لا يأمرنا بذلك ونحن لا نفع

...

قاطعه عمر في غضب..

لا تكلمني باسم الدين يا هذا..، ثم أن الموضوع لا يتعلق بالأعلام.. لقد حدث هذا معي أول أمس حين هاجمت الناس في شارع في شوارع الموصل وقتلت موهمن ودفنت معهم حينها ولو لا أن أحدهم أنقذني لكنت ميتاً الان.. لحظات صمت فكر حينها عثمان بتهئة الأجواء قليلاً.. يريد السيطرة على الأمور دون أن يصيب عمر بالعصبية..

ما زلت مخططاً يا عمر في تقدير الموقف ..

رفع كفيه ..

حسناً حسناً.. سأرد على إتهامك هذا لاحقاً لكن دعني أشرح لك الأمر كاملاً.. نحن كمسلمين أمرنا أن نقاتل فئتين من الناس.. الأولى هم النصارى وإليهود، الثانية هم الخوارج (الشيعة) ، وأمرنا كذلك بمقاومة تقاعد أمتنا عن أعظم فريضة غائبة عن أذهاننا.. الجهاد في سبيل الله، لتتكلم عن كل فئة على حدة.. بمن تحب أن نبدأ !؟..

أنتظر عثمان رداً من عمر لكنه كما خطط.. عمر لم يجيب، أجاب هو عن سؤاله..

حسناً دعني اختار أنا..

فكر للحظات وسط ترقب من عمر ...

دعنا نبدأ بغير المسلمين أولاً.. النصارى وإليهود وغيرهم..، هؤلاء كافرون ولا خلاف عليهم، يقول الله ( وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ )..، أذن فأنا وأنت نتفق على كون هؤلاء كفراً.. وحيث أنهم كافرون فإننا مطالبون كمسلمين قتالهم حتى يسلموا.. يقول حبيبي المصطفى في حديثه ( أُمِرْتُ أَنْ أُقْاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهُدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ )..

قاطعه عمر ...

ولكن الله قال ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ )، فلماذا تكره الناس على الإسلام بدلاً من أن نقتلهم.. ؟! أولاً.. لا يصح أن يتعارض حديث رسول الله مع آية.. السنة النبوية شارحةً للقرآن.. فهذا الحديث يتفق مع كلام الله ( وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ) وأيضاً هناك آية أخرى ( فَإِذَا

**لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَبَ الرِّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِنَّمَا مَنًا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ  
أَوْرَارَهَا ) وهناك أيضًا ( وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضْلَلَ أَعْمَالَهُمْ ..**

ثانيًا.. قول الله ( لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ ) قد تم تحريف معناه الحقيقي من شيوخ هذا العصر أو من يسمون أنفسهم دُعاةً للإسلام.. تفسير هذه الآية هو أن الله قد خَيَرَ الناس جميعهم بين دين الإسلام أو الكفر ولم يفرض علينا الإسلام عنوةً، وإذا ما اختاروا غير الإسلام وجب علينا قتالهم كما أمرنا الله.. وهذه بالمناسبة الحرية التي يفتحرون بها الغرب في بلادهم ..

فَكَرَ عَمَرُ لِلْحَظَةِ.. كَيْفَ يَأْمُرُ اللَّهُ صِرَاطَهُ فِي الْقُرْآنِ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ هُوَ غَيْرُ مُسْلِمٍ؟!، أَمَا عُثْمَانَ فَكَانَ مِتْهَجًا  
بِسَبَبِ صَمَتِ عَمَرٍ هَذَا.. هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَسْتَمِعُ لِهِ وَيَفْكُرُ فِي كَلَامِهِ ..

لَكُنْ مَا ذَنَبَ الْمَرَاسِلُونَ الَّذِينَ تَذَبَّحُونَهُمْ؟، قَدْ يَعْلَمُوْنَ أَسْلَامَهُمْ يَوْمًا مَا.. أَتَأْخُذُونَهُمْ بِذَنْبِ حُكُومَاتِهِمْ؟!، دَائِمًا مَا  
تُظَهِّرُونَ أَنَّ دِيَنَنَا دِيَنَ قَتْلٍ وَدِمَارٍ.. لَقَدْ صَحَّحْتُمْ إِدْعَاءَ الْغَرْبِ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ دِيَنَ أَرْهَابٍ وَقَتْلٍ، بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَيَنْفِرُ  
إِلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مِنَ التَّفْكِيرِ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمًا مَا.. لَقَدْ أَسَأْتُمْ لِدِيَنَنَا..

فَكَرَ عَثْمَانَ لِلْحَظَةِ ثُمَّ قَالَ ..

أَوْلَى نَحْنُ غَيْرَ مُبَالِيِنَ بِرَأْيِ الْغَرْبِ فِي دِيَنَنَا مَا دَمَنَا نَفْذِ أَوْامِرَ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَا يَتَرَكُونَا أَبَدًا سَوَاءَ فِي السَّلَمِ أَوِ  
الْحَرْبِ وَلَذِلِكَ سَنُواصِلُ جَهَادَنَا وَقَتْلَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..

ثانيًا نحن نجدب شباب أوروبى إلينا وهذا يعني إننا نصل إليهم في عقر دارهم ولهذا يحاربوننا في ديننا،  
وبخصوص هذا فنحن دُعاة إسلام وليس سبب لنفور الناس عن ديننا ..

قام من كرسيه والتف حول عمر وأربت بيده على كتفه ..

ثالثاً.. أنظر لنفسك يا عمر، فلو كنا حقًا إرهابيين كما يدعى الأعلام لكننا قتلناك كذلك لا سيما إنك قد قتلت ثاني  
أهم رجل في دولتنا بغض النظر طبعًا إنه أخاك..

تلاحت أفكار عمر القديمة.. كان كمثله من الناس قد سمع مناظرة منقوصة أو أشبه مناظرات وقد حفظ فقط بعض الردود التي يعرف في قراره نفسه إنها ضعيفة وغير مجدية أمام هذا الرجل، أما عثمان فكان يريد ضرب الحديد وهو ساخن كما تقول الأمثال.. يريد استغلال توتره، استطرد عثمان..

لم أنسى أيضاً ردي على الهجوم الذي قمنا به في الشارع الذي كنت تسير فيه أو ذلك المقهى، في حقيقة الأمر كنا ننفذ عملية إنتقامية ضد الخارج ( الشيعة ) ...

حدق عمر بعثمان وقاطعه ..

هم صحيح مختلفون عنا لكنهم في النهاية مسلمون، لماذا هم كافرون ولماذا نقتلهم من الأساس ؟!

فرح عثمان بسؤال عمر هذا..، سؤاله يدل على إنه أقنع بأن غير المسلم كافر وهذا سيسهل مهمته، مرأة أخرى جلس أمام مكتبه وفتح فيديو آخر فيه مشاهد لشيخ وأئمة شيعية وهم يلقون محاضرات، ذُهل عمر مما رأه وسمعه..، بعد انتهاء المشاهد أكمل عثمان كلامه ..

كما ترى يا عمر.. الشيعة يسبون ويشتمون آل بيت رسول الله ويلعنون صحابة رسول الله.. أبا بكر الصديق صديق الصادق الأمين وعمر ميزان العدل البشري في الأرض وقد قدسوا سيدنا علي كرم الله وجهه وكأنه إله.. !، ويرون بأنه الأحق بر رسالة الإسلام وعندما أتقذناهم رأوا بأن علي له الأحقية بخلافة رسول الله عن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.. كما أن لهم قبلة خاصة بهم.. لهم كعبة غيرنا، حتى أن علي رضي الله عنه قد روى حديث عن رسول الله .. ( يقول الرسول .. يا علي ألا أذلك على عملِكَ كُنتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - وأنك من أهل الجنة - ؟ سيكون بعدها قوم لهم نizer ( لقب ) يقال لهم الرافضة ( الشيعة ) فإن أدركتهم فقاتلهم فأنهم مشركون ) ...

رفع عثمان حاجبيه في سيطرة واضحة على المناظرة.. لقد نجح في الأمساك بزمام الأمور هنا، صحيح أن عمر لا يبدو عليه مقتئعاً لكن كونه مرتبكاً فهذا يعني أنه تأثر بكلامه ..

أتقبل بأن توصف أميناً عائشة بنت محمدًا بالزانية؟!!

بـدا عـلـى عمر الـذـهـول والـتوـر.. لا يـعـرف كـيـف يـرـد عـلـيـه.. حـجـجـه ضـعـيفـة جـداً، هـنـاك خـطـأ مـا لـكـنه لا يـسـتـطـع مقـاـوـمـة هـذـا السـيـل الجـارـف من الأـفـكـار والـقـنـاعـات الجـديـدة وتـلـك التـسـاؤـلـات التي تـظـهـر لها أـجـابـة الآـن أو تـلـك التي غـامـضـة، إـسـتـغـل عـشـمـان حـالـة التـراـخـي التي يـمـر بـها عـمـر وـأـنـغـمـاسـه في ذـهـولـه وـفـك قـيـودـه وأـجـلـسـه عـلـى الكـرـسـي ..

تعـالـى هـنـا يـأـعـمـر، أـجـلـس ..

جلـس عـمـر والـذـهـول بـادـيـا عـلـيـه وـمـسـيـطـرـا.. لا يـدـري ما عـلـيـه فـعـلـه ولا يـعـرـف فـيـمـا يـفـكـرـ.. فـي مـارـيـانـة التي لا يـعـلـم مـكـانـها أو مـصـيرـها.. أم آـسـيـة التي أـفـتـقـدـها حـدـ الجـنـون.. أم فـي ذـلـك التـنـظـيم الذي كـانـ أـخـوه فـيـه عـضـوا.. أم فـي ذـلـك الرـجـل الذي يـحـاـوـل إـقـاعـه بـشـيء طـالـما كـرهـه (الـأـنـضـام لـتـنظـيم أـسـلـامـي) ، طـالـما إـقـتنـع أنـ أيـ تـنظـيم أـسـلـامـي هو فـقـط لـتـشـوـيـه أـسـلـامـ.. حتـى مقـاـوـمـة هـذـا الرـجـل فـي هـذـا المـكـان بـاتـت مـسـتـحـيـلة.. المقـاـوـمـة هـنـا تعـنـي القـتـل فـورـا.. هو مـازـال يـأـمـل بـأن يـجـد طـرـيقـة لـيـكـفـرـ بـهـا عـن ذـنـبـه الأـزـلـي.. ذـنـبـه الذي تـعـلـق بـهـ منـذ أـيـام.. قـتـلـ أـخـيه..

هـؤـلـاء هـم الشـيـعـة يا عـمـر ... مـشـرـكـون كـمـا أـخـبـرـنـا رـسـوـلـنا الـكـرـيمـ، يـتـبـقـى لـدـيـنـا آخرـ فـتـة لـنـتـكـلـمـ عـنـهـا.. المـتـقـاعـسـين ..

إـرـسـمـت عـلـامـاتـ الحـزـن عـلـى وجـهـه ..

تقـاعـسـت أـمـتـنا عـن الدـيـن فـكـان عـقـابـنا مـن الله إـنـه أـبـتـلـانـا بـمـصـائبـ لا حـسـرـ لـهـا.. الفـسـادـ والـجـهـلـ والـفـقـرـ والـاستـعـمـارـ.. وـأـعـظـمـ إـبـتـلـاءـ هو إـبـتـلـاءـ الدـيـن ( وَلَنْبُلُونَكُمْ حـتـى نـعـلـم الـمـجـاهـدـيـن مـنـكـمـ وـالـصـابـرـيـنـ وـلـنـبـلـوـ أـخـبـارـكـمـ ) .. ظـهـرـتـ شـيـوخـ وـآـخـرـونـ يـدـعـونـهـم دـعـاةـ الإـسـلـامـ بـأـفـكـارـ الغـربـ.. خـرـجـ عـلـيـنـا الغـرـيـبـيـنـ لـيفـهـمـونـا دـيـنـنـا عـلـى طـرـيقـهـمـ.. نـحـنـ هـنـا لـعـيـدـ زـمانـاـ الـذـي كـانـ لـلـإـسـلـامـ فـيـهـ عـزـةـ وـقـوـةـ.. نـحـنـ هـنـا نـجـاهـدـ كـمـا أـمـرـنـا اللهـ ( يـا أـيـهـا الـتـيـ جـاهـدـ الـكـفـارـ وـالـمـنـافـقـيـنـ وـأـغـلـظـ عـلـيـهـمـ ۝ وـمـأـوـاـهـمـ جـهـنـمـ ۝ وـبـشـرـ المـصـيرـ ) وـكـذـلـكـ لـنـقـاتـلـ ( وـمـا لـكـمـ لـا تـقـاتـلـونـ فـي سـبـيلـ اللـهـ وـالـمـسـتـضـعـفـيـنـ ) ..

وـالـأـمـلـةـ عـلـى هـذـا كـثـيرـةـ يا عـمـر..

تناولـ المـصـحـفـ مـرـةـ أـخـرىـ وـوـضـعـهـ أـمـامـ عـمـر ..

تفصل يا عمر.. اقرأ القرآن وتدبر الآيات وخصوصاً تلك التي تتحدث عن الجهاد والقتال في سبيل الله، وعامة المسلمين متقاعسين.. لا يهمهم سوى متع الدنيا الآن ويؤسفني أن أقول لك أن المسلمين حالياً مسلمين بالفطرة ولو لم يولدوا مسلمين لما كانوا يفكرون في الإسلام يوماً.. بسبب إبعاد الناس عن الدين أصبح غالبيتهم يفكرون بأن الجنة والنار والحساب والعقاب وهم.. والباقيون لا يفكرون في هذا الأمر إطلاقاً..

كان عثمان قد انتهي من كلامه متظراً رد فعل عمر.. كان يأمل أن يكون عمر قد إقنع..، أما عمر فكان قد ضرب بكل هذا الكلام عرض الحائط، كان يقنع بأن كل هذا الكلام نوع من أنواع غسيل المخ، لكنه كان يفكر في شيئاً آخر.. يفكر في إنقاذ ماريان والهروب من هذا المكان، قاطع عثمان تفكيره ..

الآن أود أن تسمع عرضي الذي أخبرتك به ...

قام من مكانه وألتف حول مكتبه ليجلس أمام عمر مباشرة، وضع يديه على ركبتي عمر ..

أسمعني يا عمر.. أنضم لنفوز معًا بجنة عرضها كعرض السموات والأرض.. لنفوز بحوريات العين في الجنة.. لندخل من باب الجهاد.. في النهاية سننال إحدى الحسنين النصر أو الشهادة ..

عبث وجه عمر فجأة، تذكر كلام اللواء صفوت، تأكد فعلاً أن عملية غسيل المخ تُجري عليه..

و إن رفضت..؟!

ابتسم عثمان ورد واثقاً ..

لن ترفض وستنضم يا عمر ..

عقد عمر حاجبيه...،

لن أفعل ولا تفكري في ذلك أيضاً..

قام عثمان من مكانه، وقال وهو يلتفت ليجلس على كرسيه..

ليس لديك خيار آخر يا عمر، في النهاية ستنتصب إلينا.. شئت هذا أم أبيت ..

لا تكن واثقاً هكذا.. إن كنت تهددني بالقتل إن لم أنضم إليكم، فأنا أفضل أن أُقتل على أن أفعل شيء هكذا..

إرتسمت تلك الأبتسامة الماكرة على وجه عثمان ..

لا لا .. نحن لا نستطيع أن نفعل ذلك، نحن بحاجة إليك..

اقرب منه وهمس له..

لكن هناك من نستطيع الاستغناء عنه بسهولة ..

خطرت بباله ماريان.. ورقة ضغط رابحة، كيف لم يفكر بهذا.. تم احتجازها مقابل أنضمame إليهم، إما أن يكون داعشياً مثلهم أو يتم قتلها..

قطع عثمان تفكيره ..

لكن يا ترى من سينفذ العملية المقبلة؟!

التفت إليه عمر.. كان واضح لعمر أن ذلك الرجل يفكر ويخطط لشيء ما.. لم يطمئن لهذا، أستطرد عثمان التفكير بصوتٍ عالي..

لدينا هنا الكثير من الأسماء المرشحة.. لكنها مهمة سهلة ولا تحتاج لشخص ذو خبرة، مهمة الذبح ليست مهمة خطيرة أو صعبة.. بأمكان أي طفل صغيرٍ مجاهد أن يفعلها..

سكت للحظات ثم نظر لعمر فأتسعت تلك الأبتسامة الماكرة على وجهه في نفس اللحظة التي خفق فيها قلب عمر.. ليس بسبب تهديد ذلك الرجل بقتل ماريان فقط.. وإنما بسبب تلك النظرة ذو الأبتسامة الماكرة.. إتسعت عيناه ذُعرًا عندما فهم ما يقصده هذا الرجل.. فهم أنه من سيقود هذه المهمة.. مهمة قتل ماريان..!

كانت تلك الأخبار التي وردتة منذ قليل كافية لتوقف سيل الاتهامات التي وجهت للمخابرات في الأونة الأخيرة..، ففي الأسبوع الماضي مثلاً كانت الاتهامات تترافق عليهم بالتحصير مرة وبالتسبيب في حادث مرة أخرى حتى وصل الأمر لأنتهم بتدمير التفجير الذي حدث في كنيسة الصعيد بحجة أنهم يريدون أشغال الناس في هذا الحادث بعيداً عن الذي يحدث في المجتمع المصري حالياً من غلاء لاسعار والتخبطات السياسية.. !

لكن كل هذا تغير منذ يومين، أصبح غالبية الناس تفتخر بجهاز المخابرات لا سيما بعدما سرت المخابرات تفاصيل أحباط تفجير كنيسة أخرى في القاهرة وكذلك أحباط محاولة أغتيال النائب العام المصري للأعلام.. لقد كان يرى بأن لكي يوقف تلك الاتهامات التي من المؤكد أنها ستؤثر على عناصرها عليه بأن يعلن حالياً عن بعض الحقائق.. لا فائدة من النجاح دون أن يتم تقديم ولو قليلاً من الدعم لهم، وأبسط أنواع الدعم التي تحتاجها المخابرات من الشعب هي الثقة فقط.. وهذا ما تحقق فعلاً عندما أدرك الناس بعد كل هذا أنهم في عالم مختلف تماماً عن عالم المخابرات.. عالم آمن وسط بحور الدم التي تحيط بالمنطقة العربية.. أدركوا بأن هناك عشرات بل مئات من الهجمات الإرهابية التي يتم أحاطتها والتي إذا حدثت ستخلف ورائها كوارث .. !

أمس أسلم الرسالة الأولى " لقد تم أستلام الهدف ".. فرح لذلك أذ أن خطته تسير كما هو المخطط له، وبالتالي فهو ينتظر الرسالة الثانية ليقوم بحركته التالية..، فيديو آخر سيقلب الموازين وسيغير كل شيء، فيديو سيساعد المخابرات على توجيه ضربات قاضية للجميع وستحصل منها على مكاسب سياسية هائلة، أولها أظهار قوة المخابرات المصرية وقدرتها على اختراق تلك المنظمات الإرهابية وأرجاع مجد المخابرات المصرية من جديد.. فمسألة اختراق تلك الجماعات طبيعياً في عالم المخابرات فهو على يقين بأن أغلب عناصر داعش وخاصة القيادات منهم هم في الأصل عناصر استخباراتية لدول غربية ...

ثانيهما هو مساومة الدول الغربية لوقف العقوبات الاقتصادية على مصر ووقف العدائية التي تظهرها هذه الدول للسياسة المصرية أو ستضطر حينها المخابرات لنشر المزيد من هذه المشاهد وتفضح سياسة هذه الدول في التعامل مع تلك المنظمات..

ثالثهما هو تطبيق مقوله " انقلاب السحر على الساحر " .. انقلاب سحر الأعلام على الأعلام كاذب والناس تحب وتعشق الكذب والأعلاميين يجرون الناس في الكذب ويبحثون عن الحقيقة الزائفة ليروضوا الناس بها، وبذلك الشيء الذي ينوي فعله سيمكن للمخابرات العمل دون ضغوط اعلامية لأن حينها سيفقد الناس الشقة في الأعلام تماماً ..

أما رابعهما أنهاء الجدل تماماً حول موضوع عمر.. ما حدث في هذا الفيديو الذي بين يديه والذي يستعد لنشره سغير تفكير الناس في عمر الذي تحول من أرهابي لبطل قومي جندته المخابرات المصرية في صفوف داعش وأنه تحامل على نفسه وقام بالمستحيل وقتل أخيه الداعشي.. كانت مهمة وطنية.. هكذا ستري الناس عمر بمجرد رؤيتهم لهذا الفيديو..

عزم على متابعة برنامج المذيعة شيرين هذه الليلة، كان برنامجهما يستمر لأربع ساعات متواصلة كل ليلة.. أربع ساعات كافية لتقتل بها أدمغة الناس بسمومها التي تبثها كل ليلة بكلامها وموضوعاتها ونقاشاتها.. لقد صنعت شهرتها بسبب دقتها في اختيارها للموضوعات الشائكة والمهمة جداً..

تابع منذ قليل هجومها الشرس والمتواصل منذ يومين تقريباً على عمر.. وكذلك تابع تلك المشادة الكلامية التي كانت بينها وبين آسية زوجة عمر، كان يعرف تماماً أن آسية مازالت تشق بعمر وأن كل ما يحدث له مكيدة لكنها قد يمر عليها أوقات تتساءل عن سبب انضمام عمر لتلك التنظيم الإرهابي ..!، تحتاج بشدة لأجابة منطقية لهذا السؤال، بين يدي شريف الأجاية وليس الأجاية فحسب ... هذا الفيديو سيكون عمر بسببه بطل قومي وليس أرهابياً ... فيديو سيجعل من آسية فخورة به وليس مجرد أنها قد تبحث عن مبررات.. سيطمئنها ذلك ولو قليلاً على عمر ..

تبقي على أنتهاء البرنامج حوالي ساعة تقريباً وهذا هو الوقت المناسب لتوجيه ضربته القادمة.. سيخرس شيرين للأبد بسبب اكتشاف الناس كذبها وأدعائاتها وكذلك ليمنحك آسية بصيصاً من الأمل، لكنه لا يستطيع الأقدام على فعل هذا الأن إلا بعد التأكد من الرسالة الأخرى.. الرسالة التي ستتضمن سلامه عمر وماريان من قبضة تنظيم داعش.. فقط يتمنى لو هذا يتم الآن فهو يريد..

قاطع تفكيره رنين هاتفه مرة أخرى.. رسالة أخرى وفتحها بسرعة.. " تلك الطيور الحبيسة أنطلقت الآن.. قريباً ستعود لديارها " ..، أتسعت تلك الأبتسامة على وجهه، لقد حان الوقت.. حان وقت معرفة الحقيقة .. !!

\*\*\*\*\*

كانت أمانى قد شاهدت كباقي المصريين مشاهد قتال عمر في صفوف تنظيم داعش الإرهابي في معركةً ما ضد الجيش العراقي.. عندما علمت بوجود آسية في سوهاج أسرعت لرؤيتها والوقوف بجانبها خاصةً بعدما نشرت تلك المشاهد، فرحت أمانى لأن آسية تماثلت للشفاء تقريراً لكن حالتها النفسية سيئة ...

المذيعة شيرين في برنامجها منذ قليل ...

... لذلك وبعد كل هذا أتعجب من يدافعون عنه .. !، لقد انضم لهذا التنظيم الإرهابي الذي يقتل ويذبح الأبرياء وتکفير كل البشر عداهم طبعاً، نکاح الجهاد وما خلافه.. تفجير كنائس ومساجد أيضاً.. حتى وصلت نفوذهم هنا في مصر حينما فجر أحدهم نفسه في الكيسة منذ أيام ومن قبلها المول التجاري.. وخلفت وراء هذه العمليات الانتحارية عشرات القتلى والمصابين..، ولا نعلم ما هو دوره بالتحديد في هذه العمليات لا سيما وإنه مصري، ولذلك أيضاً الواقع يخبرنا بأن عمر قد خدعنا منذ البداية وأوهمنا بأنه بطل لكن في النهاية الحق دائماً يعلن عن تواجده الواضح أمامنا.. عمر أرهابياً شيئاً هذا أم أيينا، فكان.

صمتت فجأة لتصفي لما يقال لها في سماعة الأذن، تسمت بسخرية ورفعت حاجبيها في تعجب ودهشة..

و معنا الآن زوجة عمر شخصياً.. مرحباً سيدة آسية ...

صاحت بها آسية غاضبة ..

بحق الله ألا يوجد ما تفعلينه سوى التحدث عن عمر.. !؟

تفاجئت شيرين من تدخل ضيفتها العنيف .. !، ردت بهدوء..

سيدي.. قضية عمر تعتبر قضية رأي عام ولابد أن..

قاطعتها آسية مجددًا..

قضية رأي عام.. ؟!، لقد تركتني مشاكل العالم كله ولم تهتمي سوى بمشكلة زوجي ..!، لقد أصبح عمر هو المذنب الوحيد في هذا العالم المعين.. لقد أصبحتم ملائكة الأرض والسماء وأصبح عمر فجأة أبليس الذي عصى ربه وأخرجكم من الجنة؟!

تمالكت شيرين أعصابها ..

إهدئي سيدة آسية.. ما حدث لم يكن سهلاً أبداً، لقد خدعنا زوجك.. ظنا في البداية إنه بطل قومي قتل ثانٍ أهم قيادي داعشي لكن سرعان ما ظهرت الحقيقة، لقد قتل أخيه ليحتل مكانه في هذا التنظيم.. ثار قديم بين زوجك وأخيه ..

لم تتمالك آسية نفسها وأنفجرت فيها ..

- ما هذا الهراء؟ عن أي ثأر تتحدثين؟!

- أظننين بأننا لا نعرف الخلاف الذي كان بين عمر و أخيه؟!، دعيني أخبرك سيدتي بأن الأمور بينهما لم تكن على ما يرام خاصة في تلك السنوات الأخيرة.. وها نحن قد شاهدنا ما حدث في النهاية.. زوجك قتل أخيه ليفوز بمكانة رفيعة في هذا التنظيم الإرهابي ..

و بنفس حدة الغضب ردت آسية عليها ...

لم أبالغ حين وصفت حديثك هذا بالهراء، كيف يمكن لعمر أن يخطط لكل هذا وأنتي بنفسك قد انفردت بخبر اختطاف الكتبية المصرية كلها للعراق؟!، الحقيقة هنا أنك لو لم تهاجمي عمر لن تجدي ما تتحدثين عنه وستتقاعدين..

لقد نفذ صير شيرين، ردت بحدة توازي حدة آسية ..

الحقيقة هنا سيدة آسية والتي يصعب عليك الاعتراف بها هو أن زوجك أرهابياً ووظيفتي هنا كأعلامية هو نقل الأحداث وأعلام الناس بها، دعنيي أسائلك.. هل شاهدتي تلك المشاهد التي عرضناها والتي يظهر فيها زوجك مقاتلاً في صفوف تنظيم داعش الإرهابي ؟!، بالطبع من المؤكد أنك قد شاهدته.. وأنه زوجك لابد وأن تدافعين عنه، لكن ما ليس طبيعياً هنا هواتهامك لنا سيدة آسية ..!، وبخصوص أن كيف أن زوجك كان من ضمن الجنود المختطفة والتي أرسلت للعراق وفي نفس الوقت كان يخطط لذلك فهو قد استغل هذه الفرصة لتصفية حساباته مع أخيه وكان هذا واضحًا عندما ترك الكتبة وذهب وحده لقتل أخيه..، في النهاية نجح زوجك في قتل أخيه ظنًا منه أن لا أحد سيعلم بهذا الأمر لكنهاكتشف أنه يتم تصويره، دعنيي أسائلك سؤال آخر.. أتعرفين مكان مراسلتنا السابقة ماريان التي قامت بتصوير هذه المشاهد ؟!، تعرفين شيئاً عنها أو أنها بخير أم لا ؟!

لحظة صمت تفكّر فيها آسية بأجابة مقنعة وعيتها قد ملؤها الدموع، وبصوت هادئ أكملت شيرين كلامها ...

العقل والمنطق هنا يحكمان بأن ماريان تحت رحمة عمر في هذا التنظيم أو ربما تكون قد قُتلت، ولا أخie عليك في أني أتوقع ظهور فيديو ستنشره داعش عما قريب.. فيديو لذبح ماريان ..

وبصوت يخالطه البكاء ..

لا.. لا يمكنه فعل هذا، عمر ليس هكذا صدقيني ..

ردت شيرين بصوت يشوبه الشفقة على حال آسية ..

لقد قام زوجك بخداعك سيدتي.. لست أنتي فقط.. بل جميـعاً..

بدأت شيرين تسمع صوت نحيب آسية منذرةً بالبكاء، فجأة أختطف أحدهم سماعة الهاتف من آسية وأكمل بدلاً عنها ...

- أسمعنيي جيداً أستاذة شيرين ...

قاطعته شيرين ..

- و من تكون أنت ؟

- أنا أحمد صديق عمر ورفيقه منذ أن كنا صغاراً، دعني أخبرك أنك ستدمن على ما تفعلينه بخصوص عمر

...

- هذا تهديد أذن .. !؟

رد أحمد بنبرة واثقة ..

بالطبع لا ليس تهديداً.. لكنني على يقين بأنك ستدمن عندما تظهر الحقيقة، حينها ستدمnin لو لم تعملي في هذا المجال نهائياً ..

ردت شيرين بسخرية ...

صديق أرهابي يكلمني، ماذا عليّ أن أتوقع أن يكون حديثه ؟!..، صدقني عليّ أن أخاف منك حقاً.. فقد تقتلني يوماً ..

ضحك أحمد بسخرية ...

و هكذا وقعت في الفخ سيدتي..، أردت فقط أن أظهر للناس كيف تفهمين القضايا وتحللينها وتنشرى الأكاذيب، قمت بتحويل كلامي لتهديد وقمتى بأسغلال هذا لصالحك..

حدقت شيرين بالكاميرا أمامها غير متفهمةً ما يتحدث عنه، أكمل أحمد ..

لو قام العالم كله بمهاجمة عمر فسأكون أنا الوحيد الذي يدعمه ويقف بجانبه لأنني الوحيد الذي يعرف عمر حق المعرفة.. ثقتي في صديقي لا حدود لها حتى وأن فقد العالم كله بما فيه زوجته ووالدته الثقة فيه، وكذلك ثقتي بربى في أنه سيظهر حقيقة الجميع يوماً ما ..

ردت شيرين بسخرية ..

- ما هي الحقيقة سيدِي برأيك؟!، العالم كله شاهد الحقيقة..!
- سيدتي.. أنتم أيها الأعلاميون كاذبون.. تزيفون الواقع لخدمة مصالحكم!، وأكبر خطأ قد أصابكم هو أنك تجادلين شخصاً يفهم في هذا المجال جيداً..
- حقاً؟!، حسناً أتحداك أمام مشاهدينا.. فلتخبر المشاهدين كيف نقوم بخداعهم هكذا يا فيلسوف عصرك.. بنبرة هادئة وواقة يرد أحمد ...

يمكنكم بكل سهولة خداع الناس بمشاهد مصطنعة وما عليكم هو وضع عنوان مثير فقط بالإضافة لشرح بسيط يبعد الناس عن الحقيقة والنظر لتلك المشاهد بنظرية مختلفة.. تلك التي تريدها..

ووصلت شيرين سخريتها من أحمد وقامت بالتصفيق هذه المرة مع أبتسامة ساخرة ..

يبدو أنك بارعاً حقاً.. لقد أخبرت مشاهدينا بكيفية صناعة مشاهد قتال عمر في صفوف داعش..!، دعني أشرح هذا بالتفصيل.. لقد أستأجرنا عمر وجعلناه يرتدي ملابس داعشية وأمسك بسلاح مزيف وصنعنا ديكوراً خاصاً وجعلناه يمثل مشاهد قتالية ثم قمنا بأخرج الفيلم وعرضناه على المشاهدين كي نجعلهم يصدقون بأن عمر أرهابياً لكي تزداد هذه القناة شهرة، هنيئاً لك سيدتي لقد كشفت خدعتنا وأقعدت الناس كلها بأننا كاذبون..

استمر بعدها الصمت للحظات ثم أكملت ..

الحقيقة قاسية جداً سيدتي..، وأنت كذلك تواجه صعوبة الاعتراف بذلك.. ليس هيناً أبداً أن تعترف حتى بينك وبين نفسك بأن صديفك قد أصبح أرهابياً..

استمر أيضاً الصمت للحظات كانت تنتظر فيها شيرين ردًا من أحمد ولكنها قد سمعت بأن الخط قد انقطع، ابتسمت ثم وجهت كلامها للجمهور ..

حسناً ياسادة.. أنتهت مداخلتنا مع زوجة وصديق عمر وأظن أن جميعكم قد عرف حقاً من الذي يخدعكم.. عمر وأمثاله أم نحن..!، لكنني ألتمس لهم العذر كذلك.. فماذا بأمكانهم أن يفعلوا بعدهما خذلهم عمر؟!، والآن نترككم مع فاصل قصير ثم نعود بعدها لتكملة آخر فقرة في برنامجنا الليلة ..

كان نحيب آسية وبكاؤها يزدادان، وحاولت صديقتها أمانى أحتواها وضمها والأربات عليها لتهدىتها، أما أحمد الذي فقد كثيراً من شخصيته المرحة منذ ما حدث لصديقه كان يقف أمام التلفاز عاجزاً عن تكميلة رده على هذه المذيعة .. كان شاحب الوجه يريد نصر الله المؤكد.. يشق في الله أنه سينصر صديقه ولو بعد حين، كان يهم بمغادرة الغرفة ولكنه فجأة توقف عندما لاحظ ما يعرض في التلفاز.. مستحيلاً! .. كيف لهذا أن يحدث !!!؟، لاحظته أمانى عندما توقف محدقاً بالتلفاز ونظرت هي الأخرى بالتلفاز لترى ما أثار انتباهه حقاً..، أتسعت عيناهما ذهولاً هي ووالدة عمر مما يروه.. أما آسية فرفعت رأسها عندما توقفت أمانى عن الأربات عليها لتهدىتها وكذلك لتعرف سبب الصمت الذي خيم على المكان فجأة وأصوات تلك الهمميات التي تبعثر من التلفاز.. لاحظت صدمتهم جميعاً فنظرت هي الأخرى ناحية التلفاز ليتوقف قلبها للحظات فارغة فاها وتوقف تنفسها أيضاً من الصدمة.. أتسعت عيناهما ذهولاً وكادا يخرجان من محجريهما..!

أنه عمر !!!، عمر يقوم بعملية ذبح أخرى !!

قبل يومين ...

لم يكن يتخيل يوماً بأنه قد يُقدم على هدم حضارةً ما وبأسم الإسلام.. كان مقتنياً بأن الإسلام لم ينتشر يوماً بقوة السيف وهدم الحضارات كما يدعى الكثيرون.. مثل عثمان، لكنه الآن غير ذلك.. حتى ولو كان غير راضياً عما يفعله فهو لم يعد كما كان سابقاً، فكر في أنه لو لم يكن مسلماً ذات يوم هل كان ليفكر في اعتناق الإسلام يوماً ما لا سيما بعد ما يرى ما يفعله هو الآن ؟!

بعد أيام من خضوعه لتهديد عثمان والقبول بالانضمام رسميًا للتنظيم كلف بالخروج في أول مهمة له.. تدمير تلك الأصنام المتواجدة في متاحف الموصل.. كان يشعر بالذنب حينما كان يمسك بمطرقة عملاقة ليكسر بها تلك التماثيل الضخمة لأعظم حضارتين في العراق.. الأشورية والكلدانية.. أما الصغيرة منها فكان يضعها في حقيبته ليحملها للتنظيم هناك حسب ما كلف به، لم يكن ليفهم حاجة التنظيم لمثل هذه الآثار ؟!، ولماذا تُدمر الكبيرة فقط ويتم مصادرة وسرقة الصغيرة منها ؟!

رجع بذاكرته للوراء قليلاً ..

" - ... ظنت حينها أنه قد نفذ تهديده وطردهم من البيت، لكن المفاجأة هي أنه لم يفعل .. !، ومنذ ذلك اليوم تحديداً لم يره أحد، ومع مرور الأيام عرفت لماذا لم أعترف أنا يوماً ما بأبي جماعة إسلامية..

هز الرجل رأسه محذراً عمر ..

أحد يا عمر في كلامك..، ليس هناك ما يسمى بـ " جماعة إسلامية "، وأذا أردت تسميتهم فالأصح هو " جماعة متأسلمة "

أراح عمر ظهره للوراء غير مبالياً بما قاله الرجل العراقي ..

لم أتمكن يوماً من معرفة ما تفعله هذه الجماعات زيادة عنا كمسلمين ..!، نصلي كما يصلون، ونصوم كذلك..  
نحو ونزكي كلما أستطعنا ذلك، هم مسلمون ونحن كذلك أيضاً ..

قاطعه الرجل ..

تقصد متأسلمون يا عمر وليس مسلمون ..

قطب عمر حاجبيه في عدم فهمه، منذ قليل كان يتكلم عن الاحتلال الأميركي للعراق ثم قاده الحديث معه بقصة اختفاء أخيه فجأة إلى ما حدث ..،وها هو ذا يتكلم عن هذه الجماعات، في الحقيقة كان عمر يريد الاستماع لرأي رجل عسكري بشأن تلك الجماعات، أكمل الرجل كلامه ..

هناك فرق بين ثلاثة مصطلحات هامة " مسلم، متأسلم، إسلامي " .. أما المسلم فهو من كان دينه الإسلام وخلقه الإسلام وسار على منهاج الله وأتبع سُنة الرسول سلام الله وصلاته عليه..، الإسلامي هو ليس بالضرورة أن يكون دينه الإسلام ولكن خلقه الإسلام وأحياناً نجده يسير على منهاج الله وسَّنة رسولنا أفضل من المسلم..، أما المتأسلم فهو غالباً ما يكون مسلماً لكنه وبكل أسف يستخدم الدين والاسلام للمصالح الشخصية والخاصة..  
لذلك هي ليست جماعات إسلامية ولكنها متأسلمة ..

بدا على عمر أنه مقتنياً بكلام الرجل، لكن ثمة شيء لا يفهمه ..

الغريب في الأمر أنني لم أسمع في ديننا أن هناك جماعات تكونت لنصرة الدين.. لم أسمع يوماً بأن الرسول صل الله عليه وسلم كُون جماعة !، الصحابة لم يفعلوا ذلك من بعده، وكذلك التابعين وأتباع التابعين.. حتى أئمة وشيوخ وعلماء المسلمين لم ينضموا لجماعات، أذن على أي أساس تكونت هذه الجماعات ؟! وكيف تكونت ؟!

أعتدل الرجل في جلسته وأقترب منه ..

هذا لأنهم كانوا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لن يحاسبنا كجماعات بل كلهم آتىه يوم القيمة فرداً..، ولعلك تلاحظ أن السلف الصالح كانوا يتنافسون فيما بينهم في عمل الخيرات واجتناب الذنوب والمعاصي وغضب الله

..

سكت للحظة ثم أكمل كلامه..

هناك الكثير من الأسئلة التي تدور في عقل من يتدارس الأمر جيداً.. كيف تكونت هذه الجماعات ومتى؟ وعلى أي أساس تكونت؟ ومن سمح بتكوينها؟...، ألم تدعى دولٌ ما بأنها قد وصلت من العلم أقصاه؟! ألم تدعى هذه الدول بأمتلاكها لأقوى أجهزة مخابرات؟! ..

في الحقيقة هذا ليس أدعاء، هذه حقيقة وهذه الحقيقة ذاتها هي من تفسر أجابات تلك الأسئلة..

تساءل عمر في عدم فهم ..

أتفقصد بأن هذه الدول الغربية هي من قامت بتكوين تلك الجماعات؟!..، صحيح أنني ضد هذه الجماعات لكن من الغير منطقي أن تكون هذه الدول من كونت هذه الجماعات لا سميًا ماتفعله تلك الجماعات فيها من هجمات إرهابية وعمليات انتشارية في تلك الدول ..!

ابتسم الرجل ثم أجابه ..

لا بأس بخسارة جولة مقابل الانتصار في نهاية المعركة..

أعتدل في جلسته ثم أكمل..

بعد الحروب العالمية التي حدثت في القرن الماضي والتي خلفت ورائها مليارات القتلى حول العالم أصبح التاريخ يُدين العرب بشدة بسبب سفك كل هذه الدماء، وكان ردّهم هو الأدّعاء بأن الإسلام جاء بقوة السف والحروب والحملات الاحتلالية على الدول وأرغامهم على الدخول في الإسلام أو دفع الجزية..، ولأن التاريخ كان شاهدًا ومنصّفاً فقد وقف بجانبنا نحن المسلمين وأستطيعنا أن نكذّبهم بأنها كانت مجرد فتوحات لنشر الدين وتخليص هذه الدول من ظلم الأمبراطوريات مثل الفرس والروم والحملات الصليبية والمغول وغيرهم عبر التاريخ.. تلك الأمبراطوريات نفسها كانت قد أحتلت تلك البلاد التي فتحتها المسلمين..

فكروا خارج الصندوق.. فكرروا كيف تم الأستفادة من تلك الخسارة وأثبات أدعائاتهم وجعل التاريخ يقف بجانبهم..، تكوين جماعات تتكلّم باسم الدين وتقتل باسم الدين وتقوم بكل شئ باسم الدين.. القاعدة، طالبان، الأخوان، السلفيين، داعش..، هذا غير الجماعات والجهات الصغيرة والغير معروفة، منهم ما أنشأته المخابرات الغربية فعلاً ومنهم ما تم إنشاؤه لغرض معين فقط، تم السيطرة على هذه الجماعات وما يخرج عن سيطرتهم فهي في النهاية خسارة بسيطة لا تذكر أمام تلك المكاسب الكبيرة وبعدها يتم القضاء على تلك الجماعة التي خالفت أوامرهم.. لقد نجحوا فعلاً في أقناع التاريخ بأداتنا كذلك.. كتب التاريخ وبالفعل تم ذكرنا في الخانة السوداء.. لقد سُفكَت دماءنا عبر ثورات وهمية .. "الربيع العربي" .. وهذا هي النتيجة.. لقد أصبحت شعوبنا العربية عبارة عن بحوراً من الدم.. ونحن الآن نعيش أبهى وأقوى عصورنا .. ( قالها بسخرية ) .. هنا لم تعد هناك حياة أبداً ..

سكت قليلاً ثم بدا يفكر بصوتٍ عالي ..

"لذلك دائمًا ما يراودني سؤال أعرف أجابتة جيداً.. ماذا قدمت تلك الجماعات للإسلام؟!"

قطع تفكيره توقف العربية، كان قد أنهى ما يفعله من تكسير التماثيل وجاءت العربية لتشقّلهم لمكانهم، ترجل من العربية وسلم حقبيته وعلى الفور أتجه ناحية العنبر الذي ينام فيه.. ظل يسير في ذلك الفناء الواسع دون أن يكلم أحد.. من بساحة التدريب فجذب انتباهه الحركات القتالية التي يتعلمونها هؤلاء الرجال.. سار لمسافة أخرى في طريق عودته لمكانه لكنه تفاجأ حين رأى عشرات الأطفال يخرجون من مبني ما يتقدمهم قيادي آخر.. أصطف الأطفال في صفوف منتظمة وكأنهم مدربون على ذلك منذ فترة وبصوتٍ عالٍ كانوا يرددون "الله أكبر" .. تعجب عمر من حماس هؤلاء الأطفال ولكنهم ماذا يفعلون هنا؟!، أشار القائد بيده ليتوقفوا عن الترديد ليلقي عليهم خطاباً ما ..

أحسنتم يا شباب.. بارك الله فيكم.. لابد وأن حبيبتنا محمدًا ...

بصوتٍ عالٍ ردّ الأطفال..

صل الله عليه وسلم ...

أكمل الرجل خطابه..

لابد وأن حبيبنا محمداً صلوات الله عليه فرحة بما يراه الآن من مكانه الرفيع.. يرى شباباً في مقتبل عمرهم يقاتلون في سبيل نصرة ديننا.. مذكراً أيانا بصحابي جليل وهو أسامة بن زيد.. ذلك الصحابي الشاب الذي خرج على رأس جيش كامل وهو لم يتعدى التاسعة عشرة من عمره وكانوا جميعهم بما فيهم صحابة رسول الله يمثلون لأوامره.. لذاأتوقع لكم مستقبلاً باهر هنا معنا وستكونون قواد هذه الأمة بعدها.. سوف يخلد التاريخ أسمائكم، أما الآن فهيا بنا لنتعلم شيئاً جديداً ..

شهق عمر وأتسعت عيناه ذرعاً عندما رأى هذا الرجل قد أخرج سكيناً متمنياً أن لا يحدث ما يفكر فيه ..

أحد أساليب قتالنا مع العدو هو الذبح، سنتعلم اليوم طريقة ذبح الرهائن لدينا، لكننا اليوم سنجرب هذا على هذه الشاة ..

لكن ما قطع ذهوله هذا.. هذا الصوت الذي ظهر عبر مكبرات الصوت في ذلك الفناء..  
نداء عاجل.. على الجميع التوجه إلى الساحة الرابعة.. أكرر.. على الجميع التوجه للساحة الرابعة للأهمية القصوى..

كان مازال مشدوهاً لم يتخيل أنه سيرى ما رأى.. فجأة وجد من يدفعه بقوة في كتفه..

ألم تسمع النداء؟!.. هيا تحرك..

تحرك عمر مرغماً وسار باتجاه ما يسير نحوه هؤلاء الشباب للساحة الرابعة.. وبعد أن وصل الجميع رأى عمر بعيداً على مرمى بصره قفص حديدي كبير ويوجد بداخله شخص يرتدي لباساً برتقاليّاً يبدو مستسلماً خافضاً رأسه وكأنه يشعر بالعار، قطب عمر حاجبيه.. يبدو أنه سيتم تنفيذ حكم الأعدام لأحد هم.. فجأة وجد هذا الرجل المدعو عثمان بكير يقف بجانب هذا القفص مخاطباً الجميع..

السلام عليكم يا عباد الله المؤمنين..

رد الجميع السلام، ثم أكمل عثمان كلامه..

نعلم جميعاً بأن هناك تحالفًا دوليًّا يحاربنا وللأسف الشديد تتوارد عدة دول عربية في هذا التحالف الكافر..  
عدونا ليس الكافرين فقط.. بل يوجد عدواً آخر داخليًّا ولا بد أن نقاتلهم أولًا..، هذا الأحمق..

قالها مشيرًا لذلك الأسير الذي في القفص والذي يبدو نادمًا أو مستسللًا لمصيره ..

من جيش العدو..، الأمس أستطعنا أسقاط طائرة أردنية مشاركة في هذا التحالف ضدنا ولا بد وأن نجعل هذه الدول تستفيق وتعلم إلى أي طرف من المفترض لها أن تقاتل بجانبها.. تحارب بجانب الإسلام والمسلمين أم مع العدو الكافر..

صاح الجميع غاضبًا وجميعهم رشقوا هذا الطيار الأردني بالحجارة ألى أن رفع عثمان يده وأشار لهم بالتوقف، ثم أكمل كلامه..

عقابه اليوم سيكون مختلفًا نوعًا ما..

أنتبه عمر فجأة للرجل الذي يقوم بتصوير هذا الحدث موجهاً الكاميرا ناحية هذا الأسير الأردني، وللحظة أدرك عمر أنه لم يلاحظ أن هذا الأسير مبلل وكذلك الأرض من تحته ولكن عندما لاحظ وجود ثلاثة رجال بجانب هذا القفص ممسكين بمشعلات نارية أدرك بأن هذا الأسير ليس مبللًا بالماء.. و أنها بالبنزين..!، هز عثمان رأسه عالمة على بدء تنفيذ حكم الأعدام.. رمى هؤلاء الرجال النيران داخل القفص وسرعان ما أمسكت النيران في هذا الأسير، تعجب عمر في البداية من كون هذا الأسير واقفًا بهدوء غير مبالياً بالنيران التي أمسكت فيه حقًا.. ألم يشعر بألم؟!، لكن سرعان ما بدأت تظهر علامات الألم عليه وبدأ في الصراخ والجري داخل القفص طالباً النجدة وممسكاً بقضبان هذا القفص وكلما فعل هذا تزداد النيران أشتعالاً في جسده.. كان ينير المكان أكثر رغم أن الوقت كان نهاراً.. ظل هكذا ألى أن سقط ميتاً متفحماً ومتخشبًا، هذا المشهد الذي جعل عمر يتقيء ..

من بعيد كان يراقبه ذلك الشاب في كل حركة وخطوة يخطوها مُكلِّفاً بذلك من عثمان.. أتجه ناحية عثمان وهمس له في أذنه ثم أنحني له وغادر، أسرع عثمان ناحية عمر وهو عائداً للعنبر ثم ناداه ..

عمر..

توقف عمر مقطعاً حاجبيه ناظراً لأسفل.. لا يطيق النظر لهذا الرجل اللعين، أربت الرجل بيده على كتف عمر مبتسمًا أبتسامة عرفها عمر أنها مأكورة..

لقد أحستت في مهمتك الأولى ياعمر، لكن لا تظن أن كل المهام ستكون هكذا بهذه السهولة..، الليلة سترى مهمتك القادمة ليوم غد.. أستعد !

تركه عمر بصمت أيضاً قلقاً حيال ما يحدث معه أو ما سيحدث غداً.. تُرى ما هي المهمة التي سينفذها غداً؟!

تناقلت وسائل الأعلام الاردنية والعالمية مشاهد أعدام الطيار معاذ الكساسبة التي عرضها تنظيم داعش.. والامم المتحدة كان دورها هو الأدانة فقط..

كان مختبئاً في إحدى مباني هذه المدينة حاملاً سلاحه وذخيرته كما هي لم يطلق رصاصة واحدة منذ بدء المهمة الثانية له، معركة الحفاظ على الأرض كما يسميها تنظيم داعش أو كما يسميها الطرف الآخر " معركة تحرير الموصل " .. بالطبع هي معركة لتحرير الموصل من تنظيم داعش ..، راح يفكر بمنطق بعيداً عن أنه قد أُرغم على خوض هذه المعركة، هل ما يفعله الآن صواب أم خطأ؟!.. بمعنى هل يتوجب عليه كمسلم أنه يقاتل الجيش العراقي ذو الغالبية الشيعية بصرف النظر أنه يقاتل في صفوف داعش؟!، لكن سرعان ما أزاح هذه الفكرة عن رأسه .. كان يكره تلك المعارك الطائفية على أية حال، لكن بالطبع هذا أفضل من تلك المهمة التي تم تكليفه بها لولا تدخل مُصعب، حينها قد حُفِق قلبه وكاد يقع عندما علم بتلك المهمة المستحيلة على عقله تقبلها ..

راح يفكر في الذي حدث أمس ..

مرحباً يا عمر، أجلس ..

أشار له عثمان بالجلوس على الكرسي أمامه ثم نظر إليه طويلاً حيث بدا على عمر القلق، اعتدل عثمان في جلساته ثم راح يقترب عليه ..

يبدو عليك الأرهاق ..، لم تتم منذ البارحة، أليس كذلك؟!

رد عمر بجفاء ..

كيف أنام وأنا لا أعرف مكان ماريان؟!

ابتسم عثمان بسخرية ..

تهتم لأمر ماريان كثيراً ! .. يالعجب، لكن يا عمر عليك أن تعرف أننا مسلمون وليس يهود كي ننقض عهودنا، وعدناك بأنها ستكون بخير طالما لا تعصي أوامرنا، وحتى لو أقدمنا على مخالفتنا لن نقوم نحن بذلك.. بل أنت يا عمر في الوقت الذي ستفك فيه بعصيانتنا.

قطب عمر حاجييه في غضب لكنه فضل كتمان غضبه لانه لا حول له ولا قوة..، أستطرد عثمان كلامه..

يا عمر.. عادة أنا لا أتكلم بلطف هكذا مع الجميع، حتى هذا المكتب لا يدخله الكثيرون.. المميزون فقط هم من يسمح لهم بالدخول هنا وبناءً على طلبي أنا فقط..، عادة ما أصدر أوامرني ويتم أرسالها للمجاهدين وتنفيذها دون نقاش أو جدل، لكن أنت حالة خاصة بالنسبة لي يا عمر..، أنا اعتبرك أخاً لي.. صحيح أني كنت أكره أخاك عندما كان هنا في التنظيم ولكنه رحل الآن ويفضلك أنت رجعت لمكاني هنا، لذلك أنا مدين لك يا عمر بالكثير وسأعمل جاهداً لأرد لك هذا الدين ..

نظر إليه عمر بقلق وتوتر شديدين، لا يثق كثيراً في هذا الرجل..، أرتسمت أبتسامة أخرى على وجه عثمان ولكنها تبدو ككل مرة مأكراً ..

ستعود لمصر يا عمر..، ما رأيك ؟

صُعق عمر لما سمعه الآن.. بهذه السهولة؟!، لكنه فجأة تذكر شيئاً ..

و ماريان.. هل ستعود معي؟!

هنا ضحك عثمان بصوت عالي لدرجة أنه سُعل من كثرة الضحك..

و هل ستظن أنك سوف تذهب لهناك في نزهة أم أنه قد تم أغفاروك؟!

شحب وجهه فجأة، ولم يفهم في البداية قصد هذا الرجل لكنه فجأة ذُعر عندما فكر بأنه ..

ستقوم بتنفيذ مهمّة هناك يا عمر..

أنتفصم عمر من مكانه ضارباً بيده على المكتب في غضب شديد ..

لا تظن يا هذا بأنني سأقوم بتفجير نفسي أو أقتل جنود لا ذنب لها..، أنت تحلم، وأن كنت تظن أنك سوف تهددني بأنك ستتجبرني على قتل ماريان فأناك مخطئ.. لن أقوم بهذا ولا ذاك ولنفعل ما تشاء بي..

بهدوء أعصاب ابتسم عثمان ثم سأله ..

و من قال لك بأنك ستقوم بعملية أنتحرارية أو ستقتل جنود بلدك !؟

نظر إليه عمر نظرة فهمها عثمان جيداً.. نظرة تسؤال عن ماهية العملية التالية بالضبط، أكمل عثمان كلامه ..

دعني أشرح لك ..، هناك دول ما زالت قوية ولن نستطيع دخولها الآن ومنها مصر، لكننا نستطيع اختراقها الآن

...

توقف عن كلامه للحظات ثم أستطرد ..

نحن دولة الخلافة يا عمر ولا بد من أخضاع أي جماعة أو جبهة إسلامية تحت أوامرنا لذلك قد خضعت لنا  
جماعة أنصار بيت المقدس وجبهات النصرة وغيرها التي تقطن في سيناء وجميعهم يمثلون لأوامراًنا وجميع  
مهماتهم تنساب ألينا ..

ورجوعاً لموضوعنا ستقوم أنت بتنفيذ عدة مهام بسيطة في مصر ثم سيتم تنصيبك أميراً على أحدى جماعاتنا  
هناك ..

لم يدي عمر أي ردة فعل لشدة صدمته..، كيف يفكر هذا الرجل ؟!، لماذا دائماً يعتقد بأنه أريد الوصول  
لمكانة رفيعة هنا ؟! لماذا يتصرف هكذا وكأنه يتفضل عليّ بهذا ؟!، مجدداً قطع عثمان تفكيره..

لا تفكر بطريقة للهروب وأنت في مصر وأعتقد أنك ليس بهذه السذاجة لتفكير في هذا، وأخيراً عليك أن تعلم أنه  
لدينا طرقاً عديدة لجعلك تذبح ماريان بنفسك ...

التفت عمر وخرج من مكتب هذا الرجل ضعيفاً ومنكسراً و悽ئاً، لم يعهد بنفسه كل هذا الضعف من قبل، بدا له  
الجميع يتحكمون في مسار حياته الآن..

عاد لواقعه مرة أخرى.. كان يقف مذعوراً مستنداً على أحدى مبانٍ في أحدى ساحات دولة داعش، راح يفكر  
في الانتحار فعلياً.. تبدو فكرة جيدة، فهذا الوضع يبدو أن لا نهاية له، الوضع هنا ليس بسبب الانضمام لداعش

فحسب.. وإنما هو أبعد من ذلك بكثير.. تنفيذ مهمة أرهابية في مصر.. أثارت هذه الفكرة خيانة، بزرت في ذهنه فكرة أخرى.. راح يفكر في طريقة للهروب من هنا وهذا يبدو مستحيلاً وحتى لو تمكّن من فعل ذلك فإنه من المستحيل له الهروب دون ماريان وإلا لم يكن ليُنضم إليهم منذ البداية لو لم يفهم أمرها !، لكن المشكلة هنا أنه لا يعلم مكانها أو مصيرها حتى الآن ..، عاد ليفكر من جديد في الانتحار.. يبدو هو الخيار الأمثل أمامه الآن ليتخلص من هذا الوضع البائس الذي لا نهاية له، لكنه بذلك سيموت كافراً.. أرهقه التفكير، جلس مكانه وفكرة.. الموت واحد وتعددت الأسباب.. لماذا يفكر في الانتحار في الوقت الذي يستطيع فيه رفض تنفيذ تلك العملية الإرهابية في مصر وبعدها يرفض ذبح ماريان على أية حال !!.. في النهاية سيضطر عثمان لقتل كلاهما وبالتالي أما سيموت شهيداً أو على الأقل مقنولاً المهم أنه بعيداً عن الانتحار، بدت له فكرة الموت عموماً فكرة رائعة.. سيرتاح من هذا العبث الذي يملئ العالم بأكمله ..

ما جذب انتباذه هو قدوم مصعب الجوهرى نحوه..، وقف مصعب أمامه ليسأله..

بماذا كلفك القائد عثمان؟!

تفاجأ عمر للحظة لعدم معرفة مساعدته الأول تفاصيل المهمة القادمة، وكأنه كان ينتظر لحظة كهذه ليعلن فيها عن تمرده وعصيائه لهم ..

لا.. لا أعلم ولكنه أخبرني فقط أن العملية القادمة ستكون في مصر أما تفاصيل تلك العملية لن أعرفها إلا في الوقت المناسب ..

ثم علا صوته فجأة محذراً أياه ..

ولكنني لن أفعل هذا سواء ..

بدأ على مصعب أنه شارد الذهن، قاطعه مصعب ..

لا تعرف أية تفاصيل عن تلك العملية؟!

قطب عمر حاجييه وزفر ..

لا.. لم يخبرني بشئ سوى أن العملية القادمة ستكون في مصر، وسواء أخبرني أم لا لن أقوم بتلك العملية أطلاقاً حتى وأن هددتني بقتلي أو بقتل ماريان.. بأختصار لن أقوم بتنفيذ هذه العملية ولن أقتل ماريان !!

للحظة أدرك عمر أن مصعب شارد الذهن ولا يستمع لكلامه.. يفكر في شئ ما، كان ينظر بعيداً في الناحية الشرقية من الساحة حيث التجمع الكبير من مقاتلي داعش، فجأة نظر إليه مصعب وكأنه أنتبه للتو من كلام عمر حول عدم تنفيذه للعملية القادمة بمصر، وبلهجة آمرة ..

أسرع لهناك وأنضم لهؤلاء المجاهدين للإعداد للمعركة ضد الجيش العراقي غداً ..

و قف عمر فجأة ليتدارك ما ي قوله هذا الرجل، بدا مرتبكاً ..

ولكن عثمان ..

قاطعه مصعب في غضب ..

ولكنني أنا من يأمرك الآن بالانضمام لهؤلاء الرجال للإعداد للمعركة وليس القائد عثمان، أم أنك ترغب في تنفيذ المهمة التي أنسنت إليك في مصر ؟!

تورد وجه عمر فجأة وكأن فرج الله قد أنزل عليه، بدت له فرصة جيدة للهروب من تنفيذ العملية في مصر، هز عمر رأسه نافياً أصراره على تنفيذ المهمة التي كلفه بها عثمان، وبلهجة آمرة ..

حسناً.. هيَا تحرك وأستعد لمعركة الغد ..

شكراً لك ..

رد عليه مصعب متهدكم ..

لا تظن أني أصنع لك معروفاً، فعلت هذا فقط لأنك غير مؤهل لتنفيذ عمليات في بلد مثل مصر..

كان كلامها يهمن بالغادرة في أتجاه معاكس لبعضهما ولكن عمر تذكر شيئاً مهماً ورجع ليستوقفه ..

من فضلك.. أين هي ماريانت؟!

نظر إليه مصعب نظرة طويلة لم يفهمها عمر ..!، التفت وغادر دون أن يخبره بشئ، فكر عمر في أنه يسرع في استغلال هذه الفرصة وينضم لهؤلاء الرجال قبل أن يرجع مصعب في كلامه، ففرصة القتال في هذه المعركة قد تكون هي الأفضل له ..

فكرة أنه ربما يموت في معركة بهذه أفضل بكثير من الانتحار أو تنفيذ مهمة إرهابية في مصر.. فكر قليلاً..  
كيف يموت بذكاء في معركة بهذه، فلو عمد على أنه يقتل في المعركة فكانه قد قرر الانتحار ولكن بطريقة أخرى  
أكثر ذكاء، في الواقع هذا ما كان يريد فعلاً.. الموت بذكاء، زفر قليلاً إلى أن وصل لهؤلاء الرجال الذين  
يسعدون لمعركة الغد ..

\*\*\*\*\*

دخل مصعب مكتب القائد عثمان ..

السلام عليكم سيدى ..

و عليكم السلام.. هل من جديد؟

لا شيء جديد.. لكنني جعلته ينضم للمجاهدين في معركة الغد ضد الجيش العراقي ..

ظهر الغضب فجأة على وجه عثمان وأنفجر في وجهه ..

هل جنت؟!، من أعطاك أنت الأمر بهذا؟

لم يفزع مصعب وتكلم بهدوء ..

أهداً سيدى.. فلنناقش الأمر بهدوء..

صاحب به غاضبًا..

يبدو أنك نسيت مكانك هنا يا مُصعب، عمر سينفذ عملية مهمة الأيام القادمة.. أرجعه فوراً ..

رد عليه بهدوء أعصاب ..

في مصر.. أليس كذلك ؟

تفاجأ عثمان من معرفة مُصعب بالأمر..

هل علمت بالأمر.. ؟!

سمعت بهذا من عمر وليس منك سيدتي !!، أهذا له علاقة بفشل عملياتنا الأخيرة في مصر ؟!، هل تشك بي سيدتي ؟!

رد عثمان وكأنه يهرب من الأجابة ..

كت سأخبرك بهذا ولكن في الوقت المناسب..

أومأ مُصعب برأسه وقد بدا عليه الضيق..

حسنًا سيدتي ولكن أن كان عليك أن تشك بأحدهم فعليك أن تفكّر بمنطق منذ متى وعملياتنا تفشل سيدتي..

قطب عثمان حاجبيه.. يريد التوضيح، استطرد مُصعب شرحه..

كانت نسبة فشل العمليات التي تقوم بتنفيذها في سيناء لا تتعدى العشرون بالمئة ولكن مع قدوم عمر أصبحت جميع عملياتنا تقريباً في مصر فاشلة ومكشوفة..

وكان الأمور بدأت تتضح له ..

ماذا تريده أن تقول ؟!، أيعقل أن يكون عمر مجرد فخ وقوعنا فيه ؟!

قام مُصعب من مكانه ليشرح الأمر كاملاً ..

و هل لديك تفسير آخر سيدتي ؟!.. ينفصل عمر من كتيبة في الجيش المصري ثم يقتل عضواً بارزاً في جماعتنا بغض النظر عن أنه أخوه..، ربما وجد هذا صعباً في البداية لكن أبو عمار في النهاية داعشياً بارزاً، ثم وبطريقة ما يذهب عمر للمكان ذاته الذي كنا ستنفذ فيها عملية قتل الشيعة في ذلك المقهي.. كانوا يعرفون أننا سنقوم بتجنيده في التنظيم..

لكنه كان سيقتل مرتين.. مرة عندما دُفن حياً ومرة في هذا المقهي ؟

بذا على مُصعب أنه يجاري فعلًا ..

و هذا بالضبط ما يؤكّد كلامي سيدتي..، ألم تجد أنه من الغريب يتم إنقاذه بعد أن دُفن حياً؟! وكذلك تم قتل كل من في المقهي عداه هو وتلك الفتاة؟!، أتظن أنه لو أنضم إلينا بطريقة أخرى هل كنت ستصدق أنتماؤه لنا؟؟.. بالطبع لا وهكذا كانت خطتهم منذ البداية، أن تكون طريقة انضمامه لنا بطريقة بعيدة عن أثارة شكوكنا حوله ..

بذا كلام مُصعب مقنعاً له أكثر من أي وقت مضى، فكر بصوت عالي ..

لذلك عمر يحاول الهروب من تنفيذ عمليات في مصر ..!، لكن هذا سيكون دافعاً بالنسبة لنا أن نجره على تنفيذ ما نطلب منه.. لا يمكن لأحد خداعنا بهذه الطريقة ..

بالطبع سيدني يمكنك فعل هذا ولكنك حينها قد تكون أختارت الطريقة الخطأ، ستفشل هذه المهمة أيضاً.. لكن دعني أوضح لك شيئاً آخر سيدتي..، حتى لو لم يكن عمر عنصر استخباراتي مصري فمن مصلحتنا أن يقاتل في معركة الغد.. عمر لديه مهارات قتالية عالية وسيكون أكثر أفاده لنا من أن يتم أجباره على تنفيذ عملية ما في دولة مثل مصر.. قد تفشل مهمتنا في مصر أيضاً بطريقة ما أن شارك هو فيها..

هز عثمان رأسه موافقاً أياه ..

لم يمكن عمر من اللحاق بالمحاصرة الأخيرة قبيل المعركة الخامسة خدأا..، كانت آخر كلمات الرجل الذي يخاطبهم.. " معًا أيها المجاهدون سوف ننتصر ونحافظ على أرضنا وأسترداد ما سلبوна أياه هؤلاء الكافرين.. ستكون الموصل هي بدايتنا الجديدة.. هيا يارجال.. هيا لنفوز بجنة عرضها السموات والأرض " قال الرجل الكلمات الأخيرة بصوت رنان أقشعر جسد عمر بسببها.. رد في نفسه.. هؤلاء الحمقى !! كيف جعلوه يتحمس لشيء كهذا ؟

\*\*\*\*\*

رجع لواقعه مرة أخرى..، ما قطع تفكيره أشتداد حدة المعركة بعدما بدأت فقط بمناوشات خفيفة، حتى الآن لم يستخدم سلاحه ولم يطلق رصاصةً واحدة.. كان يتمنى إنتهاء هذه المعركة دون اللجوء لقتل أحد، ففي النهاية هو يقاتل في صفوف جماعة أرهابية بغض النظر أنه يقاتل جيش ذوأغلبية شيعية.. لكن ما جذب انتباذه هو وجود مراسلين لقنوات عدة تغطي هذه المعركة، أقتنع بكلام الرجل العراقي حين قال له ... " بدون الأعلام لن تتوارد الحروب في شعوبنا.. الأعلام هو السلاح الذي تستخدمنه الدول لتجاريدها به " ..

صُعق عندما رأى فتاة صغيرة تحتمي خلف سيارة ما من وابل الرصاص المترافق فوق رأسها وعلى الفور فكر في استخدام سلاحه ليحمي نفسه على الأقل حتى ينقذ هذه الفتاة الصغيرة..، عبر للجهة الأخرى من الشارع مستخدماً سلاحه ليحمي نفسه وما أن وصل إليها حتى جعلها تحتمي به ورغم صوت الرصاص المترافق فوقهم والمصمم للآذان إلا إنه سمع صرخ سيدة يبدو أنها والدة هذه الفتاة وكانت مذعورة.. لا يعرف إن كانت مذعورة من هذا الرصاص المترافق فوق رأس ابنتها خوفاً من أن تصيبها رصاصة أم لأن ابنتها أصبحت في حماية داعشي.. ربما يستخدمها لاحقاً ويضمها للتنظيم !!

أشار إليها عمر بالبقاء في مكانها ريشما ينقذها.. كانت هي الأخرى تحتمي داخل مبني في آخر الشارع، جعل الصغيرة تمسك بقمصه من الخلف ولا تفلته لأنه سينتقل للجهة الأخرى من الشارع حيث تتوارد والدتها في المبني، وهكذا فعلت الفتاة بالضبط ولكن لسوء الحظ اخترقت رصاصة كتفه الأيسر وسقط أرضاً وضغط على

رأس الفتاة كي تنبطح أرضًا لكنه سرعان ما قام وحمل الفتاة على ذراعه الأيمن ووصل الجهة الأخرى في أقل من ثانية، أحضرت الأم فناتها التي ما أن افلتها لتشكر عمر المستند على العائط مصاباً ..

أشار لها عمر بالصعود إلى الأعلى لكي تحتمي في المبني هي وطفلتها لأن المعركة على أشدّها، فعلت ما أمرها به وما هي إلا لحظات حتى وجد أن المبني قد أهتز فجأة جراء قصفٍ عنيف.. صُعق عندما فكر بأنه قد تم أذيهن، تحامل على يده اليمنى وصعد السلم بسرعة للأعلى ولكنَّه كان يرى خطأً في كل طابق، واصل الصعود إلى أن وجد نفسه فجأة في سطح هذا المبني ولا أثر للفتاة ووالدتها هنا.. نزل مرة أخرى ليتحقق كل طابق لهم يحتمون بجانب أحد الحوائط أو ...

عندما وصل للطابق الثاني وجد يد صغيرة تخرج من تحت الأنقاض.. دُعِر عندما فكر بالأمر، توجه ناحية هذه الأنقاض ليزيحها متأنِّماً بسبب الجرح الذي في كتفه غير مصدقاً لما رأى.. الفتاة ووالدتها تحت الأنقاض ميتتين.. !، أُزرفت دموعه في الحال وشعر بتأنيب ضميره لأنه هو من أمرهم بالصعود لأعلى.. وجههم ليلقوا حتفهم.. سلمهم للموت بيديه هاتين، تناهى جرحه وألمه وحمل سلاحه وراح بكل عزيمة وحماسة وعقل يريد التأثير ليشارك في المعركة.. الجيش العراقي أصبح عدوه هو الآن.. لقد قتلوا الطفلة ووالدتها ..

تعجب مجاهدي داعش من فرط المهارة التي يبديها عمر في القتال، لقد تحولت المعركة فجأة لصالحهم ليس لأن عمر قرر فجأة القتال.. لا لا كل ما في الأمر أن القوات العراقية لم يأتي لها الدعم حتى الآن من طائرات التحالف فأضطر الجيش العراقي للبدء في الانسحاب تدريجياً.. وبعد ساعات من المعركة المتواصلة أتضح جلياً أنصار تنظيم داعش في هذه الجولة..

كانت عناصر داعش منتشرة بأنتشارهم المبدئي.. جولة أولى قد حسموها، وفيما كانوا يهُمون بمعادرة المكان كان عمر جالساً حزيناً يكثي بحرقة ، أشار له أحدّهم بالاستعداد لمغادرة المكان وركب السيارة معهم..

وفيما كان أسطول داعش في طريق العودة محتفلاً بالنصر جذب انتباهه تجمع مجموعة من الناس حول شيء ما، في ثانية فقط مررت السيارة التي يركبها بهذا التجمع ولكنه لم يصدق ما رأه.. !، يبدو أن أحدّهم مُلقى على الأرض جريحاً أو مقتولاً، سمع صوتِ مأثور.. صوت يعرفه جيداً يصرخ ويندب حظه ..

لماذا أنا دائمًا ياربي ؟!.. لماذا أنا ما تفعل بي هذا دومًا؟!.. لمن دون الناس من تبتليني في أهلي؟!..  
أكفرت بك من قبل كي تفعل هذا بي؟! أجبني يا الله.. أجبني !

مستحيل .. أنه جمال الدين !، تلك الملقة على الأرض مقتولة هي تغريد ؟!

كان يصدق في أتجاههم رغم ابتعاد السيارة التي يركبها عنهم شارد الذهن.. توقف عقله بالكامل لا يصدق ما رأه، الصدمة أفقدته عقله تماماً.. لم يتتبه إلا عندما وصل مقر التنظيم.. نزل وتوجه ناحية العنبر كالعادة، مرت حياته كلها في ذهنه في لحظة، في لحظة تذكر والديه وكيف تركهما في حالتهمما الصحية السيئة وكيف حالهم بعدما شاهدوا الفيديو ؟!، تذكر مهمته في اليمن وأختطافهم للعراق.. تذكر أنفصاله عن اللواء صفوتو والتكتيبة، تذكر صدمته عندما واجه أخوه لأول مرة بعد اختفائه فجأة.. تذكر معروكلهما وتذكر قتيله لأخيه، تذكر آسية والحادثة التي تعرضت لها.. كيف حالها الآن ؟، تذكر صديقه أحمد.. هل مازال يدعمه حتى الآن ؟ هل يشق في صديقه أصلًا عندما حدث ؟، تذكر الرجل العراقي وأبنته وتذكر كيف كانت نهايتهم.. تذكر تلك المرأة وصغيرتها.. تذكر أنضممه لتنظيم أرهابي ..

من كان يتصور هذا أن يحدث ؟!، من كان يتخيل أن حياته ستكون هكذا ؟!، أين هي نقطة بداية كل هذه الأحداث ؟، بدا له وكأن الأمس فقط كان في مصر واليوم هو هنا.. هنا في داعش !!، جرت الأحداث بسرعة البرق !!، أيمكن أن يكون كل ما يحدث معه حتى الآن هو مجرد كابوس ؟!، هل سيستيقظ بعد قليل ليجد نفسه في البيت نائماً وأنه كان يحلم فقط بـكابوس مرعب ؟، وسواء أكان هذا كابوساً أو حقيقةً متى يتنهى ؟

فاض به الأمر ولا بد من أن ينهي هذا الكابوس بنفسه ..!، لن يتضرر مساعدة أحد في إنهاء هذا.. سيصل لمرحلة لن يستمر الكابوس بعدها.. سواء أكان هذا الكابوس هو كابوس حقيقي فعلًا أو ذلك الواقع الكارثي والكابوسي أيضًا..

أدخل يده تحت وسادته وأخرج سكيناً.. نظر إليها طويلاً.. هذه السكينة سوف تنهي كل شيء الآن !.. فكر في وضع حد لحياته !!

كانت جاثمةً أرضاً لا حول لها ولا قوة.. لم تعد تشعر بشيءٍ على الأطلاق..، منذ أن تم نقلها لهذا المكان ليلة أمس وهي جاثمة على جانبها الأيمن لا تقوى على الحركة، لم تأكل منذ أن تم اعتقالها من قبل هذا التنظيم..

سابقاً كانت تعجب حين ترى المراسلين الذين يتم اختطافهم من قبل تنظيم داعش كيف يكونوا مستسلمين هكذا عند ذبحهم.. علمت أن ليس هذا مثالياً منهم بأنهم فخورين بعملهم.. لا لا فالنفس البشرية على أية حال لديها غريزة حب القاء سواء كانت تزيد الحياة أم لا..، لقد تم حقنها بمخدر منذ قليل حتى لا تقاوم عملية الذبح بعد ساعات قليلة من الآن، وما أصعب أن يمر المرء بلحظاته الأخيرة..

كانت ماريان تسأله لماذا الله لم يعلمنا بميعاد موتنا، وياليتها لم تعلم..، الآن فقط علمت حكمة الرب من ذلك، خفق قلبها وذرفت دموعها.. في النهاية هي بشرية، بعد ساعات ستموت..

سمعت صرير الباب يفتح ببطء.. لم ترى سوى أقدام لشخصين يقفن على الباب.. هل حان الوقت؟!، لكنها كانت تعلم أنها في ساعات الفجر الآن ومن الطبيعي أن تتم عملية ذبح المراسلين نهاراً، كم تمنت لو تعيش فقط لحظات قليلة أخرى..

\*\*\*\*\*

ما يحدث معه ليس حقيقياً.. بالتأكيد ليس حقيقياً..! وما عرفه أيضاً ليس حقيقياً.. لابد وأنه يهلوس، شيء ما غير طبيعي يحدث هنا..!، ربما لو كان حلماً أو كابوساً لكن قد صدق ما يحدث فيه لكنه لم يصدق ما يحدث معه الآن، حتى عندما يحلم الإنسان بكابوس مزعج يدرك بأنه في كابوس وأنه في الأصل نائماً ويأمل بأن أحدهم يلاحظ معاناته في هذا الكابوس فيوقظه.. لكنه ليس هكذا الآن، لم يشعر أنه نائماً ويطلب النجدة..!

على كل حال ليس أمامه سوى أن يكمل ما قد كان ينوي فعله، فكر كثيراً ولم يجد سوى هذه الطريقة التي ينهي بها كل هذا العبث..، لقد كان في طريقه لمكتب عثمان، يريد مواجهته بخصوص ما عرفه منذ قليل، ماريان ليست

هنا !!.. أين ستكون أذن ؟، حتى مُصعب نفسه لم يعرف مكانها لأنه وبكل بساطة هو من أخبره أن ماريان ليست هنا في العراق !، حسناً.. إذن لابد من مواجهة عثمان.. المواجهة الأخيرة بينهم ..

كان الطريق حالياً أمامه، تعجب من ذلك.. ليس من المفترض أن يكون هكذا حتى لو كان الوقت متأخراً كالآن..  
لقد توقع بعض الصعوبة في مواجهته الأخيرة تلك به، على أية حال الطريق سالكاً أمامه ولن يتراجع عما سيفعله..

وصل لباب المكتب ووقف أمامه للحظات.. تردد في البداية لكنه شجع نفسه على مواصلة الأمر.. لقد حسم أمره الآن، فتح الباب ودخل بسرعة، وقف للحظات يحدق بعثمان المصどوم أو المفاجئ من دخول عمر هكذا..، كان يعمل على شيء في حاسوبه المحمول، حدق عثمان في غضب ودهشة في نفس الوقت، من ذا الذي يستطيع دخول مكتبه بهذه الطريقة؟!، سأله عثمان بحدة..

من سمح لك بالدخول ؟

تقديم عمر خطوتين نحو مكتبه وهو ينظر حوله متوجهاً نظرات عثمان الغاضبة، رد عليه عمر بهدوء أعصاب ..

لم أجد أحداً على الباب فسمحت لنفسي بالدخول..

إزدادت حيرة عثمان من برود عمر ومن رده أيضاً، كيف لا أحد على الباب؟، أين الحراس؟، وجد عمر يقترب منه فأغلق شاشة الحاسوب أمامه ..

سأرى هذا الموضوع لاحقاً، لكن عليك الخروج الآن يا عمر، فكما تراني.. لدى بعض الأعمال على أنجازها ...

أصبح عمر واقفًا أمام المكتب مباشرةً وسأله عمر في نظره متحدية..

أئین ماریان ؟!

للحظة شعر عثمان بأن عمر قد عرف شيئاً عن ماريان، شعوا أيضاً بأن عمر ينوي شرّاً، تباً لهؤلاء الحمقى، كيف دخل عمر إلى هنا؟!، رد عليه بشيء من الغموض محاولاً السيطرة على نفسه ..

ماریان لپست ہنا ..

لكنك وعدتني بأنها ستكون بخير ..!

شعر عثمان بشيء من الوهبة والخوف .. تعجب من أنه يخاف من شخص كهذا !!، دقات قلبه زادت دون مبرر ..

نعم هي كذلك، حتى الآن ..

تساءل عمر في أستنكار ..

حتى الآن ؟!، إذن كنت تنوی بها شرًا كما توقعت ؟

كان تساؤل عمر هذا لا يحمل سوى معنى واحد فقط ..، إنه كان ينوي حًقا فعل شيء الآن ولا يهتم لعواقبه، يبدو يائسًا وبارداً على غير عادته، هل وصل لمرحلة البلادة ؟!، فاجئه حركة عمر.. قام عمر بالأمساك بالحاسوب من أمامه وقام بفتح الشاشة، قام عثمان في غضب وإلتـف حول المكتب بسرعة وأمسك بذراع عمر ودفعه بعيداً عن الحاسوب ..

هل جنت ؟!، ماذا تفعل ؟!

التفت إليه عمر وقام بدفعه بقوه طارحاً عثمان أرضاً، إتجه ناحية الحاسوب مرة أخرى ليفتحه ففوجئ بأن عثمان قد دفعه هو ..، سقط عمر بعد أصطدامه بالكرسي، أقترب إليه عثمان ليضرره من جديد فوجد عمر قد ركله في صدره فرجع للوراء خطوتين فاقداً توازنه إثر الركلة..، حاول أستعادة توازنه لكنه فوجئ باللكرة التي سددها عمر في وجهه مما أفقده توازنه كلـياً، وبعدما أصبح وجه عثمان كله دمًا أدرك بأن عمر كان ينوي به شرًا فعلاً..، مسـكه عمر تركيزه وقوته وتوازنه كلـياً، وبعدما أصبح وجه عثمان كله دمًا أدرك بأن عمر كان ينوي به شرًا فعلاً..، مسـكه عمر من كتفه وأجلسه على كرسـيه والتفت عمر من ورائه ووضع السكـين على رقبته بعد أن شد شعره للوراء ..

أين ماريان ؟!

شعر عثمان بالخطر ..

ماذا تنوی أن تفعل يا عمر ؟!

رد عمر بهدوء ..

أُنوي أن أعرف مكان ماريَان ..

شعر عثمان بالسكينة تغرس في رقبته ..

ليست هنا.. لقد تم ترحيلها ..

لأين ؟!

لم يجب عثمان مما أضطر عمر لغرس السكين مليمترًا واحدًا تقريبًا محدثًا جرحاً بسيطاً، رد عثمان..

سوريا..، والآن أتركني ..

بهذه السهولة !؟

شعر عثمان بأختناق.. أو بأقتراب أجله، عمر قد يصر على فعلته ولن يتتردد لحظة، إذا كان قد قتل أخيه فهل سيتردد في قتله هو !؟

ماذا ستفعل إذن ؟، لا تقول لي أنك تبني قتلي !!

ساد صمت للحظات فكر فيها عثمان بمازق عمر، عرف أنه يفكر في ما بعد ما يفعله الآن !، بعد أن عرف مكان ماريَان، كيف سيكون مصيره ؟!، كيف سيكون مصيره بعد أن يخرج من هذه الغرفة ؟! هكذا قد يتساءل عمر في نفسه، أسرع عثمان ليطمئنه ..

مهلا.. تراجع يا عمر عما تفكَّر فيه، وأعدك بأنه لن يمسك أحداً بسوء، سأنسى ما فعلته للتو ..

هذا كما وعدتني طبعاً بعدم أذية ماريَان ..، أليس كذلك ؟!، أرجوك لا تقول لي بأنك تريد الحصول على ثقتي بك مرةً أخرى ..

ماذا تريـد أذن ؟، أسمعني.. سأصدر أمراً حـالـاً الآن بالافراج عنك وعن ماريـان، سـأطلق سـراحـك يا عمرـ كما أردت  
ولـن تـمـ مـلاحـقـتك.. صـدقـني..

ابتسـمـ عمرـ وـرـدـ عـلـيـهـ بـسـخـرـيـةـ ..

حـقاً لا أـعـرـفـ كـيفـ أـرـدـ لـكـ هـذـاـ الجـمـيلـ، لـكـ أـظـنـ أـنـهـ مـنـ الـأـفـضـلـ لـكـ أـنـ تـشـعـرـ بـمـاـ تـشـعـرـ بـهـ مـارـيـانـ الـآنـ وـبـماـ  
أـشـعـرـ بـهـ أـنـاـ الـآنـ أـيـضاًـ، جـمـيعـنـاـ سـنـمـوـتـ بـعـدـ لـحـظـاتـ يـاـ عـشـمـانـ..

في لـحظـةـ كـتـبـ عـمـرـ نـهاـيـةـ هـذـاـ الرـجـلـ، ذـبـحـهـ.. تـطـايـرـ الدـمـ كـالـنـافـورـةـ مـنـ رـقـبـتـهـ وـلـشـوـانـيـ تـلـتـ ظـلـ فـيـهاـ جـسـدـ عـشـمـانـ  
يـهـتـزـ بـشـدـةـ وـاضـعـاًـ يـدـهـ عـلـىـ رـقـبـتـهـ لـيـوقـفـ هـذـاـ النـزـيفـ وـنـاظـرـاًـ لـعـمـرـ يـطـلـبـ النـجـدةـ مـنـهـ، فـيـمـاـ كـانـ عـمـرـ وـاقـفـاًـ رـاسـمـاًـ  
أـبـتـسـامـةـ الـأـنـقـامـ عـلـىـ وـجـهـ مـسـتـمـتـعـاًـ بـالـمـشـهـدـ ..

ماتـ عـشـمـانـ أـخـيـراًـ وـوـقـفـ أـهـتـزـازـ جـسـدـهـ وـتـنـاثـرـ دـمـهـ عـلـىـ المـكـتبـ وـالـمـصـحـفـ..، أـمـسـكـ عـمـرـ المـصـحـفـ وـمـسـحـ  
الـدـمـ مـنـ عـلـيـهـ، تـسـاءـلـ فـيـ نـفـسـهـ.. مـاـذـاـ فـعـلـتـ؟ـ!ـ، هـاـ هوـ كـتـابـ اللـهـ مـلـوـثـاـ بـدـمـاءـ أـحـدـهـمـ.. وـضـعـهـ فـيـ مـكـانـهـ بـشـرـوـدـ  
بـعـدـ أـنـ مـسـحـ الدـمـ مـنـ عـلـيـهـ، فـتـحـ الحـاسـوبـ لـيـرـىـ آخـرـ ماـ كـانـ يـفـعـلـهـ عـشـمـانـ عـلـىـ حـاسـوبـهـ، كـانـ يـنـهـيـ أـمـرـ مـارـيـانـ  
تـمـاماًـ..ـ!ـ، أـصـدـرـ أـوـامـرـهـ بـذـبـحـ مـارـيـانـ بـعـدـ ثـمـانـيـةـ وـأـرـبعـينـ سـاعـةـ مـنـ الـآنـ، ذـلـكـ الـوـغـدـ..ـ!

لاـ يـعـرـفـ مـاـ الـذـيـ جـعـلـهـ يـنـظـرـحـولـهـ فـيـ الغـرـفـةـ.. جـذـبـهـ شـيـئـاـ مـاـ وـرـاءـ الـحـاسـوبـ نـاحـيـةـ الـأـرـضـ فـيـ أـنـحـاءـ الغـرـفـةـ !!ـ،  
وـقـعـ نـظـرـهـ أـتـجـاهـ الـبـابـ.. الـبـابـ مـفـتوـحـ؟ـ!ـ، تـذـكـرـ أـنـهـ قـدـ أـغـلـقـ الـبـابـ وـرـاءـهـ، لـيـسـ هـذـاـ فـقـطـ مـاـ جـعـلـهـ يـتـسـمـرـ فـيـ  
مـكـانـهـ، ثـمـةـ شـخـصـ مـاـ وـاقـفـ عـلـىـ الـبـابـ !ـ، رـفـعـ بـصـرـهـ لـيـرـىـ هـوـيـةـ مـنـ كـشـفـ أـمـرـهـ، مـسـتـحـيـلـ..ـ!ـ، أـنـهـ مـُـصـعـبـ...ـ!

لم يتحرك.. ظل ساكناً ولم يبدي أي ردة فعل حينما رأى مُصعب يغلق كاميرا الفيديو التي كانت بيده..

دخل مُصعب بهدوء وأوصد باب الغرفة ورائه بالمفتاح، التفت وجال بنظره في الغرفة كلها.. الفوضى في الغرفة.. رأس عثمان المقتول الظاهر من خلف مكتبه وبجانبه عمر الواقف في ذهول.. إستسلام أو ربما بلادة، وتلك الدماء المتتاثرة .. !، تقدم مُصعب نحو عمر الذي ما زال واقعاً خلف المكتب في شرود ..

لم أتق بك في البداية، وأعترضت على وجودك هنا، لكنني تلقيت تعليمات بضرورة تواجدك هنا !، هنا سيكون طريقك للهروب من الجحيم في العراق..

خطر على عمر سؤال ..

لكن كيف علمتم بمكاني وفي هذا التوقيت بالذات ؟!، لقد كان مصادفةً أصلاً أن أذهب لهناك ؟!  
ابتسم مُصعب ..

أحياناً الصدفة تلعب دوراً هاماً في حياتنا والأذكي هو من يستغل الصدفة.. في الوقت الذي كلفت بتنفيذ العملية تلقيت معلومةً بوجودك أنت هناك في المقهي.. بدا الأمر غريباً بالنسبة لي في البداية، لكن عندما علمت بأن هناك مباراة لفريقك المفضل أصبح الأمر منطقياً، لقد تعمدت حمايتك منذ البداية يا عمر..

صمت عمر للحظات ثم خالجه سؤال محرج له ..

ولماذا لم تمنع هذه العملية ؟! أعني قتل الأبرياء ؟!

أمسك مُصعب بالمنشفة وأخذ يمسح الدم من على المكتب، وأنثاء ذلك أجابه ..

كانت هناك عملية ستنفذ في مصر..، سلسلة تفجيرات تستهدف قوات الأمن والسياحة في سيناء، لقد أخبرت قادتي هناك بكلفة المعلومات وأفسدت على التنظيم نجاح هذه العمليات، بعدها تغيرت نظرة القائد عثمان لي، كثرت الشكوك حولي وليتاكد من صحة شكوكه من عدمها كلفني بمهمة هنا، الهجوم على المقهي ذو الغالية

الشيعية.. لو رفضت الأمر سترداد الشكوك حولي أكثر فأكثر بل وسأكون في موضع أتهام بخيانة التنظيم.. أيضاً هؤلاء لم يكونوا شيعة عاديين .. كانوا جماعات متشددة مثل هذا التنظيم بالضبط..

بعدها بساعات حصلت على معلومات بوجودك في هذا المقهى والتصريف لكي تبقى تحت أنظاري بدون علم التنظيم، وجدت هذا صعباً في ظل الظروف التي أمر بها في هذا الوقت.. فكرت جيداً كيف أستغل هذا وخرجت بفكرةً عقريّة..

أنتهى من مسح كل آثار الدم على المكتب والحائط، ثم وقف مُصعب أمامه ليكمل كلامه..

فكرت ماذا لو أنقذتك وجنديك هنا في التنظيم لأكسب ثقة عثمان من جديد بالنسبة لي، وتخليصك أنت من كل الأتهامات الموجهة إليك بقتل أخيك ..

و لماذا أنا بالذات من سيرجع ثقة عثمان بك بأنضمامي للتنظيم ؟

كان عثمان هنا هو الدراع الأيمن لزعيم التنظيم ولكن منذ التحاق أخيك بالتنظيم هنا وهو قد فاز بمكانة خاصة عند الزعيم ومع اجتهاده فاز بمكانة عثمان وأصبح ثاني أهم قيادي داعشي، بالطبع هذا آثار غضب عثمان، وعندما نزلت الكتبة المصرية هنا وكتتم تقاتلون التنظيم أرسل الزعيم قوات دعم بقيادة عثمان و كنت أنا معه.. لكنه عندما وجد هجوم الطائرات الأمريكية عليكم فضل عثمان الانسحاب وكذلك سيُقتل أخيك على أية حال.. سواء من المصريين أو من الهجمات الأمريكية، وكالجميع شاهدنا فيديو قتلك لأخيك، فأصبحت أنت بالتالي طريقة لاستعادة مكانته لدى الزعيم، هذا لم يمنع عثمان أيضاً من الشكوك حولي.. كلفني بمهمة بسيطة وهي مراقبتك، وأبعدني تماماً عن معرفة أية معلومات لأي عملية أخرى..

فهم عمر كل شيء، راوده سؤال آخر..

لكن كيف سأنقذ ماريان ؟!، كيف سأخرج من هنا على كل حال ؟!

نظر مُصعب في ساعته ..

لم يتبقَّ أمامك سوى ساعةً واحدة فقط لتهرب من هنا ..

توجه مُصعب ناحية مكتبة عثمان، أزاح بعض الكتب من الجزء الأوسط من رفوف المكتبة، وفجأة جذب جزء المكتبة الأوسط هذا ناحيته ..!، لم يستوعب عمر ما يراه.. هناك باب حديدي وراء المكتبة، تسأله عمر بأندهاش..

ما هذا ؟!

وقف مُصعب أمام هذا الباب وشرح لعمر الأمر..

منذ فترة دخلت هذه الغرفة خلسة دون أستاذان القائد عثمان لأنه وبكل بساطة كان في سوريا في أجتماع مع زعيم التنظيم.. أو هكذا أعتقدت.. كنت أريد الحصول على بعض المعلومات من مكتبه، لكنني فوجئت عندما دخلت ووجودته يدفع هذا الجزء من المكتبة ناحية الداخل.. لم أغير انتباهي لما فعله آنذاك لأنني كنت في وضع خطير.. عليّ أن أبرر وجودي في غرفته وبمثل هذه الطريقة التي أقتحمت بها مكتبه، تسمرت مكانني وتساءلت في نفسي كيف حدث هذا ؟!، كنت متأكداً أنه في سوريا وأنه لم يدخل التنظيم هنا هذا اليوم..، كيف أراه أمامي فجأة الآن ؟!، أسرعت بالتصريف فوراً وتبرير موقفي هذا، صحيح أنه لم يقنع حينها لكنه أيضاً لم يتخد إجراء ضدّي، لكنها كانت بداية علاقتنا المتواترة.. كان بداية الشك بأمري ..

أدّار مُصعب المقبض الحديدي بصعوبة وفتحه أخيراً، ثم ظهر من ورائه تجويف داخلي كبير.. نفق سري !!،  
أسترداد كلامه..

بعدما خرجت من هذا المأذق بسلام فكرت في الأمر جيداً وبهدوء.. فكرت في لحظة أغلاق القائد لهذا الجزء من المكتبة !!، دخلت مرة أخرى في وقت تأكدت فيه جيداً هذه المرة أنه في سوريا مع زعيم التنظيم، صُدمت عندما فتحت ورأيت هذا ..

أشار للنفق من الداخل ..

و صُدمت أكثر عندما وجدت خريطة توضح مسار هذه المتابهة ..!، الأمر لم يكن عادياً أو مجرد نفق فقط، هذا النفق أشبه بالمتابهة، وله فتحات كثيرة في عدة أنحاء كثيرة، وجدتها في أحدى هذه الكتب.. أخرج مُصعب الخريطة من جيبي، وكانت واضحة أنها نسخة مصورة وليس الأصلية، أخذها عمر ثم أتسعت عيناه ذهولاً،

مستحيل.. نفق أرضي تشبه المدينة، مدينة كاملة تحت الأرض ..!، ليس مجرد نفق يصل مكان بمكان !، لا ..  
أنه نفق يصل هذا المكان بكل مكان ...!!، بكل مكان .. حتى سوريا..!

أكمل مُصعب..

عرفت بعدها كيف أنه كان يخرج ويدخل التنظيم هنا دون أن يراه أحد ..!، عرفت أنني كنت متيقظاً عندما علمت  
بأنه كان في سوريا حقاً ولم أكن مخطئاً حين دخلت ووожدته هنا فجأة !

نظر ل ساعته مجدداً ..

هيا لننجز عملنا الآن..

عملنا.. ؟!، تساؤل عمر عن ماهية العمل ذاك ..!، دخل معه ل بدايات النفق، كان عرض النفق كبيراً يتسع لعدة  
أشخاص بجانب بعضهم، توقف مُصعب فجأة وأمسك ( بالكوريك ) وأعطي واحداً آخر لعمر، نظر له عمر نظرة  
عدم فهم، شرح له مُصعب الأمر..

سندفن عثمان هنا، سيمتحنا هذا بعض الوقت حتى يلاحظوا اختفاء عثمان، بعض الوقت لكي تهرب أنت ولكي  
أنجز أنا بعض الأشياء هنا..

طبق عمر الخريطة ووضعها في جيشه ثم أخذ ( الكوريك ) من مُصعب ثم حفرا معًا مقبرة عثمان في بدايات النفق،  
وأثناء ذلك شرح مُصعب أمراً آخر لعمر..

الأمر كان منطقياً في مصر.. في بداية الأمر أنت كنت بطلاً قومياً حين تم تصويرك وأنت تقتل ثاني أهم قيادي في  
تنظيم الدولة لكن سرعان ما تحولت لمجرم حين تم اكتشاف ما يربطك بأخيك من أسم مشترك.. أكتشف  
الجميع أنه أخاك وأصبحت متهمًا بقتلك لأخيك للأستحواذ على مكانه هنا وما دعم أتهام الجميع لك بذلك هو  
نشر وسائل الأعلام صوراً لك وأنت تحارب مع التنظيم صباح أمس ضد الجيش العراقي..

تذكر عمر على الفور مأساة ما حدث أمس في المعركة.. الفتاة الصغيرة والدتها.. تغريد التي قتلت وحزن والدها  
عليها ..

أنتها من الحفر ودخل مُصعب ليحمل جثمان عثمان وساعده عمر في دفنه، ثم ردما الحفرة معًا ودخل الغرفة  
مرة أخرى، مد مُصعب إليه يده ...

الخريطة..

أخرج عمر الخريطة من جيبيه، رسم مُصعب مساراً محدداً في الخريطة ...

أسمعني جيداً.. نحن هنا في مدينة الموصل شمال العراق، ستدخل هذا النفق من هنا وتعطف يساراً ثم تسير فيه  
حوالي الخمس كيلومترات مستقيماً ثم ستتعطف في هذا الاتجاه (اليسار) وفي غضون ساعةً واحدة من السير  
السريع ستخرج من هذا النفق عبر فتحة في بيت مهجور في حي في مدينة (الحضر) وفي نفس الحي ستجد  
محطة بنزين وسيكون أمامها سيارة نقل عملاقة، هذه السيارة خاصة بنا وستنتظر حتى الظهيرة.. مهمتها هي نقلك  
للمدينة (الوليد) الحدودية مع المملكة السعودية وستغادر العربية على أية حال إذا ما تجاوزت الظهيرة سواء  
ظهرت أنت لها أم لا، لذلك عليك الأسراع..

تساءل عمر..

و ماذا بعد..؟

ثم ستسلم نفسك لحرس الحدود السعودي وحينها ستواصل مع المملكة لنستلمك منهم ..

قطب عمر حاجبيه ..

ظننتك ستقول لي أنني سأجد هناك ماريـان وسنعود معًا لمصر !!، وماذا عن ماريـان ؟!، سيتم أعدامها خلال  
ساعات..

بخصوص ماريـان.. ستحاول إنقاذهـا، عليك إنقاذهـا نفسك أولاً ..

هز عمر رأسه أيجاباً في شرود، طّب الخريطة مرة أخرى ووضعها في جيبيه ثم توجه ناحية النفق، ثم توقف.. التفت  
لمُصعب عندما تذكر شيئاً..

عندما دخلت أنت هنا أغفلت كاميراً ما كانت معك ..!، أكنت تصور ما حدث ؟

ابتسم مُصعب ثم وقف أمامه مباشرة ..

أجنبني ياعمر.. كيف كان قوم السيدة مريم ينظرون إليها حين آتتهم وهي تحمل طفلاً؟

كانوا ينظرون إليها كزانية أو باغية..

بالضبط.. ولكن ماذا حدث بعدها؟!

الله سبحانه وتعالى أثبت برائتها في الحال، حدثت معجزة وتكلم المسيح وهو في المهد صبياً..

نتكلّم هنا عن معجزة وحدث لم يكن في الحسبان.. بينما كان القوم يتجهّزون للأنقضاض عليها حدثت المعجزة وتكلم المسيح وهو ما زال في المهد صبياً، هذا بالضبط ما ستفعله فيما يخص أمرك هذا، سنشتبّث أنك لست داعشيّة بالمرة، لقد قتلت للمرة الثانية ثاني أهم قيادي داعشي.. ، الأمر سيكون واضحًا بالنسبة للجميع.. الأمر ليس متعلّقاً بثأر مع أخيك أو بسبب أنك كنت تريدين أخذ مكانه ..

فهم عمر كل شيء الآن، إستدار عمر نحو النفق ووقف في بداية النفق من الداخل مشاهداً لغلق الباب عليه من قبل مُصعب، باب النفق السري الذي هو جزء من مكتبة في غرفة عثمان الذي دُفن هنا تحته.. من كان يتصرّف أن يحدث هذا معه!، بدأ بالتحرك لكنه فوجئ بأن الباب قد فُتح مرة أخرى على عجل من الأمر، ظهر له مُصعب مجدداً محذراً أيّاه ..

عمر..، هناك شيئاً أخيراً لم أخبرك أيّاه..، هذا النفق هواءٌ قليلٌ جدًا وستتعانى من صعوبة التنفس في بعض الأحيان، ولن يتجدد الهواء إلا كل ساعتين فقط، لذلك كلما أسرعت للخروج من هنا سيكون هذا لصالحك..

هز عمر رأسه أيجاباً متفهماً ثم أغلق مُصعب الباب مرةً أخرى وقد سمع عمر صوت غلق المقبض من الخارج هذه المرة، سار عمر في الاتجاه الذي حدد له مُصعب دون أن يفتح الخريطة.. توجه يساراً كما هو مخطط له، كان يسير ببطء شديد شارد الذهن لا يفكّر سوى بشيء واحد فقط الآن.. ماريان !!، كيف سيتركها؟!، لقد أنقذت حياته مرتين!، الساعات تمضي وأجلها يقترب.. توقف مكانه للحظات ونظر وراءه.. لقد قطع شوطاً كبيراً ناحية فتحة الهروب في تلك المدينة التي أشار له مُصعب، ماذا لو.. ذهبت لأنقاذهما بنفسي؟!

جسم أمره في لحظة.. لحظة جعلته يدرك أنه يجري بسرعة للعودة لنقطة البداية، في ظرف عشر دقائق تقريباً كان عند نقطة البداية فعلاً حيث الباب السري يبعد عنه بضعة أمتار وقبر عثمان تحته.. قال بصوت مسموع لنفسه ليشجع نفسه مشيراً.. لنبدأ من جديد.. هذه المرة إلى سوريا.. إلى ماريان..

تفكر فيه باستمرار ولا تنساه، كيف تنسى ذلك المالك الذي أعاد لها روحها من جديد.. وقف بجانبها في أحلك أوقاتها حتى تماثلت للشفاء تقربياً، فكرت للحظة.. هل كانت ستتألم مع أصابتها تلك إن لم يتدخل هو لأنقاذها ؟!، لكنها أيضاً لم تشعر بعجزها طيلة مساندته لها.. لكن كيف يكون لهذا المالك أن يكون أداة قتل ؟!، مستحيل أنه قد كان أنضم لهذا التنظيم الإرهابي ب مليء أرادته ولكن كيف يمكن لما رأته أن يكون غير حقيقي ؟!، فكرت في أنه قد يكون مرغماً.. مرغماً على ماذا ؟!، لكنه أيضاً تدرك أن ثمة هناك شئ غير حقيقي، لكن ولكن ولكن ..

ما قطع تفكيرها سمعها صوت يناديها، صوت بدا للوهلة الأولى أنه غريب، التفتت لمصدر الصوت من ورائها.. شهقت عندما رأته، علمت أن الصوت الغريب كان غريباً لأنها أفتقدته كثيراً، نعم ذلك الصوت تعرفه جيداً.. إنه حياتها.. إنه عمر !!

رغم أنها لا تفهم شئ إنتفضت من مكانها مسرعةً باتجاهه في فرحةً عارمة.. الدموع في عينيها هربت بسرعة منها.. أنها دموع الأشتياق !، كان هو كذلك يجري نحوها، يجريان نحو بعضهما لكن.. لا يقتربان !!، توقفت لتلتقط أنفاسها.. توقفت لأنها لاحظت بأن هناك أمراً غريباً يحدث ..!، نظرت ورائها فوجدت المسافة تباعدت بينها وبين الكرسي حيث كانت تجلس منذ قليل، نظرت باتجاه عمر الذي ما زال يركض نحوها لكن المسافة لا تقل !.. ماذا يحدث إذن ؟!، فجأة توقف عمر وجشى على ركبتيه محاولاً التقاط أنفاسه.. كان يتنفس بصعوبة.. تماماً كما حلمت من قبل !، ركضت نحوه من جديد محاولةً إنقاذه ولكن ..

فتحت عينيها على صوت رنين هاتفيها، حاولت أستيعاب الأمر، أكان حلماً أيضاً ؟!، يمكن أن يعني هذا أن عمر في مأذق الآن ؟ مرة أخرى ؟!، هذا منطقي.. هذا يفسر الحلم الأول بالتأكيد.. عمر لم ينضم لهذا التنظيم برغبته.. لقد أرغم على هذا.. لقد كان في مأذق فأنضم لهم مُجبراً لا أكثر، والآن ما تفسير الحلم الثاني ؟!، كيف له أن يكون في مأذق جديد ؟!، هذه مصيبة أكبر.. ربما كان يحاول الهرب مثلاً وسيتم أعدامه ..

تعبت من التفكير.. تساءلت مرةً أخرى.. كيف هو الآن؟!، هل ما زال حيًا؟.. يا الله.. متى سينتهي كل هذا  
العبث في حياتي؟؟، متى سيعود عمر؟!

في نفس اللحظات ...

فتح عينيه.. فكر للحظة.. هل ما زال حيًا؟!، حاول تذكر ما حدث معه، بعد ما كان يجري باتجاه سوريا بدأ  
يشعر بنقص الهواء، ليس هذا فقط ما أثار ذعره حينها.. فجأة ظهر أمامه ثلاث ممرات ولم يعد يملك الوقت  
على كل حال ليجرب الممرات الثلاثة، لم يفكر كثيراً.. اختار الممر الأوسط ومع مرور الوقت بدأ يشعر بأنعدام  
الهواء تماماً حتى أختنق ولم يشعر بشيءٍ بعدها..

نهض من مكانه وقد كان واضحًا أنه قد تم تجديد الهواء هنا، تذكر شيئاً هاماً.. الخريطة.. أخرجها من جيبه  
وحاول التركيز فيها لمعرفة مكانه بالضبط، تبع المسار الذي سلكه منذ البداية إلى أن وصل لتلك الممرات  
الثلاثة وجد نفسه أنه قد سلك الممر الخاطئ أيضاً للمرة الثانية، الصحيح هو ذلك الممر الأيسر.. ذلك الممر  
الذي سيكون نهايته في سوريا، بالتأكيد هذا هو الممر الصحيح هذه المرة، لقد جرب الممر الأيمن فوجد نهايته  
مسدودة.. عانى الصعوبات وحاول الحفاظ على هدوءه بسبب نقص الهواء، رجع مرةً أخرى لتلك الممرات  
الثلاثة ثم قرر المخاطرة ثانية ليسلك الممر الأوسط لكنه أيضاً مسدود.. لم يدرك حينها هل سيظل على قيد  
الحياة ليجرب الممر الأخير أم أنه سيدفن هنا في هذا النفق كعثمان؟!.. لا يعرف كم مضى من الوقت بوجوده  
هنا في هذا النفق.. كل دقيقة تمر وكأنها أيام.. بدت أن مساحة النفق ضيقة، لقد أبعد كثيراً جداً عن بداية النفق  
وحتى لو تمكّن من العودة للبداية حيًا لن يستطيع الخروج منه والعودة مرة أخرى لمكتب عثمان الذي هو من  
المفترض الآن أنه يبحثون عنه وأيضاً بالتأكيد الجميع لاحظ غيابه هو وعثمان..

أسرع في طريق العودة للوراء حيث تلك الممرات..، ثم سلك الطريق الصحيح هذه المرة بعدها تذكر أخيراً أن  
الخريطة معه، مرت ساعة أخرى وهو يحاول الأسراع للوصول للجهة الأخرى قبل نفاذ الهواء الذي شعر فعلاً أنه  
يتسرّب مرة أخرى غير أنه يبذل مجاهدةً فبالتأكيد سيجد في هذه صعوبة بالغة.. نظر للخريطة بعدها ظهر له على

يمينه ممر آخر لكن الخريطة تخبره بمواصلة الطريق مستقيماً وتجاهل أي فتحات جديدة، لقد وصل تقربياً..  
بضع عشرات المترات وسيجد نفسه في الجهة الأخرى ..

أغمض عينيه ليهدا وأخذ نفساً طويلاً ثم تحرك فجأة ليسرع بالوصول، بعد دقائق وصل فعلاً.. لكنه صُعق عندما وجد أن نهاية النفق مسدود !!، مستحيل.. هل هذا النفق ذو فتحة واحدة فقط..؟!، الممرات الثلاثة مسدود وهذا يعني أن هذه الخريطة ليست الأصلية أو أنهم قاموا بسد هذه الممرات وفتحوا أخرى؟!، نظر للخريطة مرة أخرى وأسترجع مسار الطريقة منذ البداية.. إنه في الطريق الصحيح !!، لكنه مسدود !!، نال منه التوتر سريعاً وتصيب عرقاً، الهواء قليل جداً.. و الآن لا مجال للتراجع حتى والمخاطر ليخرج من فتحة أخرى، صرخ قهراً بصوت عالٍ وقطع الخريطة.. فقد أعصابه بسرعة وبدأ يشعر بدوار ولم يتحمل، سقط أرضاً لكنه لم يفقد وعيه بالكامل، لاحظ وجود حجارة صغيرة أمامه.. مد إليها يده ومسكها ثم رماها بأقصى ما يستطيع تجاه نهاية النفق المسدود !، سمع صوت أرتطام الحجارة بشيءٍ معدني، حاول عمر توجيه بصره نحو النهاية ..!

زحف بصعوبة تجاه النهاية حتى وصل فعلاً وتحسس نهاية النفق !، إتسعت عيناه من شيءٍ لم يتوقعه أبداً.. باب ؟!!، لكن لا يبدو كذلك.. باب معدني مطلي بلون التراب ليبدو كنهاية للنفق ..!

طرق الباب وحاول الصراخ لكن صوته لم يسمعه هو حتى، لكن فجأة سمع صوت متاريس الباب تُفتح.. لحظات يتربّلها ما بين الموت والموت أيضاً..، الموت بالاختناق أو أن أحد هم سيفتح الباب ويقتلها، كان يأمل بأن تكون نهاية الممر فتحة في بيت مهجور كما كان سيخرج في الجهة الأخرى ..

فتح الباب، ورفع عمر رأسه محاولاً استنشاق قليل الهواء الذي تجدد في المكان فجأة وليري هوية من فتح له الباب، أرتسمت على وجه الرجل ملامح الجدية والغضب.. ثم ابتسم أبتسامة ماكرة..

عمر..

على كل حال.. لم يكن ليصدق إنه مازال على قيد الحياة.. لقد خرج حياً من النفق بعدها تعرض للأغماء عدة مرات وكان قريباً من الموت، وكذلك لم يقتله ذلك الداعشي أو على الأقل ليس هناك ما يوحى إنه قد تم القبض عليه حتى.. سمح له بالاتساق أنفاسه ثم سأله الرجل..

و الآن.. هل أنت بخير؟!

لم يستوعب عمر الأمر بعد، هز رأسه إيجاباً ثم أكمل الرجل كلامه..

ما كان عليك أن تسلك هذا الطريق !، ظننتك قد مُت في هذا النفق، لماذا خالفت ما أُمرت به؟!

ظل عمر ساهماً ومحدقاً بالرجل ..!، بدا سؤاله غريب جدًا عليه !، أراد معرفة مصير ماريان.. هل وصل في الوقت المناسب لأنقاذها أم فات الأمر عليه؟!

أين ماريان؟!

لم تظهر أي تعابير على الرجل، توجه الرجل ناحية باب الغرفة وفتحه ..

حسناً.. أتبعني..

لم يفهم عمر ما الذي يجري هنا لكنه توقف عند مدخل الغرفة، التفت حوله.. كان متوتراً قليلاً، بدت هوية هذا الرجل له مجهولة.. هل هو رجل مخابرات مثل مصعب أم داعشي لا يعرف ما حل بعثمان فقط ..!، التفت إليه الرجل حينما تعجب من وقوفه هكذا..

هل ستقف هكذا أم ستأتي معي لأنقاذها..؟!

تحرك عمر على الفور خلف هذا الرجل إلى أن حاذاه، ثم أكمل الرجل كلامه..

الأمور هنا مضطربة منذ ساعات، القائد عثمان أختفى فجأة..

التفت ناحية عمر ...

هل تعرف عنه شيئاً ..؟!

بدا عمر غير واثقاً من الأجبابة عليه، في البداية ظن عمر أن هذا الرجل على علم بما حدث ولكن سؤاله هذا يوحي بالعكس، وهذا يرجح إنه داعشي وليس رجل مخابرات مثل مصعب..

لا...، ما أعرفه إنه اختفى فجأة فقط ...!

حدق إليه هذا الرجل وكأنه يدرك كذب عمر..

متى آخر مرة التقيت به ؟!

يوم اختفاؤه ..

من هنا أدرك الرجل جيداً كذب عمر، لقد وقع عمر في فخ الرجل لكنه أيضاً لم يشعر بذلك.. كيف علم بأن آخر مرة التقاه فيه كان يو اختفاؤد ؟!، بدا أن الأمر غير منطقياً بالنسبة له، هناك شيء مفقود في كلام عمر..، لكنه عاجلاً أم آجلاً سيعرف كل شيء..

ماريان في حالة مخدراً تماماً وقد لا تقوى على الهروب معك، عليك بحملها والهرب بها لأبعد مكان تستطيع الوصول إليه، عليك باستغلال حالة الأضطراب تلك التي تضرب التنظيم الآن..

هنا تغيرت شكوك عمر حول هذا الرجل، إنه رجل مخابرات مثل مصعب تم تجنيده في هذا التنظيم في سوريا لكنه يبدو أكثر دهاءً وحرصاً من مصعب..

لكن دعني أسألك...، لماذا لم تنقذ ماريان ؟! ماذا لو لم آتي لأنقاذهما ؟ هل كنت ستسمح بقتلها ؟!

توقف الرجل والتفت له ..

الأمور لا تسير هكذا.. من المفترض أنك عسكري وتعرف ما أعنيه، أمر ماريان أو غيرها لا يعنيني بشيء.. أنا هنا في مهمةً محددة لا أكثر..

تفهم عمر كلامه وأستئنفا سيرهما، تساءل عمر..

كيف سنهرب من هنا؟، أعني أنا وماريان طبعاً..

هناك ممُّوري سري يستخدمه التنظيم للهروب من قبضة الجيش السوري والوصول لهنا، ستستخدمه أنت وماريان، ستخرجان عبر فتحة في كهف أحدى صحراري مدينة الحسكة، بعدها يمكنكما التصرف والعودة لمصر ...

كيف سنتصرف هنا؟!، أليس من مهمتك إيصالنا لمكان آمن نصل منه لمصر؟!

توقف مرة أخرى..

عندما علمت المخابرات بأنك غيرت مسارك وستأتي لهنا.. كانت مهمتي هي استقبالك ومساعدتك على الهروب أنت وماريان.. هذا إن كنت حياً أصلاً،وها قد حدث ذلك.. مهمتي هي إيصالكم لمكان آمن ثم الباقي عليكم، هنا ينتهي دوري يا عمر..

أكملوا سيرهما وتوقفا عند باب سجن ما، فتح الرجل باب هذا السجن..

كانت ملقاء على الأرض بلا قوة مرتدية زي برتقالي.. زي الأعدام، أسرع عمر ليطمئن عليها، نظرت إليه في شroud وعندما أستوعلبت الأمر صدمت.!، رأته وهو يرتدي لباساً داعشياً وكذلك لحيته التي كبرت خلال أيام.. رمت نظرها لذلك الرجل الواقف على الباب ثم عادت بنظرها لعمر خشية أن ما تفكّر به صحيح.. قالتها بصوت ضعيف ومصدوم..

عمر..؟!

عرف عمر أنها قد تكون مصدومة من ظهره الداعشي هذا..

سأشرح لك كل شيء لاحقاً، الآن علينا الهروب من هنا..

حملها عمر على يديه وخرج بها من غرفة السجن تلك، أوصد بعدها هذا الرجل الباب وكأن شيئاً لم يحدث..

كانا يسيرون بسرعة في ممرات ذلك المبني حتى وصلا لغرفة فتحها الرجل ودخلوا جميعاً..، أجلس عمر ماريان على أريكة كانت بالغرفة كي يريح يديه من عناء حملها، توجه الرجل ناحية خزانة الملابس وفتحها ثم أزاح الملابس المعلقة بها يميناً ثم ظهر من ورائهم مقبضين لباب يفتح على جانبيه، لم يندهش عمر هذه المرة فلقد رأى سابقاً مثل هذه الأنفاق كتلك الموجودة في غرفة عثمان، أما ماريان ورغم أنها لم تستعيد وعيها بالكامل بسبب المخدر فقد أثار هذا انتباها وأندهاشها..

أيضاً فتح الرجل هذا الباب السري وأشار لعمر بالأسراع، مرة أخرى حمل عمر ماريان على يديه وتوجه ناحية النفق وقبل أن يغلق الرجل الباب التفت إليه عمر..

لن تجدوا عثمان أبداً ..

قالها وقد أرتسمت أبتسامة على وجه عمر.. أبتسامة تبدو في ظاهرة أنها ماكراً، أمال الرجل برأسه في تساؤل عرفه عمر دون أن ينطق الرجل..

نعم لن تجدوه..

أدرك الرجل معنى أبتسامة عمر تلك ومعنى كلامه كذلك، لقد قُتل عثمان والذي قتله هو عمر.. أو شيء هكذا.. المهم أن عثمان قد قُتل، أغلق الرجل الباب وأعاد ترتيب الملابس المعلقة وأغلق أبواب الخزانة وكأن شيء لم يحدث، سيكون هناك متسع من الوقت ليدركوا أن ماريان ليست هنا كذلك، جلس على مكتبه وجلس على حاسوبه.. فتح أيميلاه الإلكتروني الخاص والسري وكتب.. " تلك الطيور الحبيسة أنطلقت الآن.. قريباً ستعود لديارها " ... تم الأرسال ...

أغلق أيميلاه الخاص به ومسح التاريخ وكل شيء فعله الآن ... !

أما شريف.. فيعدما أستلم تلك الرسالة قام بخطوته التالية..

تسريب فيديو مقتل عثمان على يد عمر أثناء برنامج شيرين ..

كانت تسير بسرعة البرق نحو غرفة الأعدادات، كانت بأمكانها قتل أحدهم هذه الليلة، أو ربما الجميع.. كيف ومتى حدث هذا؟!، شعرت وكأن الجميع كان يخطط لكل هذا منذ البداية، يجعلونها تشن هجوماً شرساً على عمر ثم بعدها وفي نهاية برنامجها بالذات يتم عرض مشاهد تبرئة عمر..، لا سيما بعد المداخلة التي قامت بها للتو قبل الفاصل مع زوجته ..!، الجميع سيتعاطف مع زوجته ومع قضية عمر، أصبحت هي المدانة وليس عمر ! وعندما كانت مندفعة تجاه غرفة الأعدادات أصطدمت بأحدهم.. بدا غريباً.. أفرغت جزء من غضبها عليه..

أنظر أمامك جيداً أيها الأبله..

التفت إليها الرجل قاطعاً حاجبيه لكنها قد أكملت طريقها مندفعة ناحية غرفة الأعدادات وغادر الرجل في صمت، دخلت هي الغرفة متوجهة ناحية أحدهم لتفرغ جل غضبها عليه لكنها فجأة توقفت عندما مسكت أحدthem يدها محاولاً إيقافها.. أنه ثروت.. تفاجأت من وجوده هنا في هذا المكان والآن ..!

منذ متى وأنت هنا ؟!

سألته والشرارة في عينيها تنذر بموجة غضب آتية، حاول هو تماليك أعصابه ..

يجب أن نتحدث سوياً في المكتب و...

قاطعته بتكرار سؤالها..

منذ متى وأنت هنا يا ثروت ؟!

كنت هنا قبل أنتهاء برنامجك، لكن علينا التحدث قليلاً في المكتب ..

قالها ببرود وزاد هذا من غضبها، يتكلم وكأنه لم يفعل شيئاً..

أذن كنت هنا وقت عرض تلك المشاهد ولم تمنع حدوث هذا ؟!

سكتت للحظة لتسوّع هي كلامها، هناك أحتمال آخر ..

أو إنك أنت من سمحت بهذا ..

لم يقوى ثروت على النظر في عينيها التي تحدقان به، قال بصوتٍ مُخجل ..

لا .. أنا لم أسمح بذلك، مهما بدت العلاقة بيننا متواترة يا شيرين فلا أستطيع الأقدام على فعل شيء كهذا ..

حدقت به وأمالت برأسها منتظرة منه أن يُكمل كلامه ..

لقد تم أجبارنا على فعل ذلك يا شيرين ..

قطبت حاجبيها في عدم فهم ..

من أجبركم على ماذا !؟

مباحث أمن الدولة ..، لقد جاءوا أثناء الفاصل الأعلاني لبرنامجك وأجبروني على قطع الأعلانات وتشغيل هذا الفيديو، لقد شاهدت الفيديو مثلث ومثل الجميع لأول مرة ..

حاوّلت أستيعاب الأمر، تسائلت في صدمة ..

أمن الدولة .. !؟، لماذا ؟

لقد كنتي تهاجمينهم طوال هذه الفترة بالذات يا شيرين ..، حادثة المول التجاري وحادثة الكنيسة وهجومك المستمر على عمر خلال اليومين الماضيين، كل هذا من شأنه أن يضر بمصلحتهم، أرادوا الانتقام بطريقة ذكية وشرعية، بهذه الطريقة تفقددين ثقة جمهورك بالكامل، والآن علينا التفكير بهدوء لنحل هذه المشكلة ..

لاحظ ثروت شرودها، أو أنه مجرد هدوء ما قبل العاصفة، فكرت بصوتٍ مسموع ...

قد تكون هذه المشاهد غير حقيقة.. مفبركة، قد تكون تلك المشاهد قد صنعت خصيصاً من أجلي ..

يا شيرين.. نحن صُناع الأعلام هنا في مصر ولا أظن بأن تلك المشاهد مصطنعة، حتى لو كانت كذلك.. علينا التفكير بهدوء للخروج من هذه الأزمة..

دخل أحدهم فجأة لاهثاً، توقف أمامهم مباشرة ثم ألتقط أنفاسه ليخبرهم ..  
هناك خبر سئ سيدى..، هناك تجمع لعدة أشخاص أمام بوابة مدينة الانتاج الرئيسية والعدد في تزايد ..!  
التفت لشيرين ثم أكمل كلامه ..

ما كان يخشأ ثروت قد حدث، الحكومة قد حشدت الناس ضدها بذكاء، التفت لشيرين فجأة ليقترح عليها شيئاً ما ..

سُلّقين بياناً عاجلاً يا شيرين تشرحين فيه ..  
قاطعته في حدة ..  
لا.. لن اعتذر يا ثروت وسأكمل طريقي، سيعرف الجميع من هي شيرين ..  
قاطعها ثروت بحدة وبصوت حذر ..

علينا الأسراع يا شيرين قبل تفاقم الأزمة، الوقت ليس في صالحنا، هذا أن أردتني الخروج من هنا على قيد الحياة..، نحن ما زلنا في بداية المشكلة ويمكنا حلها الآن بسهولة..

أحمر وجهها وخرجت من غرفة الأعدادات بسرعة في غضب، كانت تتمتم بكلمات غير مفهومة لكنها مفهومة بالنسبة لثروت، تتوعد لرد كيد الحكومة بها..، ستقلب الطاولة من جديد.. ستجعل محاولتهم للإيقاع بها محاولة فاشلة.. أو خطأ قد يندمون عليه ..

لقد أختار الله أن يُفرق بينهما بعد أن أصبحا روحًا وجسداً واحداً..، لم يتخيل إنه قد يتغيب عنها كل هذه المدة، لم يتخيل إنه قد لا يراها مجدداً، لقد أفتقداها ولقد اعتاد أفتقادها أيضاً!، لم يعد يراها بعينيه لكنه يراها بقلبه وما القلب إلا بأبصار من العين..

تساءل.. كيف حالها الآن؟! هل شُفيت أم تخلوا عنها بعدها فقد مكانه في الجيش؟!، ما يرهقه هو أنه لا يعرف عنها شيء وربما هي تعرف عنه كل ما يحدث معه بالتفصيل!، لا يراها ولا يعرف عنها شيء لكن قلبه يحدها بأنها بخير.. قلبه يخبره أنها قد تم شفاؤها.. لا يعرف أن كان هذا أمل أم أن قلبه فعلاً يخبره بالحقيقة!.. سيصدق قلبه، قلبه الذي توجها ملكةً عليه، ابتسם.. هل يغار من قلبه لأنه أحبها أيضاً.. قلبه الذي أحبها أكثر منه، قلبه يستحقها أكثر منه..، الظروف من حوله تجبره على تحمل نسيانها لكن قلبه يأبى ذلك..

تحركت ماريانا التي كانت نائمة بجانبه في عربة النقل التي أستقلونها عندما خرجوا من الكهف الداعشي، ما زالت تحت تأثير المخدر، أمسكت برأسها متأنمة.. يبدو أن أثر المخدر بدء يختفي تدريجياً والألم يزداد شيئاً فشيئاً لكنها أيضاً تدرك ما يدور حولها.. تدرك أنها لم تكن تحلم وأن عمر جاء لينقذها وهربا سوياً، التفتت لعمر وتبتسم رغم ما تشعر به من ألم..

كُتُت على وشك العودة للظهور مرة أخرى على التلفاز لكن هذه المرة كضحية.. ما كان عليك أن تنقذني.. كُتُت أريد أن ينتهي كل شيء ..

ضحك عمر وفهم ما تقصده، لقد كانت تتهكم عليه كرد لما فعله هو سابقاً بعد أن أنقذته، سالته..

هل أدركت معنى أن تنقذ أحدهم من الموت الحتمي..؟!

أثناء رحلتهمها هذه جذب انتباها لافتاً عملاقة مرت من فوقهم.. كانت أحدى كلماتها هي "الحكمة".."، تعجبت وحاولت تذكر أين هذا المكان بالضبط في العراق ..!

كُنت أظن أن الحكسة مدينةً سوريَّةً فقط .. !، لكنها أيضًا وعلى ما يبدو أن هنا في العراق يوجد الحكسة أيضًا ..

أبتسامة عمر أثارت تساؤل ماريَان ..

الحسكة ليس لها فروع أخرى آنستي، الحكسة مدينةً سوريَّةً فقط ..

قالها بشيءٍ من السخرية، لم تستوعب سخريته هذه ..

ما معنى هذا .. !؟

تنظر أجاية غير تلك التي تدور برأسها ..

نحن في سوريا يا ماريَان ..

أتسعت عيناهَا في صدمة، لا تستوعب ما كانت تتوقعه أصلًا في ردِّه ..

كيف حدث هذا ؟ !

أنتي هنا منذ أيام، لقد تم نقلك لها ليتم أعدامك، بالطبع كنتِ في حالة مخدراً ..

حاولت أن تستوعب الأمر لكن معدتها تدخلت لتعلن احتجاجها في هذا الوقت، مسكت معدتها متآلمة..، سألهَا عمر ..

جامعة ؟ !

هزت رأسها أيجاباً ..

طبيعي، لقد أحتجى تأثير المخدر ..

نظر حوله خارج العريبة فوجد مباني وبيوت أهالي عرف أنهم قد تخطوا حدود القرية الخارجية ودخلوا القرية نفسها ..

حسناً دعينا ننزل هنا، ونبحث عن طعام..

أطرق عمر بيده على الزجاج خلف السائق وأشار له بالتوقف للنزول، توقفت السيارة ونزل منها ثم أشار عمر للسائق بالشكر ..، الآن عليهم البحث عن طعام ثم مواصلة طريقهما..

ظلا يسيران معًا في طرق مجهولة حتى وصلا لبداية شارع ما.. لم تستطع ماريانا السير أكثر من هذا، جسدها ضعيف جداً وكاد يقتلها الجوع، كان الشارع خالياً تقريباً، أجلسها على الرصيف ووقف أمامها يفكّر بالأمر..

أنظرني هنا ..

أين سذهب؟!

الستي جائعة؟!، سأبحث عن طعام في أحد هذه البيوت..

ضحكـت هي هذه المرة..

ألن تخجل هذه المرة؟!

التفت إليها مبتسمـاً..

الحياة علمتني كثـيراً ياماريـان، وأنتـي أحد دروسـه..

قالـها وقد بدأ يـبتعد عنها، لكنـه لم يـبتعد عنها كثـيراً.. على بـعد مـترات قـليلة منها أـطرق بـاب أول بـيت صـادفـه، فـتح الـباب فـتحـة بـسيـطة.. لا يـظهـر منها سـوى عـين واحـدة فـقط..

عـفوـا سـيدـتي..، أنا غـريبـ عنـ هنا وـكـنت أـريد بـعـض الطـعام لو تـكرـمتـي..

أغلـقت المرأة بـسرعة الـباب فـجـأـة في وجهـ عمر، شـعر بـخـجل شـديـد..، أـدرك فـعلـاً بـأنـ خـجلـه هـذا كـان نـعـمة، تـرددـ للـحظـات.. هل يـكـمل الـبـحـث أم أنهـ سـيـكتـفي بـهـذا المـوقـف؟!، أـبتـعد بـضـع خطـوات عنـ هـذا الـبـيـت متـرـددـاً لـكـنهـ

فوجئ بأحد هم يناديه، التفت ناحيته ليجد شابًّا ما قد خرج من هذا البيت الذي تركه للتو، أقرب عمر إليه، سأله الشاب بحذر..

أجبني من فضلك..، هل أنت داعشي؟!

نظر عمر لهيئته.. وعرف سبب أغلاق الباب في وجهه هكذا منذ قليل، لقد ظنت هذه المرأة أنه داعشي..

لا.. لكنني تورطت معهم بطريقهً ما، أسف لازعاجك.. سارحل حالاً ..

قاطعه الشاب بسؤال يتعلمه الشك أيضاً..

متاًكِد..؟!

شُرِد ذهَنْ عَمَرْ فَجَأَهُ وَلَمْ يَسْتَمِعْ لِسُؤَالِ الشَّابِ، نَظَرَ نَاحِيَةً مَارِيانَ الَّتِي مَا زَالَتْ فَاقِدَةً الْقُوَّةِ تَقْرِيبًا عَلَى الْحَرَكَةِ، نَظَرَ الشَّابِ نَاحِيَةً مَا يَنْظَرُ إِلَيْهِ عَمَرْ فَوُجِدَ فَتَاهَةً تَجْلِسُ عَلَى الرَّصِيفِ وَتَبَدُّو مِنْهُكَةً وَضَعِيفَةً، سَأَلَهُ..

هذه الفتاة معك؟

هـز عمر رأسه أيجاباً، أشار له الشاب..

حسنًا.. يمكننا الدخول..

فرح عمر وشعر بالأمتنان تجاه هذا الشاب، أسرع ليستند ماريyan ويدخلها المنزل.. أجلسها على أقرب أريكة،  
أستأذن منهما الشاب للحظات، أنتهز عمر هذه الفرصة ليكلم ماريyan ..

ماریان.. حاولی، أستعادة طاقتک بسرعة، لا نبید أزعاجهم أكثر من هذا..

هذت ماريان رأسها موافقة، لفت انتباه عمر التقويم المعلق على الحائط، تقدم باتجاهه، أندھش عندما أدرك أن اليوم هو أول أيام شهر رمضان ..!، بالطبع ولهذا السبب كان كـ شيء غريباً منذ البداية، الأجزاء في الخارج

رمضانية، دخل عليهما الشاب وزوجته.. يدوان عروسان بالتأكيد.. وضع الطعام أمامهم.. التفت زوجة الشاب  
لعمري معتذرة ..

آسفه عما بدر مني، كان الأمر غريباً ومخيفاً بالنسبة لي.. ظننتك داعشي أو من تلك الجماعات، تفضلوا  
الطعام ..

أنا من يجب أن يتأسف لازعاجكم، لن نطيل عليكم.. سرحد الآن ..

تكلم الشاب ..

لا عليك يا رجل، جمعينا سرحد خلال أيام ..

كانت ماريان تأكل بشرابة متتجاهلة ما يحدث حولها، لم يفهم عمر قصد هذا الشاب ..

سترحلون..؟!، لأين ولماذا؟

ابتسم الشاب ..

لا تشغلي بالك الآن، ستعرف لاحقاً ..

لاحظ أن عمر لم يأكل حتى الآن، أشار له الشاب ...

لماذا لم تأكل؟!.. تفضل الطعام ..

لا.. لقد نسيت أن اليوم هو أول أيام شهر رمضان ..

هز الشاب رأسه متفهماً الأمر ..

حسناً.. دعني أعرفكم علينا، أنا أسامة أبراهيم مهندس كهربائي وهذه زوجتي لميس ولقد ورثت هذا المنزل من  
أبي رحمة الله، ماذا عنكم؟؟، كيف أنتم غرباء عن هنا؟!

قص عمر عليهم ما جرا معه الأيام الماضية، تأثروا جداً بالقصة، خاصة مصير تلك الفتاة تغريد.. حتى أن ماريان صُدمت بذلك الخبر وحزنت، فقدت شهيتها عندما علمت بوفاة تلك الفتاة البريئة ! .. تلك الفتاة التي سمعت والدها وهو يقص على عمر قصة وفاة والدتها..

بعدما أنهى عمر من الكلام شرد ذهن أسامة ..

هناك شيئاً غريباً في قصتك تلك ... !، أظنني على علم بعض ما حدث معك، لا أستطيع تذكر متى وأين سمعت بعض التفاصيل هذه !!

لاحظ أنصات الجميع له..

لا عليكم.. المهم أنني أنا وأنت سنرتاح قليلاً فيما ستستعد لميس لتجهيز الفطور ..

قامت لميس وأتجهت ناحية المطبخ مبتسمة وتبعتها ماريان بعدما أستعادت طاقتها بالكامل ...

حان وقت الأفطار.. الفطور جاهز والجميع مستعد للأفطار، حتى ماريان أحبت أجواء شهر رمضان..، كانوا بانتظار الأذانوها بالفعل أطلقوا الأذان وبدأوا بتناول الفطور، مرت دقائق حتى أنهت ماريان من الفطور أو من الأكل ثم أمسكت بجهاز التحكم عن بعد وتنقلت بين المحطات بحثاً عن قناة " Exclusive news " وووجدتها أخيراً، كانت شيرين عبد النور تتكلّم..

" - ... لذلك قد أرتكبت خطئاً فادحاً عندما قمت بمهاجمة عمر دون أدلة دامغة، لذلك أيضاً وجب علىي الأعتذار لعمر وزوجته أولاً ثم للمصرين بعدها ... "

البرنامج جذب انتباه الجميع فجأة لا سيما عمر عندما سمع أسمه تردد تلك المذيعة، يعرف أنه قد أصبح مشهوراً في مصر حتى لو كانت هذه الشهرة سلبية، لكن ما أثار انتباهه فعلاً هو ترديها لكلمة " زوجته " ! .. لماذا تعذر هذه الحمقاء ؟!، هل وصل الأمر مثلاً لاستضافة زوجة عمر الإرهابي في برنامجها وتم مهاجمتها شخصياً بسبب خطأ لم يقصد هو ؟؟، ما قطع تفكيره صوت أسامة الذي علا فجأة ...

هكذا يكون الوضع منطقياً، منذ البداية وأنا أحدث نفسي بأنني قد رأيتك من قبل ولكنني لم أتخيل أن الضابط المصري عمر محسن شخصياً قد يعلق هنا في سوريا ويستغث بي ويكون هنا في بيتنا، لقد بدا الأمر خيالياً بالنسبة لي ..

قالها والفرح والفرح يتطايران من عينيه، فيما كان عمر شارد الذهن يفكر بشيء واحد فقط.. آسية.. لكن أسامة وزوجته ظناً بأن عدم رد عمر وشروع ذهنه الواضح يعود إلى خجله وأحراجه من الذنب الذي لُصق به.. الجميع يعرف أنه قتل أخيه على أية حال.. لابد وأنه يواجه صعوبات بينه وبين نفسه كلما ذكره أحد، تدخل أسامة لتوضيح الأمر ..

تأكد يا عمر بأن الجميع يعلم معاناتك، الجميع يعلم بأنك لم تكن تقصد قتلك لأخيك بحد ذاته، الأعلام فقط هو من روج لفكرة أنك قد فعلت ذلك بدافع الانتقام من أخيك وخطف مكانته في التنظيم، لكن لا أحد كان يصدق كلامهم الا بالطبع مناصري هؤلاء الأعلاميين على صفحات التواصل الاجتماعي..، لكن من الغريب أن تعذر تلك المذيعة بالذات عن مهاجمتك أنت..، أتساءل ماذا حدث لتغير رأيها؟!

أنجذب الجميع ناحية التلفاز مرة أخرى ..

" والآن بعد أن ظهر للجميعحقيقة شخصية عمر المخابراتية.. دعونا نرى تلك المشاهد مجدداً ... "

الجميع بلا استثناء أتسعت أعينهم من الدهشة بما فيهم عمر نفسه، رجل مخابرات؟ من؟! عمر؟!، لقد ظن عمر بأنها تتكلم عن شخصاً غيره، تسمم الجميع أمام التلفاز ليروا جميعاً تلك المشاهد التي تعرض الآن.. مشاهد قتل عمر لقيادي داعشي آخر، عمر لأول مرة يشاهد نفسه وهو يقتل عثمان.. ماريان لأول مرة تشاهد هذا المشهد أيضاً وأول مرة تعرف هذا الرجل على أنه قيادي داعشي آخر ..

فجأة انقطعت الكهرباء، أسرع بليس للطابق الأعلى بسرعة لأحضار رضيعها فيما تسمّر عمر في مكانه شارداً..

أنقضت الساعات الأخيرة من اليوم سريعاً كعادة هذا الشهر الكريم ومع تجاوز ساعات منتصف الليل أقترب وقت السحور، كانوا نائمين.. أسامة ولميس في الطابق الثاني مع طفليهما وماريان وعمر في الطابق الأرضي كل منهما على أريكة.. ورغم أنهم على أية حال كانوا سيستيقظون لتناول السحور قبل الفجر فلقد أستيقظوا بذعر على صوت أطلاق نار في الخارج، يبدو أن هناك معركةً ما بالخارج، وكانت ما زالت الكهرباء منقطعة، سألت ماريان في ذعر..

ما الذي يحدث بالخارج؟

أغلق أسامي باب المنزل بسرعة قاطبا حاجبيه ثم التفت إليهم ..

لقد فاتنا وقت الهروب.. لم أتوقع أبداً أن تبدأ هذه المعركة في هذا الشهير على الأقل..

تساؤل عم..

معركة..؟! معركة من؟

حرب السيطرة على القرية يا عمر .. حرب بين الجيش النظامي وفصائل المعارضة..

أوصد الباب جيداً ثم التفت لزوجته والقلقة يادياً عليه..

لمس...، أحضري السحور الآن من فضلك..

هذت لميس رأسها موافقة أياه وغادرت الغرفة في قلق وتبعتها ماريان لتساعدها، نظر عمر وأسامه لبعضهما في قلق..

و الآن.. هل علمت لماذا سترحل عن هنا ؟!، من الآن فصاعداً لا تضمن أن تبقى على قيد الحياة في أي لحظة..

تساءل.. متى ستكون العودة لله؟!.. يخطر بباله اليوم فيؤجل العودة للغد ثم يأتي الغد وقد أغرقته الدنيا بمشكلاتها فينشغل بحلها فيفشل فتضيق عليه فيتذكر الله مرة أخرى وكيف أنه قد ضل الطريق..!، فيسلك طريق الله ويطرق بابه ويشكوه همومه فتحلل مشاكله لكن سرعان ما يرجع لنقطة البداية من جديد.. ليس في ذلك حرج ولا عيب.. فباب الله لا يغلق أمام من يسعى جاهداً في كل مرة للعودة إليه، إنما العيب كل العيب أن لا تذكر الله سوى في كل مأذق نقاشه فقط ..

نزل يصلي الظهر في مسجدٍ قريب رغم تحذير أسامة للجميع بعدم مغادرة المنزل في أي حال من الأحوال هذه الأيام.. على الأقل للتأكد من الصوت الذي سمع أمس.. هل هي بداية حرب أم كانت مجرد مناورات فقط؟!، لم يُالي بتحذيره وسعى لصلاح علاقته مع الله بأي طريقة ممكنة ولا يظن بأن ما تبقى له من عمره سيكون كثيراً لذلك سيصلح كل شيء من الآن.. وببداية أصلاح كل شيء هو أصلاح علاقته مع ربه..  
كان في المسجد حين أذن أحدهم آذان الظهر.. كان يفكر في كلام أسامة بالأمس..

بعد فجر اليوم نام الجميع عداه هو وأسامة، كانا يتسامران ...

أشعر وكأني صرت داعشياً حقاً.. تهاجمني أفكار وأسئلة كثيرة..!، لقد تأثرت فعلياً بكلام عثمان بغض النظر عن أنني كنت أكرهه أو أكره تلك التنظيمات عاملاً..

أعتدل أسامة في جلسته..

أتعلم..!، مشكلة التطرف تكمن في أنهم يقومون بأجتناء النص القرآني ويقولون لك هكذا يقول القرآن ولسنا نحن..

هذا ما قاله عثمان فعلاً ولم أستطع تكذيبه لأنه قرآن فعلاً ..!

على ما يبدو أن عثمان كان يقرأ التوراة وليس القرآن..؟!

لم يفهم عمر..، كذلك أدرك أسامة أن عمر لم يفهم قصده ..

مواضيع القرآن شبكية وليس خطية.. شبكية بمعنى أنها موضوعات متتشابكة ومترادفة مع بعضها.. مثل الحياة تماماً.. الحياة شبكية وموضوعاتها متداخلة ومتتشابكة وليس منفصلة، موضوعات التوراة خطية.. بمعنى أن موضوعاتها منفصلة، لذلك القرآن حياة لأنه يعبر عن الحياة تماماً..

لذلك عند دراسة المواضيع القرآنية علينا بتطبيق فكرة قالها أحد الدعاة المسلمين.. " القرآن جملة واحدة " وهي عبارة عن تجميع كل الآيات المتعلقة بموضوع ما وقرأتها كنص واحد خاصة تلك الموضوعات الشائكة مثل الجهاد والقتال وما إلى ذلك..، هدف هذه الفكرة هو الخروج بموضوع متوازن وبعيد تماماً عن التطرف أو الأحاداد..

تساءل عمر في نفسه.. الأحاداد..؟!

الملحدين كذلك يقومون بأجتناء النص القرآني ويقولون كيف يقول الله كذا وكذا.. كيف يأمر بالقتل.. وكيف وكيف ثم يقرر بعدها أن يلحد بسبب الفهم الخاطئ لموضوعات القرآن.. لذلك هو نفس الحل.. القرآن جملة واحدة حتى لا تحدث تلك المشاكل..

حتى القرآن نفسه قد عاب ورفض منهج الأجتناء.. يقول الله.. " كُمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ \* الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ \* فَوَرَبَّكَ لَنْسَانَهُمْ أَجْمَعِينَ "

أذن فهؤلاء المتطرفون محاسبون أيضاً لعدم السعي للفهم الصحيح للأيات بل هم أصلاً المذنبون..

تعجب عمر من ثقافة أسامة.. يبدو شخصاً واعياً ..

لكن دعني أتناقش معك في هذا الموضوع..

هزأسامة رأسه منتظراً مناقشته..

أليس صحيحاً أن الله قد أمرنا بقتال وجهاد كل أعداء الإسلام..؟!

سكت أسامه للحظة بدا فيها وكأنه يستعد لأجابة عمر ..

لقد وقع الجهاديون في خطأ فادح.. القرآن فرق بين الجهاد والقتال.. كل آيات الجهاد عندما تقرأها كجملة واحدة تكتشف أنها تتكلم عن بذل الجهد والبناء والعطاء والتنمية.. معنى الجهاد هو البناء..

أما القتال فهو يتكلم عن معركة عادلة بين جيشين.. ساحة معركة وجيشين وأسلحة وهكذا ..

ف Kramer عمر قليلاً..

هناك آياتٍ تسحدث عن قتال الكافرين مثل " وَاقْتُلُوهُمْ حِيْثُ تَقْعُدُمُوْهُمْ" ، " فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فَضْرِبُ الرِّقَابِ" ، " فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ" ..

و هذا لأنك لم تقرأ القرآن جملةً واحدة..، عندما تقرأ آيات الجهاد ستجد أنها مقترنة بأية " قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعذدو إن الله لا يحب المعتدين " ... أذن قاتلوا مقيدة بالذين يقاتلوننا فقط يا عمر وليس أي من كفر بالله يقتل..، القتال لرد الأعتداء على من اعتدى عليك فقط.. على نفس ذات المعتدي..

يبدو هذه منطقاً، Kramer عمر قليلاً..

لكن دائماً ما كان يردد قائد التنظيم في العراق أن هدف تنظيم داعش الأساسي هو رد الأعتداء الواقع على المسلمين من أعداء الإسلام..

هناك آية تقول " فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ " .. أذن فمن يعتدي علينا أن نعتدي على ذات المعتدي.. أذن عندما نقتل مواطناً أنجليزياً أو صحفي أميركي مثلاً فأنا سنجعل ذنبه ليوم الدين..، قتل الصيادين المصريين ..! لماذا يتم قتلهم برأيك؟! هم نصارى.. لهم دينهم ولنا ديننا فلماذا يتم ذبحهم وهم عزل بدون أسلحة؟!، منذ متى وهم أعتدوا علينا ليعتدى عليهم؟! هل كانت معركة متكافئة مثلاً؟!

رد عليه Kramer عمر بنبرةً هادئة..

أذن لا يوجد حل لهذه المشكلة فعلاً سوى أن تكون معركةً متكافئة بين جيشين..

و ليس هذا فقط.. فالقرآن ألمانا قبل الدخول في معركة أن نرد الأعتداء بالسلام أولاً.. " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَةً " .. أطرقوا كل أبواب السلام أولاً..

بدا على أسامة أنه يستجتمع أفكاره من جديد..

أذن فقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم.. ومن اعتدى عليكم فأعتدوا على ذات المعتمدي.. أدخلوا في السلم كافة أولاً، وأذ لم تجدي هذه الطرق نفعاً ندخل في معركة.. معركة ستكون عادلة بين جيشين.. حينها نقتلوهم حيث ثقفتهم كمثل أي جيش في العالم في كل زمان.. حينها يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال لتشجيع الجنود..

معركة عادلة يا عمر تجوز فيها كل خداع الحرب..

تذكر عمر سؤالاً كان يراوده عندما كان والده يقص عليه حروب المسلمين والفتحات الإسلامية..

ماذا بشأن الفتحات الإسلامية.. كنا نحن من نُرسل جيوشنا لهناك.. ألا يعتبر هذا أعتداء؟!

أنسندأسامة ظهره للوراء ثم هز رأسه نافياً ..

كانت الدولة الإسلامية حينها دولة وليدة ناشئة، كانت إمبراطوريات مثل الفرس والروم يريدون القضاء عليها تماماً قبل تفاقم قوتها..، كانت الفتحات الإسلامية لرد الأعتداء وليس للأعتداء..، كان أبا بكر مثلاً منشغل بحروب الردة ولكنه أصر على خروج جيش أسامة بن زيد لمواجهة الفرس.. فتح على نفسه معركتين حاسمتين بسبب تهديدات الروم أيضاً ..

ثم أن الفرس والروم كانوا محتلين ومحظيين لأغلب الدول وكانت الدولة الإسلامية تفتح هذه الدول وترفع الظلم عنها..

ماذا عن حديث رسول الله " أمرت أن أقاتل الناس كافة حتى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله "؟

لقد فهمت الحديث خطأ يا عمر.. كلمة الناس في اللغة العربية تعني أما كل الناس أو فئة صغيرة مكونة من عشرة أشخاص مثلاً..، في هذا الحديث هو يتكلم عن قريش ولم يقصد أصلاً أنه سيحاربهم حتى يسلموا.. المقصود هنا أن قريش لن توقف الحرب حتى يؤمنوا به في النهاية لأنه لن يستسلم وسيواصل الدعوة ..!، لم يقصد أنه سيُكرههم على الإسلام، نحن أبعدنا عن لغتنا فكان سهلاً أن لا نفهم لغتنا أصلاً..

لم يستوعب عمر ثقافة أسامة الرائدة أو أنه قد تأثر فعلاً بفكر داعش..

بكلامك هذا قد نسفت معنى الجهاد يا أسامة ..!

الجهاد باقي ليوم القيمة يا عمر.. لكن لكل عصر جهاده، كان الرسول يقول " خلوا بيني وبين الناس " .. كان يريد أن يدعوهם لكن قادة قريش كانوا يمنعوه من الوصول للناس فكان الحل الوحيد أمامه للوصول للناس هو الجهاد..

لكن الآن وفي وجود الأنترنت.. ما الذي يمنعنا من التواصل مع الناس لدعوتهم بدلًا من قتالهم..؟!، هذه هو جهاد عصرنا يا عمر.. جهاد البناء.. لن تتقدم أوطاننا إلا بآنسٍ يجتهدون لبناء أوطانهم ...

ساد الصمت بينهما طويلاً.. لاحظ عمر أن أسامة ينظر إليه لدقائق محدقاً به ..!

لماذا تنظر ألي هكذا..؟!

أريد أن أتخيل شكلك قبل أن تنضم لذلك التنظيم.. هل كنت بتلك القسوة أم أنك كنت شخصاً عادياً ..

عاد لواقعه من جديد..، ما قطع تفكيره سقوط شيء على ظهره.. أنه طفل تعثر فوقه على ظهره، التفت إليه عمر مبتسمًا وأمسكه ثم أوقفه أمامه..

ما أسمك يا صغيري..؟!

رد الطفل بأبتسامة بريئة ..

إيلان ..

إيلان ..؟ ! ، أسمٌ جميل ! ، أتعرف معناه ؟

نعم ..، لقد أخبرني والدي عن معناه ذات مرة، إيلان يعني حامل راية النصر ..

لا يعرف عمر لماذا أبتهج بحديشه مع هذا الطفل، جاء رجلٌ من ورائه متأسفاً ..

آسف سيدى، هيا يا إيلان تعالى ..

تعجب عمر من تأسف الرجل ..

سيدى ؟ !، يبدو أننى الأصغر هنا سيدى ..، ثم على ماذا أصلًا تتأسف، إيلان طفل رائع ..

ابتسم الرجل وجلس بجانبه وحاول أن يجلس إيلان بجانبه لكنه فشل ...

سألعب قليلاً يا أبي ..

يا إيلان نحن في بيت الله ولا يجب أن تلعب في بيته، أتينا هنا لنلعب أم لنصلى ..؟

أتينا لنصلى لكن الأمام لم يأتي بعد، ثم أن الله لن يمانع ولن يغضب عندما ألعب في بيته ولو قليلاً، على العكس تماماً يا أبي هو سيكون سعيداً طالما أننى لن أكسر أو أفسد شيئاً هنا ..

ضحك عمر من براءة هذا الطفل وغلب والده على أمره تاركاً إيلان يلعب، مرت لحظات صمت كان الرجل يbedo فيها متتوتراً بجانبه .. ينظر إليه ثم يتتردد أن يكلمه وهكذا عدة مرات، لاحظ ذلك عمر ..

تبعدو قلقاً سيدى ..، هل أنت بخير ؟

تبدو مألفاً لي، أنت تشبة أحدُ ما خطر بيالي ..

ابتسم عمر وعرف مصدر قلقه، سأله الرجل ..

لماذا ابتسمت هكذا؟

لأنني هو ذلك الشخص الذي تفكر فيه ..

أتسعت عيني الرجل ذهولاً ..

حقاً؟!، أنت ذلك الضابط المصري الذي قتل أخيه ...

لم يُكمل سؤاله.. سؤال هكذا لا يجب أن يسأله لا سيما بعد عرض الفيديو الآخر والذي شوهد فيه أنه قتل قيادي آخر وهذا يعني أنه قد أجبر على قتل أخيه من المخابرات المصرية كمهمةً وطنية، رد عمر عليه..

نعم.. أنا هو ذاك الرجل الذي قتل أخيه، لكن ليس كما يصوّره الأعلام سيدني ..

هُنَّ الْجَلِيلُ رَأْسُهُ مِتْفَهُمًا كَلَامُهُ..

لكن كيف أتيت لهذا..؟!، هل تم تكليفك بمهمة ما هنا في سوريا من قبل المخابرات؟!

قالها الرجل وهو مائل باتجاه أذن عمر كي لا يسمعه أحد بصوت منخفض جعل عمر يضحك على أمرها ...

لَا.. أَنَا عَالِقٌ هُنَا فَقْطٌ ...

نظر عمر للساعة أمامه وتساءل ما إذا كان من المفترض أن يكون الوقت الفاصل بين الأذان والأإقامة ربع الساعة فقط؟!، لقد مر نصف ساعة تقريباً على الأذان والأمام لم يظهر بعد!، سمع هممات الناس في المسجد، الجميع منزعج من تأخر الصلاة.. فجأة دخل عدة أشخاص المسجد مسرعين وحاملين شخصاً ينزف بشدة..!، أنه الأمام على ما يبدو..!، فجأة بدت الأجواء هنا في المسجد متوتة ومضطربة، التفت عمر ليبحث عن شيء لا يعرفه..!، ليست الأمور هنا في المسجد فقط مضطربة، فلقد سمع صوت رصاص متراشق في الخارج، وفي صوت واحد هو الرجل صرخاً..

ایلان

أصبح الرجل مشتتاً.. يبحث عن طفله بجنون داخل المسجد، فيما أسرع عمر للخارج عندما لاحظ إيلان خارجاً، كان يلعب في الخارج وعلق خارجاً بسبب تدافع الناس للمسجد..، وصل إليه فعلاً بصعوبة وحمله.. أحتضنه وبخبيه بين ذراعيه ليحميه من وابل الرصاص المترافق في كل جهة بطريقة عشوائية.. فجأة وجد المسجد عبارة عن ركام بجانبه.. إحدى القذائف أصابت المسجد دمorte تماماً.. تسأله.. هل مات والد إيلان؟!، لم يعد هناك وقت للتفكير.. عليه أيجاد مكان آمن للأختباء بالطفل.. أسرع ليفادي نفسه من الرصاصات المترافقه حوله من كل جهة..!، لم يكمل هرويه حين أصابته في كتفه الأيمن مجددًا.. سقط أرضاً وتحته الطفل، يحاول وبشتي الطرق حمايته، حاول الهوض وأحتضان إيلان لمواصلة حمايته على الأقل حتى يتمكن من الأختباء في مكان آمن، مرة أخرى يجري وسط هذا الوابل من الرصاص العشوائي، أحتمى بأحدى المحلات المدمرة جراء ما يحدث الآن..، الصدفة العجيبة هنا أنه وجد والد الطفل مختبئاً في نفس المكان يبكي ويصرخ لعدم أيجاده لطفله.. لقد ظن أن طفله قد مات في المسجد أو حتى خارجه، عندما وجد عمر يدخل ليحتمي بالمكان ممسكاً بطفله ليحتمي فيه نحو طفله ليحمله من عمر وأحتضنه بشدة وأخذ يقبله بدموع منهمرة، التفت لعمر كي يشكراً ..

شكراً لك يا عم ...

لقد وجده مستنداً على الحائط فاقد الوعي.. أو ربما قد مات..

لم ينقطع أملها بالله أبداً، تدق في أنه سيسجيب لها يوماً ما.. متى وكيف؟ لا تعلم لكنه سيسجيب حتماً.. هي متأكدة، لطالما أحسنت ظنها بربها دوماً.. سيعود عمر.. سيعود إليها ولو بعد حين ..

لقد طمئنها الله ليلة أمس بطريقة غريبة، ظهر عمر في أحدى نشرات الأخبار صدفة ليلة أمس وهو يحمل طفلاً بين ذراعيه صارحاً لطلب النجدة لأنقاذ الطفل المصاب.. وبعدما وصل للمستشفى بهذا الطفل مات الطفل.. مات بعد أن لفظ آخر كلماته.. "سأخير الله بكل شيء"، تلك الكلمات التي لن يدرك العالم كارثيتها وقوتها إلا حينما يقف هذا الطفل خصماً للعالم كله أمام الله..

خطر ببالها سؤال لم تجد له أجابة مقنعة، لماذا أرسلت المخابرات المصرية عمر لسوريا؟!، لقد أفتضح أمر عمر وعرفه العالم كله بأنه عنصر مخابراتي تم تجنيده في صفوف تنظيم داعش وقتل قياديين فيها.. ورغم ذلك تم أرساله لسوريا..!

منذ أيام تم عرض الفيديو الثاني له كان في العراق وأمس رأته في سوريا.. فيم تفكك المخابرات؟! متى ستنتهي مهمة عمر تلك ويرجع إليها؟!

توضأت وأرتدت حجابها وفرشت سجادة الصلاة.. وقفت أمام الله لتصلِّي الفجر .. الله أكبر .. الفاتحة ثم آية الكرسي.. تركع ثم تسمع الله حمدتها.. ثم تسجد وتدعى الله مرة أخرى.. لن تكف عن الدعاء ... لقد شفيت تماماً عندما تضرعت لله وطلبت منه ذلك ..

عادت لذكريات حنت إليها..

فكرت في أنها كيف تعيش معه كل لحظة وكأنها الأخيرة.. لن تفكِّر بما سيأتي، ما سيأتي لاحقاً ليس كما تحب أو تتمني.. سيصيبه الملل على كل حال.. ستتعالج لكن مع طول فترة عجزها سيصيبيه الملل ولن يستمر لأجلها.. سيتسرب إليه الملل شيئاً فشيئاً، لذلك فكرت أنها لن تفكِّر بمستقبل علاقتها معه، قاطعت والدتها تفكيرها ..

بماذا تفكِّر صغيرتي؟

نظرت لوالدتها بخجل ..

كلما فكرت في الأستمتاع بكل لحظةٍ معه يراودني شعور الوحدة بعدهما يصيب عمر الملل مني، كيف يمكنني  
التعود على الحياة بدونه؟!

و لماذا تفكري بهذا؟، عمر سيقى معلِّك يا آسيَة.. عمر يُحبك !

لمتى يا أمي..؟!

لم تُجب والدتها.. سؤالها منطقى.. لمتى؟!، أكملت آسيَة كلامها ...

عندما تم أرغامي على خطبة ابن عمِي فكرت في أرغامِ نفسي أيضًا على نسيانِ عمر، حتى لو لم أستطع ذلك..  
فكarma يتذكره عقلي وقلبي سأطروحه.. سأكرره بلا سبب، سيقبل عقلي أنه سينسانِي يومًا ما لذلك عليّ نسيانه أنا  
أيضاً حفاظاً على كرامتي.. سأقع نفسي بأنه سيرتبط بفتاة غيري.. سأجد ما يُبرر نسيان قلبي وعقلي له، ولكن  
الآن.. كيف يمكنني التأقلم على غيابه عنِي؟ كيف سأتقلم على ذلك بعد ما فعله معِي؟! لم يمر سوى شهرٌ  
واحد فقط على أنضمامه للجيش وقد شعرتُ بأنها سنة.. لم يغب عنِي لحظة واحدة..

أرتسنت على وجهها أبتسامة حزينة ..

متى سيأتي اليوم الذي يقرر فيه عمر تركي بعدهما أصحابه الملل من حبه لفتاة عاجزة؟!، ماذا سيقول لي حينها كي  
لا يجرح مشاعري؟ كيف سيكون شكله حينها؟

أربت والدتها على كتفها ..

أو لعل الله يُحدث بعد ذلك أمراً!، حسناً.. أصغي ألي جيداً ...

أعتدلت في جلستها ..

لم ينتابني أدنى شك في أن الله سيتركنا في محنتنا هذه، في البداية أنتي ظنتي أن عمر سيتركك كالبقية ولكنَّه كان  
أول الداعمين لكـ.. كان أول من يقف بجانبك ولا أطنه سيتركك أبداً..

لكنها مسألة وقت يا أمي ..

قاطعتها والدتها ...

أو يصبر فينال جائزته من الله في النهاية.. جائزته هو أنتي يا آسيه.. أنتي جنته ومكافأة صبره.. أراهن بعمرى كله  
أن عمر لن يتركك في طرف هكذا ولن يتركك أبداً ..

ابتسمت عندما تذكرت كلام والدتها.. لكنها تذكرت فجأة أنها ساجدة أيضاً، لقد خانها عقلها وسرحت أثناء صلاتها.. كانت قد عزمت الرجوع للصلوة تدريجياً بعد تماثلها للشفاء تقريراً، أنهت من الصلاة ثم فكرت في كلام والدتها.. لقد كانت محققة.. حدث ما لم تتوقعه.. تزوجها ! وشفيت تماماً، لكنه ليس معها الآن .. !، لقد تركها أيضاً لكن ليس بأرادته.. هو في مهمة وطنية الآن..

أرتمت على سريرها وفتحت التلفاز لعلها تقرأ خبر عودة عمر مثلاً فستفاجأ وتفرح.. لكنها صدمت بشيء آخر يعرض على التلفاز، قناة الأخبار تعرض صوراً قاسية، صورة أُزرفت دمعتها بمجرد رؤيتها، طفل مُنكب على وجهه على شاطئ في سوريا.. أنه ميت .. !

صوت المذيعة ..

ولكن هذه الصور لا تحتاج لتعليقٍ منا.. لا تحتاج سوى لأن نصمت لندرككم تخاذلت الحكومات العربية في أنقاذ شعب عربي يتم أبادته وتفككه وتهجير مواطنه هريراً من الجحيم في أوطانهم .. !، شعب يموت أطفاله كل يوم ما بين قصف هنا ورصاصه هناك.. ما بين الهجمات الكيميائية هنا وما بين الغرق هناك، تلك الصور التي تُعرض أمامكم الآن سوف تُدين العالم كله.. صور لن ينساها التاريخ..

أمواج البحر أبت أن تبتلع الطفل أيلان ولفظته خارجاً.. لفظته خارجاً لترى العالم مدى قساوته وأنه لا يستحق الحياة، كل شيء مات بعد موت هذا الطفل أيلان.. ولكنه طفل واحد ما بين مئات الأطفال التي يتم قتلهم يومياً.. غرقاً وذبحاً وبالكيماوي وبالرصاص وبكل الوسائل ...

لم تحمل تلك المشاهد وأغلقت التلفاز، حاولت النوم لكنها لم تستطع ذلك.. صورة الطفل وهو ملقي على وجهه على الشاطئ ميتاً عالقةً بذهنها، لديها تفسير آخر لهذه المشاهد غير أن البحر لفظه لكي يُري العالم قسوته.. لقد أدركت أن البحر حزن حزناً شديداً عندما قتل هذا الطفل..، فأرسل أمواجه لتلفظه خارجاً لتشهد الله أنها لم تقصد قتله.. ليس للطبيعة ذنبٌ في قوة منحها الله لها.. حملته الأمواج خارج جعبتها إلى الشاطئ لعل يكون هناك ذرة رحمة للبشر وتدفعه خارجاً، لم تعرفه آسيبة لكنها أدمعت عليه.. كل شيء بكى لأجل هذا الطفل الغريق.. وداعاً أيلان.. لعل الله قد رحمك.. لا يريد أن يُريك قساوة هذا العالم يا أيلان.. وداعاً أيلان..

يأسـت من الـبحث عـنه..، أـسـبـوـعـاً كـامـلـاً وـهـي تـبـحـث عـنـه يـاسـمـار رـغـمـاً تـلـكـ الأـوضـاعـ السـيـئـةـ التيـ تـمـرـ بـهـاـ المـدـيـنـةـ..، لـقـدـ تـقـاسـمـ طـرـفـيـ النـزـاعـ حـصـارـ المـدـيـنـةـ.. النـصـفـ الغـرـبـيـ مـنـهـاـ كـانـتـ مـحاـصـرـةـ مـنـ قـبـلـ جـيـشـ النـظـامـ السـوـريـ أـمـاـ الجـهـةـ الشـرـقـيـةـ فـكـانـ تـحـاصـرـهاـ فـصـائـلـ المـعـارـضـةـ..!

كـانـتـ مـارـيـانـ تـخـرـجـ كـلـ يـوـمـ لـتـبـحـثـ عـنـهـ لـعـلـهـ تـعـرـفـ أـخـبـارـ عـنـهـ لـكـنـ سـرـعـانـ مـاـ كـانـتـ تـعـودـ لـبـيـتـ أـسـامـةـ وـزـوـجـتـهـ حـتـىـ لـاـ تـضـلـ طـرـيقـ أـوـ تـقـعـ فـيـ مـأـزـقـ فـلـاـ تـمـوـدـ، كـانـتـ كـمـائـنـ الـجـيـشـ الـنـظـامـيـ فـيـ كـلـ مـكـانـ وـرـغـمـ أـنـ لـمـيـسـ لـاـ تـعـرـفـهـ سـوـىـ مـنـ أـيـامـ قـلـيلـةـ مـضـتـ فـقـطـ إـلـاـ أـنـهـ أـحـبـتـهـ وـطـلـبـتـ مـنـهـاـ أـنـ تـحرـصـ عـلـىـ الـعـودـةـ مـجـدـاـ..، كـانـتـ مـارـيـانـ مـعـتـادـةـ دـائـمـاـ لـذـلـكـ كـانـ مـنـ السـهـلـ بـالـنـسـبـةـ لـهـاـ الـهـرـبـ وـالـأـخـبـاءـ مـنـ تـلـكـ الـكـمـائـنـ..

تـتـسـاءـلـ.. أـيـنـ تـرـاهـ يـكـونـ؟!، لـقـدـ بـحـثـتـ عـنـهـ فـيـ كـلـ الـأـمـاـكـنـ الـقـرـيـةـ مـنـ الـبـيـتـ.. فـيـ الشـوـارـعـ وـالـمـسـاجـدـ وـأـحـيـاـنـاـ كـانـتـ تـسـأـلـ عـنـهـ فـيـ الـبـيـوتـ الـمـجاـوـرـةـ، بـحـثـتـ عـنـهـ أـيـضـاـ فـيـ ذـلـكـ الـمـسـجـدـ الذـيـ تمـ أـسـتـهـدـافـهـ فـيـ نـفـسـ يـوـمـ أـخـتـفـاؤـهـ حـتـىـ أـنـهـ لـمـ تـجـدـهـ فـيـ جـثـ الضـحـاـيـاـ..، كـذـلـكـ بـحـثـتـ فـيـ الـمـسـتـشـفـيـ الـقـرـيـةـ مـنـ ذـلـكـ الـمـسـجـدـ الـمـدـمـرـ لـكـنـهـ لـمـ تـجـدـهـ..، لـقـدـ حـدـّرـ أـسـامـةـ الـجـمـيعـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ مـنـ مـغـادـرـةـ الـبـيـتـ فـيـ أـيـ حـالـ مـنـ الـأـحـوـالـ حـتـىـ يـتـمـ مـعـرـفـةـ سـبـبـ صـوـتـ تـلـكـ الـمـنـاـوـشـاتـ الـتـيـ حـدـثـتـ لـيـلـتـهـاـ، تـأـكـدـتـ أـحـاسـيـسـهـ وـكـانـتـ فـعـلـاـ بـدـاـيـةـ حـرـبـ بـيـنـ قـوـاتـ الـنـظـامـ وـفـصـائـلـ الـمـعـارـضـةـ.. لـقـدـ تـمـ مـحـاـصـرـتـهـمـ مـنـ قـبـلـ قـوـاتـ الـنـظـامـ، لـيـسـ هـنـاكـ أـدوـيـةـ أـوـ مـوـادـ غـذـائـيـةـ أـوـ مـيـاهـ حـتـىـ دـخـلـتـ الـمـدـيـنـةـ مـنـذـ أـنـ قـرـضـ عـلـيـهـمـ الـحـصـارـ.. الـكـهـرـبـاءـ أـيـضـاـ لـمـ تـعـودـ مـنـذـ أـنـ تـمـ قـطـعـهـاـ.. الـحـيـاةـ هـنـاـ مـأـسـاوـيـةـ، بـلـ أـنـهـ الـبـدـاـيـةـ فـقـطـ..

شـعـرـتـ بـالـجـوعـ لـكـنـهـ تـعـلـمـ جـيـداـ أـنـ مـخـزـونـ الطـعـامـ فـيـ الـبـيـتـ بـدـأـ يـنـفـذـ، تـحـاـولـ بـقـدـرـ ماـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـتـحـمـلـ الـجـوعـ، وـجـدـتـ فـيـ الصـومـ الـطـرـيقـةـ الـمـنـاسـبـةـ لـكـبـحـ جـوـعـهـاـ، لـمـ تـقـوـىـ كـذـلـكـ عـلـىـ العـطـشـ فـدـخـلـتـ الـمـطـبـخـ لـتـشـرـبـ خـلـسـةـ فـدـخـلـتـ لـمـيـسـ وـرـائـهـاـ فـجـأـةـ فـوـجـدـتـهـاـ تـشـرـبـ، ضـحـكـتـ مـارـيـانـ، وـضـعـتـ لـمـيـسـ يـديـهـاـ عـلـىـ جـانـبـيـهـاـ وـرـفـعـتـ حـاجـبـيـهـاـ ..

لـسـتـيـ صـائـمـةـ كـمـاـ تـدـعـيـنـ..

تبسمت ماريـان وقـالت بـلـؤـم ..

نعم.. أحبـت فـكرة الصـوم وجـريـتها فـعـلاً، لـكـن لا تـنسـي أـن لـدـي بـعـض المـمـيـزـات هـنـا..، أـنـا مـسـيـحـيـة عـلـى أـيـة حـال..

قالـتـها فـضـحـكت كـلـتـاهـما، قـالـتـ لمـيـس..

مارـيـان.. لـا تـقلـقـي بـشـأـن الطـعـام، إـذـا مـا أـصـابـكـ الجـوع فـلا تـشـرـدـي بـالـأـكـل، لـا تـقلـقـي بـشـأـنـا.. فـالـلـه خـيـر رـازـقاً وـهـو أـرـحـم الـراـحـمـين ..

هزـت مـارـيـان رـأسـها فـي خـجل موـافـقة أـيـاهـا..

أـيـن أـسـامـة؟! مـازـال نـائـمـاً؟!

نعم.. مـا زـال نـائـمـاً، لـقـد سـهـرـنا حـتـى مـا بـعـد السـحـور، كـنـا نـفـكـر فـي ..

فـجـأـة أـهـتـزـ الـبـيـت بـطـرـيقـة جـعـلـتـهـما تـسـقطـان.. نـظـرـتـا لـعـضـ فـي صـدـمـة وـفـرع.. تـسـائـلـتـا مـاـذا حـدـث؟!، لـكـنـ لمـيـس تـذـكـرـتـ زـوـجـهـا وـرـضـيـعـهـما وـهـمـا نـائـمـان بـالـطـابـقـ الثـانـي..، صـرـخـتـ وـتـوجـهـتـ بـسـرـعـة نـاحـيـة السـلـمـ لـكـنـ الـبـيـت أـهـتـزـ بـعـنـفـ هـذـه المـرـة جـعـلـتـهـا تـسـقطـ مـن السـلـمـ لـتـعـيدـ صـعـودـهـا مـن جـديـدـ، حـاـولـتـ مـارـيـانـ منـعـهـا مـن الصـعـودـ لـمـا رـأـتـ أـنـ الطـابـقـ الثـانـي قد دـمـرـ تـقـرـيـباً، أـبـعـدـتـ لمـيـسـ يـديـهاـ بـعـنـفـ وـأـصـرـتـ عـلـى الصـعـودـ، تـبعـتـهـاـ حـتـى أـقـرـبـتـاـ مـنـ الغـرـفـةـ المـدـمـرـةـ تـقـرـيـباً!

فـجـأـة خـرـجـ أـسـامـة حـاضـنـا لـصـغـيرـه ليـحـمـيـهـ مـنـ أـيـ شـيءـ، حـاـولـ الـهـربـ لـأـيـ مـكـانـ لـيـنـقـذـ طـفـلـهـ أوـ حـتـىـ لـيـطـمـئـنـ مـاـإـذـاـ كانـ قـدـ أـصـابـهـ شـيءـ أـمـ أـنـهـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ..

تـوجـهـواـ جـمـيـعـاً مـرـةـ أـخـرىـ نـاحـيـةـ السـلـمـ وـحاـولـواـ النـزـولـ وـالـخـرـوجـ مـنـ المـنـزـلـ، تـدـاعـيـ السـقـفـ مـنـ فـوقـهـمـ فـبـدـأـ بالـأـنـهـيـارـ..، أـسـرعـ هوـ نـاحـيـةـ بـابـ المـنـزـلـ لـيـهـربـ لـكـنـهـ لـاحـظـ أـنـ زـوـجـتـهـ لـمـ تـسـرـعـ خـلـفـهـ.. كـانـ مـنـ الطـبـيـعـيـ أـنـ يـنـظـرـ خـلـفـهـ لـيـعـرـفـ مـاـذاـ حـدـثـ، لـقـدـ وـقـعـ السـقـفـ كـامـلاًـ عـلـىـ السـلـمـ وـمـارـيـانـ تـحـاـولـ أـنـقـاذـهـا.. لـكـنـ عـلـىـ أـيـ حـالـ يـبـدوـ أـنـ لمـيـسـ لـيـسـ تـحـتـ الـأـنـقـاضـ.. هـذـاـ جـيدـ..

التفت ليهرب بصغريه خارجاً، نظر لطفله ولم يستوعب الأمر.. ظل يُحدق به دون وعي.. !، طفله كان لونه أبيض..، ليس بشرته هكذا.. أنما التراب الناتج عن أنقاذه هذا البيت يملئ وجهه.. دماغه الهشة تنزف دماً، وضع أذنه على قلبه لعله يخيب ما يفكّر فيه لكنه لم يسمع نبضات..

ظل هكذا لدقائق.. لم يستوعب أن قلب طفله قد توقف عن النبض.. !، ظل هكذا آمالاً أنه قد فقد سمعه لا أكثر وأن قلب طفله يعمل بشكلٍ طبيعي..، جاءت لميس من ورائه مسرعة لكنها توقفت حين رأت زوجها ثابت على حركةً واحدة واضعاً أذنه على قلب طفلها، أقتربت منهما ووضعت يدها على كتف أسامة لطمئن على صغيرها، التفت إليها أسامة في شroud وكأنه لم يستوعب الأمر بعد..، فهمت لميس أن طفلها قد مات عندما رأت أن الغبار قد مليء وجهه ونزيفه هذا، جلست بجانبه ولم تنطق بكلمة.. بل أنها لم تبدي ردة فعل أطلاقاً ..!

أما ماريـان فلم تستطع السيطرة على دموعها.. أقتربت من أسامة ونظرت إليه بعفوية لكنه كان يذرف دموعاً الحسرة والحزن.. ظل محدقاً بطفله، التفت لماريـان أيضاً في شroud، ثم عاود النظر لطفله ...

كنا سنرحل عن هنا قريباً من أجله.. من أجل أن يحيا في مكانٍ آمن بعد أن دمر وطنه، كنا سنرحل لكنه رحل قبلنا.. رحل أسرع مما كنت أتخيل ..!

بدأ نحيبه يزداد، بدأ يغضب بحزن ..

لماذا هو ؟!، لماذا هو بالذات ؟!، لماذا هو بينما يبقى الطغاة ؟!، لماذا صغيري بالذات هو من يموت بينما يبقى هذا العالم القذر ؟!، لماذا هو..، لماذا ؟!!

حضره بشدة ثم أفلته مرة أخرى ليكلمه.. أو ليودعه ..

أتعرف يا صغيري.. ما يهون على موتك هو أننا سنتقي في الجنة بأذن الله.. حيث لا ظلم هناك، سنجد هناك من خلقنا وسيقتضى لنا.. لا تقلق يا صغيري.. فحقك عند ربك محفوظاً ليوم الدين.. سيقتضي ممن قتلوك.. سيقتضي ممن حرمنا منك..

قبّله ثم أحضنه قليلاً ثم عاد ليكلمه مع ابتسامة باكية..

ستكون شفيعاً لنا يا صغيري وسنقابل مجدداً عند خالقنا، أهداً.. لن يطول الأمر.. قريباً سنلحق بك.. قريباً ...

" للحظاتٍ فقط تناهى عمر ما حدث منذ قليل، صحيح أنه بدا حزيناً ومهماً من معرفة العالم كله بأنه قاتل أخيه.. لكنه كان مستمتعاً بكلام جمال الدين.. كان الحوار معه شيئاً.. شيئاً لدرجة أنهم تطرقوا لمناقشات أخرى..

...، لكن من المخطئ برأيك؟، قضية سوريا معقدة، لا أعرف من يحارب من ولأجل ماذا..

تريد أن تعرف من المذنب؟!، أخبرني أذن.. من هم أطراف النزاع في سوريا؟!، من يمتلك الأسلحة؟، وما هي خسائر أطراف المعركة هناك؟! من الضحية برأيك؟ هل يحاول أحدهم حل الأمور بعقلانية؟!، هل يتواجد أمل ولو بسيط بأنها تلك الصراعات قريباً؟!

أسئلته منطقية لا تصدر سوى من شخص يفهم تلك الأمور جيداً وأجابتها أيضاً لن تكون سوى لديه، حاول أن يستجواب معه لكن الأمور بدت له معقدة ...

أطراف المعركة هناك.. النظام والمعارضة و...

قاطعه جمال الدين ..

و أمريكا وروسيا وأيران وتركيا والصين وفرنسا ودول أوروبا والأمم المتحدة وداعش وغيرها من الجماعات المتأسلمة ... أصبحت أرض خصبة للمعارك والقتال يا عمر.. والآن من يحمل السلاح من هؤلاء؟!  
رد عمر متشككاً من كلامه ..

جميعهم.. أرى أن جميعهم يحملون أسلحة.. الجيش يدعم النظام وفصائل المعارضة أيضاً تحمل السلاح، الولايات المتحدة وحلفاؤها تدعم تلك الفصائل.. روسيا وحلفاؤها يدعمون النظام، والجماعات الإرهابية كالعادة لا تفرق بين هؤلاء أو هؤلاء.. تقتل في الجميع ..!

بالضبط هذا ما يحدث هناك، هي أرض معارك.. سوريا لم يعد وطنًا للسوريين.. لقد أصبحت وطنًا للقتال والمعارك والدم، من صحة هذه المعارك؟!.. أنه الشعب نفسه.. الآلاف يُقتلون يومياً والمئات منهم يُشرّدون، لقد أصبحوا مثلنا نحن العراقيين.. لا وطن لهم ..!

تساءل عمر ..

أين هي الأمم المتحدة وما دورها؟!، أين جامعة الدول العربية وما سبب وجودها حتى الآن؟!

تبسم الرجل بسخرية ..

الأمم المتحدة نجحت في أيجاد وطنٍ بديل لهؤلاء.. تلك المخيمات هي وطنهم الحالي ..!، بالله عليك كيف يكون حالي عندما أعلم بأن أعضاء الأمم المتحدة هم عبارة عن مندوبي حكومات تلك الدول التي تحارب أصلًا في سوريا والعراق؟!.. ماذا عليّ أن أتوقع من هؤلاء مثلاً؟!، هل ستتغير مواقفهم عن موقف بلادهم؟!، هم أصلًا موجودين في الأمم المتحدة نيابةً عن حكوماتهم، حتى نظام التصويت فيها عجيب.. خمس دول لها حق الفيتو دائمين في المجلس وغيرهم يتواجد عبر تصويت من هؤلاء.. ما كل هذا العبث؟!، هل تتوقع بعد كل هذا أن يكون هناك دوراً مؤثراً أو قراراً حاسماً للأمم المتحدة في إنقاذ مثل أوطاننا تلك؟!، أيعجز العالم كله عن حل مشكلة العراق أو سوريا؟!، هل أختفت عقول العالم كله؟!

أما بالنسبة لجامعة الدول العربية فحدث ولا حرج..

ابتسم عمر أيضًا بسخرية ..

و ماذا عن داعش؟!، ما دورها بسوريا؟!

لا شيء ..

قطب عمر حاجيه في عدم فهم، أكمل الرجل كلامه..

حقًا.. لا شيء، الوضع هنا في العراق مختلفٌ كلّيًّا عنه في سوريا، هنا لا يوجد لنا جيش فبدلاً من أن نبدأ الأعمار من جديد بعد الاحتلال الأمريكي تم ظهور تنظيم داعش فجأة لتضطر أمريكا للدخول مجددًا للعراق هي وحلفاؤها عبر تحالف دولي ضد التنظيم الذي صنعواه بأنفسهم..

أما سوريا وبرغم ما يحدث فيها مازال هناك جيش وهنا تكمن المشكلة لديهم.. يحاولون بشتى الطرق تدمير دعائم الجيش السوري عبر تفكيكه.. نجحوا فعلًا في تفككه وهو نحن نرى أربعة جيوش لسوريا.. الجيش النظامي، الجيش الحر المعارض وفصائل أخرى ... لكن ما زالت هناك قوة ولو بسيطة في الجيش السوري لم يتم تدميرها بالكامل.. ”

فتح عينيه.. لقد كان يحلم.. لكنه حلمٌ حقيقي، حينها كان حديثه مع هذا الرجل قد أنساه مشكلته الحقيقة.. بل أستصغرها مقابل كل هذا العبث الذي يحدث في العالم، ذلك العالم والذي للأسف الشديد يسكنه البشر..

حاول لدقائق أستيعاب أي شيء لكنه فشل، حاول رفع رأسه لكنه شعر بألمٍ شديد، حاول مرةً أخرى بمساعدة ذراعيه حتى لكنه لاحظ أن يده اليمنى مقيدة، حرك رأسه تجاهها فوجد تلك الجبيرة القماشية.. تسأله ماذا حدث؟!

أنسَد رأسه مرةً أخرى وبدأت الصورة تتضح في ذهنه.. كان في المسجد مع والد الطفل ثم ذلك الهجوم ثم محاولته لأنقاذ الطفل ثم تلك الرصاصة التي أصابته ثم.. ثم لا شيء.. توقف عقله عند هذه اللحظة!، حاول بكل قوته النهوض وبعد معاناة من ذلك الألم في ذراعه كان بالفعل جالساً.

حاول أن يتذكر أو يستوعب المكان لكنه لا يعلم أين هو!، ليس في مستشفى أو عيادة.. هو في غرفة.. أيعقل أن يكون في بيت أسامة؟!، لا لا ليس هو، قام من مكانه وحاول أسناد نفسه على الحائط حتى وصل لباب الغرفة بصعوبة، فتحه.. فوجد الجميع ينظر إليه.. لا يعرف فيهم أحداً.. أسرع تجاهه طفل.. نعم يعرف هذا الطفل.. أنه أيلان.. هو بخيرِ أذن..

عم عمر.. كيف حالك الآن؟

ابتسم عمر ثم مسح بيده على رأس أيلان، كما لاحظ قدوم أحد هم تجاهه أيضاً.. عرفه كذلك.. هكذا أتضحك الأمر.. هو في بيت والد الطفل أيلان بعد أنقاذه، أسدَّ الرجل عمر وقدم به على مائدة الطعام.. يبدو أنه ميعاد العداء.. أو الفطور.. لقد تذكر أنه في الشهر الكريم..

شكراً لك سيدتي على أنقاذه لأيلان.. هكذا هي شهادة المصريين كالعادة..  
التفت ناحية الصوت.. تبدو كوالدة أيلان، رد عليها عمر بصوتٍ منخفض بسبب تعبه فقط..  
لا شكر على واجب سيدتي.. المهم أنه بخير والحمد لله..  
عمل الرجل على أن يعرف عمر على الضيوف..

هذه زوجتي ..

ثم أشار للضيوف ..

و هذا سعد أخي وصاحبِي وهذه أبنته رقية طبيبة وهي من عالجتك ..

التفت إليها عمر وهز رأسه شاكراً، فأكمل الرجل كلامه ..

ليست طبيبة بالضبط ولكنها في كلية الطب، لكنها ماهرة قليلاً فأعتبرناها طبيبة من الآن ..

ابتسم الجميع ..

و هذا مهند في نفس عمر أيلان .. ثلاثة سنوات، ستفطر جميماً هذه الأيام حتى يأذن لنا الله بالرحيل ..

تعجب عمر ..

سترحلون أنتم أيضاً !؟

نعم ... سنهاجر كندا ونقيم عند اختي هناك، الأمور ستكون صعبة قليلاً خصوصاً في إجراءات السفر ..، سنسافر لتركيا أولاً وستنقيم عدة أيام هناك إلى أن تصل ألياناً مصاريف السفر لكذا ..

كان عمر قد شرد ذهنه، تذكر أسامه وزوجته .. هما أيضاً سيرحلان ..

جميعكم سترحلون ؟!، جميعكم ستتركون أوطانكم ؟ من سيقى هنا أذن بعد رحيلكم ؟!

قالها مهموماً، رد عليه الرجل بهدوء ..

ماذا عسانا أن نفعل برأيك ؟!، نبقى هنا ونموت ؟!؟ ..

و هل ستحيا في بلادهم ؟.. هل ستحظى بحياةٍ كريمة هناك ؟!

المهم أننا سنحيا..، هل تعجبك الأمور هنا يا عمر ؟!

بالطبع لا .. لكن من سيقى هنا إذا قررتكم جميماً المغادرة ؟!

سكت الجميع، أكمل عمر كلامه ..

هكذا أرادوا.. إما موتكم أو تشردكم، وقد نجحوا..

تتكلم وكأنه ليس من حقنا أن نعيش ..!، أنت بنفسك لا يعجبك الوضع هنا وتريد الرحيل..

بالنسبة لي.. أريد العودة لوطنِي فعلاً حتى لو كان ثمن رجوعي هو حياتي.. فأنا أريد الموت في وطني حتى لا أشعر بغربتي حتى وأنا ميت، أشتتهِ الموت في وطني ولا أطيق العيش في غيرها ..

لافائدة من هذه الوطنية المثالية يا عمر.. لن تنفعني هذه الوطنية عندما نموت هنا من الجوع أو العطش.. لن تنفعني هذه الوطنية عندما نعيش في ذُعر كل يوم بانتظار الموت.. هل يمكنك التفكير في وطنك عندما يتعلق الأمر بأطفالك ؟!، لا أعتقد بأنك ستتردد في الرحيل ولو للحظة واحدة ..

قام عمر من مكانه، ولم يكمل فطاره.. ليس تذمراً ولكنه يعرف ظروف المدينة جيداً..

سميها ما شئت سيدِي، وأعتقد في أنا ما شئت.. لكن صدقني لو كان وطني يتعرض لهذا ما كنت غادرته هكذا، لن نعيش حيَاتين مثاليتين سيدِي.. لقد خلقت لنا حياةً مثالية واحدة فقط.. أما الدنيا أو الآخرة، في النهاية أنتم من أضاعتُوا وطنكم يا سيدِي، ليس كل الثورات نعيم، بعضها خراب..

هيمن الصمت على الجميع، بينما بدا عمر مشتتاً، سأله الرجل ..

هل أنت بخير؟!

لا أعرف ...، هل المسجد الذي كنا نصلِي فيه بعيدٌ عن هنا ؟

حتى لو كان قريباً من هنا لن تستطيع العودة إلى حيث ما كنت يا عمر، الخروج من هنا الآن أو بدون حذر لن يكون قراراً صائباً..، قوات الجيش الحر يحاصرُونا من كل جهة، وخروجك الآن سيعرضك للقتل حتماً..

بدا عمر شارد الذهن، معنى كلام الرجل أن المسجد فقط بعيد عن هنا، وحتى لو تمكِن من الوصول للمسجد لن يتذكر طريق العودة مجدداً، أنه في الجهة الأخرى من المدينة إذن، لقد فقد ماريَان مرة أخرى ..!

" عاجل ... الأمم المتحدة تناشد الحكومة الإيرانية بضبط النفس والتخلص عن سياسة الأعتقالات ... "

" واشنطن تحذر رعاياها في إيران بالأبتعاد عن المناطق الملتهبة بالأحداث ... "

" منظمات حقوقية تدين بشدة ما يحدث في السجون الإيرانية من تعذيب النشطاء السياسيين ... "

" قائد الثورة الإيرانية يصف المعارضة بالأرهابية ويتهمها بزعزعة استقرار البلاد ... "

هكذا تناقلت وسائل الإعلام ما يحدث في إيران هذه الأيام..، حملة أعتقالات واسعة تشنها الحكومة الإيرانية للمعارضة بسبب دعواتهم المستمرة للتظاهر بعدما تداول نشطاء سياسيين لمشاهد من داخل السجون لشباب ومواطنين يتم تعذيبهم لمجرد احتجاجهم على سياسة الحكومة..

كان يسعى فقط لإحداث بلبلة وتوتر في الشارع الإيراني لكن الأحداث تطورت وخرجت عن السيطرة، وهذا هو المطلوب فعلاً.. أن تخرج الأمور عن سيطرته حتى لا يمكنه التصرف حينها.. كان مستمتعاً بضجة الأخبار هذه

..

ما قطع تفكيره صوت هاتف مكتبه، رفع سماعة الهاتف بدون تردد ..

سيد شريف..، لديك أتصال هام من الدرجة الأولى وقد قمت بتحويله لغرفة الاتصالات السرية ..

حسناً، سأأتي حالاً..

أنتظر هذه المكالمة كثيراً، تأخرت ولكنها أتت في النهاية، لقد أستسلم الطرف الآخر على كل حال وقرر تسوية الأمور معه، تحرك من مكانه وأتجه ناحية غرفة الاتصالات السرية.. وصل إليها بالفعل وفتح الباب ودخل الغرفة وأغلق الباب وراءه، وقف أمام تلك الشاشة العملاقة التي تشبه المرأة.. ضغط مفتاح التشغيل، ظهر أمامه من هو متوقع بالنسبة له.. حسين رئيس المخابرات الإيراني، كان متربداً..

سيد حسين.. لقد أفتقدناك كثيراً، لم أتوقع أتصالك بنا خاصة في تلك الظروف التي تمر بها البلاد ..!

رد عليه حسين بلهجة حادة بعض الشيء ..

لا.. لقد كنت تتوقع ذلك، بل أنك كنت تنتظر ذلك أصلاً، تعلم جيداً أنه سأتصل بك لأحذرك بالاستمرار فيما تفعل، عليك بأنها ما بدأته سيد شريف ..

أرتسمت علامات عدم الفهم على وجه شريف..

مهلاً.. مهلاً سيد حسين، لا يعني تعاطفنا معكم أنه يكون لديكم الحق في اتهامنا بأشياء لا نفهمها حتى..، ماذا فعلنا كي تلقي باللوم علينا؟!

رد حسين بحدة ...

أنت تعلم جيداً ماذا فعلتم سيد شريف، تريدون الأنتقام..، لكن صدقني سيكون ردنا أعنف من ردكم أن لم تنهوا ما بدأتموه في بلادنا..

حقيقي أنا لا أفهم ماذا فعلنا ليكون كلامك معي بهذه الطريقة..!، ولا أعلم ما ذلك الشيء الذي بدأناه والذي علينا أنها حلاً، لكن دعني أسألك سيد حسين.. ماذا فعلتم أنتم كي نرد نحن رداً قاسياً والذي تهددنـي بأن ردكم أنتم سيكون أعنـف؟! وعن ماذا أصلـاً سيكون ردكم أعنـف؟!

لم يجد حسين ردـاً عليه، أكمل شريف كلامـه ..

أنت لم تفعلوا شيئاً يشير غضينا، أنت لم تقوموا بتصفـط طائراتنا أو اختطافـها مثلاً ووقوعـنا في أزمـات سياسـية مع دولـ عربية وغربية، لا شيء يدعـو لانتقام لأجلـه سيد حسين ..

قاطـعـه حسين ليحـسم الأمر..

سيد شريف.. هذا الأمر يختلف عن ذاك، تداعيات ما حصل في حادث طائرتكم بسيطة ويمكن حلها، لكن ما بدأتموه أنتم هو الأخطر على الأطلاق.. مظاهرات تتعلق بقلب نظام الحكم ولعلك تدرك سيدني ما هو الفرق بين هذا وذاك، عليك بأنهاء هذا كما بدأته..

حتى الآن لا أدرى لماذا تربط بين ما يحدث في بلادك وبيننا نحن!، لكن دعنا من هذا كله.. ما هو سبب اتصالكم بنا؟!

قالها وقد أرتسنت أبتسامة علي وجهه تظهر لخصمه أنها سخرية.. سخرية جعلته يغضب في حديثه معه ..

سيد شريف أن لم تنهي ما بدأتموه صدقني سيكون عقابكم قاسي جداً.. وأنت تدرك معنى كلامي جيداً، حتى الآن الأوضاع عندكم غير مستقرة.. لا تدعوني أستخدم أساليبي في معاقبتكم ..

قطعه شريف في حزم ..

سيد حسين.. أنت لست في وضع يسمح لك بالتهديد..

قالها شريف وقد أستغرقوا ثواني من الصمت في نظره قاسية بينهم ..

و بالنسبة لأساليبك التي تهددنا بها فعليك أستخدامها لتنهي مشكلتكم أولاً ..

أقرب كثيراً من الشاشة ..

و الآن أعدركني سيد حسين.. عليّ إنهاء اتصالنا هذا، لدينا الكثير من مشاكلنا الداخلية ما يكفي لعدم ضياع وقتٍ أكثر من هذا.. سلام

أغلق الاتصال وقد شعر بنشوة الانتصار، على كل حال كان الانتقام قاسياً، بعض الوقت فقط وتنتهي هذه المشكلة هناك لكنها ستستنفذ منهم الكثير ..

جلس على مكتبه من جديد ويغمره شعورٌ مختلف.. شعور الرضى، فجأة سمع صوت أحد هم يطرق الباب بسرعة.. ماذا هناك..؟!

أدخل ...

دخلت مساعدته مبتسمة، هناك خبرٌ سار على الأقل ..

سيد شريف .. هناك خبرٌ هام ..

تلهم شريف لسماعه، هز رأسه مستمئلاً ..

لقد رصدنا عمر وماريان أخيراً ..

المفاجأة جعلته يقفز من مكانه، أكملت هي ..

هم في طريق العودة إلى هنا سيدتي، ساعاتٌ فقط وسيكونان هنا في مصر ... !

قبل أسبوعين فقط كانت الحرب في المدينة عبارة عن مناوشات بين الطرفين أو بين أطراف المعركة كلها بعد ظهور جماعات وعصابات أخرى غير الجيش النظامي والحر.. لكن الآن.. الأمور أصبحت كارثية، لا يمر يوم إلا وترتكب مجزرة جديدة في المدينة وأمام عينه، مرة ترمي عليهم براميل متفجرة من طائرات تحلق فوقهم وينتتج عنها أحداث كارثية في المناطق المجاورة، مرة ثانية تداهمهم عصابات مسلحة يقتلون عشوائياً من يجدونه حياً.. مرة أخرى يتخد أطراف المعركة الدائرة هنا المدنيين كدروع بشرية لصد هجوم الطرف الآخر، من يحارب من ومن يقتل من؟!، أحياناً تكون حياة الغابة مناسبة.. على الأقل هناك قانون ثابت فيها وهو قانون البقاء للأقوى.. لكن ما يحدث هنا هو أسوأ من حياة الغابة.. هنا لا يوجد قانون أصلاً.. أمسك بسلاح وأطلق الرصاص على من يحاربك أو من لا يحاربك أيضاً..

لقد أدرك جيداً حديث والد إيلان معه بخصوص الوطن ..، لم يعد هناك وطني ليدافع عنه أحد.. لم تعد هناك سورياً كي يكون هناك سوريون يدافعون عن بلادهم.. عموماً قد نجح والد إيلان الهروب بأسرته من المدينة الأسبوع الماضي، على الأقل هذا ما يظنه، إذ أنه لم يظهر منذ أن غادر المنزل هو أو أحداً من أسرته يوحي بوجودهم هنا، لابد وأنه نجح فعلاً في الهروب من هذا الجحيم بطريقةً ما رغم هذا الحصار المشدد التي تعشه المدينة..

ليلة أمس كانت مأساوية بالنسبة لعمر.. إحدى القذائف أصابت البيت الذي يختبئ فيه هو وعائلته عم سعد صديق والد إيلان، كان عمر في الخارج كعادته كل يوم يبحث عن ماريان ليهربا سوياً لكنه يرجع خائباً.. هذه المرة رجع البيت فوجده قد أنهם.. أقترب من البيت الذي أصبح ركاماً في صدمة.. صدم عندما وجد زوجة سعد تحت الأنماض وقد فارقت الحياة..، بحث عن الباقى وذهنه لم يستوعب الصدمة بعد، عشر على عم سعد أيضاً تحت الأنماض لكنه مازال يتنفس.. أنه على قيد الحياة.. حاول إزالة الأنماض من عليه لكنه أمسكه من يده وجعله يقترب منه ليهمس له بشيء ما ..

عمر.. أرجوك أنقذهم، أهرب بهم خارج المدينة إن أستطعت..

مهند ورقية.. !، أين هم يا عم سعد؟!، أخبرني بسرعة..

أشار سعد لشيء وراء عمر، التفت عمر ورائه ..

لقد تم حبسهم في هذه الغرفة.. ذلك الحائط المنهدم قد سد عليهم الباب و هذه الغرفة بلا نوافذ كما تعلم،  
أرجوك بسرعة..

قام عمر بسرعة لكن الرجل شده من جديد، أقترب منه عمر مجدداً ليهمس له الرجل..

مهند ورقية أمانة في رقبتك يا عمر، هم أخوتك في النهاية..، عليكم جميعاً بالهرب من هنا.. أرجوك..

حسناً..، وستهرب معنا يا سيدي.. لا تقلق..

قام عمر من مكانه لينقذ أولاده لكنه لاحظ أن الرجل قد مات..!، أسرع ناحية الغرفة المسوددة وبحث عن شيء ثقيل ليهدئ تلك الأنفاس.. وجد مطرقة كان يستعملها الرجل في عمله.. لم يتعدد لحظة وعمل جاهداً ليزييل تلك الأنفاس عن الغرفة ، وبعد مجهد قد استنفد منه طاقته بالكامل أصبحت هناك فتحة لا بأس بها يستطيع منها أن يراهما من خلالها، خرجت رقية وهي تحمل أخيها مغشياً عليه.. حاولت أفقاة أخيها ومساعدة عمر على الهدوء ليستعيد أنفاسه ..

خرج عليهم هذا الصباح وقد فقدت رقية وأخيها والديهما، الكارثة لم تقف عند هذا الحد..، لقد تسلل مهند للعب خارجاً عندما هدا أطلاق النار في فجر اليوم.. خرج على حين غفلة من أخيه ومن عمر كذلك، فزع عمر عندما أخبرته رقية بأختفاء مهند، أسرع كلاماً ليبحثا عنه بالقرب من البيت لكنهما لم يجدوا له أثراً.. لم يعشروا عليه..!، فجأة ظهر صوت أطلاق نار مجدداً ورصاص متراشق هنا وهناك، التفت ورائه ليأخذ بيديها ويخبئها سوياً لكنه وجدها ملقاة على الأرض..!، حملها بسرعة ودخل بها للبيت المنهدم، لقد أصابتها عدة رصاصات وواحدة منها أصابت قلبها.. لقد تركت الدنيا هي الأخرى ..!

لم يتبقى سواه هو والفتى الذي لم يظهر حتى الآن.. لابد وأنه قد مات هو الآخر في مكانٍ ما، لا يعرف ما إذا كان قد أوفى بوعده تجاه الرجل في حماية أبنائه والهرب بهما أم أنه لم يكن على قدر المسؤولية.. لكنه كذلك لم يسمح بذلك.. وكذلك الظروف كانت ضده..

يختبئ بين أنقاض البيت وبجانبه جثمان رقية على أمل أن يظهر مهند، وهي الأمنية الوحيدة التي تحققت حتى الآن.. لا يعرف أن كان يشعر بالفرحة لأنه رأهأخيراً أم بالصدمة حينما كان يستعد لعبور الشارع وسط أطلاق النار هذا، صرخ فيه عمر..

مهند.. أبق مكانك.. ليس الآن..

لكن الأوّان قد فات.. خرج مهند من مخبأه في أحدى المحلات التجارية المدمرة أمام البيت مسرعاً باتجاه عمر عندما توقف أطلاق النار لثوانٍ .. !، فجأة عاد أطلاق النار مجدداً ومهند في منتصف الطريق، كان من الطبيعي أن تصيب أحدهما الطفل.. دفعته قوة الرصاص عدة خطوات للوراء ، وبحركة لا أرادية خرج عمر من مخبأه لينقذ مهند ولি�تفادى الطلقات لم يحمل الطفل مباشرة بل أسرع من مكانه ليعبر للجهة الأخرى وسحب مهند من ذراعه حتى وصل بنجاح.. أسرع ليطمئن عليه، ليست رصاصه واحدة .. !، واحدة في ذراعه الأيمن والأخرى في كتفه الأيسر.. لكنه ما زال يتنفس.. ، سأله الطفل بصوتٍ ضعيف وكأنه لم يدرك الألم بعد..

أين رقية يا عم عمر؟! أين اختي؟!، أريدها أن تعالجني.. هي تعرف كيف تعالجني..

وجد عمر فتحة في المحل التجاري الذي كان يختبئ به مهند، تطل هذه الفتحة على شارع آخر، أتجه به مسرعاً إلى اللامكان.. ، يجري نحو أي شيء ينقذ به مهند، سأله عمر بحدة..

لماذا خرجم دون أستئذان يا مهند؟! وأين كنت أصلاً..؟!

رد عليه بضعف وكأنه بدأ يفقد وعيه ..

كُت في المكان الذي دُفن فيه والدائي، كُت أزورهم في أول يوم لهم في وحدتهم تلك، ظنتهم جائعين.. لكنهم لم يردوا عليّ، فتركت الطعام أمام قبرهم وأسرعت بالرجوع لكنني رأيت أن الحرب قد عادت..

كان عمر يجري مسرعاً ليجد من ينقذ مهند أو أن أحدهم يعرف مكان مستشفى، بدأ الطفل يشعر بالألم تدريجياً وكان يهدي بكلام، سأله..

لقد ماتت..؟!

توقف عمر للحظة محدقاً بالطفل.. كيف عرف؟!!، واصل الجري لمكان آمن، أكمل الطفل هذيانه..

ماتت رقية ولم تستطع علاج نفسها؟!، يا لحماقتها..!، رغم أنها كانت طيبة إلا أنها كانت تكره الأدوية لو تعبت يوماً ما، لكنها كانت تحب أن تكون السبب في شفاء الناس ..

نظر الطفل لعمر وهو يحاول جاهداً أنقاذه..

لكن لماذا يتقاول العالم كله هنا يا عم عمر؟! لماذا يتقاتلون أصلاً؟!، لماذا العالم ليس مثل أختي يحبون مساعدة غيرهم؟، أقسم بالله لن أسك特 سوف أخبر ..

سكت الطفل فجأة بينما دخل عمر مسجداً.. كان في الواقع عبارة عن مستوصف، كان الجرحى والمصابين المتضررين من المناطق المجاورة ي تعالجون هنا بسرعة، وضع عمر الطفل على أحدى السرائر وبدأ فعلًا بالصرارخ.. الألم يشتد خاصة بعد تدخل الطبيب لعلاجه لكن عقله لم يكف بالبحث عن من يستمع لشكواه.. يريد أن يشتكى العالم كله لكن لمن..؟! لوالديه اللذان توفيا بالأمس أم لأخته التي ماتت اليوم.. حتى لو كانت أخته حية.. لم تكن لتفعل شيئاً هي ضعيفة ..

بعد أن ترك عمر الطبيب يقوم بعمله سمع أحدهم ينادي عليه، التفت ناحية الصوت وتفاجئ حين رأها مجدداً.. أنها ماريـان..!، رحبت به بلهفة ..

عمر.. كيف حالك؟!

الحمد لله.. بخير، من الجيد أن أراك مجدداً..

ماذا بك يا عمر.. هل أنت بخير؟!، أقصد لماذا أتيت لهاـنا؟!

التفت ناحية الطفل ليخبرها بأصابة الطفل لكنه وبالرغم الصخب الموجود في المسجد لكنه سمع صراخ الطفل

...

آآآآه.. آآآآه.. والله لسوف أخبره.. سوف أخبره بكل شيء.. سأخبر الله بكل شيء..

وكان الزمن توقف عند هذه اللحظة، دُعِرَ عمر وكان أحدهم قد هدده ب حياته..!، هذا الطفل سيخبر الله بكل شيء؟!، لكن الله يعلم كل شيء حقيقة.. لكنه بالتأكيد سيستمع لذلك الطفل.. طفل لم يرى في حياته إلا الدمار.. لم يرى سوى هؤلاء الذين يموتون كل يوم أمام عينيه.. لم يرى سوى نقص الغذاء والماء والحرصار كل يوم.. لم يرى سوى طائرات ترمي بقنابل ورجال يقاتلون بعضهم ليلاً ونهاراً ..

جذبته ماريان من ذراعه ليستفيق من شروده ..

ماذا بك يا عمر؟! هل أنت بخير..؟

كان قلبه يتحقق مما سمعه الآن، التفت إليها وكان قد تذكر شيئاً ..

لماذا أنتي هنا يا ماريان؟!، وكيف حال أسامة وزوجته؟!

أخفضت ماريان رأسها.. كان الحزن بادي عليها جلياً، تعجب من صمتها فسألتها ..

ماذا حدث يا ماريان..؟!

أجابته والحزن يظهر حتى بصوتها ..

لقد مات رضيعهم تحت الأنقاض يا عمر..

صُدم عمر من سماع خبر اعتاد سمعه ورؤيته يومياً، أكملت ماريان ..

بعدها غادروا المكان ولم أعرف مكانهم.. أقتربوا على الرحيل معهم لكنني رفضت ذلك لأكمل بحثي عنك، أثناء بحثي عنك وجدت طاقم القناة التي كنت أعمل بها ..

جاء أحدهم من ورائه وأربت على كتفه، التفت عمر إليه.. أنه الطيب، التفت بسرعة لمهند فوجده نائماً، التفت للطبيب مرةً أخرى..

يا أستاذ..، لأسف لقد مات طفلك، رحمه الله وصبرك أنت على ما بلاك..

لم يتحرك عمر.. كان كالصنم.. !، محدقاً بالطفل وعيناه تدربان الدموع.. كانت غزيرة بدرجة تعلن عن ضعفه وأستسلامه، ظلت الجملة الأخيرة للطفل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة تتردد في ذهنه.. سأخبر الله بكل شيء.. !، لقد مات الطفل.. مات مهند.. مات آخر من تبقى في هذه العائلة.. مات وهو يهدد الجميع بأنه سوف يخبر الله بكل شيء ..

## يومهم الأخير

لم تكن لتخيل أن رحلتها تلك ستنتهي قريباً ..، وصل الأمر لدرجة الحلم.. كانت تحلم بالعودة وبالذات مع عمر، ففي اليوم التي عثرت فيه على طاقم القناة وجدت عمر كذلك بالصدفة وعلى الفور أتصلت بعمها أخيها وطمأنته على نفسها، أمرها بالعودة مع طاقم القناة فور أنتهاء مهمة الطاقم في سوريا بعد أيام لكنه عاد بعدها بدقة ليتعجل رجوعهم ومعهم عمر بالتأكيد.. حدثها عن أجراهام غريبة..، سيسلكون طريقاً برياً حتى العاصمة دمشق ومنها إلى المطار وستكون هناك طائرة خاصة بانتظارهم.. لكنها لا تبالي بهذا.. المهم هو رجوعها لمصر..

ابتسمت وهي تنظر من نافذة العربة.. تنتظر تلك الساعات القادمة أن تمر بسرعة.. لا تطيق الانتظار ..

التفت فجأة ناحية عمر.. كان يبدو حزيناً ومهماً.. لقد شاب شعره وظهر وكأنه عجوز.. لقد عانى كثيراً وتحمل أكثر من طاقته، فكرت للحظة.. هل يمكن أن ينجحوا هذه المرة في العودة لمصر؟!، أم أن القدر يخبي لهم مفاجأة أخرى تبقيهم هنا؟!، بالتأكيد هو كذلك يشك كثيراً بالعودة لمصر.. لقد اعتاد المفاجآت..

أما عمر فقد أصبح ضعيفاً.. ضعيفاً لدرجة إنه لا يقوى حتى على الكلام.. لم يعد يتحمل صدمةً أخرى، لا يعلم إن كان عليه أن يفرح أم يحزن بعودته لمصر..!، حقاً لا يعرف بماذا يشعر..، كيف سيكون مستقبلاً والديه له خاصةً بعد ما حدث؟!، آسية.. كيف حالها الآن يا ترى؟!، وبخصوص ما حدث في رحلته الشاقة تلك.. هل عليه أن ينسى ما حدث؟!، بدا ذهنه مشوشًا.. هاجمت تلك الذكريات على ذهنه فجأة وأعلنت عليه الحرب في وقت ضعفه.. الرجل العراقي وأبنته.. لحظة قتل أخيه.. عثمان بكير.. النفق.. سوريا.. أسامة وزوجته.. المسجد.. إيلان ومهند.. سعد ورقية.. سأخبر الله بكل شيء..!

أغمض عينيه ليطرد هذا التفكير.. لقد أرهق ذهنياً ونفسياً وجسدياً، ففتح عينيه فجأة عندما شعر بأيد أحد هم على كتفه، أنها ماريـان..، نظرت إليه وسألته ..

عمر..، هل أنت بخير؟

هز رأسه أيجاباً ولم يتكلم، ابتسمت ثم عزمت على بث الأمل له ..

أمامنا نصف ساعة تقريباً ونصل مطار دمشق، قريباً سنعود ...

أشارت له عبر النافذة للمدينة من الخارج..

أنظر يا عمر.. العاصمة هنا تبدو هادئة جداً وكأننا لسنا في سوريا.. زملائي أخبروني أن ما يذاع في الفضائيات بشأن الحرب في سوريا لا يحدث سوى في الأرياف.. ريف دمشق، ريف حلب، ريف اللاذقية وكذلك ريف الحسكة الذي كنا فيه، أما المدن نفسها فهادئة جداً ..!

جذب انتباذه ما يتم أذاعته في التلفاز داخل عربة الطاقم، كان المذيع يتكلم بالإنجليزية لكن ما جذب انتباذه فعلاً تلك المشاهد التي لا يتمنى أن تكون هي التي في مخيلته..

المشاهد لصور طفل منكب على وجهه على شاطئِ ما، لكنه بنفس الملابس التي رأه بها آخر مرة، الصور أوضحت وجه ذلك الطفل.. زادت ضربات قلب عمر فجأة.. شعر وكأن العالم كلّه يتآمر عليه .. !، بدأ نفسه يزداد ويزداد صعوبة، بدأ يستوعب الصدمة، أقترب من الشاشة ..

إيلان؟!، هذا إيلان..؟!، مستحيل ...

وقفت ماريانا بجانبه وتتبادل نظراتها بين الطفل الغريق وعمر، سأله ..

هل تعرف ذلك الطفل يا عمر..؟!

بدأ صوته يشوبه التوتر وماريان لا تفهم، تحاول تهدئته.. ، بدأ صوته يرتفع ..

لا.. ليس أنت.. أخبرني يا إيلان أنه ليس أنت، أخبرني بذلك يا فتى.. لا تمت أرجوك.. أجنبي.. أجنبي يا إيلان..

بدأ يشعر بدور.. ضعفٌ يسري بجسده، بدأ يفقد توازنه، بدأ التشوش بعينيه..، ثم.. ثم لا شيء بعدها ..!، فقد  
عمر وعيه تماماً وسط ذهول من ماريان وطاقم القناة ..!

## قبل أسبوع

مر أسبوعاً كاملاً على عودته لمصر أخيراً وحتى الآن لم يصدق بعد أنه عاد، لقد أصبح الأمر بالنسبة له أسطورياً..

كل شيء تغير هنا..، كانت هناك أخبار سيئة وأخرى كانت عادية..

حزن كثيراً على وفاة والده.. لقد تسبب بأزمة قلبية له حين رأه يقتل أخيه، والدته كذلك كان أمرها منطقياً.. فرحة بعودته لكنها فرحة مكسورة.. فرحة ممزوجة بفقدان ابنها الآخر وكذلك زوجها..

التفت ناحية آسية التي كانت نائمةً، ابتسם.. لقد كان سيفقد عقله حين رآها تمشي.. نسي كل آلامه حين وجدتها قد تخلصت من عجزها، تذكر أيضاً حينما أخبرته أن والدتها قد توفيت..

أحمد وأمانى تزوجاً.. لديهما طفلة بعمر الشهرين، كانوا يحبان بعضهما ولقد جمع الله بينهما في خير..

زاره بالأمس اللواء صفت ومصطفى وباقى زملاؤه في الكتبية التي سافرت اليمن.. لقد أفتقدتهم جميعاً، أستعجله اللواء صفت للشفاء كون الرئيس وجه دعوةً رسمية لهم بحضور أحتفالية لثورة يوليو في جامعة القاهرة، وسيكون هو بالذات ضيف شرف تلك الليلة بسبب تلك الرحلة العجيبة التي خاضها..

تقلبت آسية على الأريكة وألقت بنظرها على عمر.. أضاءات وجهها بابتسامة حين رأته جالساً على سريره، قامت من مكانها وجلست بجانبه، رفعت حاجبها وهي تشكي في أمره ...

أراك أستيقظت باكراً..، لهذه الدرجة قد سلبت هي تفكيرك؟!

نعم.. لقد سلبت عقلي وقلبي منذ أول مرة قابلتها..

مسكته من ملابسه وهي تهدده ..

سأقتلها.. لن أسمح لأحد بأن يسرقك مني، أنت لي فقط.. شئت هذا أم أبيت..

ضحك عمر ..

ستقتلين من يا مجنونة..؟!

ماريان.. تتغزل فيك منذ أن عدتما، وأنت بتبتسم كلما تكلمت هي..

تعالت ضحكته..

و الله مجنونة.. من يمكنها أن تسلب عقلي وقلبي غيرك ؟!، هل ستصدقيني لو أخبرتُكِ أني لم أقابل غيرك في  
حياتي !؟

نظرت إليه بشك، ابتسمت ثم أقربت منه أكثر.. الصقت جبهتها بجبهة، و بصوتٍ خافت ..

سأصدقك هذه المرة، لكن دعني أسألك، متى عليّ أن أنجب لك مريم ؟!

بالتأكيد.. أنا جاهز الآن ..

أحمر وجهها خجلاً.. ابتسمت ثم أحضنته..

يوم الحادثة - النهاية -

تمنى لو أنه يُصاب بالزهايمر يوماً ما، تطارده ذكريات رحلته المريمة كلما سلم نفسه للتفكير.. ذكريات تشتبث بعقله وترفض الرحيل ولو بالقوة.. حتى الآن لا يعلم إن كان سعيداً بعودته أم أن الأمر لم يعد مهمًا من الأساس، لقد أصبح يفكر في طريقة للتخلص من التفكير ..!

أربت والدته على كتفه وأخرجته من تفكيه، لاحظت شرود ذهنه..

عمر..، هل أنت بخير؟!

سكت عمر للحظات.. بدا خجولاً، ينكس وجهه في الأرض.. لا يستطيع النظر في عيني والدته..

سامحيني يا أمي، لم أقصد أن ..

قاطعته ..

لا أريد التحدث في هذا الموضوع يا عمر، ما حدث قد حدث وليس بمقدورنا أن نغير شيئاً قد حدث.. لكننا قادرون على التعامل معها حتى لو لم نستطع النسيان ..!

أمسحت دموعة قد هربت منها..

أنا وآسية جاهزان.. لا تتأخر فهم ينتظروننا أمام الفندق ..

هز عمر رأسه إيجاباً.. فيما هي خرجت من الغرفة لتنظرهما خارجاً، كانت تفكير في تلك الحادثة .. حادثة كان ضحاياها أبنها وزوجها والسبب هو أبنها الآخر ..!، هي تعلم أنه لم يقصد قتل أخيه وهذا ما جعلها تسامحه على كل حال.. حتى لو قليلاً.. بل لو لم يقتله لكان قد فقدت كلابهما.. كان أدهم سيقتل عمر وبذلك لن ترى

كلاهما مرةً أخرى، بالتأكيد هذا ليس مبرراً لقتل أخيه لكن أن ترى أحدهما خيراً من أن تفقد كلاهما.. وأدهم لم يكن ليسمح بذلك ..!

خرجت لمنتظرهم خارج الغرفة، دقائق وخرجت آسية ومن بعدها عمر من الغرفة ليغادروا جميعاً الفندق الذي حددت فيه قوات الأمن أقامتهم هذا اليوم إلى أن تنتهي إحتفالية اليوم بذكرى ثورة يوليو ١٩٥٢ بعد أن تمت دعوة عمر ليكون ضيف شرف هذه الليلة بأعياره ذلك المجند الذي قام بخدمة وطنه بتجنيد المخابرات المصرية له في أكثر التنظيمات الإرهابية تطرفاً، ركبوا جميعاً السيارة المخصصة لنقلهم إلى جامعة القاهرة حيث ستقام الأحتفالية هناك بحضور رئيس الجمهورية وعدد من قيادات الدولة ..

شد ذهنه مرةً أخرى.. هل الشهرة التي يحظى بها الآن حقيقة أم زائفة؟!

أولاً هي جاءت على حساب أخيه، أما ثانياً فهو لم يكن عنصراً أستخباراتي ولم يعمل يوماً مع المخابرات، ليس إلا منذ عزمه قتل عثمان..

توقف الموكب فجأة وهذا ما أخرجه من دوامة تفكيره.. نظر لذلك المبني القديم ذو القبة التي تميز جامعة القاهرة.. مبني قاعة الأحتفالات الكبرى بالجامعة، يبدو المشهد رائعًا.. خاصةً عندما تكون أحد أهم ضيوف هذه الليلة ..

تحركوا للداخل المبني ومرروا بالإجراءات التفتيسية الأعتيادية..

جميعهم رأوا ماريان التي كانت لها الأولوية لنقل أحتفالات الليلة على التليفزيون المصري بث مشترك مع قناة "BBC Arabic" .. كانت تقوم بتغطية الأحداث خاصة مع "exclusive news" وصول الضيوف..

كانت آسية تشعر بأنها أسعد من في العالم.. رجوع عمر بالسلامة.. الشهرة التي يحظى بها.. كونها أصبحت من الضيوف المهمة هذه الليلة.. شعور رائع ومبهج، فجأة التفتت ليسارها بطريقة أثارت انتباه عمر، التفت هو أيضاً، سألها..

آسية..، أتبحثين عن أحد؟!

لم تسمع سؤاله لأنها كانت في عالمٌ موازي.. قُبض قلبه فجأةً.. كانت تبدو متواترةً تبحث بين وجوه الحاضرين عن أحدهم، ذلك الذي كان من المفترض أن يرعاها عندما ماتت والدتها، ذلك الذي كان من المفترض أن يكون أول من يساعدها في أزمتها، تساءلت.. هل هو حَقّاً من رأته؟!، لا لا مستحيل..، لابد وأنها يُخيلي إليها فقط.. لكن لماذا؟!، لماذا الآن بالذات تذكرته؟!، تنبهت لعمر الذي يبدو وكأنه كان يُحدِّثها وكذلك والدته التي كانت تلتفت للمكان التي شردت آسية بذهنها ناحيتها..

سألها عمر..

آسية..، هل أنتي بخير؟!

بدت آسية متواترة..

نعم بخير، لقد تذكرت فقط والدتي..!، كنت أتمنى أن تكون معي في هذه اللحظة..  
احتضنتها والدة عمر، قاطعهما عمر عندما رأى أن أغلب الحاضرين يدخلون قاعة الأحتفالات..  
 علينا أن ندخل الآن.. هيا..

في غصون ربع ساعة تقريباً كان جميع الضيوف في أماكنهم المحددة لهم، الجميع يتنتظر قدوم الضيف الأخير  
والأهم في هذه الليلة.. رئيس الجمهورية

آسية ووالدة عمر جلسنا في الصفوف الأولى فيما ذهب عمر مع أحد أفراد الأمن لغرفة الأعداد للإستعداد لألقاء  
كلمة في هذه الأحتفالية..

جلس في الغرفة المخصصة له للإستعداد.. كان يشاهد على التلفاز ما يحدث على المسرح من افتتاح لهذه  
الليلة.. لكنه شرد بذهنه قليلاً، يبدو قلقاً وضربات قلبه تزداد سرعة.. لا يعرف أن كان توته هذا طبيعي بسبب ما  
سيحدث الليلة من تكريم له ومن الرئيس شخصياً أم أن هناك شيئاً ما سيحدث الليلة؟!، ليس من الغريب أيضاً

أن يشعر بعدم الراحة أو الأمان.. ما حدث معه طيلة رحلته هذه جعله يتوقع الأسوأ أن يحدث حتى لو كان ما يحدث أمامه طبيعياً..

قاطعه أحدهم..

سيدي.. هل أنت مستعد؟!

هز عمر رأسه أيجاباً..

حسناً.. أمامك خمس دقائق وستلقي بكلمتك أمام الجميع..

أغمض عينيه وعمل على تصفية ذهنه من كل شيء، قام من مكانه وخرج من الغرفة وقام أحدهم بتركيب ميكروفون صغير بيده ووصل أخيراً للمرأة المؤدية لخشبة المسرح مباشرة، وقف ينتظر إشارة لدخول المسرح.. أرخي أعصابه وأستعد لألقاء كلمته في هذه الليلة.. سيظهر لأول مرة بالنسبة للناس منذ رجوعه من مهمته التي كلف بها من المخابرات - حسب ما يرى الجميع - ..

في حياته لم يقف أبداً أمام جمهور أصلاً.. كانت شخصيته خجولة نوعاً ما، وبعدما لقي ترحيباً حاراً من الضيوف حاول تجنب نظرات الجميع له، لا يريد الارتكاك..

" - قادني الظروف لبيت رجل عراقي.. كان عسكرياً سابقاً في الجيش العراقي، كانت ظروفه مأساوية.. قتلوا زوجته وتم فصله من العمل.. قام بتربية طفلته حتى أصبحت ملاكاً.. كان يجد قوت يومه بصعوبة وأحياناً كثيرة لا يجد لها أصلاً..

تكلمنا كثيراً.. أستمتعت بكلامه كثيراً، قادنا الحديث في النهاية إلى رسالة.. رسالة لكم.. لل(nr)يين.. لو كنت حياً ووصلت لمكانة كهذه وخدمتني الظروف لأنبئكم بهذه الرسالة فستكون هذه أمانة وعليّ أن أسلمكم هذه الأمانة ..

يخبرني الرجل في رسالته لكم ..

يا أهل مصر.. أنت لم تدركوا النعمة التي بين أيديكم.. جيش قوي يحميكم.. تنامون مرتاحين على سرائركم.. تتعلمون وتتسوقون.. تأكلون وتشربون.. تلبسون وتفرحون في الأعياد.. تحزنون لو حدث حادثٌ إرهابي كل حين.. على كل حال أنتم على قيد الحياة وتُطبق عليكم قوانين الحياة، أما نحن.. ميتون ورغم ذلك نخاف الموت كل يوم..!، تفجيرات ومذابح كل يوم.. لا طعام هنا ولا ماء إلا ما يأتينا من مساعدات.. أمراض منتشرة هنا ولا علاج يوقف هذا المرض.. لا تعليم هنا ... لا أمن ولا أمان..

لدي عرضٌ ربما تقبلون به.. ماذا لو أعطيتمنا جيشكم مقابل ما تطلبوه منا.. مقابل أعز ما نملك؟!، رغم أننا لا نملك شيئاً أصلًا لنبادرلكم به جيشكم..

ربما كانت أمنية كل عراقي أن يمتلك جيشاً مثل جيشكم لكن ليست كل الأماني تتحقق.. كانت منطقتنا هذه تقوم على ثلاثة جيوش قوية ولكن لم يتبقى منها سوى جيشكم.. أنتقدو جيشكم كيفما شئتم لكن لا تفكوه أو تدمروه أرجوكم ..

أدعمو جيشكم ولا تسمحوا لمن يعرف قيمة جيشكم جيداً أن يفكوه عبركم أو من خلالكم.. لا تُخطئوا مثل خطانا نحن.. نحن أسقطنا جيشهنا بأيدينا في سبيل الحرية.. وها نحن ندفع ثمن حرمتنا تلك ..

سأدعو الله أن يحفظكم من كل سوء ..

سكت عمر للحظات ...

- ... وهذه كانت رسالة هذا الرجل أليكم، الرجل الذي فقد زوجته وأبنته في حادثتين مأساويتين.. رحمهن الله وصبره الله على ما بله..، لا أعرف أن كان يشاهدني الآن أم لا، لا أعلم إن كان حيًا أم فارق الحياة هو الآخر.. هناك من تقابله لمرة واحدة فقط في حياته لكنه يعلق بذهنك للدرجة التي يجعلك تتعجب مني لو تقابله مرة أخرى .

سكت للحظات قليلة، لكنه عاد ليختتم خطابه ..

لم يعد لي كلاماً آخر لأقوله بعد رسالة هذا الرجل، أتمنى فقط أن تتأملوا كلامه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ”

أنتهى من خطابه القصير ثم أبتعد بضع خطوات عن المنصة وسط تصفيقٍ حار من الجمهور في القاعة، كان الرئيس قد قام من مكانه وصعد المسرح وتبعه شخصٌ آخر وبيه علبة زرقاء مفتوحة ... قلادة النيل ..

وقف عمر مكانه يستشعر هيبة أقتراب الرئيس منه..، فجأة عاوده شعور القلق مرةً أخرى.. يشعر بأنقباض قلبه.. شرد بذهنه لشوابي قليلة.. لماذا شعر بذلك فجأة.. لقد تجاوز شعور أن يقف أمام جميع قيادات الدولة بما فيهم الرئيس نفسه مخاطباً.. فماذا حدث أذن؟!، لكنه عاد وأصطمع أبتسامة تنسيه فقط ذلك الشعور على الأقل في اللحظات القليلة القادمة.. أقترب الرئيس منه وبيه القلادة.. تحرك هو أيضاً تجاه الرئيس .. الرئيس بنفسه سيقلّده أعلى وسام في البلاد.. ما رآه في رحلته تلك جعله يتباً بما كل هو سيءٌ آت ..

بعد أن تم تقلديه قلادة النيل ابتعد خطوتين عن الرئيس ثم تذكر أن سلم المسرح في الجهة الأخرى فالتفت ومر أمام الرئيس.. ولكن ... لكن... لكن لا شيء بعدها إلا دمٌ تناشر فجأة على وجه الرئيس .. !

فرع الرئيس عندما وجد تلك الدماء على وجهه.. مال جسد عمر عليه فجأة، لقد قُتل عمر في لحظة.. وقبل أن يقع الرئيس به كان الحرس الخاص به قد أحاط به ويحاولون حمايته والخروج من المكان فوراً ...

\*\*\*\*\*

المكان حولها مضطرب.. الجميع يجري هنا وهناك في فرع.. الأضطراب والذعر والخوف يسيطران على المكان..

إلا هي.. ما زالت تجلس على كرسيها محدقة بعينيها على عمر الذي قُتل لتوه، لم تستوعب الأمر بعد .. لم تهنيء به كثيراً، بعد كل هذا الغياب وبعد أن يلتقيا مجدداً يذهب بهذه السهولة؟!

قامت من مكانها متوجهة نحوه.. تخطو الخطوة تلو الأخرى في أرباك عينيها مثبتان على زوجها الميت على المسرح.. لا تسمع ولا ترى غيره، عيناهما تفيض بدموع الحسرة والألم، صعدت سلم المسرح وتوجهت نحوه.. جثت على ركبتيها بجانبه.. وضعت رأسها على صدره.. أدركت أنه ليس هناك نبض، خطر على بالها أمرٌ ما..، عندما أتحقق عمر بالجيش أول مرة أختفى أخيه فجأة وأستمر أختفاؤه إلى أن أتضح في النهاية أنه أتحقق بتنظيم أرهابي ..!، كذلك الأمر مع أخيها.. سافر ليعمل بقطر لكنه لم يظهر بعدها والشركة التي كان يعمل بها هنا في مصر أخلت مسؤوليتها عنه بعدما أستمر غيابه من فرع الشركة في دولة قطر.. أختفى منذ تلك اللحظة لكنها ظنت أنها تخيلت أنها قد رأتهاليوم، لكن يبدو أن الحقيقة واضحة.. أخوها يوسف يعمل مع تلك الجماعة الإرهابية مثلما عمل أخوه عمر.. التفت لعمرو وهي تحدثه وتهمس له كأنه مازال حياً ...

هو من قتلك..، لم أصدق نفسي حين لمحتهاليوم، ظننتي أهلوس أو فقط تخيل ..!

تساءلت..

.. لماذا فعل هذا بك؟! لماذا قتلك يا عمر؟!، لماذا أنت بالذات؟.. لقد تامر أخوك وأخي صدك..

رفعت رأسها ونظرت لوجهه وعينها غرفت بالدموع ..

صدقي ليس هناك حيَاة بعدي.. لن يطول الأمر حتى الحق بك.. سألاحقك أينما ذهبت.. لن أتحرك من مكانني هنا حتى تأخذني معك.. لن أبقى هنا لوحدي ..!، أتفهم؟! لن أبقى هنا وحدي ..

أنفجار آخر يهز المكان بعنف وجزء من السقف يقع هذه المرة.. لقد وقع السقف عليهم وحصيلة القتل تزداد نفراً.. لقد رحلت آسية كذلك ..!

" قبل لحظات "

كان ضمن الفريق الأمني المسؤول عن تنظيم الحفل داخل قاعة الأحتفالات الكبرى..، كان يقوم بتوجيه الضيوف من الصالة الرئيسية لمكانهم المحدد داخل القاعة، لكنه صُعق عندما رأى أخته تنزل من سيارة خاصة بنقل صاحب الفيديو الشهير "عمر" .. كان يعلم أنه قد تروجهها وكان يساعدها لتجاوز أزمتها لكنه لم يعلم أنها قد تعافت ولم يتوقع كذلك حضورها الليلة.. ظن أن الدعوة أقصصت على عمر فقط ..!، لكن لا يبدو الأمر كذلك .. لكنه أيضًا لديه تعليمات بتنفيذ مهمته الليلة وفي اللحظة المناسبة سيبدأ هو تلك الليلة الكارثية، حاول أن يتوارى عن الأنظار سريًّا قبل أن تلاحظه آسية..

وفي أحد الممرات الفرعية للصالة الرئيسية وقف يوسف مستندًا على الحائط.. رجع بذاكرته للوراء..

" كانت تجلس في الصيدلية معه.. تذاكر محاضراتها الأخيرة، أو هكذا بدا له في البداية.. الغريب أنه كان يتبعها بتركيز.. لحظات تشرد بذهنها ثم تعاود القراءة ما بيدها من ورق فتشرد مرة أخرى وتبتسم كل حين ثم تعود لتنظر في أوراقها ..

ما الذي يشغل بال أميرتي؟!

التفتت إليه آسية، تعجبت من سؤاله ..

لا شيء.. هناك مسائل صعبة في مادة الأحصاء أحاول أيجاد حلول لها ..

و هل هذه المسائل هي من تجعلك تبتسمين هكذا؟!

أحمر وجهها فجأة حاولت أنكار هذا ..

ابتسِم؟!، لا.. لم أقصد هذا طبعًا..

حسناً.. دعني أخبرك أن المسألة الصعبة التي لم تجدي لها حلاً هي مسألة عاطفية، غالباً أنتي تفكرين في الطريقة المناسبة لأخباري بهذه المسألة الصعبة لأخبرك بحلها..، أليس كذلك..؟!

توترت بخجل.. تنظر لعينيه ثم تبعدهما، لم تتحمل نظراته..، ابتسمت وأحمر وجهها خجلاً، خفضت رأسها بخجل ثم نظرت إليه مرةً أخرى لتتجده ما زال يحدق بها ..

ماذا..؟!

أنتظر لتخبريني بالمسألة..

ساد الصمت المكان للحظات طويلة ثم همت بأخباره ..

في الجامعة قابلتُ ...

دخل شخص الصيدلة فجأة، آخر شخص كانت تتوقع أن يأتي لهذا المكان.. عمر.. أتسعت عيناهَا من المفاجأة وظلت محدقةً به لثواني..

كان الأمر طبيعياً بالنسبة لأخيها لذلك كان بديهيأً أن يفهم أن هذا هو الشخص الذي كانت ستتكلم عنه الآن.. أرتباكها كان واضحاً، وبعد صدمة رؤيته ظلت تلتفت برأسمها ما بين عمر وأخيها، نظر أخوها للأوراق التي أمامه وكأنه لم يفهم شيئاً ..

أعطي عمر روشتة لآسيـة ..

أريد صرف هذه الروشتة من فضلك ..

قالها وقد أرتسمت أبتسامة ماكراً على وجهه، قرأت الروشتة وتحركت بأرتباك لصرفها..، عمر يقف مكانه وهو يتأمل أرتباكها..، صرفت له الروشتة كما علمها أخوها وأنصرف عمر، ظلت للحظات بعدها جالسة والصمت يُخيم على المكان أيضاً..

علينا أن نكمل كلامنا، ماذا كنـتـي سـتـقولـينـ؟!

التفتت إليه بتوترٍ جعلها تجمع أوراقها ..

أعذرني يا يوسف.. لقد أكتشفت أن الوقت ضيق والمذاكرة كثيرة، على الذهاب للبيت حالاً والتركيز جيداً..  
سلام .

"غادرت بسرعة حتى دون أن تنتظرك ردك ..."

عاد لواقعه من جديد بعدما تعالت الأصوات من حوله بعد وصول موكب الرئيس أمام مبنى القاعة .. !، تحرك بسرعة ناحية غرفة ما.. كانت مظلمة، فتح جزءاً بسيطاً من النافذة المطلة على القاعة من الداخل.. كان يقف أمامها رجلان أمن المسافة بينهما محددة كما هو مخطط له، جهز سلاحه ووضع ماسورة السلاح على قاعدة النافذة مصوّباً فوهته ناحية الفتحة الصغيرة التي يُقيّها الرجالان بينهما ليطلق يوسف رصاصته..، بعد وصول الرئيس وجلوسه في المكان المخصص له خرج عمر وألقى تلك الكلمة الأفاسية لهذه الليلة ..

كان يتّظر لحظة بعينها لشّكّل مهمته هذه الليلة.. لا يريد أن يكون الهدف متّحرّكاً.. الأفضل يكون ثابتاً ولو للحظة واحدة فقط لتفادي أي خطأ يمكن أن يحدث على سبيل الصدفة حتى، ضبط سلاحه وتحرك بعدسة السلاح مع الهدف وتبعه حالما يقف ويثبت للحظة ثم يطلق الرصاصه.. الخطأ ممنوع، يريد هو بذاته أن ينال شرف أغتياله، ضغط على السماعة التي في أذنه وهمس فيها ..

أنا جاهز تقريباً .. ثوانٍ قليلة وستُنفَدِّ المهمة، أستعدوا أنتم كذلك..

تحدث في نفسه ريشما يثبت هدفه ..

آسف يا عزيزتي، سامحيني يا آسية.. لم أعلم أنك ستحضررين حفلة الليلة، ظننتك عاجزة ولن تستطعي الحضور، لكنني لن أفوّت هذه الفرصة أبداً، آسف لم تتركي لي خياراً آخر ولا وقت لدى لتحذيرك ..

أرتسمت أبتسامة ماكرة على وجهه..

فلنبدأ أحتفالات الليلة يا سادة ..!

توقف الرئيس أخيراً في المكان المخطط له.. كان صليب الكلاشنكوف على رأسه تماماً.. ها هي اللحظة المناسبة، ضغط على الزناد وخرجت الرصاصة وأصابت الرئيسي ! لكن ماذا حدث؟!! كارثة، الرصاصة لم تصيب الهدف، تحرك عمر فجأة عندما أحضرن الرئيس فجأة وأصابته الرصاصة، كان من المفترض أن يتصرف أولاً وهذا يعطيه الوقت الكافي لأصابة هدفه بنجاح.. استدرك خطأه بسرعة وفك سلاحه بخطواتٍ سريعة ووضعها في حقيبة وخرج متخفياً وسط الصخب الذي يحدث بالخارج..

لم يقتصر الأمر على مقتل عمر أو استهداف الرئيس.. حدوث سلسلة انفجارات بعد ذلك.. انفجارات هدمت القاعة تماماً وأنفجارات أخرى طالت الصالة الرئيسية والباب الرئيسي للمبني.. انفجارات خلفت ورائها عشرات الضحايا.. كل هذا فقط لاستهداف الرئيس..

عمر كان الضحية الأولى هذه الليلة..، والدته لم تتحمل فقدان آخر فرد في عائلتها وتوفيت بسكتة قلبية، آسية التي أصرت على اللحاق بعمر..، ماريان التي انهدمت عليها البوابة الرئيسية بعد انفجار هز المبني كلها رحلت هي الأخرى..

لم تكن تلك نهايةً مرغوبةً فيها، لكن هذا هو الإرهاب الأسود اللعين، روجوا دائماً لمقولة "الإرهاب لا دين له" لكن الحقيقة غير ذلك.. للأرهاب دين.. دين الحقد والكراهية.. القتل والدمار.. التطرف والكذب والخداع.. الخراب والظلم والفتن.. لقد صنعوا دينهم بأيديهم! ديناً جديداً.. دين الإرهاب..

تلك نهايةً محتملة...

تمت

# عِصْرَنَ

تبعد في هنالك عقدها الثاني، اعتادت أن تسام و الحزن يرافقها..

في الشهور الأخيرة كان الخطر يطارد زوجها.. و هي كل يوم تنتظر ذلك الخبر السيء.. لا تعلم حينها كيف ستتصرف و كيف سيكون شعورها أو رد فعلها.. لا تعلم أن كانت ستموت من الصدمة أم ستبقى بقية حياتها تعيسة..، و لكنها متأكدة إنها لن تحمل فقدانه.. تكون على قمة العالم عندما تعلم إنه ما زال حياً و إنه بخير و تكون أتعس خلق الله عندما ينتشر خبرٌ ما يوحى بأنه في هأزق أو تسمع خبر وفاته أو حتى عندما لا تعلم عنه شيئاً، لكنها كانت تمني النفس بأن كل تلك الأخبار كاذبة و سيكون بخير قريباً، تلجم لربها بالدعاء... و لا خاب من لجأ لربه..

